2271
.5081
.311

2271.5081.311
Kahhalah
al-'Alam al-'arabi

DATE	ISSUED TO
SEP 16 1959	Bindery
JAN 18 1960	

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE

Princeton University Library
32101 074454487

العالم الإسلامي

الجزء الأول

العرب قبل الإسلام
البعثة المحمّديّة

تأليف

عمر رضا كحّاله

الطبعة الثانية

المطبعة الهاشمية بدمشق

١٣٧٧ هـ — ١٩٥٨ م

Kahhālah, ʿUmar Riḍā

العالم الاسلامي

al-ʿĀlam al-islāmī

الجزء الأول

العرب قبل الاسلام

البعثة المحمّديّة

تأليف

عمر رضا كحّاله

الطبعة الثانية

المطبعة الهاشمية بدمشق

١٣٧٧ هـ — ١٩٥٨ م

طبع بنفقة
المكتبة الهاشمية بدمشق لأصحابها
محمد هاشم الكتبي وشركاه
حقوق إعادة الطبع والنشر محفوظة "للمؤلف"

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

نعيد نشر كتاب العالم الاسلامي ، بعد أن مضى عليه ربع قرن ، جرت فيه حوادث جسيمة ، وأنشئت خلاله دول عربية إسلامية في كثير من بقاع الأرض ، الجديرة لأن تضاف إلى هذا السفر ، الذي ضم بين جنبيه أغلب الحكومات الإسلامية ، منذ نشأة الإسلام الى هذا العصر .

ومهدنا لذلك بذكر نبذة عن طبيعة شبه جزيرة العرب ، وخلاصة عن تاريخ العرب قبل الإسلام ، ليستطيع الباحث أن يتبين سر عظمة الإسلام وباعثه محمد ﷺ .

وحرصنا على أن يكون مؤلفنا هذا ، بعد أن أضفنا اليه الدول العربية والإسلامية الحديثة ، موجزاً ، بعيداً عن الاسهاب والاطناب ، فيكون مرجعاً ، سهل المنال للمطالع ، يجد ضالته بدون عناء ونصب ، ويطلع على أكثر مايجب معرفته في تاريخ العرب والإسلام .

وبالختام نشكر المكتبة الهاشمية على ما بذلت من جهد في سبيل نشر هذا المختصر ، أدامها الله ذخراً للعلم والأدب .

دمشق في ١٣٧٧ هـ — ١٩٥٨ م

عمر رضا كحالة

2271
.5081
311

الباب الأول

العرب قبل الإسلام

الفصل الأول

طبيعة شبه جزيرة العرب

تقع شبه جزيرة العرب فى الجنوب الغربي من آسيا ، ويحدها من الغرب البحر الاحمر ، ومن الجنوب المحيط الهندي ، ومن الشرق بحر عمان والخليج الفارسي ، ومن الشمال العراق وشرق الاردن .

وتتميز شبه جزيرة العرب بسلسلة جبال السراة التي تبدأ من مدين وتنتهي بالبحر فتقسمها الى قسمين : شرقي وغربي ، ونظرا لقربها من الساحل الغربي فان انحدارها اليه شديد وقليل المسافة ، خلافاً للقسم الشرقي الذي ينحدر انحداراً خفيفاً وتدريجاً ، ودعي القسم الهابط عن مستوى الحجاز الى الغرب بتهامة ، وسمي القسم الشرقي منه نجداً .

وتتركب سلسلة جبال السراة من صخور رسوبية واحجار صوانية وبركانية وبها سهول واسعة الارجاء تغطيها حجارة نخرة سوداء تدعى حراراً .

ويختلف ارتفاع هذه الجبال باختلاف مواقعها ، فيبلغ في الشمال الغربي ٢٢٠٠ متر ، وفي الجنوب الغربي من ٣٠٠٠ الى ٣٥٠٠ متر .

وتنقسم جبال السراة الى سلسلات كبيرة وصغيرة ، وهي جبال غير محرجة تقريبا ، ومنظرها لا يدعو الى البهجة والحبور ، بها صخور ناتئة مظلمة ، وقمم صماء جرداء ، مختلفة الاشكال والصفات ، وتقوم على هذه القمم الشاهقة قرى جليلة ، بها بيوت مربعة الشكل ، واخرى مستديرة ، والناظر اليها يراها كانها قلاع حصينة ، محاطة غالبا من جميع جهاتها بهوى سحيقة ، كأنها فاغرة فاها لتبتلع

ما حولها . وبهذه السلسلة اودية كثيرة ، مختلفة المساحات والصفات ، تقطع هذه الجبال ، فتجعلها كأنها اشباه جزر منعزلة ، وتختلف مصاب هذه الاودية باختلاف مواقعها ، فتصب مياه الأودية الآتية من الشرق والشمال الشرقي في الجهات الغربية ، وتصب مياه الأودية الآتية من الشمال في الجهات الجنوبية والجنوبية الشرقية ، وبهذه السلسلة مخازن تخزن مياه الامطار ، وتفتح عند اللزوم لري الحقول والبساتين .

وتختلف درجة الحرارة في السراة باختلاف مواقعها ، فتبلغ في المنحدرات الغربية ٣١ درجة فى شهر حزيران و٣٧ درجة فى شهر آب ، ويؤثر ضباب تهامة في حرارة السراة ، فيعدلها ، وتنخفض درجة الحرارة خلال فصل الشتاء في الجبال العليا فتبلغ الدرجة الخامسة .

ويبدأ فصل المطر فيها من منتصف حزيران حتى آخر ايلول ، وتهطل الامطار في فصل الربيع في نيسان ، وتصحب الامطار احياناً زوابع وعواصف ، كما تجمد المياه شتاء في الهضبات المرتفعة ، وقمم الجبال الشاهقة بسبب انخفاض الحرارة وهبوب الرياح الباردة .

واما الجو فى المنحدر الشرقي من السراة ، فيغلب عليه الجفاف ، ويختلف اختلافاً بيناً من حيث رطوبة الجو التي يختص بها المنحدر الغربي ، كما يمتاز المنحدر الشرقي بامطاره ، فتنهمر فى فصلين مختلفين ، تمكن سكانه بان يزرعوا خلال السنة الواحدة الحبوب والخضر والثمار الملائمة لنوعي هذين الفصلين ، وأودية هذا المنحدر خصبة ، ولا سيما الاودية التي تجري فيها المياه الغزيرة فى معظم ايام السنة ، فتجعلها تنتج كثيراً من الحبوب والثمار ، وينبت فى سلسلة جبال السراة القمح ، الشعير ، الذرة ، الحمص ، الكرسنة ، الجلبان ، البن ، العنب ، البلح ، قصب السكر ، التين ، التبغ ، البطاطا ، النباتات العطرية ، القطن ، وغيرها .

وقد علمنا مما تقدم ان السراة تقسم شبه جزيرة العرب الى قسمين : غربي ، وشرقي ، فالقسم الغربي ويدعى تهامة ، وهي سهول وهضاب تقع شرقي البحر الاحمر وغربي جبال السراة ، وتمتد من اقصى الجنوب الى منتهى خليج العقبة

فى الشمال ، وقد تقال : مضافة الى القسم الذي تحاذيه ، فيقال : تهامة البحر ، وتهامة عسير ، وتهامة الحجاز .

ويمكن تقسيم هذه المنطقة الى قسمين مختلفين : سهول ، وهضبات ، اما السهول فهي المنطقة الساحلية السهلة التي تضيق وتتسع في اماكن معروفة ، فيبلغ اتساعها في بعض الاماكن ٤٠ ميلا وهذا أقصى اتساع لها ، وقد تضيق في اماكن اخرى الى ان تصبح الهضبات القريبة من الساحل متصلة بالساحل رأسا ، وأما منطقة الهضاب والنجود فهي موازية للمنطقة الساحلية ، ويتسع الانفراج ، أو يضيق بالنسبة الى أماكنها ، ويبلغ معظم ارتفاع هذه الهضاب ٦٥٠ متراً في المملكة العربية السعودية ، و٧٠٠ متر في تهامة اليمن .

وتشتد الحرارة بتهامة ، فتبلغ في ايار وايلول من ٣٥ ــ ٤٣ درجة ، وفي نيسان الدرجة الاربعين ، وتعتدل الحرارة في الصيف ، فتختلف نسبياً بطول الامطار ، واما في الشتاء فيختلف معدل الحرارة بين ٢٥ و٣٥ ، ولا ينخفض بالساحل في اكثر الشهور برداً عن الدرجة الرابعة عشرة ، ويدوم فصل الامطار الرئيسي بتهامة من شباط الى آذار ، ومن ايار حتى نهاية ايلول .

ولما كانت تهامة ذات حرارة شديدة وجفاف زائد ، اصبحت طبيعة الارض المجاورة للبر قاحلة تقريباً ، وأما مناطقها المجاورة للمنطقة الجبلية ، فهي ذات اودية خصبة وتصلح لزرع كثير من النباتات المعروفة في شبه جزيرة العرب كالذرة ، وقصب السكر ، وشجر النخيل ، والسمسم والقطن وغيرها .

واما القسم الواقع في شرقي جبال السراة فيسمى نجداً ويتألف من مناطق مترامية الاطراف مختلفة الاشكال والصفات ، وتمتد من سفوح جبال السراة الى الدهناء التي تفصل بينها وبين ساحل الخليج الفارسي .

وتقسم نجداً سلسلة من الجبال تسمى العارض ، تتجه من الشمال الى الجنوب بشكل مقوس تقريباً ، ثم تنقسم هذه السلسلة الى شعبتين : شعبة شرقية تتجه الى الجنوب الشرقي الى ان تغور في وسط الصحراء وتسمى العرمة ، وشعبة

غربية تمتد الى الجنوب وتغور قليلا ، ثم تظهر ثانية وتتجه فى وجهة غربية جنوبية وتسمى الطويق .

وتختلف درجة الحرارة فى المنطقة النجدية باختلاف مواقعها الطبيعية ، فتكون في الجبال شديدة الحرارة في وسط النهار ، ومحتملة في الليل وفي طرفي النهار . وتنخفض فى جبل شمر فتجعله أعدل هواء وأبرد جواً من جو البلاد النجدية الجنوبية وتقل الرطوبة فى نجد الاوسط والاعلى بدرجة كافية لتعديل اثر الجفاف . ولا تستقر درجة الحرارة على حال في النفود الكبير ، فبينما نراها صاعدة ، واذا بها تنخفض الى درجة يشعر بها الانسان ببرد ، ويغلب هطول الامطار في النفود الكبير في اواسط تشرين الثاني .

واسباب الحياة في الربع الخالي قليلة ، بل معدومة في جهاته الغربية ، وكلما اتجه الى الشرق ازدادت كمية المياه وقل عمقها في داخل الارض .

ويبدأ الساحل الشرقي لشبه جزيرة العرب من الشمال بحدود الكويت الشمالية ، وينتهي في امامة عمان ، ويحتوي هذا الساحل على مناطق هي الكويت والاحساء والبحرين وقطر .

وطبيعة تربة القسم الشمالي من خليج الكويت خصبة ، واما تربة القسم الجنوبي فبعضها رملي وبعضها طيني ، وهي على العموم مقفرة خالية من الزراعة وتتكون طبيعة ارض الاحساء الساحلية من ارض رملية ، تشبه فى تكوينها ارض التهايم فى جهة الساحل الغربي لشبه جزير ة العرب .

والقسم الاكبر من ارض امارة الاحساء سهل صحراوي ، يرتفع فى الجهة الغربية عن ساحل البحر ، كما ترتفع الارض فى القسم الداخلي ، وتوجد بها تلال وأودية .

وتقع امارة البحرين على محاذاة شاطىء الاحساء الشرقي ، وهي مجموعة جزر غزيرة المياه ، تحتوي على عدد كبير من الينابيع ، فجعلتها خصبة ينبت فيها كثير من الاشجار المثمرة والخضر ، ويختلف الجو بالبحرين ، فيكون فى قرب السواحل والمناطق القابلة للزراعة حاراً رطباً وموبوءاً بالحميات .

وطبيعة ارض ساحل شبه جزيرة قطر وعرة وقاحلة تقريباً ، وتتألف من تراب كلسي ممزوج برمل وحصى ، وعلى مسافة اميال من ساحلها مستنقعات وهضبات قليلة الارتفاع ، تتألف من رمل وطين • وتقوم في الجهة الاخرى من شبه الجزيرة هضبات رملية ، ينبت فيها بعض الخضر ، وبها بعض العيون المائية ، والجو بها جاف جداً وغير صحي •

وتنقسم طبيعة ارض عُمان الى قسمين : تهامة ، ومنطقة جبلية ، ففي تهامة عمان سهل واسع يدعى البطينة ، وهو خصب تكثر فيه اشجار النخيل والموز والرمان وغيرها ، ويزرع فيه كثير من انواع الحبوب •

واما القسم الجنوبي لشبه جزيرة العرب ، فيتألف من جنوب عمان ومهرة وحضرموت وعدن والمحميات التسع ، فأما طبيعة ارض مهرة فرملية ، تتألف من سهول تمتد على ساحل بحر العرب ، ومن سلاسل جبلية ، ويقع على حدودها وادي مسيلة الغني بالمياه وفيه اشجار من النخيل •

وتتألف حضرموت من جبال صخرية جرداء ، تشقها أودية فسيحة منبسطة ، ويتكون الاقليم القريب من الساحل البحري من سلاسل جبلية ، احتفرت الانهار لنفسها أودية اتصلت بالبحر ، ويتألف هذا الاقليم غالباً من تلال ومنحدرات جرداء ، مكونة رؤوساً فيها طبقات من الرواسب النهرية ، وعلى امتداد أودية حضرموت تأخذ المزارع مساحات واسعة من الارض تزرع بها الحبوب ، وبحضرموت نهر حجر وعيون مياه غزيرة فى جبالها ، ويشتد الجفاف فى كثير من أوديتها كما ترتفع درجة الحرارة صيفاً ويشتد البرد فيها شتاء ، وعلى العموم فجو حضرموت جاف وملائم لشروط الصحة •

وتختلف طبيعة بقاع عدن والنواحي التسع المحمية ، فتتألف من سهول وهضبات وأودية ، وتنقسم الى قسمين : قاحلة كعدن وبلاد العوالق السفلى ، وخصبة كلحج ومقاطعة الحواشب وبلاد يافع التي فيها عيون غزيرة المياه وقنى تجري فيها السيول وبها كثير من الاشجار المثمرة ، ويزرع فيها كثير من الحبوب المعروفة في شبه جزيرة العرب ، واما جو هذه المناطق فيغلب عليها جو بلاد خط الاستواء •

وتنقسم ارض اليمن الى منطقة سهول ، وتسمى تهامة ، ومنطقة جبال ، اما تهامة فتشتمل على شاطىء البحر الاحمر وبعض الجزر ، وتمتد في سهل شديد الحرارة ، وهذه المنطقة اقل مناطق اليمن خصباً ، واما المنطقة الجبلية فتشتمل على ما يزيد عن ثلاثة ارباع مساحة اليمن العامة ، وهذه المناطق عبارة عن سلسلة السراة ، او سلسلة الحجاز الآتية من الشمال ، والحرارة فيها معتدلة .

ويتكون الحجاز من مناطق طبيعية مختلفة ، وهي المنطقة الساحلية ، وتدعى تهامة ، والمنطقة الجبلية وهي مرتفعة ، والمنطقة النجدية ، وهي تقع بين جبال مرتفعة جداً في الشمال ، وفي الحجاز واحات خصبة متفرقة هنا وهناك . وأما حرارة الحجاز فتختلف باختلاف المناطق ، وامطاره قليلة وغير كافية لري أرضه ، غير انه في بعض مناطقه تسيل فيها السيول ، وتنبع فيها ينابيع كمنطقة الطائف ، ووادي فاطمة ، والأودية التي تقع بين مكة والمدينة .

الفصل الثاني

العرب

أصلهم

أصبح اليوم درس اللغات وسيلة تضمن تقرير اصل الشعوب ولما درست اللغة العربية درساً علمياً وقوبلت بغيرها من اللغات العبرانية والآشورية والبابلية والفنيقية ، تبين ان جميع هذه اللغات قريبة الشبه واصلها واحد . ومما ساعد ايضاً على اثبات قرابتهم مع تلك الشعوب طبائع خلقهم كلون شعرهم الفاحم ولحاهم الكثة وكمود لونهم وغيرها من الوثائق الفيلولوجية والأنثروبولوجية التي ساعدت علماء درس الانسان لان يجعلوا العرب من الشعوب السامية .

قال غوستاف لوبون (G. Le Bon) قضى العرب كغيرهم من الشعوب زمناً قبل التاريخ ، ومن البقايا التي عثر عليها الجلوجيون في طبقات الارض تثبت بان جميع الشعوب التي عاشت في العصر الحجري قريبة الشبه (١)

ومن درس اللغات ومقارنتها والرجوع الى اصولها يظن ان المناطق الواسعة التي تقع ما بين النهرين والقوقاز وجنوبي بلاد العرب كانت تقطنها أمم واحدة تتكلم لغة واحدة أي اللغة السامية ولهذا اعتبر العربي نسيب العبراني والسرياني والآشوري والكلداني .

واختلف في موطن الساميين الاصلي فرأى أصحاب التوراة أن مهد الانسان في ما بين النهرين ومنه تفرق في الارض فاشتق من الساميين الآشوريون والبابليون في العراق والاراميون في الشام والفنيقيون على شواطىء سورية والعبرانيون في

---

(١) حضارة العرب لغوستاف لوبون G. Le Bon-La civilisation des arabes

فلسطين والعرب في جزيرة العرب والآثيوبيون في الحبشة ، ومرجعهم في اثبات ذلك الى أقوال التوراة .

وقال سالت وريتر : ان مهد الساميين الحبشة . وذهبت طائفة أخرى وفي مقدمتها سبرنجر وشريدر وونكلر وروبرتسن الى أن مهد الساميين جزيرة العرب ومنها تفرقوا في الارض . وذهب اغنازيوجويدي الى ان مهد الساميين في جنوبي الفرات [1] .

ومهما يكن من اختلاف أقوال الباحثين في تعيين مهد الساميين الأصلي فأن الأمم التي تفرقت منه كانت تتكلم عند تفرقها لغة واحدة أي اللغة السامية الاصلية ثم تغيرت تلك اللغة حسب الاقاليم وعلى مقتضى ناموس الارتقاء وتباعدت الفاظها وتراكيبهـا .

* * *

أنسابهم

اعتاد النسابون ان يقسموا العرب الى ثلاثة اقسام : بائدة وعاربة ومستعربة . قال ابو الفداء : وقد قسم المؤرخون العرب الى ثلاثة أقسام : بائـدة وعاربة ومستعربة . اما البائدة فهم العرب الأول الذين ذهبت عنا تفاصيل أخبارهم لتقادم عهدهم وهم عاد وثمود وجوهم الاولى وكانت على عهـد عاد فبادوا ودرست أخبارهم ، واما جرهم الثانية فهم من ولد قحطان وبهم اتصل اسماعيل بن ابراهيم ولم يبق من ذكر العرب البائدة الا القليل على ما نذكره الآن ، واما العرب العاربة فهم عرب اليمن من ولد قحطان ، واما العرب المستعربة فهم ولد اسماعيل بن ابراهيم [2] .

ويتفرع من قحطان ابي اليمانيين شعبان عظيمان شعب حمير وشعب كهلان .

ويتفرع من حمير التبابعة ملوك اليمن . وقضاعة التي كانت تملك بلاد الشحر . وبنو كلب الذين نزلوا قديماً شمالي الشام . وجهينة وكانت منازلهـا

---

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان .

(٢) تاريخ ابي الفداء .

بأطراف الحجاز الشمالي • وبنو سليح وكان لهم بادية الشام فغلبهم عليها ملوك غسان ، وبنو نهد ، وبنو عذرة ، وبنو شعبان •

ويتفرع من شعب كهلان فروع كثيرة أشهرها الازدوطيء ومذحج وهمدان وكندة ومراد وانمار • فمن قبائل الأزد الغساسنة ملوك الشام • والأوس والخزرج سكان يثرب • وخزاعة التي تسلطت على مكة قبل قريش • واما طيء فهي قبائل نزلت نجد الحجاز فى جبلي أجا وسلمى وهما المعروفان الآن بجبل شمر ، ومن بطونها نبهان وسلامان وهنى وسدوس • واما مذحج وهمدان فكان أغلبهم يسكن اليمن ، والى مذحج تنسب بطون خولان وجنب وأود • وأما كندة فقد حكمت حضرموت ومدت سلطانها على بني اسد في اليمامة ومن بطونها السكون • واما بنو مراد فبلادهم الى جانب زيد من جبال اليمن • ولأنمار فرعان هما بجيلة وخثعم ، وبجيلة كان لها اثر كبير فى فتوح العراق فى عهد عمر • وأما القبائل المنتسبة الى عمرو بن سبا فهي لخم وينسب اليها بنو الدار والمناذرة ملوك الحيرة الذين أسسوا ملك الحيرة على الفرات •

ويقول النسابون ان شعب عدنان ينتهي نسبه الى اسمعيل بن ابراهيم الذي قدم مكة وساكن جرهم وصاهرهم ولم تزل ابناء اسمعيل بمكة تتناسل هناك حتى كان منه عدنان وولده نزار • وولد لنزار أربعة : اياد وانمار وربيعة ومضر وهذان الاخيران هما اللذان كثرت بطونهما •

فأشهر قبائل مضر قيس واليها تنسب قبائل هوازن وسليم ، وكانا يسكنان الجزء الغربي من نجد والى قيس ينسب بنو غطفان ومن غطفان ذبيان وعبس ابنا بغيض واشجع بن ريث وغني بن اعصر • وتشعبت من مضر أيضاً بطون الياس ابن مضر فأشهرها تميم بن مر وهذيل بن مدركة وبنو أسد بن خزيمة وبطون كنانة ابن خزيمة ومن كنانة قريش وهم اولاد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة • وقد انقسمت قريش الى قبائل شتى اشهرها جمح وسهم ابني هُصيص بن كعب وعدي ابن كعب ومخزوم بن يقظة بن مرة وتيم بن مرة وزهرة بن كلاب وعبد الدار ابن قصي واسد بن عبد العزى بن قصي وعبد مناف بن قصي • وكان من عبد مناف

اربع فصائل عبد شمس ونوفل وعبد المطلب وهاشم وبيت هاشم هو الذي كان منه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم (ص) .

واما ربيعة فأشهر قبائلها أسد وكانوا يسكنون شمالي وادي الرمة . ووائل وهي تنقسم الى بكر وتغلب وقد كانت بينهما حروب طويلة عقب قتل كليب كادت تفني القبيلتين جميعاً والى بكر بن وائل ينتسب بنو حنيفة اليمامة . وقد كان بين ربيعة ومضر عداء شديد ظل قروناً طويلة ادى الى أن ربيعة غالباً كانت تتحالف مع اليمنيين لمقاتلة المضريين .

على أن هذه الأنساب لا تزال مجالاً للشك الكبير . قال احمد امين : وقد عني المؤرخون بنسب القبائل وتفرعها والفوا فيها الكتب الكثيرة ولكن هذه الانساب في مجموعها كانت ولا تزال مجالاً للشك الكبير « سئل مالك عن الرجل رفع نسبه الى آدم فكره ذلك وقال من أين يعلم ذلك ؟ فقيل له فالى اسماعيل فأنكر ذلك وقال من يخبره به ؟ [1] »

ومهما يكن من صحة هذه الأنساب أو عدم صحتها فان هناك فوارق حقيقية بين سكان الجنوب وسكان الشمال فانهم مختلفون فى اللغة .

فلغة اليمن كانت تخالف لغة الحجاز في أوضاعها وتصاريفها ، وكانت لغة اليمن اكثر اتصالاً باللغة الحبشية والاكّادية . ولغة الحجاز اكثر اتصالاً باللغة العبرية والنبطية .

وجملة القول انهم مختلفون في كثير من مظاهر الحياة والثقافة العقلية تبعاً للوسط ونوع الاختلاط الذي اختلطوا به . فقد امتزج العرب ولا سيما حضرهم منذ أقدم عصور التاريخ بشعوب وقبائل مختلفة لوجودهم يومئذ بين اعظم الامم حضارة وعمراناً فكان لمصر علاقات تجارية بساحل جنوبي شبه الجزيرة وكانوا يبتاعون من العرب الاحجار الثمينة والعاج والروائح العطرية التي كانوا يستوردون بعضها من الهند وافريقية . ذكر موري (Maury) ان لشعوب افريقية الشرقية

---

(١) فجر الاسلام لاحمد أمين .

علاقات قديمة بشبه جزيرة العرب فكان البربر وغيرهم يمرون ببلاد العرب قاصدين العراق [1] .

امتزاجهم بالأمم

اختلط العرب بالفينيقيين والكلدانيين واليونان والرومان والفرس والمهريين والعبرانيين والحبشة والزنج الخ ــ من الشعوب والقبائل بعوامل الهجرة والجوار والغزو والتجارة وغيرها من العوامل التي تعمل في تحويل البشر من هيأة الى هيأة .

فلا غرو اذن ان نجد العرب مزيجاً من اروعة امم جمة وخصوصاً بعد ان دانوا بدين الاسلام وفتحوا البلاد ودانت لهم وغنموا الغنائم وفيها الأموال والنساء فتزوجوا وتسروا بهن ما استطاعوا . والحج عامل قوي في تغيير سحناتهم فيجتمع فيه عدد كبير من المسلمين على اختلاف عناصرهم من مصريين وسوريين وهنديين وفارسيين وزنجيين وحبشيين ومراكشيين وجزائريين الخ .

وجملة القول ان امتزاج العرب المتحضرة بكثير من الشعوب جعلهم يختلفون مادة ومعنى ، واصبح عرب مكة غير عرب نجد وعرب عُمان غير عرب اليمن وعرب سورية غير عرب مصر وعرب العراق غير عرب الأندلس ومراكش والجزائر وتونس .

* * *

بدوهم

واما سكان البادية فأنهم ابعد الناس عن الامتزاج بغيرهم من الشعوب لأنهم لا يزالون تقريباً عائشين كما وصفتهم التوراة وهيرودوتس بعيدين عن أهل الحضارة ناظرين اليهم نظر ازدراء واحتقار .

وتقسم شعوب العرب الى قسمين رئيسين : البدو والحضر ، اما البدو فهم قبائل تقرب من الامم المتوحشة لا مدنية ، ولا تاريخ لهم لكي يستطلع الباحث أخبارهم والمظنون أنهم لا يزالون كما كانوا من قبل ٣٠٠٠ عام كل قبيلة تنقاد لرئيس يطلق عليه شيخ القبيلة أو سيدها .

---

(١) المعلمة الكبرى مادة عرب . La Grande encyclopédie. art. Arabie

والبدو لا يعرفون غالباً الا الغزوات والغارات ورعي قطعان الابل والغنم والمعز ويقدسون الحرية والاستقلال تقديساً جعلهم يحتقرون سكان المدن ويعدونهم ارقاء لحضارتهم ، وأكبر دليل على تمجيدهم للحرية هو عدم أستطاعة الفاتحين اخضاعهم لسلطانهم كاليونان والرومان والفرس وغيرهم من الامم التي بسطت سلطانها على العالم .

ويؤكد ديودور ان بدو جزيرة العرب (العربية الصخرية) فد حرموا على انفسهم ان يزرعوا القمح ويغرسوا الاشجار المثمرة وان يبنوا مساكن لانهم يعتبرون ذلك مقيداً لحريتهم ووبالاً على استقلالهم [1] .

ولما كانوا لا يبيحون لأنفسهم ان يشتغلوا بأسباب المعاش اصبحوا غزاة يغزون الامم المتحضرة وجيراناً مخيفين للحضريين يخافون شن غاراتهم ويحسبونهم قطاع طـرق .

وقارن غوستاف لوبون بين غزوات البدو والاستعمار الاوربي فقال : ان غزو البدو للقوافل أشبه شيء بالاوربيين الذين يصبون على بعض المدن القنابل الجهنمية طمعاً بفتحها والاستيلاء على خيراتها . [2]

وبغرائزهم الاستقلالية وحبهم للحرب وشن الغارات كانوا محاربين اشداء فى جيش النبي (ص) وخلفائه فقاتلوا تحت لوائه مقاتلة الابطال حتى استتب لهم فتح العالم بسرعة تدعو الى العجب .

وباندماج البدو فى جيش المسلمين الذي يضم العلماء والادباء والفنانين وغيرهم استحالت حالهم أي ظلوا خاضعين لغرائزهم الاصلية مع تغيير أشكالها مثلاً ، فطبيعة الغزو والسلب تحولت الى الاستماتة فى سبيل الفتوحات ، وفطرتهم التي تقدس الكرم وتجله ولدت فيهم اخلاق الشهامة .

قال زابوروريسكي (Zaborouriski) : ان البدو قد حافظوا على ارومتهم من أن يعبث بها الاختلاط منذ عصر التوراة على اختلاف بلادهم من مصريـين

---

(١) حضارة العرب لغوستاف لوبون . G.Le Bon - La civilisation des arabes

(٢) حضارة العرب لغوستاف لوبون . G. Le Bon-La civilisation des Arabes

وسوريين وعرب فانهم يعيشون قبائل تحت رئاسة شيوخهم • ومن طبائعهم الغزو والضيافة والحرية والقسوة وعزة النفس والشهامة والصبر على كثير من الآلام التي تنتاب بني الانسان ولقسوتهم يحبون الانتقام ولا يبالون بالحرب اذا وقعت لانها صارت من طبعهم • ويكمنون للمسافرين لسلب قوافلهم ولكنهم يفعلون ذلك بلطف وشهامة • وحوادث الطلاق عندهم قليلة • ويحترمون النساء • ومن عادات النساء أن يمشين وراء الرجال في الحروب والملاحم لتشجيعهم [1] •

وقال كارل بروكلمان : البدوي كائن فردي النزعة ، مفرط الانانية ، قبل كل شيء ، ومع ذلك فالجميع متساوون ضمن اطار القبيلة فى الحقوق والواجبات التي تنبثق عن العصبية الدموية ، فالبدوي ملزم بأن ينصر أخاه فى الملمات وليس له أن يتساءل أهو ظالم أم مظلوم [2] •

ولا ننكر ان السلطات العربية السعودية قد ضربت بيد من حديد على أيدي السالبين وقطاع الطرق فأقلعوا مؤقتاً عن سلب القوافل والاشخاص ما دامت السلطات تعاقبهم شر عقاب أو تسترضيهم بالمال والهبات والا سرعان ما ينقلبون الى غرائزهم الاصلية فيسلبون ويغزون •

* * *

حضرهم

واما الحضر فيختلفون باختلاف الوسط والشعوب التي امتزجوا بها ، فحضر شبه الجزيرة قد امتزجوا بأمم مختلفة كالزنوج والعبرانيين والفنيقيين وغيرهم •

وللوسط عامل قوي فى اختلافهم ، فتجد سكان نجد خلاف سكان اليمن وسكان عمان غير سكان الحجاز من حيث اخلاقهم واطوارهم ومعاشهم الخ •

واختلف الباحثون فى طبيعتهم فتكلم بالكراف (Palgrave) معجباً بهم وشرع ينفي عنهم كثيراً من التهم التي ألصقت بهم ابتغاء الحط من كرامتهم قائلاً لا يصعب علينا أن نجد فى شبه الجزيرة أناساً يؤهلهم استعدادهم الفطري اذا أخرج

---

(١) المعلمة الكبرى مادة عرب . La grande encyclopédie, art. Arabie

(٤) تاريخ الشعوب الاسلامية لبروكلمان .

الى حيز العمل أن يكتشفوا ويخترعوا ويصنعوا الآلات ويمددوا السكك الحديدية لانهم من خيرة الاجناس البشرية فى العالم ولم الق بهذا التقريظ جزافاً الا بعد أن جبت كثيراً من بلاد الجزيرة واطلعت بنفسي على اخلاقهم واستعدادهم المدني (١) .

وقال زابوروريسكي : ان الجنس العربي مجمع عليه بأنه من أشرف الاجناس البشرية ونحن معجبون كغيرنا من الباحثين بعظمته وسمو استعداده كعزة النفس وغيرها (٢) .

وجاء فى المعلمة البريطانية ما خلاصته : ان العرب من أشرف أجناس العالم ، فالعربي تام التركيب الطبيعي ، سالم الاعضاء الحاسة ، فائق الذكاء مع استعداد مناسب لطبيعة عمله (٣) .

وقال كارل بروكلمان : وسكان شبه الجزيرة (العرب) هم الممثلون الرئيسيون لما دعاه اوليفي فيشر الجنس الشرقي الذي يمتاز بالرأس الطويل والوجه الضيق والانف الاقنى وبنتوء مؤخرة الجمجمة نتوءاً شديداً كما يمتاز بالقامة المربوعة والبنية المهزولة دائماً (٤) .

وقال ابن رشيق : العرب أفضل الأمم وحكمتها أشرف الحكم كفضل اللسان على اليد الخ (٥) .

وقال الآلوسي : ان العرب لما كانوا أتم الناس عقولاً وأحلاماً ، وأطلقهم ألسنة وأوفرهم افهاما ، استتبع ذلك لهم كل فضيلة وأورثهم كل منقبة جليلة فان العقل المشرق فى الانسان يحصل عنه العلم والمعرفة والدراية والحكمة والذكاء والذهن والفهم والفطنة وجودة الخاطر والفهم والتخيل والبداهة والكيس والخير واصابة الظن والفراسة والزكانة والكهانة والعرافة والالهام ودقة النظر والرأي

---

(١) حضارة العرب لغوستاف لوبون . G. Le Bon - La civilisation des Arabes

(٢) المعلمة الكبرى مادة عرب . La grande encyclopédie - Art. Arabie

(٣) المعلمة البريطانية مادة عرب . Encyclopœdia britannica - Art. Arabs

(٤) تاريخ الشعوب الاسلامية لبروكلمان .

(٥) العمدة لابن رشيق .

والتدبير وصحة الفكر وجودة الذكر والحفظ والبلاغة والفصاحة وسائر الاخلاق المحمودة والاعمال الممدوحة [1] .

وقال ابن خلدون : ان العرب لا يتغلبون الا على البسائط وذلك أنهم بطبيعة التوحش فيهم أهل انتهاب وعيث ينتهبون ما قدروا عليه من غير مغالبة ولا ركوب خطر ــ الى أن قال : واما البسائط متى اقتدروا عليها بفقدان الحامية وضعف الدولة فهي نهب لهم وطعمة لآكلهم يرددون عليهم الغارة والنهب والزحف لسهولتها عليهم الى أن يصبح اهلها مغلبين لهم ثم يتعاورونهم باختلاف الايدي وانحراف السياسة الى أن ينقرض عمرانهم .

وقال أيضاً : ان العرب اذا تغلبوا على أوطان أسرع اليها الخراب والسبب فى ذلك أنهم أمة وحشية باستحكام عوائد التوحش وأسبابه فيهم فصار لهم خلقاً وجبلةً وكان عندهم ملذوذاً لما فيه من الخروج عن ربقة الحكم وعدم الانقياد للسياسة وهذه الطبيعة منافية للعمران ومناقضة له فغاية الأحوال العادية كلها عندهم الرحلة والتغلب وذلك مناقض للسكون الذي به العمران ومناف له الخ .

وقال فى محل آخر : ان العرب أبعد الامم عن سياسة الملك والسبب فى ذلك انهم أكثر بداوة من سائر الامم وأبعد مجالاً فى القفر واغنى عن حاجات التلول وحبوبها لاعتيادهم الشظف وخشونة العيش فاستغنوا عن غيرهم فصعب انقياد بعضهم لبعض لايلافهم ذلك وللتوحش ورئيسهم محتاج اليهم غالباً للعصبية التي بها فكان مضطراً الى احسان ملكتهم وترك مراغمتهم لئلا يختل عليه شأن عصبيته فيكون فيها هلاكه وهلاكهم ، وسياسة الملك والسلطان تقتضي أن يكون السائس وازعاً بالقهر والا لم تستقم سياسته الخ [2] .

ويقول أوليري (O'leary) ان العربي الذي يعد مثلاً أو نموذجاً ، مادي ينظر الى الاشياء نظرة مادية وضيعة ولا يقومها الا بحسب ما تنتج من نفع يتملك الطمع مشاعره وليس لديه مجال للخيال ولا للعواطف لا يميل كثيراً الى دين

---

(١) بلوغ الارب للآلوسي ج ١ .

(٢) المقدمة لأبن خلدون .

ولا يكترث بشيء الا بقدر ما ينتجه من فائدة عملية يملؤه الشعور بكرامته الشخصية حتى ليثور على كل شكل من أشكال السلطة وحتى ليتوقع منه سيد قبيلته وقائده فى الحروب الحسد والبغض والخيانة من أول يوم اختير للسيادة عليه ولو كان صديقاً حميماً له من قبل من أحسن اليه كان موضع نقمته لان الاحسان يثير فيه شعوراً بالخضوع وضعف المنزلة وان عليه واجباً لمن أحسن ، يقول لامانس « ان العربي نموذج الديمقراطية » ولكنها ديمقراطية مبالغ فيها الى حد بعيد وان ثورته على كل سلطة تحاول ان تحدد من حريته ولو كانت فى مصلحته هي السر الذي يفسر لنا سلسلة الجرائم والخيانات التي شغلت أكبر جزء فى تاريخ العرب ، وجهل هذا السر هو الذي قاد الاوربيين فى ايامنا هذه الى كثير من الاخطاء وحملهم كثيراً من الضحايا كان يمكنهم الاستغناء عنها ، وصعوبة قيادة العرب وعدم خضوعهم للسلطة هي التي تحول بينهم وبين سيرهم فى سبيل الحضارة الغربية ، ويبلغ حب العربي لحريته مبلغاً كبيراً حتى اذا حاولت ان تحدها أو تنقص من أطرافها هاج كأنه وحش فى قفص وثار ثورة جنونية لتحطيم اغلاله والعودة الى حريته ، ولكن العربي من ناحية أخرى مخلص مطيع لتقاليد قبيلته ، كريم يؤدي واجبات الضيافة والمحالفة فى الحروب كما يؤدي واجبات الصداقة مخلصاً فى ادائها حسب ما رسمه العرف ــ وعلى العموم فالذي يظهر لي أن هذه الصفات والخصائص أقرب ان تعد صفات وخصائص لهذا الطور من النشوء الاجتماعي عامة من أن تعد صفات خاصة لشعب معين حتى اذا قر العرب وعاشوا عيشة زراعية مثلاً تعدلت هذه العقلية [1] .

لا جرم أن القاريء يجد أقوالاً متضاربة فبعضهم يقدسون العرب تقديساً لا يليق بجنس البشر كالآلوسي وابن رشيق ، وبعضهم قال عنهم انهم نهابون سلابون متوحشون لا يتغلبون على أوطان الا أسرع اليها الخراب ، وانهم أبعد الامم عن سياسة الملك ، وانهم ماديون لا عواطف لهم ولا خيال يثورون على كل شكل من أشكال السلطة الخ من الأقوال التي قال بها ابن خلدون واوليري .

---

(١) فجر الاسلام لأحمد امين .

والخلاصة ان كلا قول الفريقين لا يخلو من النقص والغلو فاما القائلون بتمجيد العرب وتنزيههم عن كل عيب فهذا قول لا ينطبق على قواعد العلم الحديث لان كل شعب فيه حسنات وعيوب وهو خاضع لكل نقد علمي فى عقليته ونفسيته وآدابه وتاريخه ككل امة أخرى .

واما أصحاب الرأي الثاني الذي غمط حق العرب فهو غالباً مبني على كرههم بدافع الشعوبية أو نقص في درسهم وتقرير احوالهم ، فكان يجدر بهذا الفريق ان يفرق بين عرب البادية وعرب المدن فيبين لكل من القسمين اخلاقه وعاداته وأطواره واستعداداته الطبيعية لأنها تختلف كما علمنا سابقاً اختلافاً كلياً ، فالمطالع لأقوال ابن خلدون يجدها لا تفرق بين حضر العرب وبدوهم بدون ان تعين دوراً من أدوار حياتهم بل تشمل زمن الجاهلية والاسلام مع ان كل دور قضاه العرب يختلف نوعه وشكله باختلاف العوامل الاجتماعية التي عملت فى كيانهم .

اخطأ ابن خلدون بقوله ان العرب اذا تغلبوا على أوطان اسرع اليها الخراب لأن التاريخ بين ايدينا شاهد عدل يشهد بالعمران الذي قام به العرب فى اقطار المعمور وان كان الباحث فى شك فلينظر الى آثاره الباقية اطلالها الى يومنا هذا .

واما قوله ان العرب أبعد الامم عن سياسة الملك فيدحضه عدلهم الذي شهدته الآفاق فاستطاعوا به أن يقبضوا على ناصية الامم ويدخلوا كثيراً من بلاد البسيطة بدون حرب ، فأقاموا العدل فيها بدل الظلم وساسوها سياسة رشيدة تمكنوا بها لان يهيئوا لشعوبها أسباب التقدم العقلي والمادي .

والمطالع لاقوال أوليري يجدها تصف العرب بالمادية والطمع ، وانهم لا يميلون كثيراً الى التدين مما ينافي ما يروى لنا في كتب الادب من حكايات الكرم والوفاء وبذل النفس عن سماحة

وأما نصرتهم للدين وشغفهم به فثابت ، فقد فادوا في سبيل دعوة النبي (ص) بارواحهم وأموالهم ابتغاء نصرة دين الله مما لا يتأتى الا لقوم عبدوا الله حق عبادته .

واما قوله « ان العربي ضعيف الخيال جامد العواطف » فقد أكثر العرب القول

في الفخر والحماسة والغزل والوصف والتشبيه والمجاز وكل هذا لا يصدر عن عواطف جامدة .

وحاصل القول يمكننا ان نصف العربي انه تام التركيب الطبيعي يميز عن غيره غالباً بطول القامة مع نحافة في الجسم ، بيضي الجمجمة ، طويل الوجه ، ابيض اللون اذا لم يتعرض الى الجو فيصبح نحاسي اللون ، أسود العينين والشعر ، مستقيم الوجه مع ارتفاع قليل ، اقنى الانف ، صغير الفم ،رقيق الشفتين ، صغير الاذنين ، سالم الاعضاء الحاسة ، ذكي ، عصبي المزاج ، عزيز النفس ، يهيج اذا جرحت كرامته أو انتهكت حرمة قومه ، واذا اهتاج اسرع الى السيف واحتكم اليه وصارت الحرب نظامهم المألوف ، يميل الى الحرية ، يحب المساواة ، يشعر في اعماق نفسه بأنه من دم ممتاز .

الفصل الثالث

تاريخ العرب

قبل الاسلام

مصادر هذا التاريخ

كان يشاع بين كثير من الناس ان العرب قبل الاسلام قبائل بدوية لا مقر لها منقطعة عن الامم المتحضرة لا تتصل بغيرها بادنى اتصال ، والحق ان هذه الفكرة خاطئة وان العرب كانوا على اتصال بمن حولهم مادياً وأدبياً وان لهم حضارة كتب عنها كثير من باحثي هذا العصر بعد أن جازفوا بأنفسهم وأموالهم .

زار همبريتش (W. F. Hemprich) وبوطا ، وتاميزية (M. O. Tamisier) واهرنبرغ (C. G. Ehrenberg) ، تهامة والعسير عام ١٨٢٥ .

وزار يوسف هاليفي (J. Halévy) ــ ١٨٦٩ وادوارد غلازر (E. Galaser) ــ ١٨٩٠ ، لجوف ومأرب .

وزار كروطندو (C. Cruttendu) وولستيد (J. R. Wellsted) حضرموت ــ ١٨٣٥ وزار وريد (A. Von wred) ، ودوان (W. Duwan) ــ ١٨٤٣ وهيريتش (Hirich) مسقط ــ ١٨٩٣ .

وزار نيوبر فى طريقه الى الهند (مسقط) ، وقدم عمان ميل (S. B. Miles) ــ ١٨٧٦

وزار بوركهارد (Burckhardt) ١٨١٤ . والسير ريشارد (Richard) الحجاز .

وزار نجد وشمال الجزيرة سادليه (G. F. Sadlier) ووالين (G. A. Wallin) وبالكراف ــ ١٨٦٢ وشارل دوغتي (C. Doughty) ــ ١٨٧٥ . وهوبر (C. Huber)

١٨٨٣ وغيرهم ممن زاروا بقاع الجزيرة وبحثوا عنها ابحاثاً متنوعة من جغرافية وتاريخية واثرية واجتماعية وادبية عادت على العلم بالنفع العميم .

ومصادر تاريخ العرب قبل الاسلام تقسم الى قسمين : مدونة فى الكتب أو منقوشة على الآثار ، فالمدونة في الكتب اما العربية أو غير عربية والمصادر المنقوشة اما في داخل الجزيرة كاليمن والحجاز أو في خارجها كبابل وآشور ومصر وفينيقية. فأقدم المصادر العربية من الكتب القرآن فقد جاء فيه ذكر بعض القبائل البائدة كعاد وثمود وبعض أخبار ملوك اليمن كسيل العرم وغيره ، واذا قرأت تلك الاخبار فيه لا تجد فيها شيئاً من المبالغات التي وصلت الينا من كتب التاريخ بل تجد ما ذكره القرآن صحيحاً تؤيده الاكتشافات الحديثة ، ثم يليه سيرة ابن هشام وتاريخ الطبري ومروج الذهب والعقد الفريد والاغاني وتاريخ ابن الأثير وابن خلدون .

ويعد من المصادر العربية أيضاً أشعار الجاهلية المجموعة فى مثل حماسة ابي تمام وجمهرة ابي زيد وطبقات ابن قتيبة ومجمع الأمثال للميداني الخ .

واقدم المصادر غير العربية لذلك التاريخ التوراة ويلي التوراة تاريخ هيرودتس وما كتبه استرابون وبلنيوس وبريبلوس وبطليموس وغيرهم .

ومن المصادر المنقوشة في بلاد العرب آثار اليمن وحضرموت وآثار شمالي شبه الجزيرة ، ومن المصادر المنقوشة خارج شبه الجزيرة آثار بابل وآشور وفينيقية .

ما برحت الادوار التي تعاقبت على تاريخ العرب القديم فيها شيء من الغموض ولا سيما العرب البائدة كعاد وثمود وطسم وجديس والعمالقة واميم وعبيل وعبد ضخم وجرهم وحضرموت وحضورا .

وجل ما حلت الآثار القديمة من مبهمات أخبارهم انه جاء في النقوش البابلية القديمة ذكر العمالقة باسم ملوك (melukh) ، وذكر دولة معين باسم معنيوم (manium) وذلك في الالف الثالث ق.م.

واما المصادر الكتابية فلا تخول الباحث لأن يخرج للناس تاريخاً علمياً لأنها لا تزال مبهمة ومتناقضة في كثير من مناحيها بالرغم من جهود المنقبين في الآثارالقديمة الذين استطاعوا أن يكشفوا النقاب عن كثير من تلك المبهمات وحققوا بها جزءاً كبيراً من هذا التاريخ ، ولا تزال الآمال معقودة عليهم فيما يكتشفون من الآثار عسى أن تكلل اعمالهم بالنجاح فيستطيع المؤرخون أن يكتبوا لتلك الأمة تاريخاً يتناسب مع معارف هذا العصر .

تاريخ العرب قبل الاسلام

« والمؤرخون العرب »

العرب البائدة

ذكر ابن خلدون : اما عاد فهم بنو عاد بن عوص بن ارم بن سام فكانت مواطنهم الاولى بأحقاف الرمل بين اليمن وعُمان الى حضرموت والشحر .

وقال المسعودي ان الذي ملك بعد عاد شداد وهو الذي سار فى الممالك واستولى على كثير من بلاد الشام والهند والعراق .

وذكر ابن سعيد في أخبار القبط ان شداداً حارب بعضاً من القبط وغلب على أسافل مصر ونزل الاسكندرية ، وبنى بها حينئذ مدينة مذكورة في التوراة يقال لها أون ثم هلك فى حروبهم وجمع القبط اخوانهم من البربر والسودان واخرجوا العرب من ملك مصر ، ولم يزل ملكهم الى أن غلبهم عليه يعرب بن قحطان واعتصموا بجبال حضرموت الى ان انقرضوا .

واما عبيل فهم اخوان عاد بن عوص فيما قاله الكلبي واخوان عوص بن ارم فيما قاله الطبري وكانت ديارهم بالحجفة بين مكة والمدينة .

واما عبد ضخم بن ارم فكانوا يسكنون الطائف وهلكوا فيمن هلك من ذلك الجيـــل .

وا ما ثمود فهم بنو ثمود بن كاثر بن ارم فكانت ديارهم بالحجر ووادي القرى فيما بين الحجاز والشام وكانوا ينحتون بيوتهم فى الجبال [1] .

قال المسعودي : كان ملك ثمود بين الشام والحجاز الى ساحل البحر الحبشي

---

(١) تاريخ ابن خلدون ج ٢ .

وديارهم بفج الناقة وبيوتهم منحوتة فى الجبال وذلك فى طريق الحاج لمن ورد من الشام بالقرب من وادي القرى . [1]

واما جديس وطسم فعند ابن الكلبى ان جديساً لارم بن سام وديارهم اليمامة وهم اخوان لثمود بن كاثر وان طسماً للاوذ بن سام وديارهم البحرين ، وعند الطبري أن طسماً وجديساً كانوا من ساكني اليمامة وهي اذ ذاك من اخصب البلاد واعمرها واكثرها خيراً وحدائق وقصوراً وكان عليهم ملك من طسم ظلوم غشوم لا ينهاه شيء عن هواه يقال له عملوق [2] .

واما العمالقة فهم بنو عمليق بن لاوذ ، قال الطبري : عمليق ابو العمالقة كلهم امم تفرقت فى البلاد فكان أهل المشرق وأهل عمان البحرين وأهل الحجاز منهم وكانت الفراعنة بمصر منهم وكانت الجبابرة بالشام الذين يقال لهم الكنعانيون منهم الخ .

وقال الجرجاني : من ثم ملك العماليق مصر الخ .

وقال ابن خلدون : اما أخبار العرب بالعراق في الجيل الاول وهم العرب العاربة فلم يصل الينا تفاصيلها وشرح حالها الا ان قوم عاد والعمالقة ملكوا العراق .

واما أميم فهم اخوان عملاق بن لاوذ وكانت ديارهم فيما يقال ارض فارس .

واما حضورا فكانت ديارهم بالرس وكانوا عبدة اوثان وبعث اليهم نبي منهم اسمه شعيب بن ذي مهرع فكذبوه وهلكوا كما هلك غيرهم من الامم .

واما حضرموت فمعدودون من العرب العاربة لقرب ازمانهم وليسوا من العرب البائدة لانهم باقون في القرون المتأخرة الا ان يقال ان جمهورهم قد ذهب من بعد عصورهم الاولى واندرجوا في كندة وصاروا من عدادهم فهم بهذا الاعتبار قد هلكوا وبادوا .

واما جرهم فقال ابن سعيد : انهم امتان امة على عهد عاد وامة من ولد جرهم ابن قحطان ولما ملك يعرب بن قحطان اليمن ملك اخوه جرهم الحجاز الخ [3] .

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ج ١ .
(٢) تاريخ الطبري ج ٢ .
(٣) تاريخ ابن خلدون ج ٢ .

العرب المتعربة

أو

عرب الجنوب

قال ابن خلدون : يعرفون (العرب المتعربة) باليمنية والسبائية وقد تقدم ان نسابة بني اسرائيل يزعمون ان اباهم سبا من ولد كوش بن كنعان ونسابة العرب يأبون ذلك ويدفعونه والصحيح الذي عليه كافتهم انهم من قحطان وان سبا هو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان .

وقال ابن حزم : وعد لقحطان عشرة من الولد وانه لم يعقب منهم احد ثم ذكر ابنين منهم دخلا في حمير ثم ذكر الحرث بن قحطان وقال : فولد فيما يقال له لاسور وهم رهط حنظلة بن صفوان نبي الرس ، والرس ما بين نجران الى اليمن ومن حضرموت الى اليمامة ثم ذكر يعرب بن قحطان وقال فيهم الحميرية .

وذكر ابن سعيد : وملك بعد يعرب ابنه يشجب وقيل اسمه يمن واستبد أعمامه بما في أيديهم من الممالك وملك بعده ابنه عبد شمس وقيل عابر ويسمى سبا لأنه قيل انه أول من سن السبي وبنى مدينة سبا وسد مأرب [1] .

وقال المسعودي : ان اول ملوك اليمن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان واسمه عبد شمس ، وكان ملكه اربعمائة واربعاً وثمانين سنة ثم ملك بعده ولده حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب وكان اشجع الناس في وقته وافرسهم وأكثرهم جمالاً وكان ملكه خمسين سنة وقيل أكثر من ذلك وقيل أقل وكان يعرف بالمتوج [2] .

---

(١) تاريخ ابن خلدون ج ٢ .

(٢) مروج الذهب للمسعودي ج ١ .

وقال ابن سعيد : ان الذي ملك بعد حمير أخوه كهلان ومن بعده واثل ابن حمير ثم من بعد واثل السكسك بن واثل ، وكان مالك بن حمير قد هلك وغلب على عمان بعده ابنه قضاعة فحاربه السكسك واخرجه عنها وملك بعده ابنه يعفر ابن السكسك وخرجت عليه الخوارج وحاربه مالك بن الحاف بن قضاعة وطالت الفتنة بينهما وهلك يعفر وخلف ابنه النعمان واستبد عليه من بني حمير ماران بن عوف ابن حمير ويعرف بذي رياش وكان صاحب البحرين فنزل نجران واشتغل بحرب مالك بن الحاف بن قضاعة ولما كبر النعمان حبس ذا رياش واستبد بأمره وطال عمره وملك بعده ابنه اسجم بن المعافر فأضطربت أحوال حمير وصار ملكهم طوائف الى ان استقر فى الرايش وبنيه التبابعة .

* * *

ملوك التبابعة وحمير

وقال ابن خلدون : ملوك التبابعة وحمير هم من ولد عبد شمس باتفاق من النسابين وكانت مدائن ملكهم صنعاء ومأرب على ثلاث مراحل منها ، وكان بها السد ضربته بلقيس ملكة من ملوكهم سداً ما بين جبلين بالصخر والقار فحققت به ماء العيون والامطار وتركت فيه خروقاً على قدر ما يحتاجون اليه في سقيهم وهو الذي يسمى العرم .

ثم قال : وأول ملوك التبابعة باتفاق من المؤرخين الحرث الرائش لأنه راش الناس بالعطاء واختلف الناس في نسبه بعد اتفاقهم على انه من ولد واثل بن الغوث [1] .

وذكر الطبري عن أحد ملوك التبابعة : ان اسعد ابو كرب شخص متوجهاً من اليمن في الطريق الذي سلكه الرائش حتى خرج على جبلي طيء ثم سار يريد الانبار فلما انتهى الى الحيرة وذلك ليلاً تحير فأقام مكانه وسمي ذلك الموضع الحيرة ثم سار وخلف به قوماً من الأزد ولخم وجذام وعاملة وقضاعة فبنوا واقاموا به ثم انتقل اليهم بعد ذلك ناس من طيء وكلب ــ ثم توجه الى الانبار ثم الى

---

(١) تاريخ ابن خلدون ج ٢ .

الموصل ثم الى آذربيجان فلقي الترك بها فهزمهم فقتل المقاتلة وسبى الذرية ثم انكفأ راجعاً الى اليمن فأقام بها دهراً وهابته الملوك وعظمته واهدت اليه الخ [1] .

وقال ابن حزم بعد ذكر التبابعة : وفي أنسابهم اختلاف وتخليط وتقديم وتأخير ونقصان وزيادة ولا يصح من كتب اخبار التبابعة وانسابهم الا طرف يسير لاختلاف رواتهم وبعد العهد .

وقال ابن خلدون : اتفق اهل الاخبار كلهم ان ذا نواس لما تغلب على ملك آبائه التبابعة تسمى يوسف وتعصب لدين اليهودية وحمل عليه قبائل اليمن وأراد اهل نجران عليها وكانوا من بين العرب يدينون بالنصرانية وكان رئيسهم في ذلك يسمى عبد الله بن الثامر وكان هذا الدين وقع اليهم قديماً من بقية اصحاب الحواريين من رجال يقال له ميمون نزل فيهم وكان مجتهداً في العبادة مجاب الدعوة وظهرت على يده الكرامات في شفاء المرضى وكان يطلب الخفاء عن الناس جهده ، وتبعه على دينه رجل من اهل الشام اسمه صالح وخرجا فارين بأنفسهما فلما وطئا بلاد العرب اختطفتهما سيارة فباعوهما بنجران وهم يعبدون نخلة طويلة بين اظهرهم ويعلقون عليها في الاعياد من حليهم وثيابهم ويعكفون عليها اياماً وافترقا في الدير على رجلين من أهل نجران واعجب سيد ميمون صلاته ودينه وسأله عن شأنه فدعاه الى الدين وعبادة الله وان عبادة النخلة باطلة وانه لو دعا معبوده عليها هلكت فقال له سيده ان فعلت دخلنا في دينك فدعا ميمون فأرسل الله ريحاً فجعفت النخلة من اصلها واطبق اهل نجران على اتباع دين عيسى عليه السلام [2] .

* * *

استيلاء الحبشة على اليمن

وقال هشام بن محمد الكلبي في سبب غزو ذي نواس أهل نجران إن يهودياً كان بنجران فعدا أهلها على ابنين له فقتلوهما ظلماً فرفع امره الى ذي نواس وتوسل له باليهودية واستنصره على أهل نجران وهم نصارى فحمى له ولدينه ولما أفلت دوس

---

(١) تاريخ الطبري ج ٢ .
(٢) تاريخ ابن خلدون ج ٢ .

ذو ثعلبان فقدم على قيصر صاحب الروم يستنصره على ذي نواس واعلمه بما ركب منهم واراه الانجيل وقد احترق بعضه بالنار فكتب له الى النجاشي يأمره بنصره وطلب بثأره وامر عليهم ارباطاً رجلاً منهم وعهد اليه بقتلهم وسبيهم وخراب بلادهم فخرج ارباط لذلك ومعه ابرهة الاشرم وبعث معه النجاشي سبعين الفاً من الحبشة ــ فركبوا البحر ونزلوا ساحل اليمن وجمع ذو نواس حمير ومن أطاعه من أهل اليمن على افتراق واختلاف في الأهواء فلم يكن كبير حرب وانهزموا ــ ووطيء ارباط (قائد الحبشة) اليمن بالحبشة وبعث الى النجاشي بثلث السبي كما عهد له ثم اقام بها فضبطها واذل رجالات حمير وهدم حصون الملك بها مثال سلجيق وسون وغمدان [1] .

* * *

غزو الحبشة الكعبة

ذكر ابن خلدون : ان ابرهة بنى كنيسة بصنعاء تسمى القليس ولم ير مثلها وكتب الى النجاشي قيصر بذلك ــ وقال لست بمنته حتى اصرف اليها حج العرب وتحدث العرب بذلك فغضب رجل من السادة احد بني فقيم ثم احد بني مالك وخرج حتى اتى القليس فقعد فيها ولحق بأرضه وبلغ ابرهة وقيل له الرجل من البيت الذي يحج اليه العرب فحلف ليسيرن اليه يهدمه ثم بعث في الناس يدعوهم الى حج القليس فضرب الداعي في بلاد كنانة بسهم فقتل واجمع ابرهة على غزو البيت وهدمه فخرج سائراً بالحبشة ومعه الفيل فلقيه ذو نفر الحميري فقاتله فهزمه وأسره واستبقاه دليلاً في ارض العرب .

قال ابن اسحق : ولما مر بالطائف خرج اليه مسعود بن معتب في رجال ثقيف فأتوه بالطاعة وبعثوا معه أبا رغال دليلاً فأنزله المغمس بين الطائف ومكة فهلك هنالك ورجمت العرب قبره .

ثم بعث ابرهة خيلاً من الحبشة فانتهوا الى مكة واستاقوا اموال اهلها وفيها مائتا بعير لعبد المطلب وهو يومئذ سيد قريش فهموا بقتاله ثم علموا ان لا طاقة

---

(١) تاريخ ابن خلدون ج ٢

لهم به وبعث ابرهة حناطة الحميري الى مكة يعلمهم بمقصده من هدم البيت ويؤذنهم بالحرب ان اعترضوا دون ذلك وأخبر عبد المطلب بذلك عن ابرهة فقال له والله ما نريد حربه وهذا بيت الله فان يمنعه فهو بيته وان يخلي عنه فما لنا نحن من دافع ثم انطلق به الى ابرهة ومر بذي نفر وهو اسير فبعث معه الى سائس الفيل وكان صديقاً لذي نفر فاستأذن له على ابرهة فلما رآه اجله ونزل عن سريره فجلس معه على بساطه وسأله عبد المطلب في الابل فقال له ابرهة هلا سألت في البيت الذي هو دينك ودين آبائك وتركت البعير فقال عبد المطلب انا رب الابل وللبيت رب سيمنعه فرد عليه ابله .

ولما هلك ابرهة (متأثراً من الخذلان الذي اصابه في مكة) ملك مكانه ابنه يكسوم وبه كان يكنى واستفحل ملكه واذل حمير وقبائل اليمن ووطئتهم الحبشة فقتلوا رجالهم ونكحوا نساءهم واستخدموا ابناءهم ثم هلك يكسوم بن ابرهة فملك مكانه اخوه مسروق وساءت سيرته وكثر عسف الحبشة باليمن فخرج ابن ذي يزن واستجاش عليهم بكسرى وقدم اليمن بعساكر الفرس وقتل مسروقاً وذهب امر الحبشة بعد ان توارث ملك اليمن منهم اربعة في اثنتين وسبعين سنة اولهم ارياط ثم ابرهة ثم ابنه يكسوم ثم اخوه مسروق بن ابرهة [1] .

* * *

استيلاء الفرس على اليمن

قال ابن خلدون : ولما طال البلاء من الحبشة على اهل اليمن خرج سيف ابن ذي يزن الحميري ــ وقدم على قيصر ملك الروم وشكا اليه امر الحبشة وطلب ان يخرجهم ويبعث على اليمن من شاء من الروم فلم يسعفه وكان الحبشة على دين النصارى فرجع الى كسرى وقدم الحيرة على النعمان بن المنذر عامل فارس على الحيرة وما يليها من ارض العرب فشكا اليه واستمهله النعمان الى حين وفادته على كسرى واوفد معه وسأله النصر على الحبشة وان يكون ملك اليمن له فقال بعدت ارضك عن ارضنا او هي قليلة الخير انما هي شاء وبعير ولا حاجة لنا بذلك ثم

(١) تاريخ ابن خلدون ج ٢ .

كساه وأجازه فنثر دنانير الاجازة وانهبها الناس يوهم الغنى عنها بما في ارضه فأنكر عليه كسرى ذلك فقال جبال ارضي ذهب وفضة وانما جئت لتمنعني من الظلم فرغب كسرى في ذلك وامهله للنظر في امره وشاور اهل دولته فقالوا في سجونك رجال حبستهم للقتل ابعثهم معه فان هلكوا كان الذي اردت بهم وان ملكوا كان ملكاً ازددته الى ملكك واحصوا ثمانمائة وقدم عليهم افضلهم واعظمهم بيتاً واكبرهم نسباً وكان وهزر الديلمي .

قال ابن حزم : كان وهزر من عقب جاماسب عم انوشروان فأمره على أصحابه وركبوا البحر ثمان سفائن فغرقت منها سفينتان وخلصت ست الى ساحل عدن فلما نزلوا بارض اليمن قال وهزر لسيف ما عندك قال ما شئت من قوس عربية ورجلي مع رجلك حتى نظفر او نموت قال انصفت وجمع ابن ذي يزن من استطاع من قومه وسار اليه مسروق بن ابرهة فى مائة الف من الحبشة وأوباش اليمن فتواقفوا للحرب وامر وهزر ابنه ان يناوشهم القتال فقتلوه وقال اروني ملكهم فأروه اياه على الفيل عليه تاجه وبين عينيه ياقوتة حمراء ثم نزل عن الفيل الى الفرس ثم الى البغلة ثم رماه بسهم فصك الياقوتة بين عينيه وتغلغل فى دماغه وتنكس عن دابته وداروا به فحمل القوم عليهم وانهزم الحبشة في كل وجه واقبل وهزر الى صنعاء ولما اتى بابها قال لا تدخل رايتي منكوسة فهدم الباب ودخل ناصباً رايته فملك اليمن ونفى عنها الحبشة وكتب بذلك الى كسرى وبعث اليه بالاموال فكتب اليه ان يملك سيف بن ذي يزن على اليمن على فريضة يؤديها كل عام ففعل وانصرف وهزر الى كسرى وملك سيف اليمن وكان ابوه من ملوكها وخلف وهزر نائباً على اليمن فى جماعة من الفرس ضمهم اليه وانزله بصنعاء وانفرد ابن ذي يزن بسلطانه ونزل قصر الملك وهو رأس غمدان .

قال ابن اسحق : ولما انصرف وهزر الى كسرى غزا سيف على الحبشة وجعل يقتل ويبقر بطون النساء حتى اذا لم يبق الا القليل جعلهم خولاً واتخذ منهم طوابير يسعون بين يديه بالحراب وعظم خوفهم منه فخرج يوماً وهم يسعون بين يديه فلما توسطهم وقد انفردوا به عن الناس رموه بالحراب فقتلوه الخ [1] .

(١) تاريخ ابن خلدون ج ٢ .

عرب الشمال

امارة الحيرة

قال ابن خلدون : اما أخبار العرب بالعراق في الجيل الأول وهم العرب العاربة فلم يصل الينا تفاصيلها وشرح حالها الا ان قوم عاد والعمالقة ملكوا العراق واما في الجيل الثاني وهم العرب المستعربة فكان ملكهم بدوياً ورياستهم في اهل الظواعن وكان ملك العرب في التبابعة من اهل اليمن وكانت بينهم وبين فارس حروب وربما غلبوهم على العراق وملكوه او بعضه لكن اليمن لم يغلبوا ثانياً على ما ملكوا منه وقد مر ايقاع بختنصر واثخانه فيهم ما تقدم وكان في سواد العراق واطراف الشام والجزيرة الأراميون ومن كان من بقية عساكر ابن تبع من جعفر طيء وكلب وتميم وغيرهم من جرهم ومن نزل معهم بعد ذلك من تنوخ ونمارة بن لخم وقنص بن معد ومن اليهم . وكان ما بين الحيرة والفرات الى ناحية الانبار موطن لهم وكانوا يسمون عرب الضاحية [1] .

قال الطبري : لما مات بختنصر انضم الذين كان اسكنهم الحيرة من العرب حين امر بقتالهم الى اهل الانبار وبقيت الحيرة خراباً فغبروا بذلك زمناً طويلاً لا تطلع عليهم طالعة من بلاد العرب ولا يقدم عليهم قادم ، وبالأنبار اهلها ومن انضم اليهم من اهل الحيرة من قبائل العرب من بني اسماعيل وبني معد بن عدنان فلما كثر اولاد معد بن عدنان ومن كان معهم من قبائل العرب وملؤوا بلادهم من تهامة وما يليهم فرقتهم حروب وقعت بينهم واحداث حدثت فيهم فخرجوا يطلبون المتسع والريف فيما يليهم من بلاد اليمن ومشارق الشام واقبلت منهم قبائل حتى نزلوا البحرين وبها جماعة من الازد فتطلعت انفس من كان بالبحرين من العرب الى ريف العراق وطمعوا في غلبة الأعاجم على ما يلي بلاد العرب منه او مشاركتهم

(١) تاريخ ابن خلدون ج ٢ .

فيه واهتبلوا ما وقع بين ملوك الطوائف من الاختلاف فأجمع رؤساؤهم بالمسير الى العراق ووطن جماعة ممن كان معهم على ذلك فكان اول من طلع منهم الحيقار ابن الحيق في جماعة قومه واخلاط من الناس فوجدوا الارمانيين وهم الذين بأرض بابل وما يليها الى ناحية الموصل يقاتلون الاردوانيين وهم ملوك الطوائف . وانما سموا ملوك الطوائف لأن كل ملك منهم كان ملكه قليلاً من الارض انما هي قصور وابيات وحولها خندق .

وقال الطبري : وعمرو بن عدي أول من اتخذ الحيرة منزلاً من ملوك العرب وأول من تجده اهل الحيرة في كتبهم من ملوك العرب بالعراق واليه ينسبون وهم ملوك آل نصر ولم يزل عمرو بن عدي ملكاً حتى مات وهو ابن مائة وعشرين سنة مستبداً منفرداً يغزوهم ويغنم وتعد عليه الوفود ولا يدين لملوك الطوائف ولا يدينون له حتى قدم اردشير بن بابك في أهل فارس . وانما ذكرنا في الموضع امر جذيمة وابن اخته عمرو بن عدي لما قدمناه عند ذكر ملوك اليمن وانهم لم يكن لهم ملك مستفحل وانما كانوا طوائف على المخاليف يغير كل واحد على صاحبه اذا استغفله ويرجع خوف الطلب حتى كان عمرو بن عدي فاتصل له ولعقبه الملك على من كان بنواحي العراق وبادية الحجاز بالعرب فاستعمله ملوك فارس على ذلك الى آخر امرهم وكان امر آل نصر هؤلاء ومن كان من ولاة الفرس وعمالهم على العرب معروفاً مثبتاً عندهم في كنائسهم واشعارهم [1] .

قال ابن خلدون : ولما هلك عمرو بن عدي ولي بعده على العرب وسائر من ببادية العراق والحجاز والجزيرة امرؤ القيس بن عمرو بن عدي ويقال له البدء وهو أول من تنصر من ملوك آل نصر وعمال الفرس وعاش فيما ذكر هشام بن الكلبي مائة واربع عشرة سنة [2] .

قال المسعودي : وكان عدة الملوك بالحيرة ثلاثة وعشرين ملكاً من بني نصر

---

(١) تاريخ الطبري ج ٢ .

(٢) تاريخ ابن خلدون ج ٢ .

وغيرهم من العرب والفرس وكان مدة ملكهم ستماية سنة واثنتين وعشرين سنة وثمانية اشهر [1] .

قال ابو الفداء : وهم المناذرة بنو عدي بن نصر بن ربيعة من ولد لخم ابن عدي بن سبا ، ولما قتل جذيمة ملك بعده عمرو بن عدي وملك بعده ابنه امرؤ القيس ثم ابنه عمرو بن امرؤ القيس ثم أوس العمليقي ثم ملك آخر من العماليق ثم رجع الملك الى بني عمرو بن عدي بن نصر وملك منهم امرؤ القيس من ولد عمرو بن امريء القيس المذكور ويعرف بامريء القيس الثاني بالمحرق ثم ملك بعده ابنه النعمان الأعور وهو الذي بنى الخورنق والسدير وبقي في الملك ثلاثين سنة ثم تزهد وخرج من الملك في زمن بهرام بن يزجرد ثم ملك بعده ابنه الأسود بن المنذر وهو الذي انتصر على غسان عرب الشام ثم ملك بعده علقمة ثم ملك بعده امرؤ القيس بن النعمان بن امريء القيس المحرق وهو الذي قتل سنمار ثم ملك ابنه المنذر بن امريء القيس ثم الحارث الكندي ثم عمرو ثم قابوس ابن المنذر ثم اخوهما المنذر بن المنذر ثم ابنه النعمان بن المنذر بن المنذر بن ماء السماء ثم انتقل الملك في الحيرة بعد النعمان المذكور عن اللخميين الى اياس بن قبيصة الطائي ولستة اشهر من ملك اياس بعث النبي (ص) ثم ملك بعد اياس زاذويه بن ماهسان الهمداني ثم عاد الملك الى اللخميين فملك بعد زاذويه بن ماهسان الهمداني ثم عاد الملك الى اللخميين فملك بعد زاذويه المنذر بن النعمان بن المنذر ابن المنذر بن ماء السماء وسمته العرب المغرور [2] .

* * *

امارة الغساسنة

قال ابن خلدون : اول ملك كان للعرب بالشام فيما علمناه للعمالقة ثم لبني ارم بن سام ويعرفون بالارمايين ــ فكان بنو ارم يومئذ في نواحي الشام والعراق وقد ذكروا في التوراة وكان لهم مع ملوك الطوائف حروب . وكان آخرهم ملكاً الزباء بنت عمرو بن السميدع وكانت قضاعة مجاورين لهم في ديارهم بالجزيرة

(١) مروج الذهب للمسعودي ج ١ .
(٢) تاريخ ابي الفداء ج ١ .

وغلبوا العمالقة ولما هلكت الزباء ملك امر العرب تنوخ من بطون قضاعة وقد تقدم نزولهم بالحيرة والانبار ومجاورتهم للارمانيين فكانوا مملكين من قبل الروم ثم تلاشى امر تنوخ واضمحل وغلبت عليهم سليح من بطون قضاعة ثم الضجاعم فتنصروا وملكتهم الروم على العرب واقاموا على ذلك مدة وكان نزولهم ببلاد مؤاب من ارض البلقاء [1] .

وذكر ابو الفداء : ان الغساسنة كانوا عمالاً للقياصرة على عرب الشام واصل غسان من اليمن من بني الأزد تفرقوا من اليمن بسيل العرم ونزلوا على ماء بالشام يقال له غسان فنسبوا اليه وكان قبلهم بالشام عرب يقال لهم الضجاعمة من سليح فأخرجت غسان سليحاً عن ديارهم وقتلوا ملوكهم وصاروا موضعهم .

وأول من ملك من غسان جفنة وكان ابتداء ملك غسان قبل الاسلام بما يزيد على اربعمائة سنة وقيل أكثر من ذلك ولما ملك جفنة المذكور وقتل ملوك سليح دانت له قضاعة ومن بالشام من الروم وبنى في الشام عدة مصانع ثم هلك وملك بعده ابنه عمرو بن جفنة وبنى بالشام عدة أديار منها دير حالي ودير ايوب ودير هند ثم ملك ابنه ثعلبة وبنى صرح الغدير في اطراف حوران مما يلي البلقاء ثم ابنه الحارث ثم جبلة بن الحارث وبنى القناطر والقسطل ثم الحارث بن جبلة وكان مسكنه بالبلقاء فبنى بها الحفير ومصنعه ثم المنذر الاكبر بن الحارث ثم النعمان ابن الحارث ثم جبلة بن الحارث ثم الأيهم بن الحارث وبنى ديراً ضخماً ودير النبوة ثم عمرو بن الحارث ثم جفنة الاصغر بن المنذر الاكبر وهو الذي احرق الحيرة وبذلك سموا ولده آل محرق ثم النعمان الاصغر بن المنذر الاكبر ثم النعمان بن عمرو بن المنذر وبنى قصر السويداء ثم جبلة بن النعمان وكان ينزل بصفين ثم النعمان بن الأيهم بن الحارث ثم اخوه الحارث ثم النعمان بن الحارث وهو الذي اصلح صهاريج الرصافة وكان قد خربها بعض ملوك الحيرة اللخميين ثم ابنه المنذر ابن النعمان ثم اخوه عمرو بن النعمان ثم اخوهما حجر بن النعمان ثم الحارث ابن حجر ثم جبلة بن الحارث ثم الحارث بن جبلة ثم النعمان بن الحارث ثم الأيهم

---

(١) تاريخ ابن خلدون ج ٢ .

ابن جبلة بن الحارث وهو صاحب تدمر وكان عامله يقال له القين بن خسرو بنى له بالبرية قصراً عظيماً ومصانع واظن انه قصر برقع ثم اخوه المنذر بن جبلة ثم اخوهما شراحيل بن جبلة ثم اخوهم عمرو بن جبلة ثم جبلة بن الحارث ثم جبلة بن الأيهم وهو آخر ملوك غسان وهو الذي اسلم في خلافة عمر ثم عاد الى الروم وتنصر وقد اختلف في مدة ملك الغساسنة فقيل اربعمائة سنة وقيل ستمائة سنة وبين ذلك . (١)

قال المسعودي : وكانت ديار ملوك غسان باليرموك والجولان وغيرهما من غوطة دمشق واعمالها ومنهم من نزل الاردن من ارض الشام (٢) .

قال ابن الكلبي : ولما نزلت غسان الشام جاوروا الضجاعم وقومهم من سليح ورئيس غسان يومئذ ثعلبة ــ بن الأزد ورئيس الضجاعم يومئذ داود بن ضجعم وكانت الضجاعم هؤلاء ملوكاً على العرب عمالاً للروم يجمعون ممن نزل بساحتهم لقيصر فغلبتهم غسان على ما بأيديهم من رياسة العرب .

قال ابن سعيد : ان جميع ملوك بني غسان جفنة اثنان وثلاثون ومدتهم ستمائة سنة .

* * *

امارة كندة

قال الطبري : كان يخدم ملوك حمير أبناء الأشراف من حمير وغيرهم وكان ممن يخدم حسان بن نبع سيد كندة لوقته فلما دوخ حسان بلاد العرب وسار في الحجاز وهم بالانصراف ولى على معد بن عدنان كلها اخاه حجر بن عمرو وسار فيهم أحسن سيرة ثم هلك وملك بعده ابنه عمرو المقصور (٣) .

قال ابو الفداء : واول ملوك كندة حجر بن عمرو وهو من ولد كندة ــ بن سبا وكانت كندة قبل ان يملك حجر عليهم بغير ملك فأكل القوي الضعيف فلما ملك

---

(١) تاريخ ابي الفداء ج ١ .

(٢) مروج الذهب للمسعودي ج ١ .

(٣) تاريخ ابن خلدون ج ٢ .

حجر سدد امورهم وساسهم احسن سياسة وانتزع من اللخميين ما كان بأيديهم من ارض بكر بن وائل ثم ملك عمرو بن حجر ويقال لعمرو المذكور المقصور لأنه اقتصر على ملك أبيه ثم ابنه الحارث بن عمرو وقوي ملك الحارث المذكور ووافق كسرى قباذ بن فيروز على الزندقة والدخول في مذهب مزدك فطرد قباز المنذر ابن ماء السماء اللخمي عن ملك الحيرة وملّك الحارث المذكور موضعه فعظم شأن الحارث فلما ملك انو شروان اعاد المنذر وطرد الحارث المذكور فهرب وتبعته تغلب وعدة قبائل فظفروا باموالهم وبأربعين نفساً من بني حجر فقتلهم المنذر عن آخرهم في ديار بني مرين ثم ملك بعده ابنه حجر بن الحارث على بني اسد بن خزيمة ابن مدركة وملك باقي بنيه على قبائل العرب ثم خلفه ابنه شراحيل بن الحارث على بكر بن وائل ثم ابنه معدي كرب بن الحارث ثم ملك ابنه سلمة على تغلب والنمر (١) .

* * *

ملوك متفرقة

وهناك ملوك مختلفون قد حكموا الحجاز وغيرها ، اشهرهم عمرو بن لحي فقد ملك الحجاز وكان كثير الذكر في الجاهلية واليه تنسب خزاعة وزهير بن حباب وكان يسمى الكاهن لصحة رأيه وعاش عمراً طويلاً وغزا غزوات كثيرة وقد اجتمع بأبرهة الاشرم صاحب الفيل فأكرمه ابرهة وفضله على غيره من العرب وامره على بكر وتغلب ابني وائل ، ومن ملوكهم كليب بن ربيعة وملك على بني معد وقاتل جموع اليمن وهزمهم وعظم شأنه ومنهم المهلل بن ربيعة بن الحارث جمع قبائل تغلب واقتتل مع بني بكر الخ.

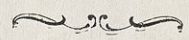

(١) تاريخ ابي الفداء ج ١ .

تاريخ العرب

قبل الاسلام والمعاصرون

العمالقة في العراق

ان الناظر الى خلاصة ما كتبه المؤرخون العرب عن العرب البائدة يجد معظمهم لم يتجاوز سلطانهم شبه الجزيرة غالباً الا ما كان من سلطان العمالقة فقد امتد الى العراق ، ويدعم صحة هذا القول ذكرهم في الآثار البابلية القديمة .

نقل المؤرخون عن بروسوس المؤرخ الكلداني : ان في العراق قد قامت للعرب دولة دام حكمها ٢٤٥ سنة تأتي بعد دولة الكلدان وتنتهي بدولة الآشوريين ، وعدد ملوكها تسعة [١] .

واختلف الباحثون فمنهم من عد دولة حمورابي أو الدولة البابلية الاولى دولة عربية ، وحجتهم ان بروسوس ذكر بين الدول التي حكمت بابل دولة سماها عربية وذكر عدد ملوكها وسني حكمها ، ودولة حمورابي اقرب دول بابل عهداً من الزمن الذي عينه بروسوس للدولة العربية .

وان سكان بادية العراق كانوا يعرفون عند اهل بابل باسم عمورو أي ابناء المغرب . وهذا الاسم يشمل كل من سكن غربي الفرات من الامم السامية وفيهم الآراميون في الشام وبدوهم في باديتها .

وفي التاريخ القديم ان الكنعانيين اكتسحوا فلسطين في القرن الخامس والعشرين ق.م. واخرجوا اهلها الاصليين ، ووافق ذلك نزول بدو الآراميين بابل وانشاء تلك الدولة فيها واسمهم عمورو كما تقدم ثم سموهم « عريبي » ومعناها اهل المغرب ايضاً . والطبري يسمي جد العمالقة « عريب » .

وان بين لغة بابل التي خلفتها دولة حمورابي في ما بين النهرين واللغة العربية

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام لجرجي زيدان .

مشابهة لا توجد بينها وبين سائر اللغات السامية ــ منها اولاً حركات الاعراب (والرفع والنصب والجر) فانها في لغة بابل كما هي في العربية تماماً ولا وجود لها في سائر اللغات السامية قديماً ولا حديثاً الا آثاراً منها في لغة البتراء وتدمر لأن اهلها من بقايا العمالقة .

ومنها التنوين فانه في البابلية ميم وفي العربية نون وهما تتبادلان . ومنها علامة الجمع في البابلية « ون » كما في العربية وهي « ين » في السريانية و « يم » في العبرانية ومنها صيغ الافعال في البابلية اقرب الى الصيغ العربية منها الى سائر اللغات السامية الخ من المشابهات بين اللغتين التي يعدونها من الادلة التي تؤيد نظريتهم .

وان اسماء ملوك هذه العائلة عربية التركيب والمعنى مثل « سامو ابي » أي ابي سام « وشمسو ايلونا » أي الشمس الهنا وقد عثروا في آثار هذه الدولة ببابل على اعلام كثيرة تشبه الاعلام العربية مشابهة كلية لفظاً ومعنى .

وان معبودات البابليين كثيرة الشبه في اسمائها واسماء الذين ينتسبون اليها بأقدم الهة العرب في اليمن وغيرها مثل ايل وشمس واشتار وسين وسمدان ونسر ويشع .

ورغم هذه الادلة التي يدليها هذا الفريق فان هناك ثمة من الباحثين تناهضها ولا تؤمن بتلك النظرية الا اذا ايدتها الوثائق الأثرية والتاريخية تأييداً لا يتطرق اليه الشك .

واذا ثبت فيما بعد أن دولة حمورابي عربية تكون العرب من اسبق الامم حضارة وتشريعاً لان لهذه الدولة انظمة في طبقات الناس والمرأة والزواج والتبني والارث والتجارة .

* * *

العمالقة في مصر

علمنا فيما مضى ان بعض المؤرخين العرب ذكروا ان العمالقة اغاروا على مصر

وملكوها وان منهم فراعنة مصر واقتصروا على ذلك ولم يفصلوا لنا اخبارهم وكيف استولوا عليها مما جعل الباحثين في حيرة وارتباك وادى ذلك لان يختلفوا في شأنهم .

نقل يوسيفوس المؤرخ الاسرائيلي عن مانثون المؤرخ الاسكندري الكلمات الآتية : واتفق على عهد تيماوس احد ملوكنا ان الاله غضب علينا فأذن لقوم لا يعرف اصلهم جاؤوا من الشرق وتجاسروا على محاربتنا وغلبونا على بلادنا واذلوا ملوكنا واحرقوا مدننا وهدموا هياكلنا وآلهتنا وساموا الناس ذلاً وخسفاً فقتلوا الرجال وسبوا النساء والاولاد ثم نصبوا عليهم ملكاً منهم اسمه « سلاطيس » اقام في منفيس وضرب الجزية على مصر اعلاها واسفلها واقام الحامية في المعاقل لدفع الآشوريين عن وادي النيل اذا طمعوا به وبنى مدينة اوارس في ولاية صان لهذه الغاية وحصنها بالابراج والقلاع والاسوار .

وكانت هذه الامة تسمى هيكسوس Hykso أي ملوك الرعاة .

ويرى بروكش (Brugch) ان لفظ هيكسوس ترد في الاصل الهيروغليفي الى لفظين هيك وشاسوا الاول ملك والثاني بادية او بدو وان الهيكسوس هم البدو الذين كانوا ينتقلون في الصحراء الشرقية أي العرب ولم يعثروا على اسم هذه الدولة في الآثار المصرية ولا وقفوا الا على النزر القليل من آثارها [1] .

وجاء في الآثار ان قوماً غرباء تسلطوا على مصر السفلى حتى اخرجهم ملوك طيبة وكانوا يسمون بلغة العامة « مين » أو « منتي » من بلد اسمها بلسانهم « اشر » ويريدون بها الشام ولكنها اقرب الى اشور .

وخلاصة ما ذكره كونتنو (G. Contenau) عن الهيكسوس ان مزيجاً من شعوب آسيا الوسطى خرجوا من بلادهم ابتغاء طلب الرزق وحباً في الهجرة والرحيل فاغاروا على سورية وفلسطين حتى دخلوا مصر بدون حرب كما قال المؤرخ مانيتون (Manéthon) واستولوا على الدلتا اغنى اقسام القطر واخصبها ، وعرفت هذه الشعوب في تاريخ مصر بمملكة الرعاة أي الهيكسوس وتعاقب عليها فراعنة

---

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان .

وحكام من هذه الشعوب ، وظل الملوك الوطنيون (المصريون) قابضين على ناصية الحكم في الجنوب حتى قاموا في ١٥٨٠ ق٠م بحرب كبرى كانت القاضية على تسلط الساميين في مصر [١] ٠

ويتبين للباحث مما أوردناه ان الهيكسوس ساميون وفدوا على مصر من آسيا الوسطى ولم يتحقق الباحثون من كونهم عرباً لعدم وجود ادلة كافية يقرها العلم الحديث بالرغم مما ذكره يوسيفوس وما رواه العرب في كتبهم عن عمالقة مصر وما ورد في الآثار المصرية من اخبارهم ٠

---

(١) الحضارة الفينيقية لكونتنو . G. Contenau. La civilisation phénicienne

العرب في جنوبي الجزيرة

الدولة المعينية

استدل الباحثون من الآثار التي عثر عليها المنقبون في الجنوب ان اقدم العصور التاريخية التي تعاقبت عليه لا تتجاوز القرن الثامن ق.م وتقسم تلك النقوش الى معينية وسبأية ، ومن مقارنة الاولى مع الاخرى تبين ان دولة المعينيين اقدم من دولة السبأيين .

فمن القائلين بان دولة المعينيين اقدم من السبأيين ، مولر ، غلازر ، وونكلر (Winckler) ومن تابعهم في هذا الرأي وخمنوا المدة التي بينهما خمسمائة سنة . وايد فريق من علماء هذا العصر وخاصة المستعربين ان المعينيين اقدم من السبأيين كمارتين هارتمن (Martin Hartman) والمؤرخ ادوار مير (E. Meyer) فهارتمن سلم بان دولة معين اقدم من مملكة سبأ ، ولكنه لا يزال محافظاً على قوله ان النقوش التي اكتشفت حتى الآن ، تاريخها واحد [1] . ثم خلفتهما دولة حمير . ولهذه الدول تاريخ مجيد يشهد بحضارتها وعمرانها لتوفر أسباب الحضارة فيها كخصب ارضها وتوسطها بين البلاد التجارية .

قال استرابون في كلامه عن بلاد اليمن : يشغل القسم الجنوبي من جزيرة العرب اربعة شعوب : المعينيون وعاصمتهم قرنا والسبائيون وعاصمتهم مأرب والقتابيون وعاصمتهم تمناء والحضرموتيون أو الحضرميون وعاصمتهم شبوة . وذكر في مكان آخر ان المعينيين يحملون التجارة الى البتراء مدينة الانباط . وذكر بلينيوس ان المعينيين يقيمون في بلاد كثيرة الغاب والأغراس . وذكرهم أيضاً ذيونيسيوس وبطلميوس واطروا سلطتهم وسعة تجارتهم [2] .

---

(١) معلمة الاسلام مادة عرب . Encyclopédie de l'Islam - art. Arabie

(٢) تاريخ العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان .

ووفق هاليفي في القرن التاسع عشر الى ارتياد بلاد الجوف الجنوبي في شرقي صنعاء واكتشف انقاض معين وقرأ اسمها عليها بالمسند ، وبلغت النقوش الكتابية التي اكتشفها هاليفي في سفرته الى بلاد الجوف وحدها ٣٠٣ نقوش ، ومن درسها وجد معيناً هي البلدة التي ينسب اليها المعينيون وان المدن التي اكتشفها في الجوف مدن معينية ولا سيما براقش .

واما ملوك هذه الدولة فقد عثر المنقبون في الآثار على اسماء كثير منهم ، وبلغ عدد الملوك الذين عثروا على اسمائهم في انقاض الجوف في معين وغيرها ٢٦ ملكاً يشترك كل بضعة منهم باسم واحد ويتميزون بالالقاب اذا كان لملوكهم نعوت تفخيم مثل قولنا الغازي والفاتح والناصر والمنتصر ونحو ذلك .

ووجد مولر (Müller) بعد درس النقوش المعينية ان الحكومة في هذه الدولة كانت وراثية تنتقل من الاب الى الابن وقد يتولى الاثنان معاً ، وان ملوك هذه الدولة كانوا يعرفون في صدرها الاول بلقب مزواد كما كان ملوك سبا في اوائل دولتهم يسمون « مكرب » (١) .

وذكر هنري ماسه (H. Massé) نفوذ دولة معين فقال : ربما شمل سلطان دولة المعينيين جميع بلاد شبه جزيرة العرب الجنوبية (٢) .

ومع كثرة النقوش المعينية التي عثر عليها الباحثون وقرأوها فليس ثمة اثر تاريخي يساعد على تنسيق حوادثها او تقرير مبدأ امرها .

ويؤخذ من نقش اثري قرأه غلازر أن السبأيين افنوا المعينيين يوم كان ملوك السبأيين لا يزالون يلقبون « مكرب » والظاهر انهم غلبوهم على دولتهم وظل القوم يتعاطون اعمالهم التجارية ، فقد جاء ذكرهم مع القريين في اواسط القرن الثاني ق.م والسبأيون يومئذ في ابان دولتهم .

ولغة المعينيين كثيرة الشبه باللغة السبأية وحروفهما واحدة تقريباً لكنها تختلف

---

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان .

(٢) الاسلام لهنري ماسه . H. Massé - l'Islam

عنها اختلافاً واضحاً في ضمير الغائب فانه في المعينية « السين » بدل الهاء في السبأية وسائر اللغات السامية الا البابلية والحبشية .

ومن النقوش التي عثر عليها غلازر وهاليفي في جنوبي شبه الجزيرة يتبين ان دولة معين كانت دولة تجارية اكثر منها حربية لها علاقات تجارية مع كثير من بلاد المعمور .

* * *

دولة سبأ

انشأ السبأيون في اليمن دولة كبرى ورد ذكرها في الآثار الاشورية في القرن الثامن ق.م. مما ساعد الباحثين ان يجعلوا مبدأ هذه الدولة من ذلك التاريخ .

هذا ولايمكن تحقيق طول هذه الدولة لان كثيراً من الآثار لا تزال تحت الرمال والانقاض واذا استنطقوها فيما بعد ربما اجابتهم غير جوابها اليوم .

وقد دقق غلازر في تحقيق الزمن الذي انتقلت الدولة السبأية الى الدولة الحميرية من مقابلة ما لديه من الأساطير المنشورة وغير المنشورة فترجح له ان دولة سبأ تنتهي سنة ١١٥ ق.م وبها تبتدئ دولة حمير [1] .

وخلاصة ما جاء في تلك الاخبار ان الامير السبأي المعروف باسم يثعمر (Iiti - Amara) كان يؤدي جزية للملك سرجون الثاني (Sargon II) حوالى ٧٢١ — ٧٠٥ .

وبلغ عدد الملوك الذين قرأوا اسماءهم على آثار هذه الدولة بمأرب وصرواح وغيرهما ٢٧ منهم ١٥ مكرباً و١٢ ملكاً ، ولهم القاب خاصة بهم غير القاب الدولة المعينية .

ويستدل من مقابلة اسمائهم والقابهم أن السبأيين تدرجوا في الحكم من الامارة البسيطة أو الكهانة الى الملك .

ودولة سبأ دولة قوافل وتجارة ولا تجد للحرب او الفتح ذكراً في آثارها

---

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان .

الا قليلاً خلافاً للآشوريين والمصريين معاصريها فانك لا تكاد تقرأ على آثارهم غير قولهم « فتحت وغلبت وضربت الجزية وحملت الغنيمة » ، وأما السبأيون فاكثر ما وصل الينا من أخبارهم قولهم « بُنيت ووُقفت ورُمت » .

ويستدل مما قرأوه على الآثار حتى الآن ان السبأيين مروا باربعة اطوار تتميز بالقاب ملوكها فكان ملكهم في الطور الأول يسمى « مكرب سبا » ثم قالوا « ملك سبا » ، ثم « ملك سبا وريدان » ، وكان ريدان محفداً من محافدهم الكبرى سمي بعد ذلك ظفار ثم قالوا « ملك سبا وريدان وحضرموت وغيرها » .

* * *

دولة حمير

تقدم ان الملك في جنوبي الجزيرة قد انتقل من السبأيين الحقيقيين الى السبأيين الحميريين في القرن الثاني ق.م. وكان من جراء هذا الانقلاب ان اكتشف امراء الاساطيل البطليميوسية خططاً في المحيط الهندي عادت على البلاد بالخير الجم ورفعت من شأن سبأ وعظمتها واضحت من اكبر المراكز التجارية في العالم ، فامتد سلطانهم الى ما جاورهم من الأصقاع فقطنوا في اعظم اقسام جنوبي الجزيرة واقاموا على شواطىء البحر الاحمر وشواطىء المحيط الهندي حتى حدود حضرموت وعلى بعض شواطىء افريقية الشرقية .

واذا نظرنا الى ما دونه المؤرخون اليونانيون والرومانيون نجد اكثر ما كتبوه كان بعد القرن الثالث م. واذا استنطقنا النقوش الاثرية التي عثر عليها المنقبون حتى اليوم نجدها تذكر لنا اسماء كثير من ملوك هذه الدولة ولكنها مع الاسف لا تذكر غالباً تاريخاً كافياً يركن اليه من اراد أن يبحث على النمط العلمي الحديث .

دخلت النصرانية بلاد حمير في زمن كونستانس الثاني (Constance II) ـ٣٣٧ـ ٣٦١ م . بواسطة تيوفيليوز (Théophilios) ، فبنى كنائس في عدن وغيرها ومن ثم اخذ دعاة النصرانية يدعون اليها حتى دخل فيها الحميريون في عهد انستاس (Anstace) ٤٩١ ـ ٥١٨ .

واستولى الحبشيون (الأكسوميون) على اليمن وامتد سلطانهم في جنوبي الجزيرة وولي عليها اكسوم الذي عاصر الامبراطور قسطنطين الثاني .

يقول الجغرافي ماركيانوز (Markianos) من جغرافيي القرن الرابع م: ان الحميريين هم شعب كأحد الشعوب الحبشية وان هناك ادلة أخرى تنبىء بان غزو الحبشة لليمن اقدم من التاريخ الذي عينه المؤرخون (١) .

وكان للامبراطورية الرومانية علاقات منظمة بالحميريين والباعث على وجود تلك العلاقات بين الدولتين اما مصلحة الرومانيين التجارية قضت عليهم ان يتصلوا بهم او رغبة في توطيد دعائم الاتحاد مع الحميريين حذراً من الساسانيين الذين طالما تاقت انفسهم لان يستولوا على جنوبي الجزيرة ويدخلوها مستعمرين .

وقد وقع ما كان يخشاه الرومانيون فثار رؤساء الحميريين سنة ٥٢١ ، وفي مقدمتهم ذو نواس الذي انتحل الديانة الموسوية وصار من اكبر دعاتها وحماتها ، فاخذ يدعو للخلاف على الحبشة والنصرانية واضطهد نصارى نجران أي اضطهاد كان من عواقبه أن استعرت نار الحرب بين الحميريين والحبشيين وانتهت باخراج الحبشة من بلاد حمير واستيلاء الفرس عليها بعد أن حكمها الحبشيون بضع سنين بعد ابرهة ، ثم الاكسوميون الذين عاملوا في خلال حكمهم الفرس والحبشة وامراء الغساسنة وغيرهم من امراء العرب .

وليس لدينا معلومات صحيحة تبين لنا ما خلفه الحبشيون من الآثار العمرانية في اليمن وجل ما علم من قراءة نقوش مأرب ان اصلاحات جرت لسد مأرب عام ٥٤٠ وفي هذا التاريخ تقريباً سنت الشرائع الحميرية .

واما استيلاء الفرس على اليمن فاستنصر امراء حمير الفرس عام ٥٧٠ م. ودعوهم الى بلادهم فدخلوها وانهزم الحبشيون وقتل مسروق آخر امراء امارة ابرهة واحتلوا البلاد احتلالاً عسكرياً وتركوا ادارة الحكم الى امراء حمير ، واقام الفارسيون عنهم نائباً جعلوا مقره في صنعاء .

ولما بعث محمد بن عبد الله (ص) وبلغت دعوته اهل اليمن بواسطة اصحابه كانت امارة حمير في اضمحلال ، واجاب نواب فارس في صنعاء دعوة الداعي وآمنوا بالاسلام .

---

(١) معلمة الاسلام مادة عرب . Encyclopédie de l'Islam - art. Arabie

العرب في شمالي الجزيرة

امارة الحيرة

كانت الحيرة على ثلاثة اميال من مكان الكوفة في موضع يقال له النجف على ضفة الفرات الغربية في حدود البادية بينها وبين العراق وتقع الآن في الجنوب الشرقي من مشهد علي ، واشتهرت الحيرة بصحة هوائها لقربها من هواء البرية النقي ، ولما كانت الحيرة على طرف العراق في الغرب وليس بعدها غير البادية رغب فيها البدو فكان يؤمها البدوي لابتياع بعض الحاجات ثم لا يلبث ان يقيم فيها ، وكان يأتيها جماعات من مدن العراق والجزيرة فراراً من حكم أو تنحياً عن عمل كأن يحدث احدهم حدثاً في قومه أو تضيق به المعيشة في بلده فيخرج الى ريف العراق وينزل الحيرة ولذلك كان سكانها اخلاطاً من امم شتى اكثرهم من العرب .

أسست امارة الحيرة عام ٢٤٠م وولي عليها عمرو بن عدي ورغبت الفرس بانشائها حذراً من اغارة عرب البادية وغيرهم ممن جاورهم على املاكها فجعلوا هذه الامارة بمثابة حامية تحميهم من اغارة الاعداء ، وكان النظام المتبع بين فارس وعرب الحيرة ان هؤلاء يقدمون الطاعة لملك فارس وهو يولي عليهم اميراً من انفسهم وعليهم ان يحموا فارس من كل مغير من نواحيهم ، والفرس مقابل ذلك يعفونهم من دفع الإتاوة ، وكان نظام الفرس اذ ذاك نظاماً اقطاعياً يكاد يستقل كل وال بامر مقاطعته ويستمر والياً عليها مدى حياته غالباً ويراعي الملك رغبة المقاطعة فيمن يولي عليها على عكس النظام الروماني فقد كان نظاماً مركزياً .

وتسابق اللخميون والغساسنة وملوك كندة التي كانت تتنازع السيادة على عرب الشمال واكثرهم من عدنان يتولاهم امراؤهم او شيوخهم بلا دولة ولا جند ولا حصون ولا قلاع الا نادراً وانما قلاعهم شجاعتهم وبداوتهم ولما كان هؤلاء

اشد رغبة في الانضمام لدولة اللخميين والدخول في رعايتها اتسع سلطانها ولا سيما في ابان سطوة الفرس وضعف الروم ٠

وكان عرب الحيرة اكثر استقلالاً من غيرهم فهم لا يرتبطون بفارس الا بما توجبه المعاهدات عليهم وكانوا اذ ذاك في رخاء يحسدهم عليه غيرهم من العرب لخصب ارضهم وغنى اقليمهم وكانوا هم الصلة بين الفرس وعرب الجزيرة يحملون التجارة الفارسية ويبيعونها في اسواقهم ويبشرون بالفرس ومدنيتهم ٠

قال سيديو (Sedillot) وكان الفرع الأصلي من بني قضاعة الذين هم ملوك الحيرة التنوخية متوطناً بتهامة والبحرين ملكوا الحيرة واغاروا على العراق سنة ١٩٢ بعد الميلاد ثم على بلاد الانبار وكان رئيسهم سنة ٢٢٨ جذيمة الابرش المعترف بتبعيته لاردشير بن ساسان ملك الفرس خلفه في الملك عمرو بن عدي اول العائلة الملوكية اللخمية او النصرية التي امتد حكمها الى سنة ٦٠٥ بعد الميلاد ٠

وكان بين الفرس واليونان في حكم الفرات تنازع ادى الى اتقاد نار الحرب بينهما كما كان بين البرطيين والرومانيين مع عناد شديد اغتنم به ملوك الحيرة اتساع مملكتهم بسواحل الفرات وكانوا لجيوش الفرس طلائع تغلبوا سنة ٢٧٢ بعد الميلاد على جزيرة دجلة والفرات وتوغلوا في التغلب حتى بلغوا مدينة انطاكية لكن تعذر عليهم ادارة الحكومة فيما فتحوه من البلاد فلزموا المقاتلة للنهب والسلب وكانوا مدبرين في الحروب يطمعون العدو بفرار يعود منه في الغالب الظفر بسبب رخاوة اليونان واستقلوا بمحاربتهم حتى حولوا جميع خزائن الاناضول الى تخت ملوك الحيرة فساغ لهم ان ينافسوا بالزينة والزخرفة ملوك المدائن وقياصرة القسطنطينية الذين انتقموا من عرب شمال الجزيرة فقد قاتلوهم في سني ٢٨٩ و٣٥٣ و٣٦٣ م واستولوا على الانبار وهزموا المنذر الاول سنة ٤٢١م هزيمة سفكت فيها دماء كثيرة ٠ وانهزم انسطاس سنة ٤٩٨ وجدد العداوة والحرب مع الفرس فكادت جزيرة دجلة والفرات تذهب منه باسرها سنة ٥٠٢ م٠ وشارك النعمان الثالث الفرس في محاربة الرومانيين وصد عنهم من وسط بلاد العرب سنة ٥٠٣ القبائل التغلبية أو البكرية مع رئيسهم الحرث بن عمرو المقصور على ملك الحيرة المتظاهرة بنصرة

ديانة مزدك المانوي الذي عزل المنذر الثالث من السلطنة سنة ٥١٨ م. ثم قتله كسرى بعد خمس سنين واعاد المنذر الثالث الى سلطنته وسائر حقوقه الملوكية ، ثم مكث نافذ الكلمة على العرب التابعين للفرس يشن الغارات من سائر الجهات على اليونان فلا يستطيعون رده فكان عصره ازهر اعصر المملكة الحيرية وما زالت كذلك حتى ملك النعمان الخامس ٥٨٣ ــ ٦٠٥ م فكان آخر ملوك العائلة اللخمية. وولي بعدئذ مملكة الحيرة عمال من قبل ملوك الفرس حتى ظهور النبي (ص) [١] .

قال هنري ماسه ما خلاصته ان بعض قبائل الجنوب هاجرت الى الشمال واسست امارات تختلف باختلاف الامبراطورية التي امتزجت بها ، فانشئت في اطراف الشام امارة الغساسنة لحماية حدود الامبراطورية البيزنطية ، وامارة اللخميين في الحيرةلحماية حدود الامبراطورية الساسانية ، ولهذا كانتا في حرب مستمر . فكانت الحيرة عاصمة اللخميين ومن سكانها العباد وهم نصارى واصبحت الحيرة مركزاً علمياً . فاول ملك من ملوك اللخميين عرف تاريخ وفاته من قبره وذلك في ٣٢٨ م. ولم تصدهم محالفتهم مع الفرس عن الدخول في النصرانية النسطورية [٢] .

* * *

امارة الغساسنة

نزل الغساسنة مشارف الشام وفيها الضجاعم من قضاعة فغلبوهم على ما في ايديهم وانشأوا لانفسهم دولة تحت رعاية الروم عُرفت بدولة الغساسنة فتحضروا بتوالي القرون وعمروا المدن وشادوا القصور والقلاع وكانت عاصمتهم بصرى في حوران وتعرف انقاضها الان ببصرى اسكي شام أو بصرى الشام .

دخلت الشام في حوزة الرومان في القرن الاول ق.م وبادية الشام في حوزة الأنباط ومن والاهم وحالفهم من العرب ، فكان هؤلاء البدو يضايقون دولة الروم فينزلون اطراف المدن للغزو ويتعرضون للقوافل بالنهب ، ويئس الروم منهم فعمدوا الى مسالمتهم لاتقاء شرهم واشهرهم يومئذ الضجاعمة بنو سليح من قضاعة .

---

(١) خلاصة تاريخ العرب لسيديو .

(٢) الاسلام لهنري ماسه . H. Massé - L'Islam

وكانت العراق وفارس يحكمهما ملوك الطوائف بعد الاسكندر يستبد كل منهم بقسم منها يشتغلون بذلك عن مناوأة الروم اعدائهم القدماء حتى اذا نشأت الدولة الساسانية في أول القرن الثالث م وجمعت كلمة الفرس تحت لوائها اصبح الروم يخافونها على بلادهم لما بينهما من المنافسة القديمة فازدادت رغبتهم في تقريب العرب لا لاتقاء شرهم فقط بل للاستعانة بهم على أولئك المنافسين .

واتفق نزوح الغسانيين نحو الشمال كما تقدم وقد نزلوا البلقاء وفيها الضجاعمة وغيرهم من قبائل العرب وتنازعوا على المقام هناك وتنافسوا في النفوذ على اهل البادية فظهر الغسانيون ، فلما احتاج الروم الى نصرتهم استنصروهم وقربوهم فتنصروا بتوالي القرون واصبح لهم شأن في حروب الروم والفرس .

ولما نزل آل غسان الشام خيموا في باديتها من جهة حوران ثم سكنوا البلقاء وأذرح واتسعت مملكتهم باتساع سلطانهم فبلغت معظم اتساعها في أيام الحارث ابن جبلة واولاده واصبحت كلمة الغساسنة نافذة في حوران وسائر مشارف الشام وفي تدمر وامتد سلطانهم على سائر عرب سورية وفلسطين ولبنان وبدوهم وحضرهم . فشاد الغسانيون كثيراً من القصور والاديار وانشأوا المدن والقرى وبنوا القناطر واصلحوا الصهاريج فينسب اليهم بناء قسطل بالبلقاء وأذرح من أعمال الشراة والجرباء بجانبها ، ومما ينسب اليهم من القصور صرح الغدير والقصر الأبيض والقلعة الزرقاء وقصر المشتى وقصر الفضا وقصر منار وقصر السويداء وقصر بركة وقصر ابين ، وغيرها ومن الاديار دير حالي ودير الكهف ودير هناد ودير النبوة . ومن الابنية الاخرى القناطر وجسر عاملة واصلاح صهاريج الرصافة .

وآخر من عنى بالتنقيب عن تلك الآثار دوسو فارتاد جبال حوران ووعورها في اللجاه والحراء والرحبة وجبل الصفا واطلع على كثير من الآثار والانقاض فاستدل من ذلك على خط دفاع كان في اطراف حوران يفصل بينها وبين البادية ، وهذا الخط كان مؤلفا في الأصل من عدة حصون في جملتها القصر الأبيض والنمارة ودير الكهف والقلعة الزرقاء وقد شاهد انقاضها فرأى القصر الابيض مبنيا في منبسط من الارض مربع الشكل حوله سور فيه برج عال ، ووصف قصور النمارة ودير

الكهف وغيرها كما شاهدها وليست كلها من بناء الغسانيين وان كنا لا نعلم بانيها ، وعلى كل حال فالقصر الابيض يمتاز عنها بنقوش جميلة ، فيها صور طيور وخيول وفهود واسود وبقر وافيال حتى السمك ، وفيه شيء من الطرزالفارسي الساساني ، والمظنون ان الغسانيين بنوه في ظل ليقيموا فيه على حدود البادية لدفع العرب المهاجمين . ويرى دوسو خلاف ذلك مجاراة لنولدكه بقرب عهد الغساسنة وتلك الابنية اقدم منهم عهداً لا سيما وانهم عثروا في انقاض النمارة على اثر عربي مكتوب بالحرف النبطي سنة ٣٢٨ م. عن امير لخمي ولم يجدوا فيه ذكراً لامير غساني [١] .

قال سيديو : واما الأزد اليمنيون فرحلوا من اليمن ونزلوا سنة ١١٨ م. ببطن مرّ قرب مكة ثم تمزق شملهم بعد مئة سنة وسكنت عدة قبائل منهم قرب عين ماء تسمى بركة غسان فسموا الغسانية ثم توالت عليهم نصرات اتسع بها حكمهم فتوطنوا في برة وتقلد منهم ثعلبة الامارة على عرب تلك الجهة من قبل الرومانيين وخلفه في الحكم جفنة الاول اصل العائلة الغسانية التي آخرها جبلة السادس الذي امتد حكمه الى سنة ٦٣٧ م. وكان الغسانيون في تلك المدة مساعدين لقياصر القسطنطينية على الفرس [٢] .

قال هنري ماسه : لم يكن للغسانيين مقر معين فكانوا يتنقلون بين المقاطعات الفينيقية الفلسطينية وفي قسم من ارض النبطيين القدماء ، ولكنهم كانوا يفضلون غالباً الاقامة في المنطقة الواقعة في جنوبي دمشق تحت سلطة البيزنطيين ومن امتزاجهم بالبيزنطيين قد تنصروا وكان لهم القدح المعلى في الحضارة . وأول من يثق المؤرخون بامارتهم الحارث بن جبلة وقد عينه الامبراطور جوستنيان (Justinien) عام ٥٢٩ م. ومنحه لقب فيلارك وبطريق (Phylarque & patrice) « وهو اعلى لقب بعد الامبراطور أو رئيس القبائل العربية في الشام » . وفي اواخر القرن السادس م اخذت تعمل عوامل التقهقر والانحطاط في كيان الغسانيين ، وغدت

---

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان .

(٢) خلاصة تاريخ العرب لسيديو .

الاختلافات التي وقعت بين اللخميين والغسانيين تقع بين الروم والغساسنة ، ولما فتح المسلمون الشام كانت هذه الامارة قد تلاشت منذ بضع سنين [1] .

* * *

نجد والحجاز

كانت بلاد العرب في القرن السابع من الميلاد في اخطار عظيمة من الامبراطوريتين البيزنطية والساسانية المتمكنتين بحدودهما فقد أخذت كل منهما اقليما الحقته بمملكتها ، فالتجأت الامة العربية الى نجد والحجاز السالمين من تغلب الاجانب عليهما . هذان الاقليمان ليس فيهما دولة منظمة بل هما في ذلك الوقت وما قبله في قبضة قبائل متحدة الاخلاق والعوائد تخاطر باتلاف اموالها وانفسها حفظا لحريتها فبقي تاريخ هؤلاء الاقوام مدة قرون كتاريخ جماعات قليلة متحدة الكلمة لما بينهم من الترتيب السياسي المؤدي الى اتحادهم على غيرهم وان كان بعضهم منفصلاً عن بعض بما يقع من المنافسات والمشاجرات المقرونة بسفك الدماء وكانوا متساوين تقريباً في الاموال لتماثلهم في وسائلها الحربية ، ومن استغنى منهم بالتجارات فتلجئهم العلائق والمخالطات الى امور يعادلون بها غيرهم في الغنى .

واعظمهم سلطة الكنديون الذين هاجروا من الجنوب الى الشمال كغيرهم واقاموا في داخل الجزيرة حتى شادوا في اواخر القرن الخامس م امارة دعيت بامارة كندة وجاوروا اللخميين ولهم معهم وقائع انتصروا في اكثرها ، ولكن لم يطل هذا الانتصار حتى اجتمع عليهم الغساسنة واللخميون وانتقموا منهم شر انتقام ٥٢٩ م، ومن ثم اخذ يتقلص ظلها شيئاً فشيئاً امام الذين كانوا يستعينون بالروم والفرس على الكنديين .

وكان يلي امر مكة ولاة من جرهم قحطان وهي جرهم الثانية ولما جاء اسماعيل مكة مع ابيه ابراهيم صاهرهم ، وكان لاولاد اسماعيل بعد ابيهم مركز محترم لما لأبيهم من بناء البيت وان لم يكن لهم من الحكم شيء ، ولما ارتحل الأزد من مأرب

(١) الاسلام لهنري ماسه . Massé - L'Islam .

بعد السد كان منهم من عرج على مكة وهو حارثة بن عمرو الملقب بخزاعة وحارب جرهم فانتصر عليهم واجلاهم من مكة .

ووليت خزاعة امر مكة حيناً من الزمن وفي حكمهم تناسل العدنانيون وكثوا وانتشروا في نجد واطراف العراق والبحرين وبقي بمكة اولاد فهر بن مالك وهو قريش وليس لهم من امر مكة ولا البيت الحرام شيء حتى جاء قصي بن كلاب وهو الاب الخامس لمحمد بن عبد الله (ص) فجمع اشتاتهم ووحد كلمتهم فكانت لهم بذلك قوة استطاعوا ان يزاحموا بها خزاعة ويتغلبوا على امر مكة ، ولما لم يبق الا أمر ولاية البيت أخذه قصي من سادنه المكنى بابي غبشان وهو صهر قصي ، وبهذا كانت له السيادة التامة والامر النافذ وصار الرئيس الديني لذلك البيت الذي كانت تفد اليه العرب من جميع انحاء الجزيرة .

ومن مآثر قصي تأسيس دار الندوة بمكة وكانت مجمع قريش وفيها تفصل مهام امورها ولهذه الدار فضل على قريش لانها ضمنت لهم اجتماع الكلمة وفض المشاكل بالحسنى ، وكان لقصي من مظاهر الرئاسة والتشريف :

(١) رئاسة الندوة ففيها يتشاورون فيما نزل بهم من جسام الأمور ويزوجون فيها بناتهم .

(٢) اللواء فكانت لا تعقد راية الحرب الا بيده .

(٣) الحجابة وهي حجابة الكعبة لا يفتح بابها الا هو ، وهو الذي يلي امر خدمتها .

(٤) سقاية الحاج ورفادته ومعنى السقاية انهم كانوا يملأون للحاج حياضاً من الماء يحلونها بشيء من التمر والزبيب فيشرب الناس منها اذا وردوا مكة ، والرفادة طعام كان يصنع للحاج على طريق الضيافة ، وكانت قريش تساعد قصياً على ذلك بما تقدمه له من الخرج الذي تخرجه كل سنة .

كان كل ذلك لقصي بن كلاب وكان ابنه عبد مناف قد ساد في حياة ابيه فاراد ابوه أن يلحق به ابنه عبد الدار الذي كان اسن من عبد مناف فاوصى له بما كان يليه من مصالح قريش فلم ينازع عبد مناف اخاه لاحترامه وصية ابيه .

ولما مات كان له اربعة من الولد وهم هاشم وعبد شمس وعبد المطلب ونوفل فنافسوا بني عمهم عبد الدار في هذه المصالح التي رأوا انفسهم احق بها لشرفهم وسيادتهم وكثرة عددهم ، وبذلك ابتدأ النزاع بين بني العم سببه المنافسة في الشرف ، وافترقت قريش فرقتين فرقة تساعد بني عبد مناف وفرقة تساعد بني عبد الدار ، وكاد يكون بينهم قتال لولا انهم الهموا الصلح على طريق لا يغض من الطرفين ، وهو اقتسام هذه المصالح فجعلوا لبني عبد الدار الحجابة واللواء والندوة ، ولبني عبد مناف السقاية والرفادة . ثم حكم بنو عبد مناف القرعة فيما اصابهم فخرجت لهاشم ابن عبد مناف فكان هو الذي يليهما ومن بعده بنوه حتى جاء الاسلام والامر على ذلـك .

وكانت لقريش مصالح أخرى لا تساوي هذه في العظم وزعت بين قبائل قريش ، وبذلك كانت مصالح الحكم والولاية موزعة بين رؤساء القبائل المختلفة من قريش حتى لا يكون هناك مجال للنزاع وهذا ما حفظ قريشاً مما اصاب سائر العرب من التنازع والقتال ، الا انهم وان لم يصابوا بمصيبة الحروب لم يسلموا من المنافسة التي تكون حتماً بين كبراء البيت الواحد اذا كان لكل واحد ما يساعده على الشرف والرئاسة ، وقد حدث ذلك بين هاشم بن عبد مناف وابن اخيه أمية بن عبد شمس ، فقد كان هاشم سيداً بما له من المصالح الكبرى في قومه ، وكان أمية مثرياً من المال والولد ولذلك كان ينافس عمه رئاسة قريش ، فكان بذلك جفاء بين البيتين واعقابهما حتى جاء الاسلام ولكن لم يصل هذا النزاع يوماً الى حد شبوب القتال بينهم لأن البيت القرشي كان يحافظ على احترام البيت ومنع الحرم من سيلان دم فيه ولو وقع ذلك لأنحط المركز السامي الذي نالوه لولايتهم البيت ، فان مكة كانت معروفة عند العرب بأنها حرم آمن من لجأ اليه فقد نجا من عدوه ، وكانت اشهر الحج عندهم اشهراً حرماً يعقدون فيها اسواقهم التجارية بجانب ذلك البيت العظيم وداخل حدود الحرم ، والناس تهرع الى هذه الاسواق من جهات العرب كافة لأنهم آمنون على انفسهم واموالهم ، فاذا اخل ولاة الحرم بهذا العهد الوثيق قل احترامه من القلوب وسقطت هيبته فيجترىء عليه غيرهم ، وبذلك يزول عنهم نفع عظيم كان ينالهم ، فمن هنا كان التحكيم في الامور العظيمة من مألوف عاداتهم .

ولما حصلت الحرب بين قيس وكنانة واضطرت قريش اليها اضطراراً سمتها العرب حرب الفجار لما كان فيها من انتهاك حرمة الحرم والقتال على حدوده .

ومما امتازت به قريش حلف الفضول ، ومداره على ان ترد كل مظلمة بمكة الى صاحبها لا فرق في ذلك بين قرشي وغيره ، وهو روح ينافي الحمية الجاهلية التي كانت العصبية تثيرها .

جاء الاسلام وقريش على هذه الحال من السيادة والاحترام تعترف لها بذلك جميع العرب .

وكانت المدينة في حوزة اقوام من اليهود منهم بنو النضير وبنو قريظة وبنو قينقاع ، ثم نزلها قبيلتان من الازد سنة ٣٠٠ م واخذاها سنة ٤٩٢ م وقاوما تابعة اليمن حين هجموا عليهما ، ثم فشلا وضعفا بحروب داخلية بين سنة ٤٩٧ ــ ٦١٥ م .

كانت قبائل اليهود تشتغل بالتجارة بجد واهتمام حتى كانت المدينة منافسة في ذلك العصر لمكة التي حجت اليها العرب واحترمتها لاختصاصها بالبيت المقدس .

غزو الفاتحين

بلاد العرب

أقدم من غزا بلاد العرب من الدول المجاورة المصريون ، وأول من فعل ذلك منهم احمس مؤسس الدولة الثامنة عشرة ومنقذ مصر من دولة الهيكسوس ، فانه بعد ان اخرجهم من القطر المصري طاردهم الى اواسط شبه جزيرة سينا نحو سنة ١٧٠٠ ق٠م، ثم اضطر الى الرجوع لرد هجمات الاثيوبيين والنوبيين عن بلاده ٠

ثم حمل تحوطمس الثالث بجيشه على الشرق في القرن السادس عشر ق٠م فقطع برزخ السويس واكتسح اعالي جزيرة العرب ٠

وحول رعمسيس الثالث اعنة خيله عام ١٢٠٠ ق٠م نحو البلاد التي كانت تهدد مصر براً وبحراً وانشأ اسطولاً كبيراً انزله البحر الاحمر وسافر فيه لارتياد بلاد الحبشة والصومال وبلاد العرب ، وغرضه الرئيسي تسهيل سبل التجارة البحرية بين مصر واقصى الشرق ، ولم يكن له بد من توطيد العلائق الودية بين مصر وشواطىء ذلك البحر واليمن في جملتها ، وانشأ ايضاً طريقاً للقافلة منتظماً من القصير على البحر الاحمر الى قفط على النيل ، وانشأ خطوطاً تجارية منتظمة بين المحيط الهندي والنيل بطريق بلاد العرب ، وبعث الى جزيرة سينا وفداً لاكتشاف معدن الذهب وغيره من الخيرات التي كان اسلافه يعرفونها ، وكثيراً ما كانت الدول القديمة تطمع ببلاد العرب رغبة في ذهبها ، واقتدى برعمسيس الثالث رعمسيس الرابع عام ١١٦٦ ق٠م فافتتح طريقاً مختصراً الى بلاد العرب وكان الطريق اليها طويلاً ٠

وأول من حمل على بلاد العرب من الآشوريين تغلات بلاسر الثاني ، فقد غزاها في القرن التاسع ق٠م على أثر حربه في سورية فأصاب قبيلة من العرب على حدود مصر ٠

واتفق حوالى القرن الثامن ق٠م ان العرب في اعالي الحجاز غزوا السامرة ونهبوها وكانت في حماية الآشوريين ، فعمل سرجون الثاني على الانتقام بالشدة والعنف ، وعزم على اكتساح بلاد العرب كلها فأوغل فيها سنة ٧١٥ ق٠م حتى قطع البوادي الى اقصى البلاد العامرة وهو أول من بلغ الى هناك من الفاتحين ٠

وجاء بعد سرجون الثاني سنحاريب (٧٠٥ ــ ٦٨١ ق٠م) : بعد فتح صيدا وقبرص وارواد وعسقلان وغيرها بلغ غربي بلاد العرب وشماليها أي حوالى جزيرة سينا ٠

واقتفى اسر حدون اثر اسلافه في الفتوح ٦٨١ ــ ٦٦٨ ق٠م ، فحارب مصر وفينيقية واوغل في بلاد العرب ٠

وغزا اشور بانيبال (٦٦٨ ــ ٦٠٥ ق٠م) قبيلة من العرب كانت قد اعانت عدواً نازعه الملك ، فجرت معارك كبيرة بين الفرات وخليج فارس الى الشام فغلبهم الآشوريون واستولوا على البتراء وموآب ٠

وحارب بختنصر العرب وغزا بلادهم (٦٠٥ ــ ٥٦٢ ق٠م) فلقي جموع العرب فقاتلهم وهزمهم واكثر القتل فيهم وسار الى الحجاز ٠

واوقع سابور الفارسي في العرب وقتل واسر وقطع الخليج الى البحرين واليمامة والقطيف ٠

واما اليونان فقد حاولوا فتح بلاد العرب ولم يظفروا أو نوى أحدهم ولم يشرع كما اصاب الاسكندر الكبير ٠

فقد أغار اسكندر المذكور على مملكة دارا فانتصرت العرب لدارا فسار بجيوشه الى بلاد كنعان ومر منها الى وادي مصر مشاطئاً ساحل البحر الأبيض ثم رجع الى بابل وفكر بعد وصوله الى خلف نهر السند فيما صنعه العرب معه ورأى أن فتحه جزيرة العرب يحقق له السلطنة على سائر الممالك الغربية من آسيا فبعث ضباط اساطيله لاستكشاف سواحل الخليج الفارسي والبحر الأحمر فعاجله الموت فنجت العرب منه ومن رؤساء عسكره لاشتغالهم بعده بمصالحهم الخصوصية ٠

ولم يطمع الرومان في بلاد العرب الا أيام اغسطس فانفذ تلك الحملة بقيادة اليوس غالوس فعادت بالفشل ٠

الفصل الرابع

تمدن العرب

قبل الاسلام

يختلف سكان الشمال عن سكان الجنوب من وجوه : فيغلب على الاولين البداوة وعدم القرار وعلى الآخرين الحضارة والقرار متأثرين بعوامل طبيعية واجتماعية متباينة في الأصل : فبيئة الجنوب صالحة لان يتحضر اهلها ويقروا في ارضهم متنعمين بخيراتها فاسسوا مدنية يشهد بها التاريخ .

واما بيئة الشمال فهي غير صالحة لان يتحضر سكانه كما تحضر اهل الجنوب فقضت عليهم غالبا طبيعة ارضهم وقلة موردها لئلا يقروا فيها الا قليلا ولا ينشئوا مدنية وعمراناً الا نادراً .

قال الآلوسي : اما قحطان وهم عرب اليمن فقد كانوا على احسن ما يكون من التمدن والغالب منهم سكن البلاد المعمورة وبنوا القصور المشهورة وشيدوا الحصون المذكورة ، وكانت لهم مدن عظيمة قد شرح حالها أهل الأخبار على اتم وجه . هذه (سبأ) قد ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم فقال عز اسمه (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور) وكان لهم ملوك وأفيال دوخوا البلاد واستولوا على كثير من اقطار الارض ، كل ذلك يدل على كمال وقوفهم على العلوم التي لا بد منها في حفظ النظام وعليها مدار المعاش والانتعاش وسياسة المدن وتدبير المنزل والجيوش وتأسيس المدن واجراء المياه وغير ذلك مما لا يمكن وجوده مع الجهل وعدم المعرفة ، وكانت لهم اديان مختلفة وقد ارسل الله تعالى لهم من بلغهم ما اراد من الاوامر والاحكام فآمن من آمن وكذب من كذب كحال غيرهم من الامم ،

وكانت لهم اليد الطولى في كثير من الصناعات وكان للتبابعة والجبابرة منهم مذاهب في احكام النجوم وغيرها : كل ذلك من المسلمات التي لا يمكن لأحد التوقف في قبولها ولا التردد في الاذعان لها وقد نطق متواتر الاخبار الصحيحة بها .

واما بنو عدنان ومن جاورهم من عرب اليمن بعد ان فرقتهم حادثة سيل العرم فكانوا على شريعة موروثة وعلم منزل من السماء ، وهو ما جاء به ابراهيم واسمعيل عليهما السلام الى ان اختل امرهم وتغير حالهم بمرور العصور وتطاول الدهور فاهملوا ما كانوا عليه من الدين وتركوا سديد القوانين ودانوا بما وضع لهم الخزاعي وابتدعه لاغوائهم من الأحكام الباطلة واقتدوا باقواله وافعاله ، فمن ذلك اليوم فشا الجهل بينهم وقل العلم فيهم واضاعوا صنائعهم وتشتتوا في الاطراف والاكناف ، ووقع التنازع والتشاجر بين القبائل وتكاثرت البغضاء بينهم ، فلم يبق عندهم علم منزل ولا شريعة موروثة من نبي ولا هم ايضاً مشتغلون ببعض العلوم العقلية المحضة كالطب والحساب ونحوهما انما علمهم ما سمحت به قرائحهم من الشعر والخطب او ما حفظوه من انسابهم وايامهم او ما احتاجوا اليه في دنياهم من الانواء والنجوم أو من الحروب ونحو ذلك ، وكانوا يقال لهم الامة الامية ، قال تعالى (هو الذي بعث في الاميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين) [1] .

وقال غوستاف لوبون ما خلاصته : ان المؤلفين الذين عاصروا زمن التوراة ذكروا تجارة عرب المدن ولا سيما اليمن . ووصف هيرودتس في القرن الرابع ق.م جزيرة العرب السعيدة بانها من اغنى بلاد المعمور . وقال استرابون : ان مأرب كانت ناحية عجيبة . واخذت الوثائق الاثرية تبرهن على ان اليمن كانت عاصمة مدن زاهرة وانها كانت ذات حضارة قديمة تضارع حضارة مصر القديمة . وبالرغم من قلة الوثائق الاثرية التي طابقت ما جاء في كتب المؤلفين الاقدمين يمكننا ان نذكر

---

(١) بلوغ الارب للآلوسي ج ٣ .

الجزيرة العرب قبل الاسلام مدنية زاهرة نسيت اليوم والتي تنتظر تاريخها كما انتظرت نينوى وبابل وغيرهما . ومن القليل الذي علمناه عن مدنية العرب قبل الاسلام يمكننا ان ندفع زعم اولئك الذين يعدون العرب من المتوحشين لانهم ظهروا على مسرح العالم قبل الرومان بقرون وحملوا الى العالم فضائل كثيرة وكانوا باتصال مع اعظم شعوب المعمور [1] .

(١) حضارة العرب لغوستاف لوبون . G. Le Bon - La civilisation des arabes

تمدن العرب

في جنوبي الجزيرة

الدولة والامة

كانت المملكة عندهم غالباً مؤلفة من قصور أو محافد يملك كلاً منها شيخ او امير هو صاحب القصر او المحفد ، وفي المحفد هيكل أو معبود وينسب القصر الى صاحبه أو الى ذلك المعبود ، ونشأ من اصحاب تلك القصور أو المحافد رجال طمعوا بجيرانهم واخضعوهم وانشأوا الدول الكبرى كالمعينية والسبأية والحميرية ، على أن هذه الدول كانت غالباً تجارية فاذا مدت سلطتها الى خارج اليمن فللاستعمار التجاري الا نادراً .

ورأس الحكومة عندهم وهو مطلق الحكم لا يخرج من قصره في مأرب أو غيرها من قصباتهم الا نادراً ، وقلما يعتنون بتنظيم الجند لقلة الحروب والفتوح الا ما يدفعون به عن انفسهم عند الحاجة او لحماية القوافل في اسفارها وانما كانوا يجمعون الرجال لاستخدامهم في بناء المدن والقصور او في انشاء السدود أو ترميمها ، وكانت الحكومة عندهم وراثية تنتقل الى الابناء او الاخوة الا حضرموت قبيل النصرانية . فقد ذكر استرابون : ان الملك فيها لا ينتقل من الاب الى الابن أو احد أهله وانما هو ينتقل الى اول مولود من الاشراف ولد في اثناء حكمه ، وان من عاداتهم الاحتفال ببيعة الملك ان يرفعوا اليه قائمة باسماء نساء الاشراف الحوامل فيعين لكل منهن من يخدمها ويراقب وضعها ليعلموا السابقة الى الوضع وهل وضعت غلاماً أو جارية فاذا كان غلاماً امر الملك بمن يعتني بتربيته واعداده للملك كما يربى ولاة العهد اليوم [1] .

وكان للوكهم القاب مثل يثع وريام في الدولة المعينية وبيين وينوف ووتار

---

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان .

في الدولة السبأية ، وقد ضرب اليمنيون نقوداً نقشوا عليها صور الملوك واسماءهم واسماء المدن التي ضربت فيها بالحرف المسند وزينوها برموز سياسية أو اجتماعية كصورة البومة أو الصقر أو رأس الثور رمز الزراعة والفلاحة أو صورة الهلال وهو رمز ديني عندهم .

ويؤخذ من صورهم على النقود التي وصلت الينا ان ملوك اليمن كانوا يضفرون شعورهم جدائل يرسلونها على أقفيتهم أو على جانبي رؤوسهم أو خديهم ويظهر أنهم لم يكونوا يرسلون لحاهم ولا شواربهم لاننا لا نجد لها صورة على النقود ولا غيرها من الصور التي اكتشفوها في اليمن حتى الآن .

وكانوا يركبون الافراس أو المركبات تجرها الخيول او الافيال ولا سيما بعد اختلاطهم بالاحباش على عهد الدولة الحميرية . ذكر ثيوفاتس : خبر الوفد الذي ارسله جوستنيانوس قيصر القسطنطينية في اوائل القرن السادس م الى ملك حمير ، ورئيس الوفد اسمه يوليانوس قال : انه رأى الملك واقفاً على مركبة يجرها اربعة افيال وليس عليه من الالبسة الا مئزر محوك بالذهب حول حقويه واساور ثمينة في ذراعيه يحمل بيده ترساً ورمحين وحوله رجال من حاشيته وعليهم الاسلحة يتغنون باطرائه وتفخيمه فلما وصل السفير وقدم له كتاب القيصر تناوله الملك وقبله ثم قبل السفير نفسه وقبل الهدايا التي حملها ، وفحوى الكتاب ان يرسل رجاله لدفع الفرس عن حدود بلاده ويحفظ طريق التجارة مفتوحاً لتجار الاسكندرية فوعد السفير انه فاعل ذلك [1] .

واما الامة في دول اليمن فهي مؤلفة من اربعة طبقات أو طوائف : (١) الجند المسلح لحفظ النظام وحماية القلاع وحراسة القوافل (٢) الفلاحون لزراعة الارض واستغلالها (٣) الصناع (٤) التجار .

* * *

الزراعة

من يجوب بلاد العرب حتى يأتي حيث كانت مدائن معين وسبأ وحمير لا يرى

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان .

الا رمالاً محرقة وجبالاً جرداء يستغرب ما يسمعه عن ثروة تلك الامم وسعة سلطانها ، والحقيقة ان تلك البادية المحرقة كانت على عهد ذلك التمدن بساتين وغياضاً فيها الاغراس من الاشجار والرياحين والحنطة والازهار ، وكانت الزراعة في رقي حسن مع مشقة الري في بلاد لا نيل فيها ولا فرات وانما هي تسقى من السيول في الشتاء فاذا اقبل الصيف شحت المياه ويبس الزرع ، فبلغ من رغبتهم في العمارة انهم انشأوا سدوداً يحجزون بها المياه في الاودية حتى ترتفع ويسقوا بها المرتفعات يصرفون الماء اليها من نوافذ حسب الحاجة كما يفعلون بخزانات هذه الايـام .

ذكر استرابون : ان بلاد سبأ اخصب بلاد العرب وذكر من محصولاتها البخور والبلسم والقرنفل وسائر العطريات فضلاً عن النخيل وغيره [1] .

* * *

عمارة اليمن

انشأ العرب في اليمن مدناً اندثر اكثرها ولم يبق الا خبره مثل مأرب ومعين وبراقش وظفار وشبوة وناعط وبينون وصنعاء وغيرها ، واصل العمارة في مدن اليمن القصور والمحافد وهي اشبه بالقلاع أو الهياكل يقيم فيها الاذواء . وربما احتوت المدينة الكبيرة على عدة قصور وهياكل فخمة البناء كثيرة الزينة . وقد اطرى استرابون زخرف تلك القصور وقال : انها تشبه بشكلها القصور المصرية [2] .

واشهر مدائن اليمن مأرب وتسمى سبا ويؤخذ مما وقفوا عليه من انقاضها انها كانت مستديرة الشكل قطرها نحو كيلومتر يحدق بها سور له بابان احدهما شرقي والآخر غربي وبجانب الباب الغربي كتابة تفسيرها انه من بناء يثعمر بيين ابن سمهعلي ينوف مكرب سبا .

ومن مدن اليمن القديمة معين وبراقش وشبوة وظفار وصنعاء وقد اندثر اكثرها ولم يبق لها اثر ، اما معين فقد خربت وغطتها الرمال حتى خفيت عن اهل اليمن

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان .
(٢) تاريخ العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان .

انفسهم فكشفها هاليفي ، واما صنعاء فكانت أحدث عواصم اليمن قبل الاسلام نزلها الاحباش بعد فتح اليمن وفيها عدة قصور اشهرها غمدان .

قال الهمداني : ومن محافد اليمن براقش ومعين وهما باسفل جوف أرحب في اصل جبل هيلان وهما متقابلتان ، فمعين بين مدينة ريشان وبين درب سراقة موضع آل يونس بن سعيد بن مراد وهي خراب خاوية على عروشها . واما براقش فقائمة وهي في اصل جبل هيلان .

وبالجوف سوى براقش ، ومعين ، والبيضاء ، والسوداء مآثر فيها آثار عجيبة وقصور خربة بين الجوف ومأرب يعدن الناس منها الذهب القبوري ودنانيرهم ودراهمهم عليها صور [1] .

وقال الهمداني عند ذكر مأرب : وهي كثيرة العجائب ــ واما مقاسم الماء من مذاخر السد فيما بين الضياع فقائمة كأن صانعها فرغ من عملها بالامس . ورأيت بناء الصدفين باقياً وهو الذي يخرج منه الماء قاتماً تخاله على اوثق ما كان ولا يتغير ، وكان السيل يجمع من اماكن كثيرة ومواضع جمة باليمن . وكان بمأرب قصر سلحين والهجر والقشيب .

وقال الهمداني : قد نظرت بقايا مآثر اليمن وقصورها سوى غمدان فانه لم يبق منه سوى قطعة من اسفل جدار فلم ار مثل ناعط ومأرب وضهر ولناعط الفضل ، وهي مصنعة بيضاء مدورة منقطعة في رأس جبل ثلين وهو أحد جبال البون وهو جبل مرتفع مقابل لقصر تلفم وهو جبل في سرة همدان وهي ريدة [2] .

وقال : ومن قصور ناعط يعرق وقصر ذي لعوة المكعب وذلك بكعاب خارجة في معازب حجارته على هيئة الدرق الصغار وذرعت في معزب منه سبعة اذرع الا ثلثا بالذراع التامة وبها سوى هذين القصرين ما يزيد على عشرين قصراً كباراً سوى اماكن الحاشية وكان عليها سور ملاحك بالصخر المنحوت وما فيها قصر الا وتحته كريف للماء مجوف في الصفا مصهرج فما ينزل من السطح ابتلعه . وفيها

(١) الاكليل للهمداني ج ٨ .
(٢) الاكليل للهمداني ج ٨ .

الاسطوانات العظيمات طول كل واحد منها نيف وعشرون ذراعا مربعة ولا يحضن الواحدة منها الا رجلان . وفيها بقايا مسامير حديد قيل انها كانت مراقي الى رؤوسها .

ووصف ريدة أو تلفم فقال : وليس من قصور اهل اليمن قصر في اصل جبله بئر سوى تلفم وهي بئر فليس في اليمن اغزر منها مجرى ولا أعذب منها ماء ــ الى أن قال : فاما حجارتها وبناؤها فتدلان على القدم .

ومن قصور اليمن واقدمها غمدان قال الهمداني : أول قصور اليمن وأعجبها ذكراً وابعدها صيتاً قصر غمدان وهو قصر أزال وهو في صنعاء وكان غمدان عشرين سقفاً غرفاً بعضها على بعض ــ ولما بنى غمدان صاحب غمدان وبلغ غرفته العليا اطبق سقفها برخامة واحدة وكان يستلقي على فراشه في الغرفة فيمر بها الطائر فيعرف به الغراب من الحدأة من تحت الرخامة وكانت حروفه اربعة تماثيل أسود من نحاس مجوفة (١) .

ثم عدد قصور اليمن ووصفها وصف عيان ومشاهدة شاهد واكثرها خاوية على عروشها وذلك في القرن الرابع هـ ، واخذ يورد ما كانت عليه هذه القصور من ضخامة البناء ومتانته حتى كاد الباحث لا يصدق كثيراً مما اورده ويحسبه من المبالغات في مكان سحيق حتى ذهب ارنو وهاليفي وغلازر وشاهدوا آثار تلك العمارة فوجدوا الرجل صادقاً في ما ذكره .

ومن علامات العمارة في اليمن الاسداد التي كان يقيمها العرب لحجز السيول ورفع المياه لري الارضين المرتفعة كما يفعل اهل هذا العصر في بناء الخزانات ومن الاسباب التي دفعت العرب لاقامة هذه الاسداد قلة المياه في بلادهم مع رغبتهم في احياء زراعتها فلم يتركوا وادياً يمكن استثمار جانبيه بالماء الا وحجزوا سيله بسد فتكاثرت الاسداد بتكاثر الاودية .

* * *

التجارة

ان توسط بلاد اليمن بين امم العالم القديم جعلها واسطة التجارة بينها من

(١) الاكليل للهمداني ج ٨ .

اقدم ازمنة التاريخ ، فكان بينها وبين الهند علائق تجارية لا يعرف اولها • فكان للهنود محصولات ومصنوعات يحتاج اليها المصريون والاشوريون والفينيقيون ينقلون هذه المتاجر الى تلك الامم في سفن البحر او قوافل البر •

اما الاصناف التي كانوا يحملونها من الهند فهي الذهب والقصدير والحجارة الكريمة والعاج وخشب الصندل والتوابل والافاوية كالبهار والفلفل ونحوهما والقطن •

وكانوا يحملون من شواطىء افريقية الشرقية العطور والاطياب وخشب الابنوس وريش النعام والذهب والعاج ، ويحملون من الحاصلات البخور واللبان والمر واللادن وبعض الاحجار الكريمة كالعقيق واليشب ، ويحملون من سوقطرة العود والند ، ويحملون اللؤلؤ من البحرين •

فكان يحمل الهنود والافريقيون هذه الاصناف الى اليمن او يذهب اليمنيون انفسهم لاستجلابها ، ثم يحملونها الى مصر والشام والعراق ، وكانوا يفضلون حملها بالبر على القوافل فراراً من اخطار الانواء في البحر الاحمر أو خليج فارس لانهما اشد خطراً عندهم من بحر الهند •

وكانت علائقهم التجارية وثيقة مع اخوانهم الفينيقيين يحملون اليهم اصناف الهند وغيرها على القوافل الى صور وغزة وغيرهما من شواطىء البحر المتوسط لتحمل من هناك الى سائر الشواطىء ، وكان السبأيون يحملون من الجهة الاخرى مصنوعات صور ومحصولات الشام الى بلادهم وغيرها بطريق المبادلة قبل سك النقود اهمها الحنطة والزيت والخمر ومصنوعات فينيقية او ما يحمل من آسيا الشرقية كالمنسوجات الكتانية والقطنية والارجوان والزعفران والآنية من الحديد وسبائك الفضة ، والفينيقيون انفسهم كانوا ينقلون بعض هذه المتاجر من الجنوب وان كان اكثر اسفارهم الى الشمال وكان لهم على شواطىء خليج العجم مستودعات •

* * *

أديانهم

تبين من النقوش الاثرية التي عثر عليها الباحثون في جنوبي الجزيرة ان سكانها

كانوا يعبدون القمر والشمس على صور شتى وتحت اسماء مختلفة ، ولما كانت الشمس هي النير العظيم فان عبادتها بينهم تغلبت على سواها .

وكانوا يدلون على آلهتهم بنقوش شتى فان اصحاب الاسفار الحديثة وجدوا في الكتابات الحميرية ذكراً لآلهتهم فمنها للاله مالك والاله رحمان والاله رحيم واله عزيز . وربما نسبوا آلهتهم الى بعض الامكنة التي كانوا يكرمون فيها مثاله .

وقد خصصوا لديانتهم امكنة كانوا يفردونها لذلك اما بمضارب يزينونها باصناف الجلود والاقمشة او بتشييد بعض الابنية لهذه الغاية ، وكان بعضها فخماً كغمدان ، وبيوت الاصنام التي كانت لهم فهي البيوت المعروفة على اسم الكواكب السبعة .

وعمل اليهود على نشر ديانتهم في جنوبي الجزيرة حتى تهود كثير من قبائل اليمن ومن اشهر هؤلاء المتهودين ذو نواس وقد اشتهر بتحمسه لليهودية واضطهاده لنصارى نجران ، فنشر اليهود في البلاد تعاليم التوراة وما جاء فيها من تاريخ خلق الدنيا ومن بعث وحساب وميزان وجنة ونار ، ونشروا تفاسير المفسرين للتوراة .

دخلت النصرانية الى اليمن من جهة الجنوب ومن بلاد الرومان ، ونفذت اليها ايضاً من جهات الشمال وخصوصاً من العراق لان ملوك الفرس كانوا يسعون في محالفة ملوك اليمن ويتقربون الى اهلها ليستعينوا بهم على رد غارات الرومان ، وكذلك ملوك اليمن والحبشة ربما اوفدوا الوفود الى ملوك العجم ليبرموا معهم المعاهدات .

وكانت القوافل تسير ذهاباً وايابا من العراق الى اليمن ومن اليمن الى العراق ، فالنصرانية التي كانت بلغت في الشمال مبلغاً حسناً ما كانت لتهمل هذه الوسائط لنشر الدين المسيحي في الجنوب .

وارتأى دي ساي : ان نصارى الشمال من اهل العراق كانوا يترددون الى اليمن وانهم ادخلوا بين اخوانهم في الدين الكتابة السريانية [1] .

---

(١) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ـ القسم الاول ـ للويس شيخو .

واهم موطن للنصرانية في الجنوب نجران وكانت مدينة خصبة عامرة بالسكان وكان يتولى امرها رؤساء ثلاثة السيد والعاقب والاسقف ، ويظهر ان السيد كان اختصاصه كأختصاص رؤساء القبائل فهو رئيسهم في الحرب وهو الـذي يدبر امورهم الخارجية ويتولى امور العلاقات بينهم وبين القبائل الاخرى ، والعاقب يتولى الامور الداخلية الدنيوية ، والاسقف الامور الدينية .

قال ياقوت : وفد على النبي (ص) وفد نجران وفيهم السيد واسمه وهب والعاقب واسمه عبد المسيح والاسقف وهو ابو حارثة واراد الرسول (ص) مباهلتهم فامتنعوا وصالحوا النبي (ص) فكتب لهم كتاباً فلما ولي ابو بكر انفذ ذلك لهم فلما ولي عمر اجلالهم واشترى منهم اموالهم .

وكان بنجران كعبة قال ياقوت : وكعبة نجران هذه يقال ـ بيعة بناها بنو عبد المدان بن الديان الحارثي على بناء الكعبة وعظموها مضاهاة للكعبة وسموها كعبة نجران وكان فيها اساقفة معتمون وهم الذين جاؤا الى النبي (ص) ودعاهم الى المباهلة (١) .

وكان نصارى نجران على ما يستظهر أوليري على مذهب اليعاقبة وهذا يعلل اتصالهم بالحبشة لانهم كانوا يعاقبة ايضاً اكثر من اتصالهم بالرومان (٢) .

وقد نشرت المسيحية تعاليمها بين العرب واوجدت فيهم من يميل الى الرهبنة ويبني الاديرة ، وكان القسس والرهبان يردون اسواق العرب ويعظون ويبشرون ويذكرون البعث والحساب والجنة والنار .

* * *

لغتهم

ولغة عرب الجنوب في دورها الاخيرة (أي الحميرية) تختلف عن لغة سائر العرب في اصطلاحاتها واكثر الفاظها ولا سيما كتابتها فان خطهم كان يعرف بالقلم المسند وهو مخصوص بهم ، وكانت اقرب لغة عربية الى السريانية على ما يظهر

(١) معجم البلدان مادة نجران لياقوت طبعة ليبيسك .
(٢) فجر الاسلام لاحمد امين .

من آثار كتاباتهم بالمسند تتمشى مع اللغة العربية بنظام الاصوات اللطيف ونواميس تبديل الاصوات وعدة خاصيات للفعل ، ومع الحبشية بكتابتها الخاصة وليس فيها اداة التعريف ولها كلمات كثيرة لا توجد في اخواتها من اللغات ، وتختلف عن العربية والحبشية بنهاية الماضي بنون وبصيغة المصدر وخاصيات اخرى صرفية ونحوية وعدة خاصياتها تشترك فيها فقط مع العبرانية والآشورية ، وتشبه في اخرى منها اللغة الآرامية ولذلك لا يحسب بعض الباحثين اللغة الحميرية فرعاً من العربية بل يعدونها لغة قائمة بنفسها ، وذهب قوم ان الخط الحميري مشتق من الابجدية الفينيقية وانه يرتبط قليلاً بالخط الحبشي وذلك بعد ان قابل المحققون ما اكتشف من الكتابات في بلاد اليمن على الخط الحبشي والكوفي والفينيقي والعبراني .

تمدن العرب

في شمالي الجزيرة

علمنا فيما مضى ان عرب الشمال تغلب عليهم البداوة وعدم القرار خلافاً لعرب الجنوب الذين يغلب عليهم الحضارة والقرار فلا غرو اذاً ان نجد تبايناً بين الفريقين من حيث الثقافة على اختلاف أنواعها .

* * *

لغتهم

تعرضت اللغة العربية لطواريء كثيرة مثل سائر اللغات الحية وتقلبت عليها احوال شتى فتنوعت الفاظها بالنحت والابدال والقلب ودخلها كثير من الالفاظ الاعجمية في اعصر مختلفة قبل ان تدون وتضبط في ازمنة لم يدركها التاريخ .

قضت لغة عرب الشمال ثلاثة ادوار رئيسية : ففي الدور الاول كانت لغة العمالقة وغيرهم من العرب البائدة سائدة ، والدور الثاني لما اصهر اسماعيل بن ابراهيم الى قبيلة جرهم ادخل تنقيحاً ثانياً في اللغة وجرت على اثره القبائل من اولاده كربيعة ومضر وكنانة ونزار وقيس ، والدور الثالث نقحت قريش بالتدريج انتخاباً من لغات قبائل العرب التي كانت تفد عليهم في كل عام وتمكث بين ظهرانيهم نحو خمسين يوماً منها ثلاثة ايام بسوق ذي المجاز وسبعة بسوق مجنة وثلاثون بسوق عكاظ وعشرة في مناسك الحج .

ولما كانت تجارة قريش تقتضي تجشم الاسفار فقد شدوا رحالهم الى اليمن فالعراق فحوران فالحبشة فبلاد الفرس والهند وقد تذوقوا انواع العذوبة في ابلغ الالفاظ وافضل اللهجات وادق الاساليب والتراكيب والاصطلاحات من السنة تلك الامم ، وقد استعاروا من لغة الفرس اكثر مما اقتبسوا من سواها .

ذكر صاحب المزهر من الالفاظ الفارسية : الكوز والجرة والابريق والقصعة والسندس والياقوت والعنبر • ومما نقلوه عن اليونانيـة واللاتينيـة الفردوس والقسطاس والترياق ، ومن الحبشية المشكاة والهرج والمنبر والنفاق والبرهان ، ومن العبرانية الحج والكاهن [1] •

والخلاصة ان قريشاً كانت بمثابة مجمع لغوي يسمعون لغات مختلف القبائل وينتقون ما يفضلون فيحركون به السنتهم وقد ساعدهم وجودهم في جوار الكعبة وهي بيت حج الأعراب فارتفعت لغتهم على سائر اللغات واللهجات لانهم صاروا اقدر العرب على انتقاء افصح الالفاظ والينها واظهرها •

ومن ناحية اخرى فان اللغة تدل على حياة عقلية الامة التي تتكلم بها ، قال نولدكه : انا ليتملكنا الاعجاب بغنى معجم اللغة العربية القديم اذا ذكرنا مقدار بساطة الحياة العربية وشؤونها وتوحد مناظر بلادهم واطرادها اطراداً يدعو الى السآمة والملل ، وهذا يستتبع حتماً ضيق دائرة التفكير ، ولكنهم في داخل هذه الدائرة الضيقة وضعوا لكل تعبير ــ وان قل ــ كلمة تدل عليه ــ ويجب ان نقر بأن معاجم اللغة العربية قد تضخمت كثيراً بكلمات استعملها الشعراء وصفاً لاشياء فذكرها اللغويون على انها اسماء لتلك الاشياء ، فمثلاً اذا اطلق شاعر كلمة « الهيصم » على الاسد من الهصم وهو الكسر ، واطلق عليه آخر «الهرّاس» من الهرس وهو الدق ، وضع اصحاب المعاجم الكلمتين على انهما اسمان مرادفان للاسد وقد ادخل باب الهجاء ــ على الاخص ــ في اللغة وفي الادب العربي ــ وهو باب ذهب اكثر ما قيل فيه ــ تعبيرات كثيرة صاغها قائلوها في صورة مبتكرة واحياناً غريبة ــ وقد انتقص اللغويون ــ على ما يظهر ــ كلمات وردت في بعض الاشعار على قلة ، ولم تكن مستعملة الا في قبائل معينة ــ ولكن رغماً عن هذا كله يجب ان نعترف بان معجم اللغة العربية غني غنى رائعاً وسيبقى دائماً مرجعاً هاماً لتوضيح ما غمض من التعبيرات في جميع اللغات السامية الاخرى • وليست اللغة العربية

---

(١) الشهاب الراصد لمحمد لطفي جمعة .

غنية بكلماتها فحسب ، بل بقواعد نحوها وصرفها ايضاً فجموع التكسير واحياناً اسماء الافعال كثيرة كثرة زائدة عن الحاجة (١) .

ثم عقب احمد امين على قول نولدكه فقال : ونحن نوافقه في غنى اللغة العربية غنى مفرطاً في الحدود التي ذكرناها من قبل وهي الحدود التي رسمتها لهم بيئتهم ، فهم اغنياء في الجمل وما اليه ، والصحراء وما فيها ، والفاظ العواطف المحدودة التي تجيش في صدورهم ــ ولكن ليست غنية فيما خرج عن هذه الحدود كالبحر وعالمه ولا بأنواع الترف التي ينعم بها المنغمسون في الحضارة يعرفون القبيلة وما تفرع منها ويضعون لكل اسماً لان نظام القبيلة نظامهم ولكن لا يعرفون نظام الحكومات ولا انواع الدواوين فلم يضعوا لها بالضرورة اسماً ، فلما عرفوا معنى الديوان اخذوا أسمه عمن يعرفه وهكذا ، ولم يكن يتطلب منهم في الجاهلية ان يضعوا كلمات لما لم يمس حياتهم ــ فذلك محال ــ وحسب الامة فضلاً ان تسمي ما تشعر به الاسم والاسماء ، ولكن حسبها مذلة ان تتحضر وتتسع حياتها من جميع نواحيها ثم لا تريد الا ان تبقى ــ من حيث اللغة ــ في حدود الدائرة الضيقة التي رسمها لهم آباؤهم الاولون .

كذلك مما لا شك فيه ان اللغة العربية غنية باشتقاقها وتصريف كلماتها فوضع صيغة فعلية لكل زمن والمشتقات العديدة للدلالة على أنواع مختلفة من المعاني والاشخاص ، كل هذا يشعرنا شعوراً تاماً بغنى اللغة وصلاحيتها للبقاء (٢) .

* * *

أمثالهم

كانت العرب تكثر من ضرب الامثال التي كثيراً ما كانت تنبع من افراد الشعب نفسه وتعبر عن عقلية العامة خلافاً للشعر الذي يعبر غالباً عن شؤون القبيلة التي ارتسمت في اذهانهم الراقية نوعاً من الرقي .

وامثال كل أمة تختلف عن الاخرى فالامة الزراعية لها امثال مشتقة غالباً من زراعتها ، والتجارية لها أمثال مشتقة من تجارتها ، وهكذا وانك لتستطيع ان

(١) فجر الاسلام لاحمد أمين .
(٢) فجر الاسلام لاحمد امين .

تطبق ذلك على العرب بعرضك امثالهم فتجدهم قد اكثروا من الامثال المتعلقة بالابل واللبن والجزور كقولهم أغدة كغدة البعير الخ • وان عرضت لامثال قريش رأيت فيها ما يدل على انهم قبيلة تجارية كقولهم : لا في العير ولا في النفير ونحو ذلك ، وبعبارة اتم بما يتعلق بالبيئة التي يعيشون فيها •

* * *

شعرهم

انصرف عرب الشمال غالباً الى نظم الشعر وتقديس الشعراء فكان الشعر وسيلة لانتشار فخارهم واعمالهم العظيمة ووقائعهم الجسيمة ، فكان الشاعر ينشد شرف قبيلته وطوراً يصف لذائذ الانتقام وتارة لطائف اكرام الضيف وطوراً الشجاعة واخرى يمدح شرف النفس والعرض وقد يقتصر على وصف العجائب المشاهدة والعزلة عن الناس في الصحارى وخفة عدو الظباء •

ويتخيل الشاعر انه راحل على جمل ومعه صاحب أو أكثر وقد يعرض له في طريقه اثر احبة رحلوا فيستوقف صحبه ويبكي معهم على رسم دارهم ويذكر اياماً هنيئة قضاها معهم وان العيش بعدهم لا يحتمل ، ثم يصف محبوبته اجمالاً او تفصيلاً ويخرج من هذا الى وصف الصيد ومنظره ومنازلته ــ وبعد هذا كله يتعرض للموضوع الذي من اجله انشأ القصيدة فيمتدح بشجاعته أو يتغنى بفعال قبيلته أو يعدد محاسن ممدوحه ويصف كرمه ، أو يفتخر بموقعة انتصر فيها قومه ، أو يهجو قبيلة عدت على قبيلته ، أو يحمل قومه على الاخذ بالثأر أو يرثي راحلاً الخ من الموضوعات التي تكون غالباً محدودة ضيقة ، أو بعبارة اخرى صورة صادقة لعيشة البداوة ، والحق انهم في البيان واللعب بالالفاظ كانوا أقدر منهم على الابتكار وغزارة المعنى فترى الواحد قد توارد عليه الشعراء فصاغوه في قوالب متعددة تستدعي الاعجاب ، ولكن لا يستدعي اعجابنا خلقهم للمعاني وابتكارهم للموضوعات •

فتراهم قد ضيقوا على انفسهم أو ضيقت عليهم بيئتهم فلم يجدوا الا أن يقولوا معاداً أو معاراً ، اللهم الا ابياتاً قليلة مبعثرة تشعر فيها بمعنى جديد ، وترى

فيها اثر الابتكار واضحاً ، والا شعراء نادرين كانت لهم مناح خاصة ، وشخصية واضحة وتسمع لقولهم نغمة جديدة ، كالذي تراه في زهير ، فقد عنى باخلاق قومه وعبر عنها تعبيراً صادقاً .

ولاعتماد اخبار الشعراء وسداد رأيهم كانوا المدونين لتاريخ بلادهم قبل البعثة والرافعين أو الخافضين شأن القبائل المختلفة كما يستصوبون ولذا كانوا مهابين محترمين عند الجميع وكان المقبول من قصائدهم يكتب بالذهب على نفيس القماش ثم يعلق على الكعبة ليحفظ حتى تطلع عليه الذرية فوصل الينا المعلقات السبع لامريء القيس المتوفى سنة ٥٤٠ م والحرث بن حلزة المولود في هذه السنة وطرفة المتوفى سنة ٥٦٤ م وعنترة بن شداد المتوفى سنة ٦١٥ وعمرو المتوفى سنة ٦٢٢ م ولبيد المتوفى سنة ٦٦٢ م .

وكانت العرب تجتمع كل ليلة تحت خيامهم ليسمعوا هذه المعلقات الجامعة بين محاسن الترنم وحلاوة التوقيع بلا تكلف مع اشتمالها على السجايا العربية المثيرة للحماسة .

وكانت القبائل تحتمي بشعرائها فكانت القبيلة منهم اذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها بذلك وصنعت الاطعمة واجتمعت النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن بالاعراس وتباشروا به لانه حماية لاعراضهم وذب عن اجسامهم وتخليد لمآثرهم واشادة بذكرهم .

وكان الشاعر في مبدإ الامر ارفع منزلة من الخطيب لحاجتهم الى الشعر في تخليد المآثر وشدة المعارضة وحماية العشيرة وتهيبهم عند شاعر غيرهم من القبائل فلا يقدر عليهم خوفاً من شاعرهم على نفسه وقبيلته فلما تكسبوا به وجعلوه طعمة وتولوا به الاعراض وتناولوها صارت الخطابة فوقه .

* * *

خطبهم

كانت العرب في ايام جاهليتهم من الانفة والتفاخر بالاحساب والانساب والمحافظة على شرفهم وعلو مجدهم وسؤددهم حتى حدث ما حدث بينهم من

الوقائع والايام والخطوب والمهام ولا شك ان كل قوم يتفق لهم مثل ذلك هم احوج الناس الى ما يستنهض هممهم ويشجع جبانهم ويثير اشجانهم ويستوقد نيرانهم صيانة لعزهم ان يستهان ولشوكتهم ان تستلان وتشفياً بأخذ الثأر وتحرزاً من عار الغلبة وذل الدمار ، كثر فيهم الخطب والخطباء حتى كان لكل قبيلة من قبائلهم خطيب كما كان لكل قبيلة شاعر .

فكان الخطباء يتخيرون للخطب اجزل المعاني وينتخبون لها أحسن الالفاظ تحصيلاً لغرضهم ونيلاً لمقصدهم . وكان الخطيب اذا خطب في تفاخر وتنافر وتشاجر رفع يده ووضعها وادى كثيراً من مقاصده بحركات يده . ومن عوائد الخطباء اخذ المخصرة بأيديهم وهي ما يتوكأ عليه كالعصا ونحوها فلا يخطبون الا بالمخاصر وكانوا يعتمدون على الارض بالقسي ويشيرون بالعصا والقنا . ومنهم من كان يأخذ المخصرة في خطب السلم والقسي في الخطب عند الخطوب والحروب . وكانت العرب تستحسن في الخطيب ان يكون جهير الصوت ولذلك مدحوا سعة الفم وذموا صغره .

* * *

اديانهم

لعرب الشمال معتقدات مختلفة فكان منهم على دين ابراهيم وعبدة الاصنام وعبدة الكواكب والدهريون والزنادقة وعبدة الملائكة والجن والنار واهل الكتاب اليهود والنصارى .

اما الذين اتبعوا دين ابراهيم فكانوا يعظمون البيت ويحجون اليه ثم افترقوا فمنهم من بقي على اصل التوحيد ومنهم من اتبع من بقيت شريعته ولم تنسخ ملته كعيسى بن مريم وهذا الصنف نزر يسير لم يكونوا الا عدداً معلوماً في كل عصر الى زمن البعثة المحمدية .

واما عبدة الاصنام فهم الذين اقروا بالخالق وابتداء الخلق ونوع من الاعادة وانكروا الرسل وعبدوا الاصنام وحجوا اليها ونحروا لها الهدايا وقربوا القرابين وتقربوا اليها بالمناسك والمشاعر واحلوا وحرموا . وكانوا يعتقدون بعبادتهم

الاصنام عبادة الله تعالى والتقرب اليه لكن بطرق مختلفة . فرقة قالت : لسنا اهلاً لعبادة الله تعالى بلا واسطة لعظمته فعبدناها لتقربنا اليه « ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » . وفرقة قالت : جعلنا الاصنام قبلة لنا في عبادة الله كما ان الكعبة قبلة في عبادته ، وفرقة اعتقدت : ان على كل صنم شيطاناً موكلاً بأمر الله فمن عبد الصنم حق عبادته قضى الشيطان حوائجه بأمر الله ، والا اصابه بنكبة بأمر الله .

ومن اشهرها اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى قال ياقوت : اللات صنم كان لثقيف ، والعزى كانت لغطفان وكانوا بنوا عليها بيتاً واقاموا لها سدنة (١) .

فكانت قريش وسائر العرب تعظم اللات وسمت زيد اللات وتيم اللات ثم اتخذوا العزى وسمي بها عبد العزى بن كعب وكانت قريش تطوف بالكعبة وتقول : واللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى فانهن الاصنام العلى وان شفاعتهن لترتجى وكانوا يقولون « بنات الله » وهن يشفعن اليه .

وزعم آخرون ان الشمس ملك من الملائكة لها نفس وعقل وهي أصل نور القمر والكواكب وتكون الموجودات السفلية كلها عندهم منها وهي ملك الفلك فتستحق التعظيم والسجود والدعاء فاتخذوا لها صنماً بيده جوهر على لون النار وله بيت خاص قد بنوه باسمه وجعلوا له الوقوف الكثيرة من القرى والضياع وله سدنة وقوام وحجبة يأتون البيت ويصلون فيه ثلاث كرات في اليوم ويأتيه اصحاب العاهات فيصومون لذلك الصنم ويصلون ويدعونه ويستشفون به ، واذا طلعت الشمس سجدوا كلهم لها واذا غربت واذا توسطت الفلك .

وذهب قوم ان القمر يستحق التعظيم والعبادة واليه تدبير هذا العالم السفلي فاتخذوا له صنماً على شكل عجل وبيد الصنم جوهرة يعبدونه ويسجدون له ويصومون له اياماً معلومة من كل شهر ثم يأتون اليه بالطعام والشراب والفرح والسرور ، فاذا فرغوا من الاكل اخذوا في الرقص والغناء واصوات المعازف بين يديه .

---

(١) معجم البلدان لياقوت مادة عزا طبعة ليبسيك .

وقوم عطلوا المصنوعات عن صانعها وقالوا « ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر » وهؤلاء فرقتان : فرقة قالت : ان الخالق خلق الافلاك متحركة اعظم حركة دارت عليه فاحرقته ولم يقدر على ضبطها وامساك حركتها ، وفرقة قالت ان الاشياء ليس لها اول البتة وانما تخرج من القوة الى الفعل فاذا خرج ما كان بالقوة الى الفعل تكونت الاشياء مركباتها وبسائطها من ذاتها لا من شيء آخر ، وقالوا : ان العالم لم يزل ولا يزال ولا يتغير ولا يضمحل مع فعله وهذا العالم هو الممسك لهذه الاجزاء التي فيه .

والصابئة يعتقدون في الانواء اعتقاد المنجمين في السيارات فلا يتحركون ولا يسكنون ولا يسافرون ولا يقيمون الا بنوء من الانواء ويقولون مطرنا بنوء كذا . واختلف في دين الصابئة اختلافاً كثيراً فقسمهم بعضهم الى قسمين صابئة حنفاء وصابئة مشركين ، والمشركون منهم يعظمون الكواكب السبعة والبروج الاثني عشر ويصورونها في هياكلهم ، ولتلك الكواكب عندهم هياكل مخصوصة وهي المتعبدات الكبار كالكنائس للنصارى والبيع لليهود ، فلهم هيكل كبير للشمس وهيكل لزحل وهيكل للمشتري وهيكل للمريخ وهيكل لعطارد ، ولهذه الكواكب عندهم عبادات ودعوات مخصوصة يصورونها في تلك الهياكل ويتخذون لها اصناماً تخصها ويقربون لها القرابين ولها صلوات خمس في اليوم والليلة ، وطوائف منهم يعظمون مكة ويحجون البيت ويحرمون الميتة والدم ولحم الخنزير ويحرمون من القرابات في النكاح ما يحرم المسلمون .

وافراد عبدوا الملائكة ، وطائفة من قريش تزندقت ، وشرذمة عبدت الجن ، واشتات من العرب عبدوا النار .

ودخلت اليهودية الى الحجاز لما طرد السريان واليونان اليهود من بلادهم فقابلهم بنو اسماعيل بالترحيب وتهود منهم كثير لما رأوه في كتب اليهود القديمة من التعظيم للاله الذي اهتدى الخليل الى عبادته واشتهر هذا الدين بالحجاز ولا سيما في خيبر والمدينة بين قبائل قريظة والنضير ذوات الشوكة المتأصلة من زمن مديد .

أضف الى هذا ان اليهودية حلت ببلاد العرب بعد ان تأثرت بالثقافة اليونانية تأثراً كبيراً لانها ظلت قروناً تحت الحكم اليوناني، ولانها كانت منتشرة في الاسكندرية وعلى شواطىء البحر الاحمر حيث الثقافة اليونانية وكان احبار اليهود من تعلم الفلسفة اليونانية وتأدب بآدابها فتسربت تلك الثقافة الى اليهودية .

ودخلت النصرانية غالباً الى شمال الجزيرة عن طريق الروم وعمالهم الغساسنة ممن كانوا يكثرون التردد الى هذه البلاد للتجارة وغيرها ، وانقسمت النصرانية في ذلك العهد الى جملة كنائس وان شئت فقل الى جملة فرق تسرب منها الى بلاد العرب فرقتان كبيرتان النساطرة واليعاقبة فكانت النسطورية منتشرة في الحيرة واليعقوبية في غسان وسائر قبائل الشام .

كانت النصرانية من قبل دخولها جزيرة العرب تحمل في ثناياها شيئاً من الثقافة اليونانية كما هو الشأن في اليهودية فانها احدى الديانات التي ولدت في الشرق وانتشرت في الامبراطورية الرومانية ـ معهد الثقافة اليونانية ـ وكانت الاسكندرية هي المركز الجغرافي لمزج الدين بالفلسفة ، وفي العصور المسيحية الاولى كان كثير من آباء الكنيسة فلاسفة قبل ان يكونوا رجال دين لانهم رأوا من الضروري ان يؤيدوا انفسهم وعقائدهم امام الوثنيين فلجأوا الى الفلسفة يستمدون منها التعليل والبرهان فتسربت الى النصرانية فلسفة ارسطو وافلاطون وغيرهما وقد امتاز الشرق بأن انشئت فيه مدارس لاهوتية متأثرة بالفلسفة اليونانية تقليداً للاكاديميات اليونانية ، واشهر ذلك مدرسة الاسكندرية التي كانت في بدء القرن الثالث م ، وانشأ ملكيون سنة ٢٧٠ م مدرسة في انطاكية وانشئت في نصيبين مدرسة اخرى سنة ٢٩٧م وهذه كانت تعلم اللغة السريانية واليونانية معاً ، وكانت النساطرة على الاخص اكثر الماماً بعلوم اليونان ، وقد ترجموا كثيراً من الكتب اللاهوتية والفلسفية عن اليونانية كما اشتهروا بالطب والعلوم الطبيعية ، وكان من رجال الدين النساطرة اطباء بلاد فارس ومنهم كثيرون انتشروا في الحيرة ولعل هذا هو السبب في انه بعد ضعف شأن الحيرة وانتشار الاسلام في هذه البقاع كان اول حامل للواء العلم في الاسلام « البصرة والكوفة » لجوارهما الحيرة وكان اول كتب استخدمت لبث الثقافة اليونانية هي المكتوبة باللغة السريانية والتي خلفتها هذه

المدارس النسطورية وعلى العموم فقد كان هؤلاء النساطرة هم الصلة بين اليونان والعرب .

قال دوزي في كتابه تاريخ عرب اسبانيا : كان يوجد على عهد محمد (ص) في بلاد العرب ثلاث ديانات : الموسوية والعيسوية والوثنية .

فكان اليهود من بين اتباع هذه الاديان اشد الناس تمسكاً بدينهم واكثرهم حقداً على مخالفي ملتهم ، نعم كان يندر ان تصادف اضطهادات دينية في تاريخ العرب الاقدمين ولكن ما وجد فمنسوب الى اليهود وحدهم .

اما النصرانية فلم يكن لها اتباع كثيرون ، وكان المتمذهبون بها لا يعرفونها الا معرفة سطحية ــ وكانت هذه الديانة تحتوي على كثير من الخوارق والاسرار بحيث يعز ان تسود على شعب حسي كثير الاستهزاء .

اما الوثنيون الذين كانوا هم السواد الاعظم من الامة فكان لكل قبيلة منهم آلهة خاصة وكانوا يصدقون بوجود الله ويعتبرون تلك الآلهة شفعاءهم لديه ، فقد كانوا يحترمون كهانهم واصنامهم بعض الاحترام ، ولكنهم مع ذلك كانوا يقتلون الكهان متى لم يتحقق اخبارهم بالمغيبات او لو عولوا على فضحهم عند الاصنام ان قربوا لها ظبية بعد ان نذروا لها نعجة ، وكان من العرب من كان يعبد الكواكب وخصوصاً الشمس فكنانة كانت تدين للقمر وللدبران ، وبنو لخم وجرهم كانوا يسجدون للمشتري ، وكان الاطفال من بني عقد يدينون لعطارد ، وبنو طي يدعون سهيلاً ، وكان بنو قيس عيلان يتوجهون للشعرى اليمانية ، وكان علمهم بما وراء الطبيعة على نسبة افكارهم الدينية [1] .

قال كوسان دوبرسفال : كان من العرب من يعتقد بفناء الانسان اذا خلعته المنون من هذا العالم ، وكان منهم من يعتقد بالنشوء في حياة بعد هذه الحياة ، فكان هؤلاء اذا مات احد اقربائهم يذبحون على قبره ناقة او يربطونها ثم يدعونها تموت جوعاً معتقدين ان الروح لما تنفصل عن الجسد تظهر بهيأة طير يسمونه الهامة او الصدى وهي نوع من البوم لا تزال تطير بجانب قبر الميت نائحة

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي .

ساجعة تأتيه باخبار اولاده فاذا كان الفقيد قد مات قتيلاً تصيح صداه قائلة اسقوني ولا تزال تردد هذه اللفظة حتى ينتقم له اهله من قاتله لسفك دمه [1] .

ويقول هنري دي كستري (H. de Castries) : كان العرب قبل النبي (ص) امة وثنية على العموم ، وظل مذهب التوحيد يتردد في الخواطر ، فكان القائمون بهذا الاعتقاد يدعون بالاحناف وهم قوم تمسكوا بشريعة ابراهيم الخليل [2] .

* * *

علمهم بالانساب

كان للعرب مزيد اعتناء بضبط الانساب ومعرفتها لأنها احد اسباب الالفة والتناصر وهم كانوا احوج شيء الى ذلك اذ كانوا قبائل متفرقين واحزاباً مختلفين لم تزل نيران الحروب متسعرة بينهم والغارات ثائرة فيهم فحفظوا انسابهم ليكونوا متضافرين على خصومهم ومتناصرين على من شاققهم وعاداهم .

وطبقات انسابهم ست مراتب وهي شعب ثم قبيلة ثم عمارة ثم بطن ثم فخذ ثم فصيلة ، فالشعب مثل عدنان وسمي شعباً لان القبائل منه تشعبت ، ثم القبيلة وهي ما انقسم فيه انساب الشعب مثل ربيعة ومضر سميت قبيلة لتقابل الانساب فيها . ثم العمارة وهي ما انقسم فيه انساب القبائل مثل قريش وكنانة . ثم البطن وهو ما انقسم فيه انساب العمارة مثل بني عبد مناف . ثم الفخذ وهو ما انقسم فيه انساب البطن مثل بني هاشم . ثم الفصيلة وهي ما انقسم فيه انساب الفخذ مثل بني ابي طالب .

وكانت للعرب مذاهب في تسمية اولادهم فمنهم من سمى تفاؤلاً بالظفر على اعدائهم نحو غالب وغلاب ومالك وظالم وغارم ومنازل ومقاتل ومعارك وطارق . ومنهم من تفاءل بنيل الحظوظ والسعادة كسعد وسعيد واسعد ومسعود وسعدي وغانم ونحو ذلك . ومنهم من قصد التسمية بما غلظ وخشن من الاجسام تفاؤلاً

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي .

(٢) الاسلام ــ خواطر وسوانح لهنري دي كستري H. de Castries - L'Islam - Impressions & études.

بالقوة كحجر وصخر وفهر وجندل • ومنهم من كان يخرج من منزله وامرأته تمخض فيسمي ما تلده باسم اول من يلقاه كائناً ما كان من سبع أو ثعلب أو ضبع أو ظبي أو كلب أو نحو ذلك •

* * *

علمهم بالاخبار

من تتبع شعر العرب واستقرأه تبين له ما كان لهم من اليد الطولى في معرفة القصص وهي انواع منها ايام العرب : وهي تدور حول الوقائع الحربية التي وقعت في الجاهلية بين القبائل كيوم داحس والغبراء ويوم الفجار ويوم الكلاب او بين بعض العرب وامم اخرى كيوم ذي قار وكان بين بني شيبان والفرس وانتصر فيه العرب •

ومنها احاديث الهوى وهذا كثير في كتب الادب • ومنها قصص كثيرة عرفتها العرب عن الفرس وكانوا يروونها ويتسامرون بها •

* * *

علمهم بالكهانة والعرافة

هما لفظان لمعنى واحد تقريباً ، وفرق بينهما الاصفهاني فقال : الكهانة مختصة بالامور المستقبلة ، والعرافة بالامور الماضية [1] ، وعلى كل حال فالمراد بهما التنبؤ واستطلاع الغيب •

وعلى ذلك مدار فصل خصوماتهم ومنازعاتهم فكانوا يعتقدون في الكاهن القدرة على كل شيء فيستشيرونه في حوائجهم ويستطبونه في امراضهم ويستفتونه في ما اشكل عليهم ويستنبئونه عن مستقبلهم ، وبعبارة اخرى كانوا يعتقدون في الكهنة علم كل شيء وان ذلك يأتيهم بواسطة الارواح فمن كان منهم يعتقد التوحيد نسب ذلك الى استطلاع الغيب عن افواه الملائكة ، واذا كان من عبدة الاصنام اعتقد احتلال الارواح في الاصنام واباحتها أسرار الطبيعة للكهان والسدنة فيقول ان الاصنام تدخلها الجن (اي الارواح) وتخاطب الكهان وان الكاهن يأتيه الجن بخبر السماء •

---

(١) بلوغ الارب للآلوسي ج٣ •

فكل ما كان يصنعه الكاهن انما مصدره الغيب فاذا استطبه مريض من ريح أو صداع عالجه بالرقى ، واذا استشاره في معضلة خط له في الرمل او نفث في العقد ، واذا حكمه متخاصمان رمى لهما بالقداح ، واذا استطلعه سرقة اخذ قمقمة جعلها بين يديه ونفث فيها ونحو ذلك من الحركات الوهمية ، واذا استفسره برؤيا تمتم وتظاهر باستطلاع الغيب .

* * *

علمهم بالنجوم وكائنات الجو

كانت العرب تعرف حركات الكواكب وطلوعها وغروبها بقدر ما تمس اليها حوائجهم فقسموا الفلك الى اثني عشر قسماً وسموا كل قسم برجاً وهي :

الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة وهذه البروج الستة شمالية ، والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت وهذه الست جنوبية ، وجعلوا كل ثلاثة منها لفصل من فصول السنة الاربعة .

وللحمل ثلاثة عشر كوكباً ، وللثور اثنان وثلاثون كوكباً ، وللجوزاء ثمانية عشر كوكباً ، وللسرطان تسعة كواكب ، وللاسد سبعة وعشرون كوكباً ، وللسنبلة ستة وعشرون كوكباً ، وللميزان ثمانية كواكب وللعقرب احد وعشرون كوكباً ، وللقوس احد وثلاثون كوكباً ، وللجدي ثمانية وعشرون كوكباً ، وللدلو اثنان واربعون كوكباً ، وللحوت اربعة وثلاثون كوكباً .

واما مخايل العرب في الانواء ومهاب الرياح فلما كانوا في ضنك من العيش وكلف من الحاجة الحوا في تتبع مواقع القطر وأوغلوا في بطون الاودية وجابوا منابت الشجر فامتدت اعناقهم نحو السماء لمطالعة علائم الظفر بمقصودهم فكانت لهم مخايل في الانواء فعرفوا السحاب الممطر من غيره ووقفوا على الرياح وخواصها وادركوا ما يعقبها من الحوادث .

* * *

علمهم بالطب

كان التطبيب بالرقى شائعاً في العرب ، واما معالجتهم فكانوا يعالجون المريض

بالعقاقير البسيطة أو الاشربة وخصوصاً العسل فانه كان قاعدة العلاج في امراض البطن ــ على ان اعتمادهم في معالجة الامراض كان معظمه في باب الجراحة كالحجامة والكي وكثيراً ما كانوا يعالجون بالقطع او البتر والغالب ان يكون ذلك بالنار فان النار عندهم كانت تقوم مقام مضادات الفساد عندنا ، فاذا ارادوا فصل عضو احموا شفرة بالنار وقطعوه بها ، وكانوا يعالجون حول البصر بادامة النظر الى حجر الرحى في دورانه زاعمين ان العين تستقيم به ، ومن معالجتهم ان المجروح اذا شرب الماء مات واذا خافت المرأة حتى برد قلبها سقوها ماءً حاراً .

* * *

علمهم بالخيل والرمي بالسهام

اجادت العرب معرفة شؤون الخيل اكثر من غيرها لان البيئة قضت عليهم ان يتقنوها اتقاناً ربما تفردوا به فعرفوا فيها عيوباً ومحاسن جمة وحسبوا لكل عضو من اعضائها ما يعيبه أو يحسنه فسموا لها مائة عيب : في جريها اربعة وعشرون ، وفي خلقتها ستة وخمسون ، وعشرون حادثة .

واما الرمي بالسهام فقد اعتنت العرب اعتناءً عظيماً بتعلمه بالتلقي والعمل لان القسي والرمي بالسهام كانت من انكى اسلحتهم التي يستعملونها في حروبهم وغاراتهم فنوعوا في وصفها وتجزئتها وتسميتها .

فوصفوا للاصابات سبعة اوصاف : الخاضل (الذي يقرع الشن [1] ، ولا يخدشه ، والخازق الذي يخدشه ولا يثقبه ، والخاسق الذي يثقبه ويثبت فيه ، والحابي ان يدني الرامي يده من الارض فيرميه فيمر على وجه الارض فيصيب الغرض ، والمارق الذي يمرق الشن اي يثقبه وينفذ فيه ، والخارم الذي يخرم طرف الشن أي يقطعه ، والمزدلف الذي يسقط بقرب الغرض ثم يشتن فيصيب الغرض .

وجعلوا للنضال ثلاثة انواع : مبادرة ، ومحاطة ، ومناضلة : فالمبادرة ان يشترط المناضلان اصابة عشرة من عشرين فيبتدر أحدهما الى العشرة فينضل صاحبه ، والمحاطة ان يقولا نرمي عشرين رشقاً على ان من فضل صاحبه بخمس

---

(١) القربة الخلق الصغيرة .

اصابات فقد نضله فاذا اشترطا ذلك ورمى كل واحد منهما عشرين رشقاً واصابا اصابات نظر ان استويا في الاصابة لم يحصل النضل وان تفاوتا في الاصابة حط الاقل عن الاكثر فان بقي لصاحب الاكثر الخمس المشروطة فقد نضل صاحبه وان بقي له اقل من الخمس المشروطة لم يحصل النضل ، والمناضلة ان يشترطا عشرة من عشرين على ان يستوفيا جميعاً فيرميان معاً جميع ذلك فان اصاب كل واحد منهما عشرة أو فوقها أو دونها لم يحصل النضل وان اصاب واحد منهما دون العشرة والآخر عشرة فما فوقها فقد نضل صاحبه .

ولما كانت القوس لدى العرب بما ذكرناه من المنزلة وضعوا لها ولاجزائها اسماء كثيرة ذلك شأن كل ما كان لهم به هوى ولحظوه بعين العناية ، فقالوا القوس وكبدها ما بين طرفي العلاقة والكلية تلي ذلك ثم الابهر يلي الكلية الخ .

* * *

عاداتهم

ومن عادات العرب في الجاهلية الوشم والنياحة على الهالك منهم والندب ونحو ذلك .

وانهم اذا اسروا اسيراً وكان شاعراً ربطوا لسانه بنسعة .

وحمل الامراء على الاعناق اذا مرضوا ، وتحريم الخمر على انفسهم الى أن يأخذوا بثأرهم .

والوأد فمنهم من كان يئد البنات لمزيد الغيرة ومخافة لحوق العار بهم من اجلهن ، ومنهم من كان يئد من البنات من كانت زرقاء او شيماء او برشاء او كسحاء تشاؤماً منهم بهذه الصفات ، ومنهم من كان يقتل اولاده خشية الانفاق والاملاق ، ومنهم من كان ينذر اذا بلغ بنوه عشرة نحر واحداً منهم .

والميسر وهو ان يجتمع الفتيان منهم ذوو اليسار ويشترون جزوراً ويدعون الجزار فينحرها ويجعلها عشرة اجزاء فاذا قسمت الجزور على ما تقدم حضر الايسار وجيء بالقداح .

والاستقسام بالازلام وذلك انهم اذا أرادوا سفراً او تجارة او نكاحاً او اختلفوا

في نسب أو أمر قتيل أو تحمل دية المقتول أو غير ذلك من الامور العظيمة جاء الى هُبَل وهو اعظم صنم لقريش بمكة وكان في الكعبة ومعهم مائة درهم فاعطوها صاحب القداح حتى يجيلها لهم وكانت ازلامهم سبعة قداح محفوظة عند سادن الكعبة وخادمها وهي مستوية في المقدار عليها اعلام وكتابة .

والمعاقرة وهو ان يتبارى الرجلان كل واحد منهما يجادل صاحبه فيعقر هذا عدداً من ابله ويعقر صاحبه ، فايهما كان اكثر عقراً غلب صاحبه ونفره ، واذا قال قائل منهم : هذا ابني قد خلعته كان لا يؤخذ بجريرته وذنبه ، وجز النواصي فكانوا اذا انعموا على الرجل الشريف بعد اسره جزوا ناصيته واطلقوه فتكون الناصية عند الرجل فيفتخر بها .

وانهم كانوا يرون ان اكل لحوم السباع يزيد في الشجاعة والقوة .

وانهم كانوا يوقدون النار للمسافر الذي لا يحبون رجوعه خلفه ، وكانوا اذا خرجوا الى الاسفار اوقدوا نارا بينهم وبين المنزل الذي يريدونه ولم يوقدوها بينهم وبين المنزل الذي خرجوا منه تفاؤلاً بالرجوع اليه ، ولهم نيران كثيرة غير هذه .

والاستعاذة بالجن فكان الرجل منهم اذا ركب مفازة وخاف على نفسه من طوارق الليل عمد الى واد ذي شجر فاناخ راحلته في قرارته وهي القاع المستديرة وعقلها وخط عليها خطاً ثم قال : اعوذ بصاحب هذا الوادي .

وان المرأة منهم كانت اذا عسر عليها خاطب النكاح نشرت جانباً من شعرها وكحلت احدى عينيها مخالفة للشعر المنشور وحجلت على احدى رجليها ويكون ذلك ليلاً وتقول ابغي النكاح قبل الصباح .

والتشاؤم بالغراب ونحوه من الطيور وسائر الحيوان فكانوا يضربون الغراب مثلاً في الشؤم فقالوا فلان اشأم من غراب البين . والعدول عن الالفاظ المتطير بها الى غيرها فكانوا يتطيرون من ذكر البرص فتكنى عنه بالوضح ، وانهم اذا اوردوا البقر فلم ترد ضربوا الثور ليقتحم الماء فتقتحم البقر بعده ويقولون ان الجن تصد البقر عن الماء وان الشيطان يركب قرني الثور .

وان الرجل منهم كان اذا سافر عمد الى خيط فعقده في غصن شجرة أو في ساقها فاذا عاد نظر الى ذلك الخيط فان وجده بحاله علم ان زوجته لم تخنه وان لم يجده او وجده محلولا قال : قد خانتني الخ من العادات والاطوار التي كان يأتيها اولئك العرب •

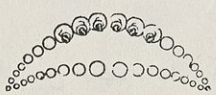

مصادر الباب الاول

العبر وديوان المبتدا والخبر ـ الجزء الثاني ـ لابن خلدون •

تاريخ الامم والملوك ـ الجزء الثاني ـ للطبري •

احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ـ للبشاري ـ طبعة ليدن •

مروج الذهب ـ الجزء الاول ـ للمسعودي •

سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ـ للسويدي •

مقدمة ديوان العبر وديوان المبتدا والخبر ـ لابن خلدون •

المختصر في اخبار البشر ـ الجزء الاول ـ لأبي الفداء •

معجم البلدان ـ مادة عرب وعزا ونجران ـ لياقوت ـ طبعة ليبسيك •

صفة جزيرة العرب ـ للهمداني ـ طبعة ليدن •

الاكليل ـ الجزء الثامن ـ للهمداني •

العمدة ـ لابن رشيق •

تاريخ اليمن لعبد الواسع اليماني •

بلوغ الأرب في احوال العرب ـ لمحمود شكري الآلوسي •

فجر الاسلام ـ لأحمد امين •

دائرة المعارف ـ مادة حمير ـ للبستاني •

دائرة معارف القرن العشرين ـ مادة بعث ـ لمحمد فريد وجدي •

تاريخ العرب قبل الاسلام ـ لجرجي زيدان •

تاريخ التمدن الاسلامي ـ الجزء الثالث ـ لجرجي زيدان •

تاريخ آداب اللغة العربية ـ الجزء الاول ـ لجرجي زيدان •

تاريخ الامم الاسلامية ـ الجزء الاول ـ لمحمد الخضري •

تاريخ الشعوب الاسلامية ـ لبروكلمان •
خلاصة تاريخ العرب ـ لسيديو •
الشهاب الراصد ـ لمحمد لطفي جمعة •
النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ـ الجزء الاول ـ للويس شيخو •
جغرافية شبه جزيرة العرب ـ لعمر رضا كحالة •

المعلمة الكبرى ـ مادة عرب — La grande encyclopédie - art Arabie & arabe

معلمة الاسلام ـ مادة عرب — Encyclopédie de l'Islam - art. Arabie

لاروس القرن العشرين ـ مادة عرب — Larousse du XXe siècle - art. Arabie.

لاروس المصور الجديد ـ مادة عرب — Nouveau larousse illustré - art. Arabie.

حضارة العرب لغوستاف لوبون — G. Le Bon - La civilisation des arabes.

الجغرافية العمومية ـ آسيا الغربية لبلنشار — R. Blanchard - Géographie universelle. Asie occidentale.

العالم ـ جزيرة العرب لدفرجه — M. Nœl Desvergers. L'univers - Arabie.

الاسلام ـ لهنري ماسه — H. Massé - L'Islam.

الحضارة الفينيقية لكونتنو — G. Contenau - La civilisation phénicienne.

الاسلام ـ خواطر وسوانح لهنري دي كستري — H. de Castries - L'Islam - Impressions & études.

المعلمة البريطانية ـ مادة عرب — Encyclopedia britannica - art Arabia & arabs

الباب الثّاني

البعثة المحمّدية

الفصل الأول

حال العالم قبل البعثة

الامبراطورية الرومانية الشرقية

كانت حدود الامبراطورية الرومانية الشرقية في القرن الخامس للميلاد في الغرب بالبحر الادرياتيكي وفي الشرق بضفاف دجلة ، وتمتد حدودها الشمالية الى اعالي بلاد التتر ، وتنتهي في الجنوب الى بلاد الحبشة .

وارقى عصور هذه المملكة بعد قسطنطين الكبير عصر جوستنيان [1] سنة (٥٢٧ ــ ٥٦٥ م) تولاها ٣٧ سنة ، فاراد ان يقتفي اثر عظمة رومة القديمة ويعيد للامبراطورية البيزنطية سيرة العالم الروماني القديم فارسل قواده للفتح ففتحوا افريقية الشمالية وقسماً من اسبانيا بعد حروب طويلة دامت اكثر من عشرين سنة ، فاستولى على اكثر من ٦٤ مقاطعة فيها اكثر من ٩٣٠ ناحية اعظمها من اخصب بلاد المعمور وانفعها لبني الانسان ، فازدهرت في مملكته الواسعة الزراعة والصناعة والتجارة ، وسن الشرائع والقوانين وبنى الكنائس والمعاقل والقصور .

ولكن هذه الحروب التي اشتعلت نيرانها بين البيزنطيين والفرس غالباً وحيناً بين البلقانيين والبربر السلافيين والبلغاريين ، قد انهكت قوى البيزنطيين فيما بعد وادت بهم الى احباط مسعى امبراطورهم المذكور .

وزد على ذلك ان بعد وفاة جوستنيان قد خلفه اناس لا يليقون للملك ، فخلفه ابن اخيه جوستين الثاني ، ثم طيباريوس ، ثم موريس ، ثم فوقاس ، وكان جاهلا فابغضته الرعية والتمسوا من ينقذهم منه ، وكان من جملة ولاة الروم يومئذ وال

(١) جوستنيان هو (يوستنيانوس) .

على افريقية اسمه هيراكليوس (هرقل) فاستنجده اهل القسطنطينية ، فانفذ اليهم عمارة بحرية ، فقتل فوقاس وتربع هو في دست الامبراطورية مكانه سنة ٦١٠ وفي ايامه ظهر الاسلام .

قال البستاني : وكان حكم فوقاس ظالماً فكرهه الاهالي وطلبوا حاكم ولاية افريقية الملكي لمساعدتهم فارسل الحاكم ابنه هرقل فأخذ القسطنطينية فمزق الجمهور فوقاس اربا ، وجعل هرقل امبراطوراً سنة ٦١٠ — ٦٤١م ، وغلبه الفرس على سورية وفلسطين وآسيا الصغرى وضايقوه جداً [١] .

وكان الروم حوالى القرن السادس للميلاد في منتهى التضعضع السياسي والاداري والاجتماعي والديني فتعددت الفرق وتشعبت المذاهب وخصوصاً في ما يتعلق بالطبيعة والطبيعتين والمشيئة والمشيئتين .

* * *

الانقسامات الدينية

كانت النصرانية قبيل البعثة جملة طوائف ، اشهرها في الشرق ثلاثة : اليعاقبة وكانوا في مصر والنوبة والحبشة ، والنساطرة انتشروا في الموصل والعراق وفارس ، والملكانية وكانت دعوتهم منتشرة في بلاد المغرب وصقلية والاندلس والشام ، فاليعاقبة كانوا يرون ان المسيح هو الله ، وان الله والانسان اتحدا في طبيعة واحدة هي المسيح ، والملكانية والنساطرة قالوا ان للمسيح طبيعتين متميزتين الطبيعة اللاهوتية والطبيعة الناسوتية .

قال أندرة (P. J. André) : كانت تتوزع آسيا الوسطى في اوائل القرن السابع للميلاد ثلاث كنائس : الكنيسة الامبراطورية الارثوذكسية ، وكنيسة المونوفيست (Monophysite) والكنيسة النسطورية واحتدم الجدل بين هذه الطوائف في شخصية المسيح ، فالمونوفيست اعتقدت في المسيح صفة الهية وناسوتية متحدة في طبيعة واحدة ، خلافاً للكنيسة الامبراطورية والنسطورية فقال اتباعهما ان للمسيح طبيعتين متميزتين : طبيعة الهية وطبيعة ناسوتية [٢] .

---

(١) دائرة المعارف للبستاني مادة بيزنطية .

(١) الاسلام والاجناس لاندره ج ١ P. J. André - L'Islam & les races vol. I

واستمر الخلاف بين هذه الفرق في : هل اللاهوتية وما للناسوتية من ارادة وفعل متحدتان في المسيح أو مختلفتان ؟ قالت اليعاقبة بالاول ، وقالت النساطرة ان للمسيح ناسوتية لها ارادة ولها فعل يختلف كل الاختلاف عن العنصر اللاهوتي ، واختلفوا في تصوير اتحاد اللاهوت بالناسوت ، فقال اليعاقبة كاتحاد الماء يلقى في الخمر فيصيران شيئاً واحداً ، وقالت النسطورية كاتحاد الماء يلقى في الزيت فكل واحد منهما باق بحسبه ، وقالت الملكانية كاتحاد النار في الصفيحة المحماة .

ولم يقتصر النزاع بين النصارى على العقيدة في الله بل اختلفوا في مسائل اخرى كثيرة : هل ينزل المسيح قبل القيامة اولا ينزل ؟ وهل الحشر يكون للارواح والابدان او للارواح فقط ؟ وهل صفات الله زائدة عن ذات الله أو هي هي ؟ ومن النسطورية من كان يقول بالقدر خيره وشره .

وكان لهذه الانقسامات تأثير شديد في السياسة لاختلاط السياسة عندهم بالدين ، حتى آل ذلك احياناً الى خروج امم باسرها من حوزة الروم الى الفرس ، كما حصل بالارمن فانهم لما حرم المجمع القسطنطيني بدعة الطبيعة الواحدة جعل الامبراطور يشدد النكير على متبعيها والارمن منهم ، فافضت بهم الحال الى تسليم بلادهم الى الفرس ، وكذلك فعل القبط بمصر يوم جاءهم عمرو بن العاص فقد كانوا اعواناً له في فتحها للسبب عينه .

* * *

العداء بين الروم واليهود

ويضاف الى ما تقدم ما كان بين الرومان واليهود من التباغض فقد بلغ غاية عظيمة في ايام هرقل فثار اليهود في انطاكية فقتلوا بطريركها ومثلوا بجثته مثلاً قبيحاً ، فارسل اليهم هرقل فقتل منهم جمعاً غفيراً ، وثاروا في صور عاصمة فينيقية وقتلوا واليها ، وتآمروا يهود صور بل يهود فينيقية وفلسطين على ان يدخلوا مدينة صور ويقتلوا النصارى ، فاطلع مطران صور على المكيدة فاخبر الوالي بها فنبه الوالي الحامية والبوابين والحراس ان يكونوا تلك الليلة على حذر ، ولما جن الليل هجم اليهود من خارج الصور فردهم الجند على اعقابهم فرجع اليهود الى

الاديرة والكنائس بجوار المدينة فهدموها وسلبوا آنيتها وفعلوا مثل ذلك في ما جاورها من القرى ، فعاقبتهم الحكومة فقتلت كل يهود صور • وحدث مثل ذلك في قيسارية فلسطين فارسل الملك اخاه ثاودورس فقتل من كان فيها من اليهود ، فاشتد غيظهم على المملكة في كل انحائها ، ومما فعله اليهود من الفظائع نكاية في الروم انهم اشتروا من الفرس ثمانين الفاً من اسرى النصارى وذبحوهم •

* * *

الفرس

وافضى عرش الفرس في ايام جوستنيان الى كسرى انو شروان المشهور بالعادل، فلم تعجبه مصالحة الروم فحمل عليهم بخيله ورجله ، ففتح سورية واحرق انطاكية ونهب آسيا الصغرى ، فبعث جوستنيان اليه بليزاربوس فحاربه ورده على اعقابه ، ثم عاد وعادوا وتوالت الحروب بين الدولتين نحو عشرين سنة (٥٤١ — ٥٦١ م) وقد مل الملكان وشاخا فتوافقا على صلح قضي فيه على جوستنيان بجزية سنوية مقدارها ٣٠٠٠٠ دينار ، وظلت حدود المملكتين كما كانت قبل الحرب •

ثم ادعى برويز امبراطور الفرس انه يريد الانتقام من قتلة صديقه امبراطور الروم فزحف بجنده على سورية سنة ٦١٤م واليهود انصاره فيها ، ففتحها وفتح مصر واستولى على انطاكية ودمشق وبيت المقدس ومدن اخرى من سورية وفلسطين ، ثم اباح لجنده نهب اورشليم فنهبوها واحرقوا القبر المقدس وكنيسة القيامة وسلبوا خزائنها وحملوا بطريركها الى بلادهم وواصلوا القتل والنهب في سورية الى سنة ٦١٦م فكان عدد الذين قتلوا من المسيحيين ٩٠٠٠٠ نفس وارسلوا جنداً آخر الى آسيا الصغرى ففتحوها والنصر رفيقهم حيثما حلوا حتى كادوا يطأون شواطىء البوسفور •

كل ذلك والامبراطور هرقل معتزل في قصره وقد انغمس في اللهو والقصف والترف لا يبالي بما يهدد مملكته ، وكأنه لما تحقق وقوع الخطر نفض غبار الخمول عن عاتقه وخرج للدفاع ، ولم يكن عنده مال ينفقه في التجنيد فاقترض اموال الكنائس على ان يعيدها بعد الحرب مع رباها ، وحشد جنده وركب البحر الى

كيليكيا في آسيا الصغرى واحتل ايسوس فلقيه الفرس هناك فحاربهم وغلبهم سنة ٦٢٢ م .

وفي سنة ٦٢٧م تجددت الحرب بين الدولتين ، فانهزم الفرس مرة اخرى ، وبلغت جنود الرومان نينوى عاصمة الآشوريين قديماً ، ثم ظهرت امارات الانحلال السياسي على دولة الفرس ، فأصبحت حكومتهم فوضى ، حتى ادعى ملكها في خلال اربع سنين تسعة من ملوكهم .

وكانت حالة الفرس الاجتماعية في غاية الانحطاط قبل الاسلام بمدة طويلة لانشقاق عصاهم بتشعب المذاهب الدينية .

فكانت تعاليم زرادشت مبنية على اساسين : (١ً) ان لهذا العالم قانوناً يسير عليه وان له ظواهر طبيعية ثابتة . (٢ً) وان هناك نزاعاً وتصادماً بين القوى المختلفة ، بين النور والظلمة ، والخصب والجدب الخ . ووحد زرادشت الارواح الخيرة في اله واحد هو « أهورامزدا » وكذلك فعل في قوى الشر فحصرها في شيء واحد سمي «دروجأهرمن» وبذلك كانت عنده قوتان فقط : قوة الخير وقوة الشر .

ومن اشهر المذاهب الدينية التي كثر اتباعها المانوية ، وخلاصة مذهبها ان العالم كما قال زرادشت نشأ عن اصلين : وهما النور والظلمة ، ولكن مذهب ماني يخالف تعاليم زرادشت في امر جوهري ، وهو ان زرادشت كان يرى ان هذا العالم الحاضر عالم خير ، لما فيه من مظاهر نصرة الخير على الشر ، في حين ان ماني يرى ان نفس الامتزاج شر يجب الخلاص منه ، وزرادشت يرى ان يعيش الانسان عيشة طبيعية فيتزوج وينسل ويعنى بزرعه ونسله وماشيته ويقوي بدنه ولا يصوم ، وانه بهذه المعيشة ينصر إله الخير على إله الشر .

اما ماني فنزع منزعاً آخر هو اشبه ما يكون بالرهبنة فرأى ان امتزاج النور بالظلمة في هذا العالم شر ، ومن اجل هذا حرم النكاح حتى يستعجل الفناء ، ودعا الى الزهد وشرع الصيام سبعة ايام ابداً في كل شهر ، وفرض صلوات كثيرة ، يقوم الرجل فيمسح بالماء ويستقبل الشمس قائماً ، ثم يقوم ويسجد وهكذا ، اثنتا عشرة

سجدة ، يقول في كل سجدة منها دعاء ، ونهى اصحابه عن ذبح الحيوان لما فيه من ايلام .

قال كافيناك M. Cavaignac : ان مذهب ماني بدعة مزدكية تأثرت بتعاليم بني اسرائيل والنصارى [1] .

وامتاز مذهب مزدك بتعاليمه الاشتراكية فكان يرى ان الناس ولدوا سواء فليعيشوا سواء ، واهم ما تجب فيه المساواة المال والنساء ، قال الشهرستاني : وكان مزدك ينهي الناس عن المخالفة والمباغضة والقتال ، ولما كان اكثر ذلك انما يقع بسبب النساء والاموال ، فأحل النساء واباح الاموال ، وجعل الناس شركة فيها كاشتراكهم في الماء والنار والكلأ [2] .

وقد انتحل هذا المذهب آلاف من الناس ولكن قباذ نكل به وبقومه ، ودبر لهم مذبحة سنة ٥٢٣ م كاد يستأصلهم بها .

* * *

حال الفلسفة والعلم

اصبحت الاسكندرية مجمع المذاهب الفلسفية والطوائف الدينية ، فسهل الاتصال والامتزاج ، والتقى على ضفاف النيل رجال مختلفة آراؤهم متباينة مذاهبهم تبادلوا فيها الآراء المختلفة وكان من نتيجة ذلك ظهور روح جديد اسس على مبدأين متناقضين ممتزجين : احدهما الشك والنقد والثاني سرعة التصديق بالأشياء على علاتها .

تقابلت في الاسكندرية آراء الشرقيين والغربيين (اليونان) فامتزجت روح اليونان بروح المشارقة فانتجتا عقائد ونظماً دينية متأثرة بتأمل الاولين والهام الآخرين ، بما لليونان من علم وما للمشارقة من اساطير ، جاءت الروح اليونانية بما لها من ذكاء ودقة وقدرة على الشرح المبين فاصابتها شرارة من الشرق اشعلتها واحيتها ، كذلك اخرجت الروح الشرقية التي من خصائصها الطموح الى ما وراء

---

(١) العالم الاسلامي والبيزنطي حتى الحروب الصليبية لغودفرويه ديمومبين وبلاتونوف Gaudefroy. Demombynes & platonov - Le monde musulman & byzantin jusqu'aux croisades.

(٢) فجر الاسلام لاحمد امين .

عالم الشهادة نظاماً ملتئماً ونظريات مرتبة لم تكن لتخرجها لولا مساعدة العلم اليوناني لها ، فانه رتب مأثور الشرقيين وحل من عقدة لسانهم فاستخرجوا العقائد الدينية والنظم الفلسفية التي بلغت الذروة في مذاهب الغنوسطية والأفلاطونية الحديثة ويهودية فيلون ومذهب الاشراك الذي وضعه يولبان الصابي ــ ان الشرقي بما له من ميل الى الغيب وخوارق العادات وما في طبيعته من تصوف وتدين ، واليوناني بما له من فحص دقيق وبحث عميق ، وان شئت فقل ان ما للاول من شعور وما للثاني من تحليل منطقي امتزجاوتنتج منهما فكرخاص انتشر في الاسكندرية في القرون الاولى للميلاد ، وقد صبغ ذلك الفكر بصبغتين مختلفتين : صبغة الكماليين والصوفيين وصبغة اهل البحث العلمي ولذا امتاز هذا العصر بميل الدين الى الفلسفة .

قال بلدوين في كتابه معجم الفلسفة : ان الشرق والغرب اختلطا في الاسكندرية وامتزجت آراء رومة واليونان والشام في المدنية والعلوم والدين بآراء الشرق الأقصى في ذلك ، فنشأت قضية جديدة عمل على ايجادها بحث الغرب والهام الشرق واتصال الدين بالفلسفة اتصالاً وثيقاً كان من نتائجه ظهور عقائد لا هي من الفلسفة المحضة ولا من الدين الخالص بل أخذت بطرف من كل ، وجاء ذلك من عاملين : احدهما ميل اليهود الى التوفيق بين معتقداتهم الدينية والعلم الغربي الذي كان متأثراً بالعلم اليوناني ، وثانيهما ان المفكرين الذين استمدوا آراءهم من الفلسفة اليونانية رأوا ان يوفقوا بين معتقداتهم الفلسفية والقضايا الدينية المحضة التي جاء بها المشارقة ، من أي الجهتين نظرنا رأينا ان النتيجة كانت فلسفة دينية لا هي فلسفة محضة ولا هي دين خالص [1] .

وفي العصور الاولى للمسيح ظهر في الاسكندرية المذهب المعروف بالأفلاطونية الحديثة ــ وكان هذا المذهب الاسكندري في أول امره يميل الى البحث والتفكير العقلي المحض ، ثم اخذ يناصر الوثنية اليونانية ويقاوم النصرانية ، ثم انحدر الى ان اقتصر على الشغف بالاطلاع على المغيبات وخوارق العادات والاعتناء بالسحر والتصرف بالاسماء والطلاسم والكهانة والتنجيم والدعوات والعزائم ونحو ذلك .

---

(١) مبادي الفلسفة لرابوبرت .

ومما اختصت مدرسة الاسكندرية في ترقيته من العلوم : أولاً التشريح لان المصريين كانوا يفتحون الجثث لاجل تحنيطها فسهل عليهم درس فن التشريح بها ، ثانياً علم الكيمياء لانه كان في مصر قبل دخولها في سلطة اليونان ، ولما انشئت هذه المدرسة اشتغل علماؤها بدرس هذا العلم وجمعوا ما كان عند الامتين في علم واحـد .

ولما سقطت الدولة الرومانية في ايدي امم الشمال المتبربرة قوضت الحضارة الرومانية اليونانية القديمة وطغى سيل القوط ــ والبرجنديين والوندال والسويفيين والالنيين والكلتيين والسكسونيين ولا سيما قبائل المغول والهون ــ على الدولة الرومانية العتيقة الواسعة وكانت قد بلغت من ضعفها الناتج من انحلالها الاخلاقي وانحطاطها الاجتماعي حداً اصبحت لا تستطيع معه مقـاومة هذه الامم القويـة المتبديـة .

وكانت الكنيسة الاوربية عامة تضطهد آداب اليونان والرومان وعلومهـا وتحارب من اشتغل بها ، وتعارض نشر الحياة العقلية والمدنية القديمتين ، وتحدد دائرة يجول فيها الفكر ، ذلك لانها اعتقدت ان الحقيقة قد وصلت اليها من الوحي المعصوم فلا معنى بعد ان تسمح للناس بالبحث عنها لذلك كانت الكنيسة عدوة الفلسفة والعلم فخمدت الحياة العقلية ولم تسترد نشاطها الا بعناء لما أن انبعثت اشعة (النهضة) ممتزجة بأشعة من الشرق ــ فأضاءت سماء القرون الوسطى المظلمـة .

وكان الخلاف على طبيعة المسيح مبدأ مناقشات تناولتها الشيع الكنيسية ، وكان لاختلاف المذاهب في تلك المسألة اكبر الاثر في النظر في المعقولات وفي التأمل الفلسفي ، فأخذوا يستعينون على بث افكارهم باقوال منتزعـة من الفلسفـة اليونانية ، وترجموا الكتب الفلسفية ، غير أن كثيراً من تلك التراجم قد صب في قالب لم يراع فيه نقل الفلسفة اليونانية لذاتها ، بل اتخذت التراجم ذريعة لبث مذهبي ديني .

وقام السريانيون بنشر الفلسفة اليونانية وخاصة مذهب الافلاطونية الحديثة

في العراق وما حوله واخذوا ينقلون الكتب اليونانية الى لغتهم السريانية التي كانت لغة الادب والعلم لجميع كتاب النصرانية في انطاكية وما حولها، وللنصارى الخاضعين لدولة الفرس ، وانشئت في هذه الاصقاع مدارس دينية متعددة في الرها ونصيبين وجنديسابور .

وخدم السريانيون العلم والفلسفة بما ترجموا اكثر مما الفوا ، فلم يبتكروا كثيرا ، بل كانوا ينقلون العلوم اليونانية ، كالمنطق والطبيعة والطب والرياضة ، ولم يقتصروا على الترجمة من اليونان بل ترجموا كذلك من الفهلوية لغة الفرس القديمة .

وابتدأ السريان يشتغلون بفلسفة ارسطو في القرن الخامس للميلاد ، وبعد ان تعلموها اخذوا في نقلها الى لسانهم فنقلوا المنطق في اواسط القرن المذكور .

واما الطب فقد كان لهم فيه حظ وافر على أثر انشاء بيمارستان جنديسابور واشتهر فيهم من اهل هذه الصناعة كثيرون منهم سرجيس الرأس العيني المتوفى سنة ٥٣٦ م وغيره .

ولهم في النجوم مؤلفات كثيرة لتسلسل هذا العلم فيهم عن آبائهم الكلدانيين فألف الرأس العيني في تأثير القمر وحركة الشمس ، وألف السبختي في صور الابراج .

واشتغل السريان ايضاً في الكيمياء والحساب والرياضيات والاقاصيص التاريخية والتاريخ العام والفلسفة والعلوم وكلها غالباً مصبوغة بالصبغة الدينية لأن أكثر الباحثين كانوا قسيسين ورهباناً .

ويقال بالاجمال ان الآداب اليونانية قلما تقدمت في عاصمة البزنطيين « بزانطيوم » مع ان العلم كان في خزائنها كما كان في خزائن الاسكندرية وخصوصاً بعد موت جوستنيان » فلما قامت الخصومة في الايقونات كان من جملة نتائجها اعدام الكتب واهمال العلم ، واقتصر النوابغ فيها على ما لا يحتاج الى مواهب خصوصية أو الى بحث أو نظر فكانوا اذا نشأ احد القياصرة واراد التشبه بمنشطي

العلم القدماء رغب الناس في المطالعة والتأليف ، وتأليفهم عبارة عن تلخيص القديم أو شرحه أو جمعه ، وكذلك كانوا يفعلون في سائر الموضوعات كالتاريخ والشعر واللغة بدون نقد ولا نظر • واما الفلسفة فتحولت عندهم الى اللاهوت لان علماء النصرانية استخدموا الادلة الفلسفية لاثبات بعض العقائد أو الآراء الدينية في محاولاتهم أو في مواعظهم •

وان الشائع من علوم الفرس لم يكن يتجاوز بعض الاشعار والاخبار وكتب العقائد والاديان الى ايام سابور بن ازدشير من الدولة الساسانية في اواسط القرن الثالث للميلاد ، وفي ايامه انتشبت بين سابور والروم حروب انتهت بنصرته وقد حمل معه عدداً كبيراً من اسراهم الى بلاده واكرم وفادتهم فحببوا اليه العلم فبعث الى بلاد اليونان يستجلب كتب الفلسفة وامر بنقلها الى الفارسية واختزنها في مدينته واخذ الناس في نسخها وتدارسها •

فلما تولى كسرى انوشروان العادل سنة (٥٣١ ــ ٥٧٨ م) فتح للفرس مورد جديد للعلم والفلسفة بما كان من اضطهاد جوستنيان قيصر الروم للفلاسفة الوثنيين على أثر اقفاله الهياكل والمدارس الوثنية ، ومما يدلك على اهتمام انوشروان بأولئك السبعة الذين وفدوا عليه من فلاسفة اليونان ، انه وضع في المعاهدة التي عقدتها الامبراطورية البيزنطية نصاً خاصاً بهم ضمن لهم به حريتهم المدنية والدينية وعدم الاستبداد بهم فيما لو ارادوا العودة الى وطنهم •

كان هؤلاء الفلاسفة من الآخذين بتعاليم الافلاطونية الجديدة ، على ان اثرهم في الحياة الفارسية غير معروف بالضبط ، فنقلوا المنطق والطب والفوا فيهما الكتب •

ولم يقتصر انوشروان على نقل علوم اليونان الى لسانه ، ولكنه نقل علوم الهنود ايضاً من السنكريتية الى الفارسية وانشأ في جنديسابور مستشفى لمعالجة المرضى وتعليم صناعة الطب استقدم اليه الاطباء من الهند وبلاد اليونان وكانوا يعلمون فيه الطبين الهندي والابقراطي فجمع بين الحسنيين ، وبلغ هذا البيمارستان من الشهرة ما لم يسبق له مثيل •

وجملة القول ان الفرس اشتغلوا قبل الاسلام في الفلسفة والطب وتثقفت عقولهم وذاع صيتهم وكان لهم اطلاع خاص في علم النجوم واحكام الافلاك مما توارثوه عن اسلافهم أو نقلوه عن جيرانهم ، وقد زها العلم في ايام انو شروان العادل ـ والعلم لا يزهو الا في ظل العدل والرحمة .

وان الطبقة العليا من الهنود هم اخوان الفرس واليونان وقد نظموا الملاحم ودونوا الاخبار شعراً من قديم الزمان ولهم آداب خاصة تولدت عندهم بتوالي القرون كما يستدل من مراجعة تواريخهم ودرس احوالهم ، حتى ان كثيراً من ملوك الفرس كانوا يستعينون باطبائهم كما فعل انوشروان في مارستان جنديسابور ، لان للطب الهندي طرقاً غير ما للطب اليوناني أو الفارسي وقد اشتهر منهم عدة اطباء الفوا في الهندية .

وكانت لهم معرفة حسنة بالنجوم ومواقعها وابراجها ولها اسماء خاصة بلسانهم ، ولهم آراء في حركات الكواكب ، وقد اخترعوا الارقام ، ولهم طرق خاصة في الحساب ، ولهم معرفة بفن الموسيقى ، ولهم فيها كتب .

* * *

وصف بعض الباحثين العالم

كتب جول لابوم في مقدمة فهرسته الذي جمع فيه الآيات القرآنية المتماثلة تحت عنوان محمد ما يأتي :

لأجل ان يفهم الانسان تمام الفهم دعوة من الدعوات يلزمه اولاً الالمام بحال الداعي في ذاته ، ولأجل أن يقدر قدر دعوته يجب عليه ان يدرس الجهة البشرية التي وجه همته للتأثير فيها . هذا هو الغرض من هذه النبذة الوجيزة التي خصصناها للمشرع العربي مؤسس ما يمكن تسميته بالجامعة الاسلامية .

حوالي ميلاد محمد (ص) في القرن السادس م كان جو العالم متلبداً بغيوم الاضطرابات والفتن فكان شعب الوزيغوط الآريين في اسبانيا وفرنسا الجنوبية يصاولون الملك كلوفيس واولاده الكاثوليكيين فكانوا من اجل ذلك يطلبون

مساعدة امبراطور مملكة الرومان الشرقية جوستنيان ، ثم اضطروا الى الدخول معه في حرب جديدة تخلصاً من سلطة القواد الذين جاؤهم بتلك المساعدة فقد كانوا يزعمون ان لهم حق الفاتحين لا مجرد ولاء المساعدين المحامين .

اما في فرنسا نفسها فكان اولادكلوفيس هذا متغادرين متسافكين وكانت الحروب التي شبت نيرانها بين الملكة الوزيغوطية برونهو والملكة الفرنكية فيريديجوند تهيء للتاريخ اشد الصحائف اثارة للأسى والكمد .

اما في انكلترة فكان الانكلو ينازعون السكسونيين الارض التي احتلوها واستعبدوا فيها ذرية كيمريس وهم اقدم المغيرين على تلك الجزيرة التي تتطلع اليوم للوقوف في مقدمة الامم علماً وصناعة وقوة ، وهي التي كانت في ذلك الوقت مجالاً للقوة الوحشية السائدة في تلك الغياهب الحالكة .

اما في ايطاليا فكان اسم الرومان وهو ذلك الاسم الشامخ قد فقد مكانته القديمة وكانت رومة وهي الشظية الاخيرة أو رأس ذلك التمثال الكبير المتهشم (يعني مملكة الرومان) في حالة تململها من استحالة امرها الى مركز ديني بسيط ، ترتج وتضطرب كلما الم بها طائف من ذكرى عظمتها القديمة ايام كانت مركزاً دينياً اصلياً ، فكانت تهيء نفسها لأن تكون مركز البابوية وهي تلك السلطة الزمنية كما اقتضت سياسة شارلمان ان يجعلها كذلك بعد قرنين من الزمن ، ولكنها بعد ذلك لم يسعها حمل نير الهيروليين والاستروغوتيين وامبراطرة المملكة الرومانية واللومبارديين الذين تداولوا السلطة عليها تداولاً .

اما مملكة اليونان التي كانت قد نسيت مجدها القديم فكانت تابعة لمملكة الرومان الشرقية مثلها منها كمثل الزينة ذات الضوضاء .

وكان شرق اوربا مقلقاً جنوبها من اول مصاب نهر الران من جهة الغرب لغاية مصاب نهر الدانوب من جهة الشرق ، فكان الاسكندينافيون والنورفيجيون والدنيماركيون يتزاحمون في الطريق الذي سلكه الجوتيون والهونيون الذين احتلوا تارس ومقدونيا ولومبارديا وايطاليا سواء بالقوة او بالخديعة .

في ذلك الوقت بدأ ظهور الاتراك من اعماق آسيا الصغرى وهي تلك الامة التي قصرت فيما بعد مملكة اليونان على اسوار القسطنطينية .

ان التصوير البديع الذي جادت به قريحة رينان لبيان مركز الامبراطورية الرومانية في القرن الأول من التاريخ المسيحي لا علاقة له البتة بالتصوير الممكن عمله لتجلية حال اوربا في القرن السادس : تلك كانت مفاسد قيصرية مختمرة ، اما هذه فوحشية حربية تلعب بالارواح وتتمرغ في الاوحال .

اما آسيا فلم تكن اهدأ بالاً من اوربا في شيء : فمملكة التبت والهند التي اقتبست منها الامم السائدة في اوربا الآن قرائحها وافكارها العامة ولغاتها ، والصين التي تعد مسألتها أغرب المسائل السياسية والفلسفية ، وبالاختصار اغرب المسائل الاجتماعية ، كانت هذه الممالك كلها متمزقة الاحشاء بالحروب الداخلية والخارجية المتضاعفة بالمنازعات الدينية .

اما السفح الشمالي من الهضبة الآسيوية العالية التي هي في حوزة روسيا الآن ، فكانت غير معروفة على الاطلاق .

واما مملكة الفرس التي كانت احوالها مرتبطة باحوال الغرب خصوصاً من حملة الاسكندر المقدوني فكانت مشتبكة في حروب مع اليونان الرومانيين في القسطنطينية الذين كانوا اصحاب السلطة على آسيا الغربية .

اما في افريقية فكان هؤلاء اليونان الرومانيون انفسهم وهم اخلاط من عساكر وتجار وحكام جمعوا من آفاق مختلفة دائبين على امتصاص دم القطر المصري وعاملين على جعل مصر العلمية ذات المجد القديم كالجثة المصبرة عديمة الحس والحراك وكان هذا شأنهم ايضا في الاقاليم الخصبة وقتئذ الواقعة في الجهات الشمالية من افريقية التي انتزعوها من ايدي الفنداليين .

والخلاصة كان جو العالم الارضي متلبداً بسحب الاضطرابات الوحشية في كل جهة ، وكان اعتماد الناس على وسائل الشر اكثر من اعتمادهم على وسائل الخير ، وكان الرؤساء اشدهم صيحة في اصلاء نيران الحروب والمعارك ولم يكن يأخذ بعواطف القلوب ولا يؤثر فيها تأثيراً شديداً وان كان وقتياً الا شيء واحد وهو الغنيمة وسلب الامم والشعوب والمدائن والاعيان ورجال الحروب وفقراء الحراثين وبسطاء المتسولين ، ولولا شعاع ضئيل من الحكمة كان يتألق في بعض صوامع الكهنة وبعض الجراثيم الفلسفية التي كانت بمعزل عن اعاصير تلك

المشاغب ، وانتقلت من روح الى روح اخرى بواسطة بعض اصحاب الجسارة من رسل الرقي في المستقبل لكانت البربرية اسرعت في خطاها مقودة بغطرسة زعماء البهيمية واستحالت الى وحشية محضة [1] .

وقال غوستاف لوبون : لما انتقل محمد (ص) كانت سلطتان قد اقتسمتا العالم : الامبراطورية الرومانية الشرقية والامبراطورية الفارسية : فكانت الاولى تملك القسطنطينية واوربا الجنوبية وآسيا الصغرى وافريقية الشمالية من مصر الى المحيط الاطلانطيكي ، وكان يمتد سلطان الفرس في آسيا الى حد بعيد من حدودها ، وكانت اوربا الغربية والشمالية فريسة للبربر الذين كانوا في فوضى يختصمون على ما خلفه الرومان .

وانهكت الحروب التي استعرت نيرانها بين الرومانيين والفرس قوى كلا الامتين ، وادت بهما الى السقوط العظيم والانحلال السريع ، فكانت مصر وافريقية واسبانيا وايطاليا تنازعها المجادلات الدينية البالية ويرهقها ظلم الحكومة المتمادي [2] .

وقال لوثروب ستودارد : اجل ، هب الاسلام من شبه الجزيرة هبوب العاصف الزعزع ، فلاقى في سبيله جواً روحانياً خالياً ، في ذلك العهد كانت كلتا مملكتي فارس وبيزنطية باديتين للعيان كأنهما اللحاء الجاف فارق عوده لا نمو فيه ولا حياة ، وكان الدين في كل من هاتين المملكتين صار ديناً يزرى عليه ويسخر منه . اما فارس فقد كان دين المزدكية القديم قد انحط انحطاطاً كبيراً حتى اصبح مجوسية باطلة وصناعة خداعة بين ايدي الموابذة يظلمون به الخلق ويضطهدونهم بكل قسوة ، فكره الناس ذلك الدين في الباطل كرهاً شديداً ومقتوه مقتاً عظيماً .

أما في القسم الشرقي من المملكة الرومانية وهو مملكة بيزنطية فقد البس الدين فيها لباساً غير لباسه الاول فاستحال الى اباطيل الشرك وانتشرت فيه الاوهام والخزعبلات التي كان يقوم بها علماء الدين اليونانيون ذوو العقول السخيفة والآراء الفاسدة ، فغدت النصرانية عبثاً وسخرية . وعلى الجملة فقد كانت البدع والضلالات

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي مادة بعث .

(٢) حضارة العرب لغوستاف لوبون G. Le Bon - La civilisation des Arabes.

قد مزقت المزدكية الفارسية والنصرانية البيزنطية شر ممزق ، وبذرت في كل منها بذور الاضطهادات الهمجية والعداوات الوحشية ، فنمت تلك البذرة نمواً هائلاً • ولا يغربن عن البال انه كان على رأس كل من بيزنطية وفارس سلطان مستبد قاهر ، وملك عات أرهق الرعية ارهاقاً لا قبل لامة باحتمال مثله ، فماتت كل عاطفة من عواطف حب الوطن والاخلاص للدولة ، زد على جميع ذلك ان هاتين المملكتين كانتا على حال من الضعف شديدة بعيد حرب طاحنة التظت نيرانها بينهما خرجت كلاهما منها مفتوتاً في عضدها ، منهوكة قواها [1] •

وقال سيديو : بينما العرب على التحاب والميل الى الاختلاط العام اذ حدث بين كسرى وهرقل حرب عظم امرها في اوائل القرن السابع م اخذ فيها كسرى جزيرة دجلة والفرات والشام وفلسطين ومصر ثم أخذها هرقل ملك القسطنطينية وانقضت الحرب بصلح بينهما بعد ذهاب شوكتي الدولتين وتهدم القلاع والحصون وتضعضع حال الرعايا بالافراط في الخراج وغيره وتمادى بهم العجز حتى نبغ دين الاسلام [2] •

* * *

حال بلاد العرب

اختلف الباحثون في حال بلاد العرب قبيل الاسلام ، فقال بعضهم ان هناك نهضة تقدمت بعثة النبي (ص) ، وان العرب كانوا على استعداد لقبول دعوة الاسلام ، وانكر آخرون كل ما يطلق عليه كلمة استعداد ونهضة ، وجعلوا العرب في هوة سحيقة من الانحطاط الأدبي والأخلاقي والسياسي والديني الخ •

قال سيديو : كان تنافس المعاصرة بين عشائر العرب في الجزيرة حتى هجم عليهم اليونان من الشمال والفرس من المشرق والحبشة من الجنوب فاتحدوا وصاروا امة واحدة وأخذوا يضعفون قوى اعدائهم باغراء بعضهم على بعض فاغروا الفرس المالكين للمدائن وبلاد شواطىء الخليج الفارسي على صد الحبشة المحالفة لليونان المتغلبين على ارض الحجاز ثم ساعدهم حسن حظهم على بلوغ

(١) حاضر العالم الاسلامي للوثروب ستودارد .

(٢) خلاصة تاريخ العرب لسيديو .

اربهم فصدوا ابرهة وسعى عبد المطلب في ربط العلائق بين القبائل المستقلة بحكمها وبين اهل مكة وذهب الى صنعاء ليهنىء الملك الحميري الذي اعاده جيش الفرس الى الجلوس على سرير الملك نيابة عن بني قريش ، وكان العرب اذ ذاك متحابين مكتسبين الوحدة اللغوية دون الوحدة الدينية الا ان عقائدهم القديمة اضمحلت وكره بعضهم عبادة الاوثان والتزوج بزوجات الآباء ووأد البنات ، واشرف على الزوال غير ذلك من الاوهام الفاسدة ، ولم يميلوا الى النصرانية لانقيادهم الى انفسهم فيما تأمرهم به من الشهوات الجسمانية مع تأسس آداب الانجيل على عصيانها وقد تحصل كل من ورقة بن نوفل وعثمان بن حريث وعبيد وزيد بن عمرو وغيرهم على معلومات استفادوها من مخالطات اليهود والنصارى فاجتهدوا في ابطال دين الجاهلية ودعوا الى التمسك بشريعة الخليل وادعوا انهم مجددون للدين فعجزوا فأخبروا ان رسولاً سيظهر وينصر على الشيطان وحزبه [1] .

وقال لوثروب ستودارد : كيف لا وكان العرب قد فاقوا آباءهم واجدادهم ايغالاً في الشرك والوثنية ، وانقضى عليهم وهم على هذه الحالة عهد ليس بالقليل حتى استحالت عناصر امزجتهم من شدة ذلك كله فصاروا تواقين بفعل غرائزهم واخلاقهم الى تبديل حالهم وتحسين شأنهم . هكذا كانت حالتهم العقلية والنفسانية حالة الاستحالة الكبرى والانقلاب العظيم والاستجداد الكبير لما صاح فيهم نفير الاسلام [2] .

ويقول رنان Renan : لا يوجد في تاريخ التمدن كله صورة ابدع من الحياة العربية قبل الاسلام [3] .

ويقول جول لاپوم : وكانت طباع العرب واخلاقهم لا تدل الناظر اليها الا على انهم شعب لم يكادوا يجوزون العقبة الاولى من عقبات الاجتماع .

وقال ايضاً : كان العرب مغرمين بشرب الخمر ، ويوجد من الشعر ما يدل

---

(١) خلاصة تاريخ العرب لسيديو .
(٢) حاضر العالم الاسلامي ـ الجزء الاول ـ للوثروب ستودارد .
(٣) الاسلام ـ خواطر وسوانح لهنري دي كسترى .
H. de Castries - L'Islam - Impressions & études.

على انهم كانوا يفرحون ويعجبون به وبلعب الميسر ، وكان من عوائدهم ان الرجل له ان يتزوج من النساء بقدر ما تسمح له به وسائله المعيشية ، وكان له ان يطلقهن متى شاء هواه ، وكانت الارملة تعتبر من ضمن ميراث زوجها ، ومن هنا نشأت تلك الارتباطات الزوجية بين اولاد الزوج ونساء الأب ، وقد حرم ذلك الاسلام وعده زواجاً ممقوتاً ــ وكان هنالك عادة افظع من كل ما مر واشد معارضة للطبيعة وهي وأد الاهل لبناتهم .

هذا كله لا يشير الى ان العرب لم يكن فيهم جرثومة خلقية صالحة يمكنه تقويمها وتهذيبها فقد كانوا يحبون الحرية حباً جماً ويمارسون فعائل الكرم وبذل القرى .

كان الافراد التابعون لامم ارقى من الامة العربية لمبعثرين هنا وهناك من جزيرة العرب قليلي العدد جداً ولا يظهر انهم كلفوا انفسهم بوظيفة الدعوة الى مللهم ، فاليهود الذين كانوا متشبعين بالأثرة الشعبية على مثال الصينيين واليابانيين والمصريين لا يرى منهم لليوم خاصة التأثير في غيرهم الا بالخضوع لقوانين الامة التي يشتغلون تحت ظل حمايتها بالامور المالية ، ولئن شوهد انهم ادخلوا الى ملتهم بعض العرب ، فلم يكن ذلك الا نتيجة بسيطة لاشتراكهم في الاساطير التاريخية ، وهو اشتراك يدل على قرابة قريبة بين الامتين ، تلك القرابة التي يستدل عليها بتساويهم في حب الكسب وتآزيهم في الاستعداد لعدم الانفة من سلوك أي طريق من الحيل والمكر لنيل كسب أو حطام ولا ينتظر ان يكون من نتيجة الاجتماع بهذه الاعتبارات ادنى ترق ادبي . اما المسيحيون فكانوا يفدون شيئاً فشيئاً الى بلاد العرب هرباً من الاضطهادات الدينية التي كانت في مملكة الرومانيين ، ولكن لم يكن في حالهم نور يلفت البصر تألقه ، وفي حالة مسيحيي الحبشة اليوم نموذج لذلك ، فانه لا يمكن ان يتحلى الانسان بمدركات العقائد السامية من دين بمجرد التسليم بنص تلك العقائد [1] .

وجاء في احدى المجلات الروسية ما يأتي : كان العرب قبل ظهور النبي

(١) دائرة معارف القرن العشرين ــ مادة بعث ــ لمحمد فريد وجدي .

محمد (ص) يقدمون لآلهتهم الذبائح البشرية من اسرى الحرب ومن اولادهم ، فيئدون بناتهم ، ويقتلون عدوهم ، وعلى الجملة فقد كانت اخلاقهم مبنية على القسوة والانتقام وسفك الدماء [1] .

وقال ادوار مونتيه (Edouard Montet) : كان العرب لما ظهر محمد (ص) في انحطاط من الوجهة الدينية والاخلاقية تحتاج الى مصلح عظيم [2] .

ويقول بارتيلمي سنت هيلير (Barthélemy Saint Hilaire) : لو صح ان كان هؤلاء الجماعة (العرب) على غاية عظيمة من التمدن لما احتاجوا الى تلك التعاليم الادبية التي تقشعر اجسامنا لسماعها . « حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الاخت » . ويرى هذا المؤلف ان العرب كانوا امة بربرية تشبه حالتهم هذه حالة العبرانيين قبيل بعثة موسى [3] .

والخلاصة يختلف حال العرب قبيل الاسلام باختلاف نواحيهم السياسية والاقتصادية والادبية والاخلاقية الخ فكان لكل ناحية فعلها واثرها في نفوسهم .

اما حالتهم السياسية فقد علمنا فيما مضى ان الحبشة قد ملكوا اليمن ثم خلفهم الفرس عليها فأذاقوا سكان البلاد صنوف العذاب والاضطهادات . واذا انتقلنا الى الشمال نجد ثلاث امارات قد اسست اثنتان في العراق والشام تحت حماية الفرس عليها فأذاقوا سكان البلاد صنوف العذاب والاضطهادات . واذا انتقلنا الى الشمال نجد ثلاث امارات قد اسست اثنتان في العراق والشام تحت حماية الفرس والروم والاخرى مستقلة رفضت الخضوع لاجنبي .

واما الحالة في مكة فكانت مناصب للقريشيين منها كالسدانة والسقاية والرفادة والقيادة والندوة والمشورة والحكومة الخ من المناصب الادارية والحربية والدينية التي كانت قريش تتمتع بها .

واما الحالة الادبية فقد نبغ فيهم عدد من الشعراء والخطباء وانشئت الاسواق

---

(١) حكم النبي محمد لتولستوي .

(٢) القرآن ترجمة ادوارمونته . Le Coran - Traduction par Edouard Montet.

(٣) الاسلام ــ خواطر وسوانح لهنري دي كستري .
H. de Castries - L'Islam - Impressions & études.

لتبادل الافكار الادبية واللغوية وغيرها فتنافست لهجات العرب حتى كتب الفوز للغة قريش واصبحت افصح وابلغ لغات العرب .

واما الحالة الاقتصادية فكانت مكة في اواخر القرن السادس مدينة كثيرة التجارة بفضل الاسواق التي اقيمت فيها ، وكان العرب يقصدونهـا من اطراف الجزيرة وسورية والعراق وغيرها للمتاجرة ولزيارة الكعبة ، وكان في مكة فئة منها سدنة الكعبة واهل الندوة يستفيدون مالاً من ورود الحجاج واقامة الاسواق ، ويستمدون نفوذاً في نفوس العرب وقوة في سيادتهم المعنوية ، وقد بلغ من حرصهم على راحة الحجاج ورواد الاسواق انهم كانوا يحتاطون لامرهم ، فيعدون بضائعهم قبل قدوم اشهر الحج ، وافتتاح سوق عكاظ ويقومون برحلتين ، رحلة الشتاء والصيف الى سورية وفلسطين وجنوبي بلاد العرب ليبتاعوا من هذه البلاد ما تدعو اليه الحاجة من البضائع ، وليبيعوا منتجات بلادهم .

واما حالتهم الخلقية فقد فشا في العرب كثير من العادات المنكرة كشرب الخمر ولعب الميسر ووأد البنات والسلب والنهب ، وكثيراً ما كانت الكلمة الواحدة تفضي الى القتل وبلغت روح الانتقام درجة مروعة حتى ان النساء لم يرضهن سوى صبغ ملابسهن بدم القتيل واكل قلبه وكبده .

واما حالتهم الدينية فان منهم من تأول الاله ببعض الحيوان لكثرة نفعه أو شدة ضره ، ومنهم من تمثله في الكواكب لظهور اثرها ، ومنهم من حسبه في الاشجار والاحجار لاعتبارات شتى ، واما اليهودية والنصرانية فقد البستا لباساً غير لباسهما فأدخل فيهما التحريف والتبديل بانحراف اهلهما عن جادة الصواب .

الفصل الثاني .

محمد بن عبد الله ﷺ

نسبه

هو ابو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ابن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، ونسبه الى عدنان متفق عليه من غير خلاف ، وعدنان من ولد اسماعيل بن ابراهيم الخليل من غير خلاف ، ولكن الخلاف في عدة الآباء الذين بين عدنان واسماعيل فعد بعضهم بينهما نحو اربعين رجلاً وعد بعضهم سبعة . قال ابو عبد الله الحافظ : نسبة رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيحة الى عدنان وما وراء عدنان فليس فيه شيء يعتمد عليه [1] .

ونسبه من جهة امه هو محمد بن آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن حكيم فتجتمع معه في جده حكيم .

* * *

زواج عبد الله بآمنة وحملها بالرسول

كان عبد الله بن عبد المطلب من احب ولد ابيه فزوجه آمنة بنت وهب وهو في الثامنة عشرة من عمره وهي يومئذ من أفضل نساء قريش نسباً وموضعاً ولما دخل عليها حملت برسول الله (ص) ولم يلبث ابوه ان توفي بعد الحمل بشهرين ودفن بالمدينة عند اخواله بني عدي بن النجار ، فانه كان ذهب بتجارة الى الشام فادركته منيته بالمدينة وهو راجع .

---

(١) تاريخ ابي الفداء ج١ .

مولده

ولد رسول الله (ص) يوم الاثنين من شهر ربيع الاول لأول عام حادثة الفيل ولاربعين سنة خلت من ملك كسرى انوشروان ، ويوافق شهر ابريل سنة ٥٧١ من الميلاد على ما حققه محمود الفلكي [١] .

وكانت ولادته في دار ابي طالب بشعب بني هاشم بمكة ، ولما ولد ارسلت امه لجده تبشره فأقبل مسروراً واسماه محمدا ولم يكن هذا الاسم شائعاً عند العرب .

وجده هذا كان رئيس عائلة من اشرف العائلات في جزيرة العرب فكانت قابضة على كثير من السلطات الاجتماعية والدينية والحربية .

* * *

رضاعه

كان من عادة العرب أن يلتمسوا المراضع لمواليدهم في البوادي ليكون أنجب للولد ، وكانوا يقولون ان المربى في المدن يكون كليل الذهن فاتر العزيمة ، فجاءت نسوة من بني سعد بن بكر يطلبن اطفالاً يرضعنهم ، فكان الرضيع المحمود من نصيب حليمة بنت ابي ذؤيب بن الحارث السعدية ، فتسلمته من أمه آمنة وارضعته ومضت به الى بلادها وهي بادية بني سعد ، فمكث لديها اربع سنوات .

* * *

الرسول في حضانة امه وجده وعمه

ردت حليمة الرسول (ص) الى امه بعد ان قامت بوظيفتها احسن قيام ، فكانت لامه عادة منذ توفي زوجها عبد الله بالمدينة ان تذهب كل سنة لزيارة قبره بها ومعها عبد المطلب فذهبت لتلك الزيارة وبينا هي راجعة اذ مرضت في الطريق وتوفيت بالابواء بين مكة والمدينة ، فحملته ام ايمن وهي حاضنته ومولاة ابيه الى مكة فكان في حجر عبد المطلب وكان يحبه حباً عظيماً .

قال ابن اسحق : كان رسول الله (ص) مع جده عبد المطلب بن هاشم وكان

---

(١) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين لمحمد الخضري .

يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج اليه لا يجلس عليه احد من بنيه اجلالاً له ، فكان يأتي رسول الله (ص) وهو غلام صغير حتى يجلس عليه فيأخذه اعمامه ليؤخروه عنه فيقول عبد المطلب اذا رأى ذلك منهم دعوا ابني هذا فوالله ان له لشأناً ، ثم يجلسه معه عليه ويمسح ظهره بيده ويسره ما يراه يصنع [1] .

ولما توفي عبد المطلب أوصى به قبل وفاته الى ابي طالب فكان له رحيماً وعليه غيوراً ثم ان ابا طالب خرج في ركب تاجراً الى الشام فأخذ الرسول (ص) معه ولم يمكث في الشام الا قليلاً وهي الرحلة الاولى .

* * *

الرسول في شبابه

ولما شب الرسول (ص) هاجت حرب الفجار وهي حرب كانت بين قريش وحلفائها في موضع يسمى نخلة بين مكة والطائف وكان قائد قريش كلها حرب بن امية لمكانه فيهم سناً وشرفاً وكان رئيس بني عبد المطلب الزبير بن عبد المطلب ، وقد حضر هذه الحرب النبي (ص) وكان ينبل فيها على عمومته اي يجهز لهم النبل للرمي .

ثم تزوج الرسول خديجة بنت خويلد الاسدية ، وكانت خديجة امرأة تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم اياه بشيء تجعله لهم ، فلما بلغها عن رسول الله (ص) ما بلغها من صدق حديثه وعظم امانته وكرم اخلاقه بعثت اليه فعرضت عليه ان يخرج في مال لها الى الشام تاجراً أو تعطيه افضل ما كانت تعطي غيره من التجار مع غلام لها يقال له ميسرة ، فقبل الرسول (ص) وسافر معه غلامها ميسرة وربحا ربحاً طائلاً ، فلما آنست خديجة نجابة الرسول (ص) في التجارة ارسلت اليه تخطبه لنفسها فخطبها عمه الى عمها وتم الزواج بينهما .

ثم صدع سيل جارف جدران الكعبة بعد توهين من حريق كان قد اصابها فشارك الرسول (ص) قريشاً في بنائها ، ولما اختلفوا فيمن يضع الحجر الاسود

---

(١) سيرة ابن هشام ج١ .

حتى كادوا يقتتلون ادركهم الله بالرسول (ص) الفطن ، فبسط رداءه ، وقال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم وضع الحجر فيه وامرهم برفعه حتى انتهوا الى موضعه ، فأخذه الرسول (ص) ووضعه .

* * *

معيشة الرسول وسيرته الادبية قبل البعثة وبعدها

لم يرث الرسول (ص) من والده شيئاً ولما بلغ مبلغاً يمكنه ان يعمل عملاً كان يرعى الغنم مع اخوته من الرضاع في البادية وكذلك كان عمله لما رجع الى مكة كان يرعاها لأهلها على قراريط .

ولما شب كان يتجر وكان له شريك يدعى السائب بن ابي السائب ، وقد علمنا انه ذهب في تجارة خديجة على جعل يأخذه ، ثم تزوجها وصار يعمل في مالها ويأكل من نتيجة عمله .

اما سيرته الادبية فكان في قومه ممتازاً باخلاق فاضلة : منها صدق الحديث والامانة حتى سموه الامين وكانوا يودعون عنده ودائعهم واماناتهم ، وكان لا يشرب الخمر ولا يأكل مما ذبح على النصب ولا يحضر للاوثان عيدا ولا احتفالا بل كان من أول نشأته نافراً من هذه المعبودات الباطلة .

والخلاصة كان الرسول (ص) على جانب عظيم من الاخلاق الحميدة والفعال السديدة كالحلم والصبر والشكر والعدل والتواضع والعفة والجود والشجاعة والحياء حتى شهد له بذلك الد اعدائه النضر بن الحارث من بني عبد الدار حيث يقول : قد كان محمد (ص) فيكم غلاماً حدثاً ارضاكم فيكم واصدقكم حديثاً واعظمكم امانة حتى اذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر [1] .

ولما سأل هرقل امبراطور الروم أبا سفيان قائلاً هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال ، قال لا فقال هرقل ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله .

---

(١) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين لمحمد الخضري .

كمال منطقه

كان الرسول (ص) يعرف السنة العرب ، ويعلم لغة من بعد منهم واقترب ويخاطب كل طائفة بلسانها ، فكان حلو المنطق ، في كلامه ترتيل ، كلامه فصل لا نزر ولا هذر ، يحفظه من جلس ، ويفهمه كل من سمعه ، كأنما هو درر نظمت ، لا فضول فيه ولا تقصير ، لو عده العاد لاحصاه .

قالت عائشة : ما كان رسول الله (ص) يسرد كسردكم هذا ، ولكن كان يتكلم بكلام بين فصل ، يحفظه من جلس اليه [1] .

وقال ابن ابي هالة : كان رسول الله (ص) متواصل الاحزان ، دائم الفكرة ، ليست له راحة ، ولا يتكلم في غير حاجة ، طويل السكوت ، يفتح الكلام ويختمه باشداقه ، ويتكلم بجوامع الكلم فصلاً لا فضول فيه ولا تقصير ، دمثاً ليس بالجافي ولا المهين الخ [2] .

* * *

كمال عقله

من تأمل حسن تدبيره للعرب الذين وجه اليهم دعوته وكيف ساسهم واحتمل جفاهم وصبر على اذاهم الى ان انقادوا اليه فالتفوا حوله وقاتلوا دونه اهليهم وآباءهم واختاروه على انفسهم وهجروا في رضاه اوطانهم واحباءهم ، لا جرم ان ذلك يؤيد ان الرسول (ص) انه كان على جانب عظيم من العقل الكبير وثقوب الرأي وجودة الفطنة واصابته وصدق الظن وحسن النظر في العواقب والمصالح وكمال التدبير واقتناء الفضائل .

* * *

نجدته وشجاعته

كان الرسول (ص) ذا شجاعة ونجدة وبسالة وشدة وحماسة وصرامة وصولة واقدام ، طالما ثبت في الشدائد وهو مطلوب ، وصبر على البأساء والضراء وهو

---

(١) محمد صلى الله عليه وسلم المثل الكامل لمحمد احمد جاد المولى .

(٢) محمدٌ صلى الله عليه وسلم المثل الكامل لمحمد احمد جاد المولى .

مكروب ،ونفسه في اختلاف الاحوال ساكنة ، لا يتحير في شدة ولا يستكين لعظيمة او كبيرة ، ولقد لقي بمكة من قريش ما تشيب له النواصي وهو مع الضعف يصابر صبر المستعلي ويثبت ثبات المستولي .

تصدى لجهاد الاعداء وقد احاطوا بجهاته واحدقوا بجنباته ، وهو في قطر مهجور وعدد محقور ، وبذلك جمع بين التصدي لشرع الدين حتى اظهره ، ومكافحة العدو حتى قهره ، فلقد صابر العدو وابلي معه بلاءً حسناً ، فلم يشهد حرباً الا صابر حتى انجلت عن ظفر أو دفاع وهو في موقفه لم يزل عنه هرباً ولا حار فيه رعبا .

قال علي بن ابي طالب : كنا اذا حمي البأس اتقينا برسول الله (ص) فما يكون احد اقرب منه الى العدو ، ولم يكن مثله مثل قواد هذا الزمان : يكونون ابعد ما يكون عن مرمى القنابل والمهلكات [1] .

* * *

رغبته عن الدنيا وخشيته من ربه

كان الرسول (ص) زاهداً في الدنيا ، متقللاً منها ، معرضاً عن زهرتها ، غير ناظر الى نضرتها ، متحلياً بالطاعة ، شعاره العفاف والكفاف ، مقتصراً من نفقته وملبسه على ما تدعو اليه الضرورة ، يلبس البرد الغليظة ، ويقسم حلل الديباج على اصحابه . عيشه ظليف ، ومأكله طفيف ، وفراشه من أدم حشوة ليف ، يبيت جائعاً طاويا ، ويصبح صائماً خاويا ، ما خلف ديناراً ولا درهما ، ولم يترك الا سلاحه وبغلته وارضاً جعلها صدقة .

وكان شديد الخوف والعبادة وافر الطاعة والمحبة ، طاعته نظير حبه ، وخوفه على قدر علمه بربه ، يصلي طويلاً ، ويقوم الليل الا قليلا ، قام حتى تورمت قدماه .

* * *

أحترامه نفسه

كان النبي (ص) يعرف لنفسه قدرها ماضي العزم لا يؤخر عمل اليوم الى

(١) محمد صلى الله عليه وسلم المثل الكامل لمحمد احمد جاد المولى .

الغد ما عبث قط ، ولا ظهر شيء من اللهو واللعب في قوله وفعله ، ولم يكن من شأنه التلاعب بالاقوال والقضايا المنطقية والعبث بالحقائق .

* * *

جوده وسخاؤه

كان النبي (ص) يعجل بالاحسان والصدقة والمعروف فيجود بكل موجود ، ويكسب المعدم ، يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة ، لا يدخر شيئاً من يومه لغده ، اسخى من الغمائم المثقلة ، واجرى بالخير من الريح المرسلة ، ما سئل عن شيء فقال : لا ، ولا اعرض عن طالب ، وكان يجود بكل موجود ، وكان اذا سئل وهو معدم وعد ولم يرد وانتظر ما يفتح الله به .

قال صفوان بن امية : لقد اعطاني رسول الله (ص) ما اعطاني وانه لمن ابغض الناس الي ، فما برح يعطيني حتى انه لأحب الناس الي . اني اشهد ما طابت بهذا الا نفس نبي [1] .

كان جود النبي (ص) كله لله وفي ابتغاء مرضاته فانه كان يبذل تارةً لفقير أو محتاج ، وتارةً ينفقه في سبيل الله ، وتارةً يتألف به على الاسلام من يقوى الاسلام باسلامه . وكان يؤثر على نفسه واولاده فيعطي عطاء يعجز عنه الملوك مثل كسرى وقيصر ، ويعيش في نفسه عيش الفقراء .

* * *

حسن معاشرته

ما نهر الرسول (ص) خادماً وما ضرب بيده شيئاً الا ان يجاهد في سبيل الله . قال انس : خدمت النبي (ص) عشر سنين فما قال لي : أف قط ، ولا قال لشيء صنعته : لم صنعته ؟ ولا لشيء تركته : لم تركته [2] .

وقالت عائشة : كان رسول الله (ص) اذا خلا في بيته ألين الناس بساماً ضحاكاً [3] .

---

(١) محمد صلى الله عليه وسلم المثل الكامل لمحمد احمد جاد المولى .
(٢) محمد صلى الله عليه وسلم المثل الكامل لمحمد احمد جاد المولى .
(٣) محمد صلى الله عليه وسلم المثل الكامل لمحمد احمد جاد المولى .

فكان الرسول (ص) يتعطف على ذوي رحمه بصلاته ، ويتلطف بالصغار من اولاده ، ويعرض عن تكلم بغير جميل ، مجلسه مجلس هدى وعلم ، ومحل خير وحياء وحلم ، لا تذكر فيه العيوب ولا تخفر فيه الذمم ، ان تكلم اطرق جلساؤه وان صمت زاد وقاره وبهاؤه ، يعطي كل جلسائه نصيبه ولا يحسب جليسه ان احداً اكرم عليه منه ، يصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته ، يؤثر اهل الفضل على قدر فضلهم في الدين والخلق ، يتغافل عما لا يشتهي ولا يكاد يواجه احداً بما يكره ، افضل الناس عنده اعمهم نصيحة واعظمهم عنده احسنهم مؤاساة ومؤازرة . كان اذا جلس مع الناس ان تكلموا في معنى الآخرة اخذ معهم وان تحدثوا في طعام أو شراب تحدث معهم وان تكلموا في الدنيا تحدث معهم .

* * *

اغضاؤه عما لا يحبه وعفوه عند المقدرة

كان النبي (ص) وافر الحلم والاحتمال ، يصل من قطعه ، ويعطي من منعه ، ويبذل لمن حرمه ، ويعفو عمن ظلمه ، ويغضي طرفه على القذى : ويحبس نفسه عن الاذى ، ويصبر على ما يشق ويكره ، ولا يزيد مع اذى الجاهل الا صبراً وحلماً ، وكم عفا عما بدا من المنافقين في حقه قولاً وفعلا .

حدث انه لما كان المصطفى يقسم بعض الغنائم يوم خيبر قال له رجل : يا رسول الله اعدل ، فقال له المصطفى : ويحك فمن يعدل اذا لم اعدل ؟ فقد خبتُ اذن وخسرت ان كنت لا اعدل ، فقام عمر فقال الا اضرب عنقه فانه منافق ؟ فقال معاذ الله ان يتحدث الناس اني اقتل اصحابي [1] .

وكان الرسول (ص) في حرب فرأى العدو من المسلمين غرة ، فجاء رجل حتى قام على رأس الرسول (ص) بالسيف فقال : من يمنعك مني ؟ فقال : الله ، فسقط السيف من يده ، فاخذه المصطفى وقال له : من يمنعك مني ؟ فقال الرجل : كن خير آخذ . قال المصطفى : قل اشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله ، فقال : لا ، غير اني لا اقاتلك ولا اكون معك ، ولا أكون موقع من يقاتلونك ، فخلى سبيله فجاء الرجل اصحابه فقال :جئتكم من عند خير الناس [2] .

---

(١) محمد صلى الله عليه وسلم المثل الكامل لمحمد احمد جاد المولى .
(٢) محمد صلى الله عليه وسلم المثل الكامل لمحمد احمد جاد المولى .

حسن سياسته

نشأ عن حسن سياسة النبي (ص) واستقامة سيرته انه أحدث انقلاباً عظيماً في أمته فصرف معظمها عما كانت تعرفه الى غير ما تعرفه ، فأذعن له بعضهم طوعاً ، وانقاد له آخرون خوفاً وطمعاً ، وليس من السهل انتزاع كثير من العادات المتأصلة الا لمن كان معاناً بحزم صائب وعزم ثاقب ، ووقف موقف العدل في احكامه وامرهم بالاعتدال فيها .

* * *

طريقته المثلى في الهداية

لقد جاهد الرسول (ص) حتى زلزل العقائد الفاسدة وقضى على العادات المرذولة وما غرس في قومه أو القبائل الاخرى وعداً كاذباً أو ادعى الالوهية أو احاط نفسه بمظاهر الابهة من الحرس والحشم للتهويل في نفوس الناس وارهابهم ، وانما كان يصارح قومه بانه رسول رب العالمين جاء لهم مبشراً ونذيرا .

جاء بالمعجزات الكثيرة ولكنه ما ادعى انه قادر على الاتيان بها بل كان يقول بلسان القرآن (انما انا بشر مثلكم) (قل لا املك لنفسي نفعاً ولا ضراً الا ما شاء الله ولو كنت اعلم بالغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء) . (ليس لك من الامر شيء) (قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك ان اتبع الا ما يوحى الي) .

عن ابن عباس قال : سمعت عمر سمعت النبي (ص) يقول : لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم فانما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله [1] .

كان النبي (ص) يوجه نظر معانديه الى الكون وما فيه مما يدل على ان لله سلطاناً على كل شيء ، وان كل مكان لا يخلو من آية من آياته ، واذا سئل عن معجزة قال لسائليه : حسبكم الكون معجزة انظروا الى الارض فهي من عجائب صنع الله وآية على وجوده وعظمته خلقها لكم وسلك لكم فيها سبلاً تمشون في مناكبها وتأكلون من رزقه ، ثم انظروا الى السحاب المسير في الآفاق يسبح بمائه

(١) اخرجه البخاري ومسلم .

فيحيي ارضاً ميتة ويخرج منها زرعاً ونخيلاً واعنابا ، ثم انظروا الى الانعام خلقها لكم تجعل المرعى لبناً سائغاً للشاربين ، ثم انظروا في انفسكم فانكم معجزة لقد كنتم صغاراً ومن قبل لم تكونوا شيئاً مذكورا ، ثم وهب لكم الله العقل والقوة والجمال والرحمة .

* * *

ثباته على مبدئه

لبث المصطفى (ص) ثلاث سنين يعرض دعوته على اقوام جفاة لا دين لأغلبهم الا ان يسجدوا لاصنام لا تنفع ولا تضر ، ولا حجة لهم الا انهم متبعون لما كان يعبد آباؤهم ، وليس عندهم من مكارم الاخلاق الا ما كان مرتبطاً بالعزة مما كان سبباً في الغارات والحروب واهراق الدماء ، فلم يصادف في خلال هذه السنين الا جمودا وسخرية ، ولم يؤمن به اكثر من ثلاثة عشر رجلاً ، ومثل هذا نجاح بطيء لا يشجع في ذاته ، بيد ان المصطفى (ص) ظل ثابتاً في دعوته قوياً في عزمه وارادته .

ولما امره الله بالجهر بالدعوة في قوله تعالى (فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين) ، اعلن لقريش الدعوة الى توحيد الله تعالى والاخلاص له وترك تعظيم الاصنام وعبادتها ، فكان الرسول يطوف على الناس في منازلهم يقول : يا ايها الناس : ان الله يأمركم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وابو لهب وراءه يقول : يا أيها الناس : ان هذا يأمركم ان تتركوا دين آبائكم [1] .

ثم صعد على الصفا وجعل ينادي : يا بني فهر ، يا بني عدي لبطون قريش ، فجعل الرجل اذا لم يستطع ان يخرج ارسل رسولاً لينظر الخبر ، فقال لهم عليه السلام وهم مجتمعون « أرأيتم لو أخبرتكم ان خيلاً بالوادي تريد ان تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟ » قالوا : نعم . ما جربنا عليك كذبا . قال : فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد . فقال ابو لهب : تباً لك ، ألهذا جمعتنا ؟ [2] .

ثم نزل على الرسول (ص) قوله تعالى : (وانذر عشيرتك الاقربين) وهم

---

(١) محمد صلى الله عليه وسلم المثل الكامل لمحمد احمد جاد المولى .
(٢) محمد صلى الله عليه وسلم المثل الكامل لمحمد احمد جاد المولى .

بنو هاشم وبنو المطلب وبنو نوفل وبنو عبد شمس ، اولاد عبد مناف فجمعهم عليه السلام وقال لهم : ان الرائد لا يكذب اهله والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم والله الذي لا اله الا هو اني لرسول الله اليكم خاصة والى الناس كافة والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون ولتجزون بالاحسان احساناً وبالسوء سوءاً وانها لجنة ابداً أو لنار أبداً [1] .

من اجل ذلك استاء قريش حراس الكعبة وخدام الاصنام وجعلوا يقولون : من هذا الذي يزعم انه اعقل منا جميعاً ثم يعنفنا ويرمينا بالجهل والحمق وعبادة الخشب ؟ فأجمعوا على عداوته وقام عمه ابو طالب دونه محامياً عنه ، واضمرت قريش الحقد والعداوة للرسول (ص) ، فمشى رجال من اشرافها الى ابي طالب يقولون له : ان ابن اخيك سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه احلامنا فأما ان تكفه عنا واما ان تخلي بيننا وبينه . فانك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيه ، فردهم ابو طالب رداً جميلاً فانصرفوا ، والرسول (ص) على ما هو عليه مظهر لدين الله داع اليه . فهالهم الامر حتى مشوا الى ابي طالب مرة اخرى يقولون : انهم لا يصبرون على ابن اخيه ، فأصبح ابو طالب في حيرة بين مفارقة قومه وعداوتهم وخذلان ابن اخيه فتلطف معه ليستبقيه عليه وعلى نفسه ولا يحمله من الامر ما لا يطيق ، ولكن الرسول (ص) قال لابي طالب : يا عماه : لا اترك هذا الامر حتى يظهره الله او أهلك فيه ، فقال له عمه : ما احببت ، فوالله لا اسلمك لشيء ابدا [2] .

وعقب ذلك وثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يضربونهم ويفتنونهم في دينهم ، وافترق امر قريش ، فتعاهد بنو هاشم وبنو عبد المطلب على القيام دون النبي (ص) ، واشتد العذاب على المسلمين . عند ذلك اذن الرسول (ص) لاصحابه في الهجرة الى الحبشة ، ولما رأت قريش استقرارهم في الحبشة ارسلوا عمرو بن العاص وعبد الله بن ابي ربيعة بهدايا وتحف من بلادهم الى النجاشي ليرد المهاجرين الى قومهم ، فابى ذلك وردهما خائبين بهديتهما .

---

(١) محمد صلى الله عليه وسلم المثل الكامل لمحمد احمد جاد المولى .

(٢) محمد صلى الله عليه وسلم المثل الكامل لمحمد احمد جاد المولى .

ثم قدم الى مكة من اهل المدينة عدد كثير يقصدون الحج ، فاجتمعوا بالرسول (ص) وعاهدوه ان هو هاجر اليهم على ان يدافعوا عنه وينصروه على اعدائه . ولما سمع المشركون ان الرسول (ص) حالف قوماً عليهم ازداد أذاهم عليه وعلى اصحابه ، فأمر النبي بالهجرة الى المدينة ، فصاروا يتسللون فراراً بدينهم ليتمكنوا من عبادة الله ، وبذلك تمت هجرة النبي (ص) الى دار ينشر فيها الاسلام ، ويكون فيها له العزة والمنعة .

بعض غزوات الرسول ﷺ

ولما وصل الرسول (ص) الى قباء اقام بها اربعة ايام اسس فيها مسجد قباء ، وفي ذلك اليوم سار الى المدينة تحفه الانصار . ثم آخى الرسول (ص) بين المهاجرين والانصار فكان كل انصاري ونزيله اخوين في الله . وقد وجد المسلمون في المدينة عقبات تعرقل مساعيهم وهم اليهود من بني قينقاع وقريظة والنضير فانهم كفروا بالرسول (ص) حسداً من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم انه الحق ، وكانوا قبل مجيء الرسول يستفتحون على المشركين من العرب اذا شبت الحرب بين الفريقين بنبي يبعث قد قرب زمانه ، فلما جاءهم ما عرفوا استعظم رؤساؤهم ان تكون النبوة في ولد اسماعيل فكفروا بمحمد واخذوا يكيدون له ولاصحابه .

وكانت تساعد اليهود على مقاصدهم جماعة من العرب آمنوا علناً واخفوا الكفر في نفوسهم ولا شك ان ضرر هؤلاء المنافقين اشد على المسلمين من ضرر الكفار لأن اولئك يدخلون بين المسلمين فيعلمون اسرارهم ويشيعونها بين الاعداء من اليهود وغيرهم ، فلم يسع الرسول (ص) الا ان عقد مع اولئك عهداً مقتضاه ترك الحرب والاذى فلا يحاربهم ولا يؤذيهم ولا يعينون عليه احداً وان دهمه بالمدينة عدو ينصرونه واقرهم على دينهم .

* * *

غزوة بدر

كانت قريش امة معادية آذت المسلمين واخرجتهم من ديارهم بعد ان فعلت بهم الافاعيل ، واستولى مشركو مكة على ما تركه المسلمون فيها بعد ان بارحوا اوطانهم مرغمين فكان ذلك داعياً الى ان يصادر النبي (ص) تجارتهم التي يذهبون بها الى الشام والتي يجلبونها منه .

خرجت عير من مكة يقدمها ابو سفيان بن حرب ومعه ثلاثون أو اربعون رجلاً

من قريش فذهبت الى الشام وباعت وابتاعت وحينما عادت العير علم بها الرسول (ص) فندب اليها اصحابه وقال : هذه عير قريش فاخرجوا اليها لعل الله ان ينفلكموها فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل آخرون لانهم لم يكونوا يظنون ان الرسول (ص) يلقى حرباً وكانت عدة من خرج معه ٣١٤ رجلاً ٨٣ من المهاجرين و٦١ من الأوس و١٧٠ من الخزرج . ولما علم ابو سفيان قائد حرس تلك التجارة بعث من يخبر قريشاً بالخبر ، فخافوا على تجارتهم فخرج لحمايتها جماعة كانت عدتهم بين ٩٠٠ ــ ١٠٠٠ ولما علم الرسول (ص) بخبر نهوض قريش جمع اصحابه وقال لهم : شدوا عليهم فهزموا قريشاً وقتلوا نحو السبعين واسر نحو السبعين وانهزمت بقيتهم لا تلوي على شيء . وقتل من المسلمين ١٤ رجلاً .

* * *

غزوة بني قينقاع

كان بنو قينقاع اول يهود نقضوا عهودهم وظهر منهم بعد بدر ما كان خافياً من عدائهم اذ انهم قالوا له يا محمد لا يغرنك ما لقيت من قومك فانهم لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة والله لان حاربناك لتعلمن انا نحن الناس . وعقب ذلك سار اليهم الرسول (ص) بجنود فتحصنوا في حصونهم فحاصرهم خمس عشرة ليلة في آخرها نزلوا على حكمه ، فاجلاهم من المدينة فخرجوا منها الى اذرعات بالشام واقاموا فيها .

* * *

غزوة احد

هذه الغزوة مكنت القريشيين من الاخذ بثأرهم وذلك ان قريشاً لما أصابها ما أصابها ببدر من وقوف تجارتها ومقتل قادتها عزمت ان تؤمن طريقها وتأخذ بثأرها فاجتمع نحو ثلاثة آلاف رجل وخرج مع هذا الجيش نسوة يعزفن بالدفوف ، فلما سمع النبي (ص) بهم وبنزولهم استشار اصحابه أيخرج اليهم أم يقيم في المدينة فقال له عبد الله بن ابي بن سلول وكان رئيساً في الانصار الا انه كان يضمر نفاقاً : نرى ان نقيم بالمدينة وندعهم حيث نزلوا فان اقاموا اقاموا بشر مقام ، وان دخلوا علينا قاتلناهم فيها وكان ذلك رأي الرسول (ص) ، ولكن رأى جمهورهم

ان يخرج الى العدو ، فما زالوا به حتى غيروا عزيمته ، فخرج في الف رجل حتى اذا كان بالشوط انخزل عنه عبد الله بن ابي بن سلول بثلث الناس وقال : اطاعهم وعصاني ما ندري علام نقتل انفسنا هنا ايها الناس فرجع بمن اتبعه من قومه ، ومضى الرسول (ص) بسبعمائة رجل نزل بهم في شعب أحد ، وجعل ظهره للجبل ووجهه للمدينة ، وتعبأت قريش وهم ثلاثة آلاف رجل ومعهم مئتا فرس قد جنبوها وكان على ميمنة خيلهم خالد بن الوليد وعلى مسيرتها عكرمة بن ابي جهل .

ثم ابتدأ القتال بالمبادرة ، ثم حملت خيالة المشركين على المسلمين ثلاث مرات وفي كلها يتقهقرون من النبل ولما تلاقت الصفوف ابتدأت نساء المشركين يضربن الدفوف وينشدن الاشعار تهييجاً للحمية .

وفي هذه الوقعة ابلى المسلمون بلاءً حسناً وكادوا ينتصرون على اعدائهم الا ان الرماة لما رأوا المشركين انكشفوا ، مالوا الى العسكر وخلوا ظهور المسلمين للعدو فالتفت خيالة المشركين بقيادة خالد بن الوليد حتى جاءتهم من خلفهم وبعضهم مشتغل بأخذ الغنيمة فاحتلت صفوفهم ، واخذت لواء المشركين عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعته لقريش فاجتمعوا اليه ، واشاع بعضهم ان الرسول (ص) قد قتل ففشل المسلمون وانهزموا .

* * *

غزوة الخندق وهي غزوة الاحزاب

بلغ الرسول (ص) تحزب قبائل العرب فحفر حول المدينة خندقاً وأتت قريش ومن تبعها من كنانة وغطفان وغيرهم في عشرة آلاف مقاتل .

فلما بلغ الرسول (ص) خبر هذه الجموع استشار اصحابه في العمل فأشار عليه سلمان الفارسي بحفر الخندق فأمر اصحابه بعمله وكان يعمل معهم ويحمل التراب على عاتقه .

واقام جيش المسلمين في الجهة الشرقية وقد جعلوا ظهورهم الى جبل سلع ، وكان عدده ثلاثة آلاف مقاتل ، ونزلت قريش ومن معها بمجتمع الاسيال ونزلت غطفان بذنب نقمي الى جانب احد .

ولبث الفريقان بضعاً وعشرين ليلة لم يكن بينهما حرب الا المراماة بالنبل والحصار ، ثم اختلفت احزاب المشركين فرحلوا بعد ان استشهد من المسلمين ستة .

* * *

فتح مكة

كانت بطون خزاعة قددخلت في عهد الرسول (ص) ، وبكر دخلت في عهدقريش، وكان بين الحيين في الجاهلية دماء ، فاغتنم ابو الديل من بني بكر الفرصة وارادوا ان يصيبوا من خزاعة ثأرهم ، ورفدتهم قريش بالسلاح وخرج منهم نفر يقاتلون خزاعة ، فقدم من خزاعة عمرو بن سالم الخزاعي على الرسول (ص) في المدينة وانشده شعراً يخبره فيه بنقض قريش لعهدهم ومظاهرتهم لبني بكر على خزاعة ويطلب منه النصر وفاءً بالعهد ، ثم خرج بُديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة حتى اتوا الرسول (ص) فأخبروه بما نقضت قريش من العهد .

اما قريش فقد ادركت خطأها وارسلت ابا سفيان بن حرب الى المدينة ليشد العقد ويزيد في المدة فلم ينجح وكان مجيئه على هذه الصورة مما اكد الخبر عند الرسول (ص) والمسلمين ، فامرهم ان يتجهزوا الى مكة وامرهم بالجد ، ولم يكن يحب ان تعلم قريش بمسيره فخرج في عشرة آلاف رجل يريد مكة .

وكانت قريش تتوقع وقوع شيء بعد ان فعلت ما فعلت ولكن عميت عليهم الاخبار فلم يعلموا بشيء من مسير المسلمين اليهم ، وبينا المسلمون بمر الظهران خرج ابو سفيان وحكيم بن حزام وبُديل بن ورقاء يتجسسون الاخبار فظفرت بهم جنود المسلمين .

ثم اسلم ابو سفيان واكرمه الرسول (ص) بان جعل كل من دخل دار ابي سفيان فهو آمن ومن اغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ، ثم اطلق فذهب الى مكة مسرعاً ونادى بأعلى صوته : يا معشر قريش محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به واعلن لهم كلمة الرسول (ص) فتفرق الناس الى دورهم والى المسجد ، ثم سار الرسول (ص) بجنوده حتى دخل من اعلى مكة ولم يحصل بين المسلمين وقريش الا مناوشات لا تستحق الذكر ، فلما نزل مكة واطمأن الناس سار

الى البيت فطاف به سبعاً على راحلته ، ثم أخذ مفتاح الكعبة من حاجبها عثمان ابن طلحة الشيبي ، ثم وقف على باب الكعبة وقال : لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده الا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى به فهو تحت قدمي هاتين الا سدانة البيت وسقاية الحاج ، ثم قال : يا معشر قريش ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، الناس من آدم وآدم من تراب ، ثم قال : يا معشر قريش ما تظنون اني فاعل بكم قالوا : خيراً ، اخ كريم وابن اخ كريم قال : اذهبوا فانتم الطلقاء [1] .

ثم رد مفتاح الكعبة الى سادنها ، ودخل البيت فازال ما به من الصور والتماثيل المختلفة ودخل في الاسلام ذلك اليوم معظم قريش ولم يتخلف منهم الا القليل ثم اسلموا بعد ، وقضى خضوع قريش ودخولهم في الاسلام القضاء الاخير على الوثنية في جزيرة العرب لانهم كانوا حماتها وانصارها والعرب في ذلك لهم تبع .

* * *

غزوة حنين

سبب هذه الغزوة ان بني هوازن وبني ثقيف انفوا ان يدخلوا فيما دخل فيه اخوانهم من العرب فاجتمع قادتهم وقرروا الاغارة على مكة .

ولما سمع الرسول بهم خرج اليهم ومعه اثنا عشر الفاً حتى بلغ وادي حنين ، وكان هوازن وثقيف قد كمنوا في شعابه فشدوا على المسلمين شدة رجل واحد قبل ان يهيء هؤلاء صفوفهم فانهزم المسلمون لا يلوي بعضهم على بعض وثبت الرسول (ص) في نفر من المهاجرين والانصار واهل بيته حتى اذا اجتمع اليه منهم مئة استقبلوا الناس فاقتتلوا ، ثم تلاحق بهم من كانوا تركوا الموقعة وكانت حدة العدو قد انكسرت فلم تكن الا ساعات قلائل حتى هزموا عدوهم هزيمة منكرة وقتل من ثقيف وحدهم نحو السبعين وحاز المسلمون ما كان مع العدو من مال وسلاح وغيرهما .

---

(١) تاريخ الامم الاسلامية ـ الجزء الاول ـ لمحمد الخضري .

نشر الاسلام خارج بلاد العرب

لما علت كلمة الاسلام انفذ الرسول (ص) رسله الى مختلف الاقطار وارسل البعوث الى ملوك الفرس والروم ومصر والحبشة ، فرد بعضهم رداً حسناً كالمقوقس عظيم القبط وارسل الى النبي (ص) جملة هدايا ، ومنهم من ابى واستكبر واهان الرسل فكانت عاقبته الخسران المبين .

* * *

غزوة تبوك

وتعرف بغزوة العسرة لانها كانت في زمن عسرة الناس وجدب الارض وشدة الحر ، وسببها ان الروم جمعت الجموع بالشام مع هرقل تريد غزو المسلمين في بلادهم ، فعلم الرسول (ص) بذلك فسار بجيش عدده ثلاثون الفاً من مكة والمدينة وقبائل العرب ، وقد استقبل المسلمون فيها سفراً بعيداً ومفاوز مهلكة وعدواً كثيراً حتى انهم كانوا ينحرون البعير فيشربون ما في كرشه من الماء ، ولما وصلوا الى تبوك جاءهم يوحنا بن رؤبة صاحب ايلة فصالح الرسول (ص) واعطاه الجزية ، وأتاه اهل جرباء وأهل اذرح فأعطوه الجزية ، ثم بعث وهو بتبوك خالد بن الوليد الى اكيدردومة ، فذهب اليه واسره وجاء به الى الرسول (ص) فحقن له دمه وصالحه على الجزية ثم خلى سبيله فرجع الى قريته ، واقام المسلمون بتبوك اياماً ثم انصرفوا الى المدينة . وهذه الغزوة آخر مرة خرج بها الرسول (ص) محارباً .

* * *

وفاة الرسول

في شهر صفر من سنة ١١ هـ ابتدأ الرسول (ص) يشكو من حمى اصابته فاستأذن نساءه ان يمرض في بيت عائشة فأذن له ، ولما كان يوم الاثنين ١٣ ربيع الاول سنة ١١ هـ و٦٣٢ م . توفي الرسول (ص) وانتشر خبر وفاته بين اصحابه فاندهشوا لذلك الخبر العظيم وطاشت عقولهم واختلفت احوالهم ، وجاء ابو بكر وعيناه تهملان فقبل النبي (ص) وقال بأبي انت وامي طبت حياً وميتاً وتكلم كلاماً

بليغاً سكن به نفوس المسلمين وثبت جأشهم ، ثم قام وصعد المنبر وقال : ايها الناس من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افائن مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين [1] .

(١) السيرة الحلبية ج٣ لبرهان الدين الحلبي .

رأي بعض الباحثين
في الرسول

قال سيديو : شب محمد (ص) حتى بلغ فكان اعظم النـاس مروءة وحلماً وأمانة واحسنهم جواباً واصدقهم حديثاً وابعدهم عن الفحش حتى عرف في قومه بالامين .

وقال ايضاً : كان الرسول (ص) أمياً ارجح الناس عقلاً وافضلهم رأياً دائم البشر مطيل الصمت لين الجانب سهل الخلق يكثر الذكر ويقل اللغو يستوي عنده في الحق القريب والبعيد والقوي والضعيف يحب المساكين لا يحقر فقيراً لفقره ولا يهاب ملكاً لملكه يؤلف اصحابه ولا ينفرهم ويصابر من جالسه او قاومه أو صافحه ولا يحيد عنه حتى يكون الرجل هو المنصرف يتفقد اصحابه يجلس على الارض ويخصف النعل ويرقع الثوب [1] .

*

وقال هنري دي كستري : اذن لا يمكن ان ننكر على محمد (ص) في الدور الاول من حياته كمال ايمانه واخلاص صدقه ، فأما الايمان فلم يتزعزع مثقال ذرة من قلبه في الدور الثاني ، وما أوتيه من النصر كان من شأنه ان يقويه على الايمان لولا ان الاعتقاد كله قد بلغ منه مبلغاً لا محل للزيادة فيه ولم يكن فيه عيب ، بل ان ما نسبوه اليه من هذا القبيل لا يؤثر بشيء في سيرته الطاهرة فما كان يميل الى الزخارف ولم يكن شحيحاً تجرد من الطمع وتمكن من نيل المقام الأعلى في بلاد العرب ، ولكنه لم يجنح الى الاستبداد فيها ، فلم يكن له حاشية ، ولم يتخذ وزيراً ولا حشماً ، وقد احتقر المال والمعالي ، وبلغ من السلطان منتهاه ، ولم يكن له من علامات الامارة والملك سوى قضيب من الفضة مكتوب عليه (محمد رسول الله) .

---

(١) خلاصة تاريخ العرب لسيديو .

وان محمداً (ص) قاوم الوثنية بعزم واحد طول الحياة ولم يتردد لحظة واحدة بينها وبين عبادة الواحد الأحد كما فعل الملك الروماني « الامبراطور قسطنطين » وكان ايمانه ثابتاً على الدوام لذلك لم تتغير حميته ولم تفتر عزيمته فقد انتهى كما بدأ ولو انه جال بفكره شك في صدق رسالته لكفى بنصره الدائم مزيلاً لهذه الغمة ومؤيدا له في صحة نبوته وصدق رسالته ــ ان الذين ينكرون صدق محمد (ص) في آخر حياته لا يستطيعون ان ينكروا عليه انه بقي الى آخر لحظة منها نبياً رسولاً شديد التمسك بمذهبه وانه فارق الدنيا بعد ان أدى رسالته ، فلقد اتفق مؤرخو العرب طراً على الحوادث التي تخللت ايامه الاخيرة واورثونا عنهم ما كان من حركاته وسكناته بقول واحد ومعنى لا يتغير مما يبرهن على صدق حديثهم واماناتهم في نقلهم [1] .

*

وقال جرجي زيدان : زعم بعض الكتاب من غير المسلمين ان صاحب الشريعة الاسلامية انما قام بهذه الدعوة طمعاً بالسيادة ورغبة في ملاذ الدنيا .

واما نحن فلا نرى مسوغاً لهذا القول وتاريخ الدعوة يدل دلالة صريحة على انه انما قام بها عن صدق واخلاص ، فلم يدع الناس الى الاسلام الا وهو يعتقد اعتقاداً متيناً بصحة رسالته وان الله ارسله لبث تلك الدعوة ، ولولا هذا الاعتقاد لم يصبر على ما ناله من الاضطهاد وضروب العذاب ، وقد رأيت انه كان قبل ظهوره بالدعوة موضع احترام اهل مكة كافة ، واهله يحبونه ويكرمونه وهو في عيش هنيء لما اكتسبه من اسباب اليسار بزواجه بخديجة واتجاره باموالها ، فاصبح بعد ظهوره بالدعوة وقد ناصبه اهل مكة العداء وساموه انواع العذاب واهانوه حتى نقموا على بني هاشم لانهم اهله ، فتعاقدوا عليهم ان لا يناكحوهم ولا يبايعوهم وكتبوا بذلك صحيفة اودعوها في جوف الكعبة ، فاضطر بنو هاشم ان ينفردوا الى الجبال فاقاموا في الشعب ثلاث سنين لا ينزلون مكة الا خفية ــ الا من جاهر منهم بعداوته كأبي لهب ونحوه .

---

(١) الاسلام خواطر وسوانح لهنري دكستري .

ولا يعترض على ما تقدم بانه لم يثبت الا لاحتمائه بعمه ابي طالب لاننا رأيناه بعد وفاة عمه اكثر ثباتاً منه في حياته ، مع ان الناس اصبحوا اكثر اضطهاداً له مما كانوا قبل وفاته ، وخصوصاً بعد وفاة خديجة وقد ماتا قبل الهجرة بثلاث سنين ، فتتابعت بموتهما المصائب عليه واستبدت به قريش ولا سيما عمه ابو لهب والحكم ابن العاص وعقبة بن ابي معيط لانهم كانوا جيرانه بمنزله ، فكانوا يلقون الاقذار في طعامه ويرمونه بها وقت صلاته .

حتى اذا لم يعد يستطيع صبراً على هذا الضيم فر الى الطائف لعله يلقى فيها من ينصره ويؤمن بدعوته ، فلم يلق الا الاعراض والاهانة فعاد وقد يئس منهم لكنه لم يرجع عن حرف من دعوته ، ولم يكتف اهل الطائف باعراضهم عنه بل اغروا بعض سفهائهم وعبيدهم ان يسبوه ويصيحوا به ففعلوا حتى اجتمع عليه الناس والجأوه الى الحائط وردوا السفهاء عنه فرجعوا ، فاحس عندئذ بما هو فيه من الضيق فشكا امره الى الله وعاد الى مكة ولم يغير ذلك شيئاً من عزيمته ، فلقيه قومه هناك وهم اشد وطأة عليه مما كانوا من قبل .

فاعتبر حاله بعد ذلك الرجوع وقد نبذه الناس قريبهم وبعيدهم مع علمه انه اذا رجع عن دعوته لقي منهم ترحيباً واكراماً كما صرحوا له جهاراً ، لكنه لم يكترث بشيء من ذلك ولا همه امر الدنيا .

فلولا اعتقاده المتين بصدق الدعوة التي قام بها ، وانه منتدب لهذه الرسالة من الله سبحانه وتعالى لما صبر على كل ذلك [1] .

*

وقال توما كارليل : اني احب محمداً (ص) لثباته واستقامته فانه مهذب لنفسه لا يدعي بما ليس فيه ولا اثر للكبرياء فيه ، على انه ليس بالذليل ، وكان يرقع ثوبه ويخصف نعله ، هذا تواضعاً يقول الحق بسائر الاحوال لا كاسرة العجم وقياصرة الروم بما يجب عليهم من الفرائض ينزل الناس منازلهم يعلم حقائق الاشياء

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ـ الجزء الاول ـ لجرجي زيدان .

لا كمن يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا يرى سائر الكمالات لله تعالى وان التقصير من شأن القوى البشرية [١] .

*

وقال هنري ماسه : اذا بحثنا عن الرسول (ص) بحثاً اجمالياً نجده ذا مزاج عصبي وفكر دائم التفكير ونفس باطنها حزين ، واما مداركه فهي تمثل شخصاً يعتقد باله واحد وبوجود حياة أخرى ، ويتصف بالرحمة الخالصة والحزم في الرأي والاعتقاد ، ويضاف اليه انه رجل حكومة واحياناً رجل سياسة وحرب ، ولكنه لم يكن ثائراً بل بالعكس كان مسالماً [٢] .

*

وقالت لورا فسيا واليري (Laura Veccia Vaglieri) : كان محمد (ص) رئيساً للدولة وساهراً على حياة الشعب وحريته وكان يعاقب الاشخاص الذين يجترحون الجنايات حسب احوال زمانه واحوال تلك الجماعة الوحشية التي كان يعيش النبي (ص) بين ظهرانيها ، فكان النبي (ص) داعياً الى ديانة الاله الاحد ، وكان في دعوته هذه لطيفاً ورحيماً حتى مع اعدائه ، وان في شخصيته صفتين من اجل الصفات التي تحملها النفس البشرية وهما العدالة والرحمة [٣] .

*

وقال الدكتور شبلي شميل : ولا بد لي كيف كان الامر من نصر القرآن اعجاباً به وبصاحبه وان كنت خارجاً عن دينه فالحقيقة اعم من ان تكون ضالة المؤمن وحده كما يفهمون ونصرها واجب على كل منصف ، وكيف لا يحق لي الاعجاب بصاحب هذا الكتاب والناس قد بلغ اعجابهم برجل مثل نابليون الى ان عدوه من خوارق الطبيعة ولولا ان قلت عاطفة التقى لألهوه والظاهر ان الناس لا يعظمون الا كل فتاك بهم ، والفرق بين الاثنين اجتماعياً كالفرق بين الثريا والثرى ،

---

(١) اعتقاد الاسلام لعبد الله وليم كوليام .

(٢) الاسلام لهنري ماسه . H. Massé - L'Islam.

(٣) تقريظ دين الاسلام للورفسيا واليري . Laura Veccia Vaglieri - Apologie de l'Islamisme

وهل يقاس بالمصلح الحقيقي رجل سفاح كنابوليون ضحى لمطامعه كل غاية اجتماعية وبنى على انقاض الثورة الفرنساوية الجليلة المبدأ التي هدمها بيده بعد ان استخدمها لمقاصده [1] .

*

وقال بارتيلمي سنت هيللر : كان محمد (ص) اذكى وادين وارحم عرب عصره [2] .

*

وقال غودفرويه ديمومبين (Gaudefroy - Demombynes) : ان مهارة محمد (ص) في الصبر واللين ونفوذه النبوي ، كل ذلك كان كافياً وحده لبلوغ مطامعه [3] .

*

وقال حنا داڤنبرت في كتابه محمد والاسلام : كلما ازداد الباحث تنقيباً في الحقائق التاريخية الوثيقة المصادر فيما يخص الشمائل المحمدية يزداد احتقاراً لشانئي محمد (ص) مثل مركسي وبريدو ومن المتأخرين فردرك شلجل وغيرهم من الذين اشرعوا اسنة الطعن في النبي (ص) [4] .

*

وقال فولتير (Voltaire) : اذا نظرنا الى جميع المشرعين الذين حملوا الى هذا العالم شرائعهم نجد محمداً (ص) ينفرد عنهم بنشر دينه بالفتوحات ، نعم ان كثيراً من الشعوب حملت معتقداتهم الى شعوب أخرى ولكنها أيدتها بالنار والحديد ولم يكن قط مؤسس شريعة فاتحاً ، وتلك ميزة امتاز بها المسلمون وهي لأقوى البراهين على ان اللاهوت قد استوفى نصيبه من العناية التي تعهدها نبي هذه الشريعة [5] .

---

(١) مجموعة الدكتور شبلي شميل .

(٢) حضارة العرب لغوستاف لوبون . G. Le Bon - La civilisation des Arabes.

(٣) العالم الاسلامي والبيزنطي حتى الحروب الصليبية لغودفرويه ديمومبين وبلاتونوف Gaudefroy - Demombynes & Platonov - Le monde musulman & byzantin jusqu'aux croisades.

(٤) اعتقاد الاسلام لعبد الله وليم كوليام .

(٥) العالم جزيرة العرب ــ لدفرجه . Desvergers - L'Univers - L'Arabie.

وقال ادوار مونته (Edouard Montet) : عرف محمد (ص) بخلوص النية والملاطفة وانصافه في الحكم وبنزاهة التعبير عن الفكر والتحقق [1] .

*

وقال سيديو : واما اخلاق محمد (ص) فكانت غاية في الكمال منها عفوه عن الد اعدائه بعد فتح مكة وحلمه في الأخذ بحقوق الحرب من القبائل ، واما زهده فلا يختلف فيه اثنان فانه لم يتحول عن شظف العيش مع ما طالت يده من الاموال والخيرات رأى الملوك ولم يتخذ ابهتهم مع ما بلغ من السلطان الذي لا يبارى والشوكة التي لا ترام ، وكان نافذ الامر والنهي بشوشاً حسن المعاملة مع الرفيع والوضيع حليماً ولا سيما عند السؤال [2] .

*

وقال بثورث اسمث في كتابه حياة محمد : ان محمداً (ص) لمؤسس أمة ومملكة وديانة وهذا امر لم يوجد له سبق مثال ولن يوجد وهو أمي لا يعلم القراءة والكتابة ، وقد جاء بكتاب مشتمل على دستور الشرائع والعبادات واخبار الامم [3] .

*

قال غوستاف لوبون : اذا قدرنا عظمة الرجال باعمالهم يمكننا ان نقول : ان محمداً (ص) من اجل الرجال الذين عرفهم التاريخ [4] .

---

(١) القرآن ــ ترجمة جديدة لادوار مونته .
Edouard Montet - Le Coran - Traduction nouvelle.

(٢) خلاصة تاريخ العرب لسيديو .

(٣) اعتقاد الاسلام لعبد الله وليم كوليام .

(٤) حضارة العرب لغوستاف لوبون . G. Le Bon - La civilisation des Arabes.

الفصل الثالث

نموذج من تعاليم

محمد بن عبد الله

تعاليمه في العقائد

جاء محمد (ص) بتوحيد الله في ذاته وافعاله وتنزيهه عن مشابهة المخلوقين وانه رب العالمين وكل شيء في الوجود خاضع لأمره ، وهو الفعال المطلق لما يريد ، وكل شيء من مظاهر الكون فعنه صدر ، وهو محيط بكل شيء علماً ، وهو على كل شيء قدير ، وانه قريب مجيب الخ .

قال تعالى (قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد) (الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ...) (لله ما في السموات وما في الارض) (الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الارض ...) (تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير) (الله الذي سخر لكم البحر) (الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها) (هو الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم) (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا بعلمه ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين) (والله على كل شيء قدير) (ان ربك هو القوي العزيز) (واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداعي اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي) (ونحن اقرب اليه من حبل الوريد) .

جاء محمد (ص) بتعاليمه هذه ليجتث جذور الوثنية ، ويطهر العقول من الاوهام الفاسدة التي علقت بعقول الناس وافهامهم ، وينكس اعلام الكهنة الذين

كانوا يتحكمون في خطوات الناس وهواجسهم ، فكان الرجل منهم لا يبرم امراً أو ينقضه سواء في شؤونه الخاصة أو العامة الا باقرار رجال الدين عليه ولو وقف الأمر عند هذا الحد لكان الحال اشبه بتغلب طائفة على أخرى في الامور الحيوية ، ولكن الامر المزعج انهم فصلوا ما بين الانسان ومبدعه واقاموا انفسهم وسطاء بينهما يتسلطون بتلك الوساطة على الناس في عقائدهم واموالهم ومتاعهم .

وبعثة الرسل : وهم افراد من خلقه يختارهم الى هداية البشر مبشرين بثوابه ومنذرين بعقابه : ومن هؤلاء ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد (ص) وغيرهم « انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان » « وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم » « رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » .

ووراء هذه الحياة حياة أخرى يومها يوم القيامة واليوم الآخر ويوم الحساب ويوم الدين (ثم انكم لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون) وهذا اليوم هو يوم المثوبة على العمل الصالح والعقوبة على العمل السيء وكل عمل أتاه الانسان يسجل عليه ثم يقدم له يوم القيامة (وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) (يومئذ يصدر الناس اشتاتاً ليروا اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) وقد جعل الله للمثوبة والعقوبة دارين : دار المثوبة وهي الجنة ودار العقوبة وهي النار .

ووراء هذا العالم المادي عالم آخر روحي وفيه نوعان من الارواح ، نوع خير يطيع الله ما امره ويجذب نفوس الناس الى الخير ويسمى الملائكة ، ونوع شرير يستغوي النفوس الى الشر ويسمى الشياطين .

* * *

تعاليمه في العبادات

العبادات هي اساسية كالعقائد ، وهي الصلاة ويقصد بها ان تكون مظهراً من

مظاهر الاخلاص لله وتعبيراً دينياً يشرح عاطفة الاجلال له « واقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر » .

ووجب على من اراد الدخول في الصلاة الطهارة (يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وارجلكم الى الكعبين) .

(ياأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنباً الا عابري سبيل حتى تغتسلوا وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء احد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيباً فأمسحوا بوجوهكم وايديكم) .واوجب على كل مصل ان يولي وجهه شطر المسجد الحرام حين صلاته (فولي وجهك شطر المسجد الحرام) .

وصوم شهر رمضان ــ (ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون اياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من ايام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون . شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون) .

(أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد) .

والحج والعمرة على من استطاع اليه سبيلا ــ (واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ان لاتشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود واذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا

منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير • ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق) (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيـــلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين) (واتموا الحج والعمرة لله) •

وبين وقت الحج وآداب الحاج ــ (الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج) •

وبين مناسك الحج ومشاعره ــ (ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيراً فان الله شاكر عليم) (فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين ، ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم ، فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم او اشد ذكرا) (ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق) (والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر) (يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرامولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلاً من ربهم ورضواناً) (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد) •

وقال في نظام الاحصار والتمتــع ــ (فان أحصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضاً أو به أذىً من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك فاذا امنتم فمن تمتــع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام) •

وقد جعل الله مكة حرماً آمناً ــ (أولم يروا انا جعلنا حرماً آمناً يتخطف الناس من حولهم أو لم نمكن لهم حرماً آمنــاً يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقــا من لدنا) •

وحرم الصيد على المحرم وجعل لذلك جزاء ــ (يأيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هدياً بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً) .

الزكاة ــ اهتم القرآن بالزكاة كما اهتم بالصلاة فكثيراً ما يذكران معاً وقد تذكر الزكاة وحدها بلفظ الزكاة أو بلفظ الصدقة (وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة ــ خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ــ كلوا من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده ــ وما اوتيتم من رباً ليربو في اموال الناس فلا يربو عند الله وما أوتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون) .

وبين القرآن من تدفع لهم الصدقات (انما الصدقات للفقراءوالمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) .

* * *

تعاليمه في الاخلاق

اتى الرسول (ص) بتعاليم اخلاقية فاضلة : حرمت التجسس والغيبة والتحاسد والتباغض والتدابر والكذب والتنابز بالالقاب والنفاق وخلف الوعد والخيانة والكبر ، وامر بالتواضع والرفق والتراحم والاحسان والعفو وكظم الغيظ والكف عن الاذى والشر وعمل الخير والتخلق بالخلق الحسن والحياء والذب عن العرض وشكر الناس على معروفهم وعيادة المريض وافشاء السلام وآداب الاستئذان واداء الامانات الى اهلها وخفض الصوت والصبر وعدم الخصام وعدم الاطراء الخ .

« يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً ايحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم » .

عن ابي هريرة عن النبي (ص) قال : اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا [1] .

---

(١) صحيح البخاري ج٤ .

« يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيراً منهن ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون » .

« وذروا ظاهر الاثم وباطنه ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون » .

« قل اعوذ برب الفلق .... ومن شر حاسد اذا حسد » .

عن انس بن مالك ان رسول الله قال : لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا ولا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث [1] .

« قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس » .

« بشر المنافقين بأن لهم عذاباً اليماً »

عن ابي هريرة ان رسول الله (ص) قال : « آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا أوتمن خان [2] .

عن ابي هريرة ان رسول الله (ص) قال : ان من شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه [3] .

« يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون »

« ولاتمش في الارض مرحاً انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا »

« واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين »

« وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هوناً واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً »

عن عبد الله قال ، قال رسول الله (ص) : لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من ايمان [4] .

---

(١) صحيح مسلم ج٨ .
(٢) صحيح البخاري ج٤ .
(٣) صحيح مسلم ج٨ .
(٤) الجامع الكبير للترمذي ج٢ .

عن عياض قال قال رسول الله (ص) : ان الله اوحى الي ان تواضعوا حتى لايبغي احد على احد ولا يفخر احد على احد [١] .

عن ابي هريرة عن رسول الله (ص) قال : ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً يعفو الا عزاً وما تواضع احد لله الا رفعه الله [٢] .

عن حارثة بن وهب الخزاعي عن النبي (ص) قال : الا اخبركم باهل الجنة كل ضعيف متضاعف لو اقسم على الله لأبره ، الا اخبركم باهل النار كل عتل جواظ مستكبر [٣] .

عن ابي هريرة قال قال رسول الله (ص) : ليس الغنى عن كثرة العَرَض ولكن الغنى غنى النفس [٤] .

عن ابن عمرو بن العاص قال قال رسول الله (ص) : الراحمون يرحمهم الله تعالى ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء ، الرحم شجنة (القرابة المشتبكة) من الرحمن من وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله تعالى [٥] .

عن ابي هريرة قال : قبل الرسول (ص) الحسن بن علي وعنده الاقرع بن حابس التيمي جالساً فقال الاقرع : ان لي عشرة من الولد ما قبلت منهم احداً ، فنظر اليه الرسول (ص) ثم قال من لايرحم لا يرحم [٦] .

عن ابي الدرداء عن النبي (ص) قال (من اعطي حظه من الرفق فقد اعطي حظه من الخير ومن حرم حظه م الرفق فقد حرم حظه من الخير [٧] .

« هل جزاء الاحسان الا الاحسان »

« وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احساناً . اما يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً »

« فأما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر »

---

(١) اخرجه ابو داود (٢) صحيح مسلم ج٦ (٣) صحيح البخاري ج٤
(٤) اخرجه الشيخان والترمذي (٥) اخرجه ابو داود الى قوله من في السماء والترمذي بتمامه
(٦) صحيح البخاري ج٤ (٧) الجامع الكبير للترمذي ج٢

« خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين »

« والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » .

« يأيها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي اليه تحشرون » .

« قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها »

عن ابي موسى الاشعري قال قال النبي (ص) : على كل مسلم صدقة قالوا فان لم يجد قال فيعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق قالوا فان لم يستطع أو لم يفعل قال فيعين ذا الحاجة الملهوف قالوا فان لم يفعل قال فيأمر بالخير أو قال بالمعروف قالوا فان لم يفعل قال فيمسك عن الشر فانه له صدقة [1] .

عن ابي هريرة قال قال رسول الله (ص) : الا اخبركم بخيركم وشركم ؟ ثلاث مرات قالوا بلى قال : خيركم من يرجى خيره ويؤمن شره . وشركم من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره [2] .

عن ابي هريرة ان رسول الله (ص) قال لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه [3] .

عن عبد الله بن عمرو عن النبي (ص) قال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه [4] .

عن ابي هريرة قال قال رسول الله (ص) من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً او ليصمت [5] .

عن عبد الله عن النبي (ص) قال : ان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكون صديقاً ، وان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار ، وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً [6] .

عن ام كلثوم بنت عقبة انها سمعت رسول الله (ص) يقول : ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً او يقول خيراً [7] .

---

(١) صحيح البخاري ج٤ (٢) اخرجه الترمذي . (٣) صحيح مسلم ج١ .
(٤) صحيح البخاري ج١ (٥) صحيح البخاري ج٤ (٦) صحيح البخاري ج٤
(٧) صحيح البخاري ج٢ .

عن عبد الله ان النبي (ص) قال : السمت الحسن والتـؤدة والاقتصاد جزء من اربعة وعشرين جزءاً من النبوة [١] .

عن ابي الدرداء ان النبي (ص) قال : ما شيء" أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن فان الله تعالى ليبغض الفاحش البذي [٢] .

عن ابي ذر قال قال رسول الله (ص) : اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئةالحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن [٣] .

عن ابي شيبة عن النبي (ص) قال : كل معروف صدقة [٤] .

عن ابي ذر قال قال لي النبي (ص) : لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو ان تلقى اخاك بوجه طلق [٥] .

وعن ابي شريح العدوي ان الرسول (ص) قال : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره [٦] .

عن ابي هريرة قال قال رسول الله (ص) : الحياء من الايمان والايمان في الجنة والبذاء من الجفاء والجفاء في النار [٧] .

عن ابي مسعود قال قال النبي (ص) : ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ما شئت [٨] .

عن عقبة بن عامر قال ، قال رسول الله (ص) : من رأى عورة فسترها كان كمن أحيى مؤودة [٩] .

عن ابي الدرداء قال قال رسول الله (ص) : من ذب عن عرض اخيه رد الله النار عن وجهه يوم القيامة [١٠] .

عن ابي سعيد ان النبي (ص) قال : من لايشكر الناس لايشكر الله تعالى [١١] .

عن ابي هريرة قال قال رسول الله (ص) : من عاد مريضاً أو زار أخاً له في الله تعالى ناداه مناد : أن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا [١٢] .

---

(١) الجامع الكبير للترمذي ج٢ (٢) الجامع الكبير للترمذي ج٢ (٣) اخرجهالترمذي
(٤) صحيح مسلم ج٣ (٥) صحيح مسلم ج٨ (٦) صحيح البخاري ج٤
(٧) الجامع الكبير للترمذي ج٢ (٨) صحيح البخاري ج٤ (٩) أخرجه ابو داود
(١٠) أخرجه الترمذي (١١) اخرجه الترمذي (١٢) اخرجه الترمذي .

عن ابي هريرة قال قال رسول الله (ص) : المرء على دين خليله ، فلينظر احدكم من يخالل [1] .

« واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها » .

عن عبد الله بن عمرو : ان رجلاً سأل النبي (ص) اي الاسلام خير قال : تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف [2] .

عن ابي هريرة قال قال رسول الله (ص) : يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير [3] .

« ياأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون . فان لم تجدوا فيها احداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم . ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون » .

عن عطاء الخراساني ان رسول الله (ص) قال : تصافحوا يذهب الغل وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء [4] .

« ويل لكل همزة لمزة » .

عن ابن عمر قال قال النبي : لايكون المؤمن لعانا [5] .

عن ابي هريرة قال قال رسول الله (ص) : أد الأمانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك [6] .

عن عائشة قالت قال رسول الله (ص) : ان أبغض الرجال الى الله الالد الخصم [7] .

« واقصد في مشيتك واغضض من صوتك ان أنكر الاصوات لصوت الحمير »

عن ابي سعيد ان أناساً من الانصار سألوا رسول الله فلم يسأله احد منهم الا أعطاه حتى نفد ما عنده فقال لهم حين نفد كل شيء بيديه ما يكن عندي من خير

---

(١) أخرجه ابوداود والترمذي (٢) صحيح البخاري ج١ (٣) أخرجه الخمسة الا النسائي (٤) أخرجه مالك (٥) الجامع الكبير للترمذي ج٢ (٦) اخرجه ابو داود والترمذي (٧) صحيح مسلم ج٨ .

لا ادخره عنكم وانه من يستعفف يعفه الله ومن يتصبر يصبره الله ومن يستغن يغنه الله ولن تعطوا عطاء خيراً واوسع من الصبر [1] .

عن ابي هريرة قال قال رسول الله (ص) : ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب [2] .

عن أنس بن مالك قال قال رسول الله : ما أكرم شاب شيخاً لسنه الا قيض الله له من يكرمه عند كبر سنه [3] .

وورد عن المدح اذا كان فيه افراط ــ عن عبد الرحمن بن ابي بكرة عن ابيه قال مدح رجل رجلاً عند النبي (ص) قال فقال ويحك قطعت عنق صاحبك قطعت عنق صاحبك مراراً اذا كان احدكم مادحاً صاحبه لا محالة فليقل احسب فلاناً والله حسيبه ولا أزكى على الله أحداً احسبه ان كان يعلم ذاك كذا وكذا [4] .

عن ابي سعيد الخدري عن النبي (ص) قال : اياكم والجلوس على الطرقات فقالوا ما لنا بد انما هي مجالسنا نتحدث فيها ، قال فاذا أبيتم الا المجالس فأعطوا الطريق حقها ، قالوا ما حق الطريق ، قال غض البصر وكف الاذى ورد السلام وامر بالمعروف ونهى عن المنكر [5] .

عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله (ص) : اطعموا الجائع وعودوا المريض وفكوا العاني [6] .

اعتنى القرآن عناية شديدة بالعهود والمواثيق وكراهة الاخلال بها ــ « ياأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » « واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون . ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثاً تتخذون ايمانكم دخلا بينكم ان تكون امة أربى من أمة » « وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا » .

***

تعاليمه في الاجتماع والعمران

المرأة ــ يجدر بنا قبل ان نتكلم عن المرأة في الاسلام ان نأتي بموجز عن مركز المرأة في الامم القديمة ليتسنى لنا ادراك مكانتها في الاسلام .

(١) صحيح البخاري ج٤ (٢) صحيح البخاري ج٤ (٣) الجامع الكبير للترمذي ج٢
(٤) صحيح مسلم ج٨ (٥) صحيح البخاري ج٢ (٦) صحيح البخاري ج٤ .

كانت المرأة العربية في جاهليتها اذا توفي زوجها دخلت الحفش ولبست شر ثيابها ولم تمس الطيب حتى تنقضي السنة [1] وكان العرب في جاهليتهم ينكحون ما شاؤا من النساء ، وكانت المرأة عندهم لا ترث ، وكانوا يرثون النساء كرهاً ، فكان اذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته ، وكانوا ينكحون نساء آبائهم ويجمعون بين الاختين [2] وكانوا يكرهون فتياتهم على البغاء [3] .

هذا اذا أردنا ان ننظر الى انحطاط المرأة الجاهلية ، واما اذا تطلعنا الى عظمتها فلدينا قصة بلقيس ، وهي قصة تدل على أقصى ما تبلغه النساء من حكمة ورجاحة عقل .

ورثت بلقيس عرش زوجها وابيها ، وقد اتخذت لنفسها عرشاً بلغ من ابداع صنعه وجمال نسقه ان وصفه الله بالعظمة فقال : « وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم » .

أقامت بلقيس في ملكها خمسة عشر عاماً بلغت فيها من جلال الصولة وكمال القوة حداً عظيماً .

اما وفور عقلها ومضاء عزمها وسناء منزلتها واستمكانها من نفوس رعيتها ، فقد بلغ من امره ان سليمان حين ارسل اليها يؤذنها بدينه ويدعوها الى سنته ، كان كل ما كتب اليها « انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علي واتوني مسلمين » . فاما هي فلم تأخذها العزة بالاثم ولم ينل من نفسها ان الكتاب لم يحو تكرمة وتبجيلا ، ولم يذهب برشدها ان صاحب الكتاب ليس له في ذات نفسها من بسطة الملك وقوة السلطان ما لها ، بل جمعت كل من يلوذون بطاعتها من الملوك ، وبالرغم من كل ما أسلفناه من امر الكتاب أحلته محلا كريماً ، فقالت : « يا أيها الملأ اني ألقي الي كتاب كريم » ثم انثنت اليهم بعد ذلك فقالت : « يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون » اما هم فوقفوا دون رأيها ونزلوا على امرها ، فقالوا : « نحن اولو قوة واولو بأس شديد والامر اليك فانظري ماذا تأمرين » .

---

(١) راجع سورة البقرة .
(٢) راجع سورة النساء .
(٣) راجع سورة النور .

هنالك بسطت لهم أمر الحرب وانها مدعاة دمار الديار ومتلفة البلاد والعباد فقالت : « ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون » ثم كشفت لهم عن وجه الرأي فقالت : « واني مرسلة اليهم بهدية » كفيلة بان تصرف ذوي المطامع وتجتذب بغاة الدنيا فان صرفته عن قصده فهو ملك ولنا من بأسنا وقوتنا ما يثل عرشه ويفل غربه ، وان ردها وصرف عنها فعسى ان يكون نبياً يبصرنا الحجة ويهدينا سواء السبيل :

فلما جاءت رسلها سليمان بهديتها التي جمعت من كل شيء أسناه وأتمه قال : « أتمدونني بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون » .

حتى اذا استبانت بلقيس وضح الهدى من سليمان تبدلت بدين آبائها دين الله، وكان مسبيلاً الى طمس آية المجوسية في أرجاء اليمن .

وقصارى القول ان القرآن أورد آيات فابان بها مركز المرأة التشريعي والاجتماعي في العصر الجاهلي بياناً لا يحوي من الغلو شيئاً ، فنجده تارةً ينعي على الجاهلين أعمالهم الفظيعة بشأن المرأة ، وأخرى نراه يورد بعض الآيات التي تخول الباحث ان يستشهد بها على الرفعة والسؤدد والمجد والحرية التي كانت تتحلى بها المرأة العربية في الجاهلية ، كأنه أراد ان يصفها من جهات مختلفة غثها وسمينها ولو بطريق الاشارة .

فالاشارات التي أشار اليها القرآن تساعد من أراد القول ان مقامات العرب الاجتماعية تختلف باختلاف الاصقاع والبيئات ما دام يختلف فيها الوسط والنوع اللذان ينشأ عنهما غالباً اختلاف في القبائل والعشائر والسلطات والعادات والاخلاق، واذا اعتبرنا هذه الاسس الاجتماعية يمكننا ان نقول ان مقام المرأة الجاهلية في بلاد العرب يختلف باختلاف العوامل الاجتماعية ، ولا تستغرب كونها منحطة او مستعبدة أو راقية تملك حريتها في عصر واحد .

وكان اليونانيون يعدون المرأة من المخلوقات الدنيا ينتفع بها في خدمة المنزل والولادة ، وكانت الزوجة عند اهل اثينا سلعة من السلع تباع وتشرى تنتقل من حوزة رجل الى رجل آخر ، وللاثيني ان يتزوج بمن شاء من النساء .

وكانت شرائع الهنود تعامل المرأة معاملة سيئة ، والدليل على ذلك نصوص تلك الشرائع التي اعتبرت المرأة اشد خطراً من الموت والعواصف والمناطق الجهنمية والسم والافاعي السامة والنار المتأججة .

وتقول شريعة ماندو : ان المرأة تتعلق في طفوليتها بابيها وفي شبابها ببعلها فاذا توفي زوجها فباولادها فان لم يكن لها اولاد فباقرب اقارب زوجها لانها ليست اهلاً ان تحكم نفسها [1] .

ولم يكن العبرانيون ارحم كثيراً بالمرأة من الامم الاخرى ، بل عدوها اشد خطراً من قضاء النحب .

وامثال بقية الشعوب المختلفة تدل دلالةً واضحة ان حالة المرأة كانت في دركات الظلم والعدوان ، واليك بعضاً من هذه الامثال . يقول الصيني : انه يجب ان تسمع لامرأتك ولا تصدقها مطلقاً . ويقول الروسي : ان كل عشر نساء لا يملكن الا نفساً واحدة الخ [2] .

وقال هيرودوتس : ان علاقات الرجل مع المرأة كانت متروكة الى الصدفة ولا تفترق عما يشاهد بين الانعام ، وكان الشأن اذا ولدت المرأة ولداً ان يجتمع القوم متى وصل الولد الى سن البلوغ وينسبوه الى اشبه الناس به [3] .

وقال قاسم امين : وترتب على دخول المرأة في العائلة حرمانها من استقلالها لذلك ترى رئيس العائلة عند اليونان والرومان والجرمانيين والهنود والصينيين والعرب مالكاً لزوجته ، وكان يملكها كما يملك الرقيق بطريق الشراء بمعنى ان عقد الزواج كان يحصل على صورة بيع وشراء وهذا امر يعلمه كل مطلع على القانون الروماني [4] .

وان تعدد الزوجات عادة تطلبتها بعض أطوار الهيأة الاجتماعية ذلك لان الحروب التي استعرت نارها بين القبائل ادت الى نقص في عدد الرجال وزيادة في

---

(١) حضارة العرب لغوستاف لوبون .
G. Le Bon - La Civilisation des Arabes.

(٢) المرأة الجديدة لقاسم امين .

(٣) المرأة الجديدة لقاسم امين .

عدد النساء يضاف الى ذلك السلطة المطلقة التي يتمتع بها الرؤساء فقد افضت الى هذه العادة في العصور الخالية فصارت علة لا مناص منها .

كانت عادة تعدد الزوجات منتشرة غالباً في جميع الامم الشرقية القديمة ، فان ممارستها بواسطة الملوك والامراء الذين يقدسهم الناس ـ والناس على دين ملوكهم ـ جعلتها امراً مقدساً في نظر الشعوب ، وظلت هذه العادة منتشرة بين الهندوس منذ العصور الخالية ، والظاهر انه لم يوجد شيء يحدد عدد الزوجات عند الميديين والبابليين والاشوريين والفرس ، فان البراهمي الذي من الطبقة العليا له الحق المطلق ان يتزوج بأي عدد يشاؤه من النساء .

وكان تعدد الزوجات شائعاً عند الاسرائيليين قبل عصر موسى الذي ابقى هذه العادة بدون ان يحدد عدد الزوجات اللائي يحق للرجل الاقتران بهن ، واخيراً قرر بنو تالمود في بيت المقدس ان يحدد عدد الزوجات بقدر ما يستطيع الرجل ان يقوم بنفقتهن عن سعة (١) .

وكانت ديانة الفرس الاقدمين تقضي على الرجل الذي يتزوج باكثر من واحدة ان يقدم ضمانة على كفالتهن . بيد ان الفينيقيين الذين حل الاسرائيليون محلهم كانوا يحتقرون تعدد الزوجات ويعدونه منقصة .

وكذلك كانت عادة تعدد الزوجات شائعة عند التراقيين والليديين وغيرهم من الشعوب التي سكنت في جهات مختلفة من اوربا وغرب آسيا ، شيوعاً خرج بها عن الحد المعقول .

وكان مباحاً للآثيني ان يتزوج بأي عدد يشاؤه من النساء ، اما في اسبارطة رغم انه لم يسمح للرجل باكثر من زوجة واحدة الا في احوال خاصة فان المرأة كان مباحاً لها ان تتزوج باكثر من رجل .

نعم ان تعدد الزوجات لم يكن امراً مشروعاً عند الرومان ، ولكن كبراء رومة ارادوا ان يتمتعوا بنعم الجمهورية ومزايا الحرية وترفها فانغمسوا في شهوات الحب والهوى ، وافضى ذلك الى ان صار الزواج اشبه شيء بالفسق العادي ،

(١) مركز المرأة في الاسلام لامير علي الهندي .

ثم ان الحكومة اعترفت بالزنا في قوانينها فصار هذا نظاماً مرعي الجانب ، وقد افضت حرية النساء وانفصام عرى الرابطة التي كانت تربطهن بالرجال الى وجود عادة تعدد الزوجات وان لم يعترف بها القانون .

* * *

جاء الاسلام بتحريم وأد البنات « واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب الا ساء ما يحكمون » « واذا المؤودة سئلت بأي ذنب قتلت » .

وجعلت الشريعة رضا البنت عند بلوغها سن الرشد شرطاً لصحة العقد عليها ، وليس بمخلوق كائناً من كان ان يرغمها على الزواج بغير من تشاء .

ومنع الاسلام ارث نكاح النساء الذي كان شائعاً في الجاهلية « يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرهاً » .

وامر الاسلام بمعاشرة الزوجات بالمعروف « وعاشروهن بالمعروف » ، وحرم عليهم البغي والعدوان « وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً » ، ثم وبخهم على هذا الاخذ « أتأخذونه بهتاناً وأثماً مبيناً » .

عن عبد الله قال قال رسول الله (ص) كلكم راع وكلكم مسؤول فالامام راع وهو مسؤول والرجل راع على اهله وهو مسؤول والمرأة راعية على بيت زوجها وهي مسؤولة والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول [1] .

عن ابي هريرة قال قال رسول الله (ص) : استوصوا بالنساء فان المرأة خلقت من ضلع وان اعوج ما في الضلع اعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم يزل اعوج فاستوصوا بالنساء خيراً [2] .

---

(١) صحيح البخاري ج٣

(٢) اخرجه للشيخان والترمذي

عن ابي هريرة عن النبي (ص) قال : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره واستوصوا بالنساء خيراً [1] .

وجعل القرآن الرجال قوامين على النساء لاسباب اجتماعية واقتصادية « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم » .

وان مركز المرأة في الاسلام بكونها أماً ذو مكانة قصوى .

« ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن » « ووصينا الانسان بوالديه احساناً حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً » .

عن معاوية بن جاهمة ان جاهمة أتى رسول الله (ص) فقال : يا رسول الله أردت ان أغزو وقد جئت استشيرك فقال هل لك من أم ؟ قال نعم ، قال فالزمها فان الجنة عند رجلها [2] .

عن ابي هريرة قال جاء رجل الى رسول الله (ص) فقال : يا رسول الله من أحق بحسن صحابتي قال أمك قال ثم من قال ثم أمك قال ثم من قال ثم أمك قال ثم من قال ثم ابوك [3] .

عن اسماء بنت ابي بكر قالت : قدمت على أمي وهي مشركة فاستفتيت رسول الله (ص) فقلت قدمت على امي وهي راغبة أفأصل امي ؟ قال نعم صلي أمك [4] .

عن كليب الحنفي انه اتى رسول الله (ص) فقال : يا رسول الله من أبر ؟ قال أمك واباك واختك واخاك ومولاك الذي يلي ذلك حقاً واجباً ورحماً موصولة [5] .

نعم أباح الاسلام تعدد الزوجات ولكنه من جهة اخرى ضيق على من أراد ان يتبع هذه العادة وشرط لها شروطاً شديدة يتعذر القيام بها ، وانما صرح بتلك العادة من قبيل التسامح ومرونة هذا الدين نظراً الى شيوعها وكثرة انتشارها قبل الاسلام ـ « وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء

---

(١) صحيح البخاري ج٣ (٢) اخرجه النسائي (٣) صحيح البخاري ج٤ (٤) اخرجه ابو داود (٥) اخرجه ابو داود .

مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم » « ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل » .

عن ابي هريرة قال قال رسول الله (ص) : من كانت له امرأتان ولم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط ، وفي أخرى مائل [1] .

شرع القرآن الزواج وسمى عقدته ميثاقاً غليظاً « واخذن منكم ميثاقاً غليظاً » وامتنّ على الناس بان جعل بين الزوجين مودةً ورحمة « ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودةً ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » وجعل كلاً من الزوجين لباساً للآخر « هن لباس لكم وانتم لباس لهن » ومعنى هذا انكم تسكنون اليهن ويسكن اليكم .

وقد حث القرآن على الزواج « وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم واماءكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم » .

عن عبد الرحمن بن يزيد قال دخلت مع علقمة والاسود على عبد الله فقال عبد الله كنا مع النبي (ص) شباباً لا نجد شيئاً فقال لنا رسول الله (ص) : يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه الصوم فانه له وجاء [2] .

وقد حرم القرآن الارتباط برابطة الزوجية بين المسلم وبعض نساء بينه وبينهن رابطة قرابة أو رضاع أو مصاهرة « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشةً ومقتاً وساء سبيلا . حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وأمهاتكم اللاتي ارضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفوراً رحيما . والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم » .

وحرم القرآن ان يتزوج مسلم بمشركة أو مشرك بمسلمة « ولا تنكحوا

(١) اخرجه اصحاب السنن (٢) صحيح البخاري ج٣ .

المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم اولئك يدعون الى النار والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه » .

وأحلّ نساء اهل الكتاب « والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن اجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان » .

وحرم تزوج محصنة بزان او محصن بزانية « الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين » .

وشرع الله نظام الفرقة كما شرع نظام الاجتماع بين الرجل والمرأة ، ولم يترك الطلاق فوضى بل حاطه بما يحفظ عقدة الزوجية من التعرض للانفعال الوقتي « وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئاً ويجعل الله خيراً » ، وامر بالتحكيم عند خوف الشقاق بين الزوجين « وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من اهلها ان يريدا اصلاحاً يوفق الله بينهما ان الله كان عليماً خبيراً » .

عن ابن عمر قال قال رسول الله (ص) : ما احل الله شيئاً ابغض اليه من الطلاق ، وفي رواية أخرى : ابغض الحلال الى الله الطلاق (١) .

واذا لم يكن بد من الطلاق بعد تنفيذ الاوامر السابقة يكون في ابتداء العدة وذلك في طهر لم يمسها فيه الرجل « يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة واتقوا الله ربكم » .

وامر ان تبقى الزوجة طول العدة في بيت الزوجية لانها لا تزال زوجة ما لم يحصل منها ما يوجب خروجها « لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا ان يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امراً » .

وخير الزوج اذا بلغت الأجل الذي أمرت ان تتربصه ان يراجعها او يفارقها المفارقة الفعلية مع الاشهاد « فاذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوي عدل منكم واقيموا الشهادة لله » وجعل الزوج أحق بالمرأة

(١) اخرجه ابو داود .

ما دامت العدة لم تنقض « وبعولتهن أحق بردهن في ذلك ان أرادوا اصلاحاً » .

وامر بالعدة « والمطلقات بانفسهن ثلاثة قروء » .

وللآيسات ومن لم يحضن ثلاثة أشهر « واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن » .

ولذوات الحمل وضع الحمل « واولات الاحمال أجلهن ان يضعن حملهن » .

واعفى من لم يمسها زوجها من العدة « اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها » .

وامر بالرفق بالزوجة وهي في عدتها « اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وان كن اولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فان أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وائتمروا بينكم بمعروف وان تعاسرتم فسترضع له أخرى لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً الا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا » .

وجعل الطلاق مرتين واذا طلق الثالثة حرمت عليه « الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان » « فان طلقها فلا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره » .

وأوجب على الزوجة اذا مات زوجها ان تحد عليه « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن اربعة أشهر وعشراً فاذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير » .

ونهى عن التصريح بخطبة معتدة الوفاة وأجاز التعريض « ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو اكننتم في أنفسكم علم الله انكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سراً الا ان تقولوا قولاً معروفاً ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه واعلموا ان الله غفور رحيم » .

وطلب من الام المطلقة ان ترضع ولدها « والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن أراد ان يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ولا تكلف نفس الا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث

مثل ذلك فان ارادا فصالا عن تراض منهما فلاجناح عليهما وان اردتم ان تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير » .

وان المرأة بكونها عضواً في الهيأة الاجتماعية لها جميع الحقوق وعليها جميع المسؤولية التي للرجل وعليه « ومن يعمل من الصالحات من ذكر وأنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً » « من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » « فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر او أنثى بعضكم من بعض » .

* * *

الرق ــ الرق في اللغة الضعف ومنه رقة القلب وعند الفقهاء عجز حكمي يصيب بعض الناس ، اما عند الفرنجة فهو حرمان الشخص حريته الطبيعية وصيرورته ملكاً لغيره .

ظهر الاسترقاق على مسرح العالم منذ كان حجاب الجهالة مسدولاً على المجتمع الانساني ، وأسبابه لما كان العمل من أصعب الضرورات وأضناها للجسم بحث الانسان عما يخلصه من عنائه وشقائه ، فوجد طلبته بين يديه ، وسخر القوي الضعيف في القيام باعماله ، ومن ذلك نشأ الاسترقاق .

ثم جاءت الحروب وتولدت الاطماع فانتشر الاسترقاق في جميع اجزاء العالم وعند معظم الامم ، وصار الناس لا يقتلون العدو بل يبقون عليه ليعمل لهم ، هذا وان طبيعة الاقاليم من اقوى العوامل في انماء الجمعيات البشرية كان لها تأثير عظيم في زيادة الاسترقاق واتساع نطاقه حتى انه ما لبث ان بلغ في المشرق مبلغاً عظيماً فان ثمن الرقيق كان زهيداً ، وعمله مفيد في الصناعات والتجارة ، غير انه كان الاسترقاق في الشمال اقل انتشارا منه في الجهات الجنوبية من المعمور لان تغذية الرقيق عندهم كانت تكلفهم نفقات جسيمة ولم تكن لعمله فائدة كبيرة ، وهذا

يدلنا على ان الاسترقاق من الامور الاقتصادية التدبيرية المترتبة على العمل والاشتغال .

كان الرقيق في مصر عبارة عن آلة للعمل ومن مشاهد الزينة ومظاهر الابهة ، فكان الارقاء في قصر الملوك وبيوت الكهان والمقاتلين ، وكان الأسارى أرقاء للدولة يقومون بالاعمال التي تستلزمها حاجات القصر او تتطلبها موجبات زخرفته وتحسين هيأتـه .

وجعلت شريعة مانو [1] الناس طبقتين ممتازتين : الاولى الدويداس : وهم الذين تتألف منهم الطبقات العالية ، البراهمة ومن اليهم ، الثانية السودرا وهم الطبقة الدنيا المستخدمة ، ثم حددت درجتهم بالقياس الى البراهمة وغيرهم وجعلتهم في احط منزلة ووضعت لهم القوانين الصارمة ، فقد اباحت للبرهمي ان يجبر السودرا على الخدمة سواء اشتراه او لم يشتره لانه رقيق ولانه ما خلق الا ليخدم البراهمة ، واذا مس السودرا أحد البراهمة بأذى فلا مندوحة عن قتله ، واذا وجه رجل من هذه الطبقة الدنيا سباً فاحشاً الى احد الدويداس فجزاؤه سل لسانه الخ .

ومن نظر الى تاريخ مملكة آشور يجد الاسترقاق كان عريقاً بها متأصلاً فيها فقد كانت القصور تغص بالنساء والارقاء المخصصين للجمال والزينة .

اما مملكة الفرس التي امتد سلطانها الى حدود آسيا المعروفة فقد استجمعت جميع انواع الاستخدام المعروفة عند كثير من الامم المختلفة .

وقد اجتهد واضعو الشرائع عندهم في تقليل اجحاف الموالي بمواليهم وتخفيف وطأة مظالمهم . قال هيرودوتس : لا يجوز لاي فارسي ان يعاقب عبده على ذنب واحد قد اقترفه بعقاب بالغ في الشدة والصرامة [2] ، ولكن اذا عاد العبد لارتكاب هذا الذنب بعدما أصابه من العقاب فلمولاه حينئذ ان يعدمه الحياة او ان يعاقبه بجميع ما يتصور من أنواع العذاب .

---

(١) هو مشرع هندي .

(٢) الرق في الاسلام لاحمد شفيق .

وكان الاستخدام للمنفعة العامة شائعاً في الصين قبل التاريخ المسيحي بقرون ، يقوم به المحكوم عليهم والاسارى ، ثم نشأ الاسترقاق ، وكانوا يجلبون الارقاء من الخارج بالحروب ، او يأخذونهم من الصين نفسها لان الفقير كان يضطر لبيع اولاده بسبب الفاقة والاحتياج ، الا ان الاسترقاق في الصين كان قليل الشدة ، فان الشرائع والعرف والاخلاق كانت تساعد على تلطيف حاله .

وجملة القول ان الاسترقاق عند العبرانيين كان مقروناً بالتلطف والتعطف اللذين لايرى لهما مثيل في بلاد اليونان والرومان ، فقد ورد في شريعة موسى : ان العبد اذا استحق القصاص فلا يصدر الحكم عليه الا من القاضي دون سواه [1] في ذلك احتياط دقيق ورحمة بأولئك المساكين لئلا يكونوا عرضة لقسوة الموالي ولسهام أهوائهم .

وكان الاسترقاق امراً شائعاً في جميع بلاد اليونان ولم يكن في الفلاسفةالكثيرين الذين تفتخر بهم هذه البلاد من انكر الاسترقاق ، بل ان ارسطو نفسه أيد صحته وأثبت مشروعيته معتمداً على رأيه على اختلاف السلائل البشرية وتنوع اصناف البشر ، وقد عرف الرقيق بأنه آلة ذات روح او متاع قائمة به الحياة [2] .

وكان سبيل الاسترقاق التلصص في البحار وخطف سكان السواحل ، وكثير من اليونان من اشتروا الارقاء وخصصوهم للاجارة ، وكان المولى مطلق التصرف في عبده ، وعقاب العبد الجلد بالسوط وبالطحن على الرحى وكان يكوى الآبق او الوارد من البلاد المتبربرة بالحديد المحمى على جبهته على ان حياة الرقيق وشخصيته كانتا مكفولتين بالقانون فما كان يعدم الا بعد صدور حكم القانون عليه .

وكانت وجوه الاسترقاق برومة متعددة ، فانه فضلاً عن استرقاق الامم المغلوبة بالحرب واستعبادها كان هناك صنف آخر وهم العبيد بالولادة أي الذين يولدون من الارقاء ، وصنف ثالث من الاحرار الذين قضت عليهم بعض نصوص القانون بالوقوع تحت نير العبودية .

---

(١) الرق في الاسلام لاحمد شفيق .

(٢) الرق في الاسلام لاحمد شفيق .

ولم يكن الرقيق في نظر القانون الا كشيء من الاشياء فليس له ملكية ولا عائلة ولا صفة شخصية ، وما زال الارقاء يقاسون انواع العذاب ويعانون اصناف الآلام حتى آل الامر بواضعي الشرائع للنظر اليهم بعين الشفقة والرحمة وتدوين الاحكام القاضية برعايتهم وحسن معاملتهم .

وان قوانين الامم المتبربرة كالغاليين والجرمانيين والفرنج والويزيغوط والانجلوساكسون تشبه قوانين الرومانيين في كونها تعتبر الرقيق كشيء من الاشياء، فكان المولى في شرعهم يتصرف بعبيده كما يتصرف بما عنده من الاشياء ذات القيمة، وكان يجوز له قتله لانه شيء من الاشياء التي يملكها .

ولا تجد في الديانة المسيحية نصاً صريحاً ضد الاسترقاق ولم يأت به الحواريون، بل أوصى بولس الارقاء في رسالته التي بعث بها الى الافسسيين[1] ان يطيعوا مواليهم مع الخوف والرعب كما يطيعون المسيح ، وأوصاهم الحواري بطرس ايضاً بان يكونوا خاضعين لمواليهم وان يخشوهم [2] .

* * *

مما تقدم يتبين ان الاسلام جاء والاسترقاق منتشر في العالم جميعه مع تشعب سبل الاسترقاق ، فلم يكن من الحكمة مفاجأة العالم بابطاله جملة واحدة لانه امر تأصل في العالم بتقرير الشرائع السماوية والارضية السابقة ، وتمسك الناس به احقاباً وقروناً واتخذوه اصلا من اصول مدنياتهم ، ولو فاجأهم الشرع الاسلامي بذلك لاحرج صدورهم والجأهم الى وقوفهم موقف المدافع المعاند .

بيد ان الاسلام جعل سبيل الرق فذاً : وهو المحاربة الشرعية المنظمة لقوم كافرين بعد عرض الاسلام اولا ، ثم الجزية ، فان اجاب الاعداء الى احدهما عصموا انفسهم واموالهم وصار لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، وان ابوا ودارت عليهم الدائرة صاروا ارقاء للغالبين بعد اذن من الامام .

على ان ذلك لا يحرمهم نعمة الرجوع الى الحرية اذا افتدوا انفسهم بمال ، كما

---

(١) هم سكان مدينة افسس القديمة Ephèse في آسيا الصغرى .

(٢) الرق في الاسلام لاحمد شفيق .

ان للحاكم ان يطلق سراحهم لوجه الله « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منّاً بعدُ واما فداءً حتى تضع الحرب أوزارها » .

أما سبل التحرير فكثيرة أهمها تحرير النفس وسيلة لغفران الذنوب « فلااقتحم العقبة واما أدراك ما العقبة فك رقبة » .

عن ابي ذر قال سألت النبي أي العمل افضل ؟ قال : ايمان بالله وجهاد في سبيله ؟ قلت : فأي الرقاب أفضل ؟ قال : اغلاها ثمناً وأنفسها عند اهلها ، قلت : فان لم أفعل ؟ قال : تعين صانعاً أو تصنع لاخرق ، قال : فان لم افعل ؟ قال : تدع الناس من الشر فانها صدقة تصدق بها على نفسك [1] .

عن ابي هريرة عن النبي (ص) قال : من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل ارب منها ارباً من النار [2] .

عن علي بن ابي طالب قال : كان آخر كلام رسول الله الصلاة الصلاة ، اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم [3] .

وجعلت الشريعة العتق كفارة للقتل الخطأ « ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله » وسر ذلك ان القتل اعدام للحياة الجسمية والتحرير بالكفارة ايجاد للحياة المعنوية ، وقد أوضح الله اثناء كلامه على العقبة التي بين الجنة والنار طريقة اجتيازها « فك رقبة » « لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته ... او تحرير رقبة » .

روى ابو هريرة عن النبي (ص) انه قال : أيما رجل اعتق امرءاً مسلماً استنقذ الله بكل عضو منه عضواً من النار [4] .

وجاء في معلمة الاسلام ما يأتي : ان الاسلام يعتبر عتق الارقاء عملا يتقرب به الى الله ويثاب معتقه في الآخرة [5] .

وأباحت الزواج بارقاء « ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات

---

(١) صحيح البخاري ج٢ .
(١) صحيح البخاري ج٢ (٠) صحيح مسلم ج٤ (٣) أخرجه ابو داود .
(٤) صحيح البخاري ج٢ .
(٥) معلمة الاسلام مادة عبد Encyclopédie de l'Islam - Art. Abd

المؤمنات فمامملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات » «وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله » .

وأوجبت الشريعة معاملتهم بالرفق واللين « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا » .

عن المعرور بن سويد قال قال النبي (ص) : ان اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت ايديكم فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم مايغلبهم فاعينوهم [1] .

عن ابي هريرة عن النبي (ص) ... ولا يقل احدكم عبدي أمتي وليقل فتاي وفتاتي وغلامي [2] .

قال غوستاف لوبون : ان لفظة الرق اذا ذكرت امام الاوربي الذي اعتاد تلاوة الروايات الاميركية المؤلفة منذ نحو ثلاثين سنة من الزمان ، ورد على خاطره استعمال اولئك المساكين المثقلين بالسلاسل المكبلين بالاغلال المسوقين بضرب السياط الذين لا يكاد يكون غذاؤهم كافياً لسد رمقهم وليس لهم من المساكن الا حبس مظلم ، واني لا اقصد ان أتعرض هنا للبحث عن صحة هذا الوصف وانطباقه حقيقة على ما كان واقعاً من الانكليز في اميركا منذ سنين قليلة وعما اذا كان من الامور المحتملة ان مالك الارقاء قد قام بفكره ان يسيء معاملتهم ويذيقهم العذاب والهوان بما يكون فيه تلف لبضاعة غالية مثل ما كان الزنجي في ذاك الزمان ، اما الحق اليقين فهو ان الرق عند الاسلاميين يخالف ما كان عليه عند النصارى تمام المخالفة [3] .

والخلاصة ان الاسترقاق كان حالا من احوال الهيأة الاجتماعية في ادوار الانسانية الاولى أي بمعنى انه كان حادثاً اجتماعياً له عوامل طبيعية تقتضيه على الدوام ما دامت تلك العوامل ، ولذا جاء الاسلام باباحة الاسترقاق بعد ان حصر

---

(١) صحيح البخاري ج٢ .
(٢) صحيح البخاري ج٢ .
(٣) الرق في الاسلام لاحمد شفيق .

أحكامه في دوائر معينة لا تتعدى حقوقه الانسانية مجاراة لهذا السر العمراني حتى يزول بما تقتضيه من النظام الاجتماعي فيزول هو بنفسه .

* * *

وقرر الاسلام انمناط السعادة في الدنيا والآخرة الاعمال الشخصية « كل نفس بما كسبت رهينة » « ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى » وقال الله عن الذين لا يعملون صالحاً : « فما لهم من شافعين » « فماتنفعهم شفاعة الشافعين » « ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين . قال يا نوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح » وهـذا المبدأ يجعل الانسان يدرك مبلغ العهدة الملقاة على عاتقه وحقيقة مركزه في مجتمعه وعالمه ، فيعتمد على ذاته ويثق بقوى نفسه معتقداً انها كافية في ايصاله لارقى مايتوق اليه من درجات السعادة المرجوة .

وطالب بالعمل كل قادر عليه وقرر ان لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسب « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » .

عن ابي هريرة قال قال رسول الله (ص) : المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وان اصابك شيء فلا تقل لو اني فعلت كذا كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء الله فعل فان لو تفتح عمل الشيطان (١) .

عن ابي عباس قال قال رسول الله (ص) : نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ (٢) .

عن ابي بكرة قال : سئل رسول الله (ص) أي الناس خير ؟ قال : من طال عمره وحسن عمله ، قيل فأي الناس شر ؟ قال : من طال عمره وساء عمله (٣) .

عن جرير بن عبدالله قال قال رسول الله (ص) : من سن في الاسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب عليه مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من اجورهم شيء ومن سن في

(١) صحيح مسلم ج ٦ (٢) اخرجه البخاري والترمذي (٣) اخرجه الترمذي .

الاسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء [1] .

عن عائشة أنها قالت كان أحب العمل الى رسول الله (ص) الذي يدوم عليه صاحبه [2]

عن انس بن مالك ان رسول الله (ص) كان يقول : اني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال [3] .

وقرر ان العقل مناط التكليف ومحك التمييز بين الحق والباطل وانه قسطاس الحكم فأكثر القرآن من ذكر العقل « أفلا تعقلون » « وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير » « وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون » .

ونعى على الآخذين بالظنون والاوهام « قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » « وما يتبع اكثرهم الا ظناً ان الظن لا يغني من الحق شيئاً ان الله عليم بما يفعلون » « ان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون » « ان هي الا أسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما أنزل الله من سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى » « هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون » « بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدي من أضل الله وما لهم من ناصرين » .

وبين خطر الاعتقاد بدون عقل ولا علم وكشف عن عظم العهدة في ذلك « ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا » .

وقرر طلب العلم واعظم شأنه « وقل ربي زدني علماً » « وما اوتيتم من العلم الا قليلا » « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » . « يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا اولو الالباب » « هل يستوي الاعمى والبصير » . « وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون » « يرفع الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » .

عن ابي الدرداء قال سمعت رسول الله (ص) يقول : من سلك طريقاً يطلب به علماً سلك الله به طريقا من طرق الجنة ، وان الملائكة لتضع أجنحتها رضى لطالب العلم وان

(١) صحيح مسلم ج٨ (٢) صحيح البخاري ج٤ (٣) صحيح البخاري ج٤ .

العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض والحيتان في جوف الماء ، وان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وان العلماء ورثة الانبياء ، وان الانبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ولكن ورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر [1] .

عن ابي هريرة قال قال رسول الله (ص) : الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها [2] .

عن كعب بن مالك قال سمعت النبي (ص) يقول من طلب العلم ليجاري به العلماء وليماري به السفهاء ويصرف به وجوه الناس اليه ادخله الله النار [3] .

عن أبي امامة: ذكر لرسول الله (ص) رجلان عابد وعالم فقال : فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم [4] .

عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال سمعت الرسول (ص) يقول : ان الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا [5] .

وحث على التعليم وارشاد العامة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال تعالى : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » .

عن ابي هريرة قال قال رسول الله (ص) : من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار [6]

« ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » . « لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة او معروف أو اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه اجراً عظيماً » . « يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور » .

---

(١) أخرجه ابو داود (٢) اخرجه الترمذي (٣) اخرجه الترمذي (٤) اخرجه الترمذي (٥) صحيح البخاري ج١ (٦) اخرجه ابو داود والترمذي .

عن حذيفة قال قال رسول الله : والذي نفسي بيده لتأمرنّ بالمعروف ولتنهونعن المنكر أو ليوشكن الله ان يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجب لكم [1] .

عن جرير بن عبد الله قال : بايعترسول الله(ص) على اقام الصلاة وايتاء الزكاة والنصح لكل مسلم[2] .

وصرح في وصف اهل الحق بانهم « الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه » فوصفهم بالتمييز بين ما يقال من غير فرق بين القائلين ليأخذوا بما عرفوا حسنه ويطرحوا مالم يتبينوا صحته ونفعه .

وابطل الاحقاد التي تنشأ بسبب اختلاف الناس في الاديان فقرر اولا ان الخلاف بين الامم امر لا بد منه لنظام الكون ، وان تخالف الشعوب في المعتقدات من مقتضيات الطبائع البشرية « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك » .

وأمر بدعوتهم الى الدين باحسان وتلطف « أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ان ربك هو اعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين » .

وأمر ان تكون الدعوة بدون اكراه « ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » . « لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » .

وقرر ان لكل شيء في عالم الطبيعة قدراً معيناً وناموساً ضابطا له ، وان الامور الكونية لا تسير بالاهواء والاتفاق ، بل على سنن مدبرة « انا كل شيء خلقناه بقدر» « وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين . لو اردنا ان نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين . بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون » . « وخلق كل شيء فقدره تقديرا » . « فهل ينظرون الا سنة الاولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا » .

ولفت الانسان لنظام الطبيعة وتوجيه نظره لاسرارها الخفية « قل انظروا ماذا

---

(١) اخرجه التمذي (٢) صحيح البخاري ج١ .

في السموات والارض » « أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت » « ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب » .

ومنع البهرجة الظاهرة وحض على الاخلاص القلبي والعمل الصالح « ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون » .

ولفت الناس لاستخدام قواهم المودعة فيهم اذا أرادوا تغيير احوالهم وتحسين شؤونهم « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

وقرر ان مناط بقاء الامم هو الصلاحية للبقاء بالعلم والعمل لا بتمني الاماني الباطلة « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون » . « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون » .

وحض على التآلف والتحابب « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » .

عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله(ص) : مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى[1] .

عن ابي موسى قال قال رسول الله(ص) : المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً[2]

عن انس بن مالك عن النبي(ص) : لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه[3]

عن ابي هريرة قال قال رسول الله(ص) : من نفس عن مسلم كربه من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب الآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون اخيه[4] .

عن ابي هريرة عن رسول الله(ص) قال : لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا او لا ادلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم [5] .

---

(١) صحيح مسلم ج٨ (٢) صحيح مسلم ج٨ (٣) صحيح مسلم ج١ (٤) الجامع الكبير للترمذي ج١ (٥) صحيح مسلم ج١ .

عن عائشة قالت سمعت النبي(ص) يقول : الارواح جنود مجندةفماتعارفمنها ائتلف وما تناكر منها اختلف [1] .

عن عمر قال سمعت رسول الله(ص) يقول : ان من ابر البر ان يصل الرجل أهل ود ابيه بعد ان يولى [2] .

وان السعادة الروحية لا تنافي السعادة المادية في الدنيا ، وان المدنية اذا قصد بها خير البشرية وتسهيل المنافع الحيوية واظهار البدائع الوجودية فهي مما نـدب الشرع اليه « وقل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين » . « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق » « ولا تنس نصيبك من الدنيا » .

وحذر المسلم من ان ينخدع « يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين » .

عن ابي هريرة عن النبي(ص) قال : لا يلدغ المؤمن من حجر واحد مرتين [3] .

وأمر بالرأفة بالحيوان ـ عن ابن عمر قال قال رسول الله(ص) : دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الارض [4] .

وذكر ان لكل أمة اجلا ـ « ولكل أمة اجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » .

وانه لكل انسان مقاماً معلوماً ـ « وما منا الا له مقام معلوم » .

وان المقصود من الدين منفعة البشر لا تعذيبهم وفائدتهم لاتسخيرهم ـ « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » « ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم » « يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفاً » « لايكلف الله نفساً الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » .

روى ابو هريرة عن رسول الله(ص) انه قال : ان الدين يسر ولن يشادالدين احد الا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوةوالروحةوشيء من الدلجة [5] .

---

(١) صحيح البخاري ج٢ (٢) اخرجه مسلم وابو داود والترمـذي (٣) صحيح البخاري ج٤ (٤) اخرجه الشيخان (٥) اخرجه البخاري .

عن انس بن مالك قال قال النبي(ص) : يسروا ولا تعسروا وسكنواولا تنفروا[1]

عن ابي هريرة عن النبي قال : دعوني ما تركتكم انما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه واذا امرتكم بأمر فاتوا منه ما استطعتم [2] .

عن عبدالله قال قال رسول الله(ص) : هلك المتنطعون قالها ثلاثاً « أي المتعمقون الغالون المتجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم [3] » .

وسد ابواب الشر فحرم الخمر والميسر والزنا ــ « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما أثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما » « انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون » « يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فأجتنبوه لعلكم تفلحون » « ولا تقربوا الزنا انه كانفاحشة وساء سبيلا » .

* * *

تعاليمه في السياسة والقضاء :

هدم الاسلام الوحدة القبيلية والعصبية الجنسية وكره التفاضل بشرف القبيلة أو شرف الجنس وعلم ان المسلمين كلهم كتلة واحدة لا تفاضل بين أفرادها الا بطاعة الله وتنفيذ امره « انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين اخويكم » « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير » .

عن واثلة بن الاسقع قال : قلت يا رسول الله ما العصبية قال : ان تعين قومك على الظلم [4] .

وقرر ان مبدأ الشورى في الحكومة « وشاورهم في الامر » « وامرهم شورى

---

(١) صحيح البخاري ج٤ (٢) صحيح البخاري ج٤ (٣) صحيح مسلم ج٨ (٤) اخرجه ابو داود .

بينهم » واذا لم ينجح المسلمون الاولون في اقامة المجالس النيابية فعذرهم في ذلك قصورهم العلمي .

وحتم الطاعة لله والطاعة للرسول والطاعة لاولي الامر في الامة ما أطاع ولي الامر أوامر الله « اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم » .

عن عبد الله بن عمر عن النبي (ص) قال : السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره مالم يؤمر بمعصية فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة [1] .

عن ابي هريرة قال قال رسول الله (ص): اذا كانت أمراؤكم خياركم واغنياؤكم سمحائكم وامركم شورى بينكم فظهر الارض خير لكم من بطنها . واذا كانت امراؤكم شراركم واغنياؤكم بخلاءكم وامركم الى نسائكم فبطن الامر خير لكم من ظهرها [2] .

عن عائشة قالت قال رسول الله (ص) : اذا أراد الله بالامير خيراً جعل له وزير صدق ان نسي ذكره وان ذكر اعانه واذا اراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء ان نسي لم يذكره وان ذكر لم يعنه [3] .

عن معقل بن يسار قال سمعت رسول الله (ص) يقول : ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت وهو غاش لرعيته الا حرم الله عليه الجنة [4] .

أذن الله للمؤمنين بالقتال لامرين : الدفاع عن النفس عند التعدي ، والدفاع عن الدعوة اذا وقف احد في سبيلها بتعذيب من آمن حتى يرجع عما اختاره لنفسه من العقيدة او بصد من أراد الدخول في الاسلام عنه او بمنع الداعي من تبليغ دعوته « أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز . الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور » « ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك

---

(١) صحيح البخاري ج٤ (٢) اخرجه الترمذي ، وقال هذا حديث غريب
(٣) اخرجه ابو داود والنسائي (٤) اخرجه البخاري ومسلم .

ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم » .

« وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ــ ولا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين ــ واقتلوهم حيث ثقفتموهم ــ واخرجوهم من حيث اخرجوكم ــ والفتنة اشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ــ فان قاتلوكم فأقتلوهم كذلك جزاء الكافرين . فان انتهوا فان الله غفور رحيم . وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ــ فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين . الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص ــ فمن اعتدى عليكم فأعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ــ واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين » « وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله فا نانتهوا فان الله بما يعملون بصير . فان تولوا فان الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير » .

« وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالمي أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً » .

وقال عن قوم من المشركين لم يحبوا ان يقاتلوا مع قومهم ولا ان يقاتلوا المسلمين فاعتزلوا الفتنة جانبا : « فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا » على شرط ان يكون ميلهم الى الاسلام حقيقياً لا ذبذبة فيه فان كانوا كذلك فقد شرح حالهم بقوله : « ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبينا » .

وأمر ان تقاتل الفئة الباغية من المؤمنين حتى تفيء الى امر الله ، وامرهم ان يعدوا للقتال ما استطاعوا من قوة ، وان لايتمنوا لقاء العدو ، وذكر ان الحرب خدعة ونهى عن قتل النساء والصبيان : « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان

بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا فان الله يحب المقسطين » .

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوفّ اليكم وانتم لا تظلمون » .

عن ابي هريرة عن النبي (ص) قال : لاتمنوا لقاء العدو فاذا لقيتموهم فاصبروا[1] .

عن ابي هريرة قال : سمى النبي (ص) الحرب خدعة [2] .

عن ابن عمر قال : وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله (ص) فنهى الرسول عن قتل النساء والصبيان[3] .

وقال في شأن السلم : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم . وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم » .

« وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون . الا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدؤكم اول مرة أتخشونهم فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين » .

وكان يهود المدينة قد مالؤا قريشاً والمنافقين على المسلمين واخافوا المسلمين في غزوة الاحزاب حتى زلزلوا زلزالا شديداً بعد ان كانت بينهم وبين النبي عهود مكتومة فنقضوها واخلوا بمقتضى تلك العهود فأمر المسلمون بقتالهم : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولايدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » .

وكان امر القتال مقصورا على قريش ومن يمالؤهم من يهود المدينة فلما اتحدت معهم قبائل الجزيرة من العرب قال الله : « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين » .

---

(١) صحيح البخاري ج٢ (٢) صحيح البخاري ج٢ (٣) صحيح البخاري ج٢ .

ومما يؤيد الروح السلمية للقرآن ويوضحها ما قاله تعالى : « لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين . انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .

وأمر بالمحافظة على المعاهدة المعقودة بين المؤمنين ومحاربيهم : « الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم احداً فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين » . « الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين » . « براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين » .

عن عبد الله بن عمرو عن النبي(ص) قال : من قتل نفساً معاهداً لم يرح رائحة الجنة وان ريحها يوجد من مسيرة اربعين عاماً [1] .

وبين قصاص الجاني في الدنيا : « يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى » « ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل انه كان منصورا » .

وذكر نظام الديات « فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم » . « ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله الا ان يصدقوا ـ فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة ـ وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبةً من الله وكان الله عليماً حكيما » .

واخبر عن نظام التوراة في قصاص الاطراف : « وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له » .

وجعل حد الزاني مئة جلدة : « الزانية والزاني فأجلدوا كل واحد منهما مئة

---

(١) صحيح البخاري ج٤

جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » . وجعل الامة الزانية على النصف من ذلك « فاذا أحصن فان أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب » .

وجعل على من رمى محصنة ثمانين جلدة : «والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابداً وأولئك هم الفاسقون . الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم » .

وجعل للزوج اذا رمى زوجته نظاماً خاصاً : « والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين » . ولما كانت شهادته بالله قائمة مقام الشهداء الاربعة جعل لها طريقاً لتبرئة نفسها : « ويدرأ عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين » .

وامر بقطع يد السارق : « والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاءً بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم . فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم » .

وذكر عن الذين يسعون في الارض فسادا « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا أو يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفعوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم » .

وامر بالاحتياط في توقيع هذه العقوبات والعفو اذا كان لها مخرج حتى اذا ثبت الجرم على فاعله يحد بدون تمييز بين الشريف والوضيع « قل يا عبادي الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم» « وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا واصلح فأجره على الله ان الله لا يحب الظالمين » .

عن انس قال : ما رأيت رسول الله (ص) رفع اليه شيء فيه قصاص الا امر فيه بالعفو [1] .

---

(١) اخرجه ابو داود والنسائي .

عن عائشة قالت قال رسول الله (ص) : ادرؤا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فان كان له مخرج فخلوا سبيله فان الامام ان يخطيء في العفو خير من ان يخطيء في العقوبة (١) .

عن عائشة ان قريشاً أهمهم شأن المخزومية التي سرقت فقالوا : من يكلم فيها رسول الله ؟ فقالوا : ومن يجتريء عليه الا اسامة بن زيد حب رسول الله فكلمه أسامة فقال : أتشفع في حد من حدود الله تعالى ؟ ثم قام فاختطب ثم قال : انما اهلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد وايم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها « اخرجه الخمسة ، وفي رواية ابي داود والنسائي عن ابن عمر : ان امرأة مخزومية كانت تستعير المتاع ، زاد النسائي على ألسنة جارتها وتجحده فأمر النبي (ص) بقطع يدها .

وورد عن المظالم والغصب والعدل وظلم القضاة وعدلهم واحتجابهم دون حاجة الرعية واجتهاد الحاكم ومحاسبة العمال وشهادة الزور ما يأتي : « ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه القلوب والابصار » . « الا لعنة الله على الظالمين » . « قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق » .

عن ابن عباس ان رسول الله (ص) بعث معاذاً الى اليمن فقال : اتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب (٢) .

عن عبد الله بن عمر عن النبي (ص) قال : الظلم ظلمات يوم القيامة (٣) .

عن عائشة قالت قال رسول الله (ص) : من ظلم قيد شبر من الارض طوقه من سبع ارضين (٤) .

عن انس قال قال رسول الله (ص) : انصر اخاك ظالماً أو مظلوما قالوا يارسول الله هذا ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالما ؟ قال : تأخذ فوق يديه (٥) .

---

(١) اخرجه الترمذي (٢) الجامع الكبير للترمذي ج٢ (٣) صحيح البخاري ج٢
(٤) اخرجه الشيخان (٥) صحيح البخاري ج٢ .

عن ابي هريرة قال : اتى النبي(ص) رجل يتقاضاه فأغلظ له فهم به اصحابه، فقال: دعوه فان لصاحب الحق مقالاً [1] .

« ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعاً بصيرا » . « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون » . « يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ان يكن غنياً او فقيرا فالله اولى بهما فلاتتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلوا او تعرضوا فان الله كان بما تعلمون خبيرا » .

عن ابي هريرة ان رسول الله(ص) قال : من طلب قضاء المسلمين حتى يناله ثم غلب عدله جوره دخل الجنة وان غلب جوره عدله فله النار [2] .

عن ابي سعيد قال قال رسول الله(ص) : احب الناس الى الله تعالى يوم القيامة وادناهم منه مجلساً امام عادل وابغض الناس الى الله يوم القيامة وابعدهم منه مجلساً امام جائر [3] .

عن ابي هريرة قال .... فان من خيار الناس احسنهم قضاء [4] .

عن بريدة قال قال رسول الله(ص) : القضاة ثلاثة : واحد في الجنة واثنان في النار فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقضى به ورجل عرف الحق وجار في الحكم فهو في النار ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار [5] .

عن ابن ابي مريم الازدي قال : دخلت على معاوية فقال ما انعمنا أي « ما جاء بك » ابا فلان ؟ قلت : حديث سمعته من رسول الله(ص) سمعته يقول: من ولاه الله شيئاً من امور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلّتهم وفقرهم احتجب الله تعالى دون حاجته وخلّته وفقره يوم القيامة ، قال : فجعل معاوية رجلا على حوائج الناس [6] .

عن عمرو بن العاص قال قال رسول الله(ص) : اذا اجتهد الحاكم فأصاب فله اجران وان اجتهد فأخطأ فله اجر [7] .

---

(١) صحيح البخاري ج٢)٢) اخرجه ابو داود (٣) اخرجه الترمذي (٤) صحيح البخاري ج٢ (٥) اخرجه ابو داود (٦) اخرجه ابو داود والترمذي (٧) اخرجه الشيخان وابو داود .

عن ابي حميد الساعدي ان النبي(ص) استعمل ابن اللتبية على صدقات بني سليم فلما جاء الى رسول الله وحاسبه قال هذا الذي لكم وهذه هدية اهديت لي فقال الرسول : فهلا جلست في بيت ابيك وبيت أمك حتى تأتيك هديتك ان كنت صادقاً ثم قام الرسول(ص) فخطب الناس وحمد الله واثنى عليه، ثم قال : اما بعد فاني استعمل رجالا منكم على امور مما ولاني الله فيأتي احدكم فيقول هذا لكم وهذه هدية اهديت لي فهلا جلس في بيت ابيه وبيت امه حتى تأتيه هديته ان كان صادقاً فوالله لا يأخذ احدكم منها شيئاً (١) .

عن بريدة قال قال رسول الله(ص) : من استعملناه على عمل ورزقناه رزقاً فما اخذ بعد ذلك فهو غلول (٢) .

« ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم » .

عن ابي بكرة قال قال رسول الله(ص) : ألا أنبئكم باكبر الكبائر قلنا بلى يا رسول الله قال : الاشراك بالله وعقوق الوالدين ، وكان متكئاً فجلس فقال : الا وقول الزور الا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يقولها حتى قلت لا يسكت (٣) .

عن انس قال سئل النبي(ص) عن الكبائر؟ عال : الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس وشهادة الزور (٤) .

عن ابي هريرة عن النبي(ص) قال : سبعة يظلمهم الله يوم القيامة في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل الخ ... (٥) .

* * *

تعاليمه في الاقتصاد :

ان من يتصفح القرآن بامعان ويبحث عما ورد فيه من الآيات المتعلقة بالربا والمرابين لا يستطيع ان ينكر ان عدد المرابين في مكة كان كبيرا جدا في عصر النبي وان ضررهم على الهيأة الاجتماعية لم يكن باقل من ذلك ، فالويل ثم الويل لمن كان يسقط في شباكهم ويا تعس من تضطره الحال الى الالتجاء اليهم ، لان هذه الطبقة

(١) صحيح البخاري ج٤ (٢) اخرجه ابو داود (٣) صحيح البخاري ج٤ (٤) صحيح البخاري ج٢ (٥) صحيح البخاري ج٤ .

من الناس لم يكن يهمها من الدنيا الا جمع المال فلم تكن تفقه للرحمة معنى ولا كانت ترى فرقا بين التجارة والربا الفاحش .

كانت نتيجة اعمال هذه الفئة الظالمة خراب المدينين واستعبادهم ثم استشمار اتعابهم بشتى الطرق التي كانت توحيها اليهم ضمائرهم الفاسدة وسنن ذلك العصر وذلك الوسط .

كل ذلك ادى الى وجود طبقتين غير متناسبتي العدد والعُدد : طبقة المثرين وطبقة الصعاليك والفقراء ، فكانت طبقة الفقراء لا تملك شيئا حتى انفسها لان حق التشريع كان محصورا في أيدي الطبقة العليا فكان اصحابها يسنون من الشرائع ما يوافق مصلحتهم ، ولما لم يكن لاصحاب هذه الطبقة زاجر من انفسهم ولا رادع من ضمائرهم يردعهم عن استشمار اتعاب الصعاليك وامتهانهم ويوقفهم عند حدمعلوم من القسوة ، كانت طبقة الفقراء بينهم عرضة دائمة للاخطار ، وسلسلة بأس وعذاب .

لا جرم ان النبي كان أعرف الناس من ابناء بلدته وقومه بامراض البيئةالاجتماعية واقدرهم على مقاومتها ، فقد عركه الزمن وعرك الزمن سنين عديدة قضاها في المراقبة والتفكير ، ثم دخل مدرسة الحياة واقام فيها زمناً طويلا ، فاطلع على ما كان يقع أمامه من الكذب والغش في التجارة والافلاس وأكل اموال اليتامى والتلاعب في الوزن والكيل والبذخ والترف في الطبقة العليا على حساب الفقراء والعمال الى غير ذلك من عيوب التجارة والمضاربة بالمال ، فعقد نيته على محاربة هذه الامراض الاجتماعية مهما كلفه ذلك من التعب .

وكان لمنشأ النبي ووسطه الاجتماعي تأثير قوي في ظهوره ودعوته لانه كان كثيرا ما يتذكر دور الفقر واليتم ، هذا الدور الذي يستمد منه قوى جديدة يستعين بها على مكافحة خصومه والتغلب على تلك العراقيل التي كانت تعترضه في طريقه الاصلاحية [1] .

حمل القرآن عندئذ على الربا والمرابين حملة شعواء ـ « الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا واحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف

(١) تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام .

وامره الى الله ومن عاد فأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون • يمحق الله الرباويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم • ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون • يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين • فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤوس اموالكم لاتظلمون ولا تظلمون • وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون « يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة » •

ولم يبين القرآن ما البيع وما الربا اكتفاء بما كان معروفاً عند السامعين ، فقد كانوا يتبايعون وكانوايتداينون الى اجل فاذاحل الاجل قال الدائن للمدين أد او ارب ان لم يؤد ضاعف عليه الدين •

* * *

واستعاض الاسلام عن ذلك بان فرض للفقراء في اموال الاغنياء حقاً معلوماً يفيض به الآخرون على الاولين سداً لحاجة المعدم وتفريجا لكربة الغارم وتحريرا لرقاب المستعبدين وتيسيرا لابناء السبيل ، ولم يحث على شيء حثه على الانفاق من الاموال في سبيل الخير وكثيرا ما جعله عنوان الايمان ودليل الاهتداء الى الصراط المستقيم فاستل بذلك ضغائن اهل الفاقة ومحص صدورهم من الاحقاد وعلى من فضلهم الله عليهم في الرزق واشعر قلوب اولئك محبة هؤلاء وساق الرحمة في نفوس هؤلاء على أولئك البائسين فاستقرت بذلك الطمأنينة في نفوس الناس اجمعين •

رغب في اعطاء الصدقات وضاعف اجر المنفقين وحمل على الشح والبخل « مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة • والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » • « والذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا مناً ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » • « ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير » • « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم وممـا

أخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه واعلموا ان الله غني حميد » .

« والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » . « وما خلق الذكر والانثى ان سعيكم لشتى . فأما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى . وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى » .

عن ابي هريرة قال قال رسول الله (ص) : السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من النار . ولجاهل سخي أحب الى الله تعالى من عابد بخيل [1] .

عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله (ص) : خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق [2] .

عن جابر بن عبد الله ان رسول الله (ص) قال : اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم ، حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم [3] .

عن ابن عمر قال خطب رسول الله (ص) فقال : اياكم والشح فانما هلك من كان قبلكم بالشح ، امرهم بالبخل فبخلوا وامرهم بالفجور ففجروا [4] .

عن ابن عمر قال قال رسول الله (ص) : شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع [5] . « الهلع أشد الجزع والخالع الذي كأنه خلع فؤاده لشدة خوفه وفزعه » .

عن عبد الله بن مسعود قال قال النبي (ص) : لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها [6] .

وبين طرق انفاق المال وعلى من يبدأ المنفق ـ « يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فان الله به عليم » . « للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في

---

(١) اخرجه الترمذي (٢) اخرجه الترمذي (٣) صحيح مسلم ج٨ (٤) اخرجه ابو داود (٥) اخرجه ابو داود (٦) صحيح البخاري ج١ .

الارض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لايسألون الناس الحافاً وما تنفقوا من خير فان الله به عليم » .

عن ابي هريرة قال : امر رسول الله(ص) يوماً بالصدقة فقال رجل : يا رسول الله عندي دينار ؟ قال تصدق به على نفسك ، قال : عندي آخر ؟ قال : تصدق به على ولدك ، قال : عندي آخر ؟ قال : تصدق به على زوجتك ، قال : عندي آخر ؟ قال : تصدق به على خادمك ، قال : عندي آخر ؟ قال : انت ابصر به [1] .

عن ابي هريرة قال قال النبي : أفضل الصدقة ما ترك غني واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول ، تقول المرأة اما ان تطعمني واما ان تطلقني ، ويقول العبد اطعمني واستعملني ، ويقول الابن اطعمني الى من تدعني [2] .

عن ابي هريرة قال قال النبي(ص) : أفضل الصدقة ما ترك غني واليد العلياخيرمن بمن تعول [3] .

عن ابن عمرو بن العاص ان رجلا قال : يا رسول الله ان لي مالا وولدا وان ابي يحتاج مالي فقال : انت ومالك لابيك ان اولادكم من اطيب كسبكم فكلوا من كسب اولادكم [4] .

عن ابي سعيد قال قال رسول الله(ص) : من عال ثلاث بنات اوثلاث اخوات اواختين او بنتين فأدبهن واحسن اليهن وزوجهن فله الجنة [5] .

عن صفوان بن سليم يرفعه الى النبي(ص) قال : الساعي على الارملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله او كالذي يصوم النهار ويقوم الليل [6] .

وحمل على من سأل الناس وله ما يغنيه : عن ابن مسعود قال قال رسول الله(ص) من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسألته في وجهه خموش او خدوش او كدوح قيل : وما يغنيه ؟ قال : خمسون درهماً او قيمتها من الذهب [7] .

---

(١) اخرجه ابو داود والنسائي (٢) صحيح البخاري ج٣ (٣) اخرجه ابو داود (٤) اخرجه ابو داود (٥) اخرجه ابو داود والترمذي (٦) الجامع الكبير للترمذي ج٢ (٧) اخرجه اصحاب السنن .

عن عدي بن حاتم قال قال رسول الله (ص) : وهو على المنبر وذكر الصدقة والتعفف عن المسألة ، اليد العليا خير من اليد السفلى [1] .

وان الانسان طماع يحب المال حباً جماً ، وينبغي له ان لاينظر الى من فضل عليه في المال وان يكون المنفق في حالة معتدلة أي بدون تقتير ولا تبذير وان الله ينزل برزق عباده بقدر وانه فضل بعضهم على بعض في الرزق .

عن ابن عباس عن النبي(ص) قال لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب [2] .

عن ابي هريرة قال قال رسول الله(ص) : اذا نظر احدكم الى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر الى من هو أسفل منه فذلك اجدر ان لاتزدروا نعمة الله عليكم [3] .

« ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيراً » « ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير » . « والله فضل بعضكم على بعض في الرزق » .

* * *

وحض الاسلام الانسان على العمل في الحرف والتجارة والزراعة ، واعلى منزلة التاجر والزارع والصانع ، ومدح التاجر السموح في بيعه وشرائه والدائن اذا تجاوز عن معسر ، وانه يحق للدائن اذا وجد ماله بعينه عند رجل أفلس ان يأخذه ، وان مطل الغني ظلم .

عن المقدام عن رسول الله (ص) قال : ما اكل احد طعاماً قط خيرا من ان يأكل من عمل يده وان نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده [4] .

عن الزبير قال قال رسول الله(ص) : لان يأخذ احدكم أحبله ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها خير له من ان يسأل الناس اعطوه او منعوه [5] .

---

(١) اخرجه الستة الا الترمذي (٢) صحيح البخاري ج٤ (٣) اخرجه الشيخان والترمذي (٤) صحيح البخاري ج٢ (٥) اخرجه البخاري .

عن عائشة ان النبي (ص) يقول : اللهم اني أعوذ بك من الكسل والهرم والمأثم والمغرم ــ أي الدين[١] .

عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله (ص) : التاجر الامين الصدوق مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين[٢] .

عن جابر بن عبدالله ان رسول الله (ص) قال : رحم الله رجلا سمحاً اذا باع واذا اشترى واذا اقتضى[٣] .

عن ابي هريرة قال قال رسول الله (ص) : كان فيما قبلكم تاجر يداين الناس فكان اذا رأى معسراً قال لفتيانه تجاوزوا عنه لعل الله يتجاوز عنا فتجاوز الله عنه[٤] .

عن ابي قتادة انه قال سمعت رسول الله (ص) يقول : من سرّه ان ينجيه الله تعالى من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر او يضع عنه [٥] .

عن ابي هريرة قال قال رسول الله (ص) : من اخذ اموال الناس يريد اداءها أدى الله عنه ، ومن اخذها يريد اتلافها أتلفه الله تعالى [٦] .

عن ابي هريرة قال قال رسول الله (ص) : من أدرك ماله عند رجل أفلس فهو أحق به من غيره [٧] .

عن ابي هريرة قال قال رسول الله (ص) : مطل الغني ظلم [٨] .

عن انس قال قال رسول الله (ص) : ما من مسلم يغرس غرساً او يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو انسان او بهيمة الا كان له به صدقة[٩] .

وأمر بايفاء الكيل واعطاء الاجير أجره :

عن ابي هريرة عن النبي (ص) : قال قال الله تعالى : ثلاثة انا خصمهم يوم القيامة، رجل عطى بي ثم غدر ، ورجل باع حراً فأكل ثمنه ، ورجل استأجر اجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره[١٠] .

---

(١) صحيح البخاري ج٤ (٢) اخرجه الترمذي (٣) صحيح البخاري ج٢
(٤) اخرجه البخاري ومسلم والترمذي (٥) اخرجه مسلم (٦) اخرجه البخاري
(٧) اخرجه البخاري ومسلم (٨) صحيح البخاري ج٢ (٩) صحيح البخاري ج٢
(١٠) صحيح البخاري ج٢ .

« واوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم » .

* * *

وتعرض القرآن بطريقة اجمالية وقواعد كلية الى العقود التي يتبادل الناس منافعهم ، فأمر أمراً عاماً بالوفاء بالعقود : « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » وهي كلمة تشمل جميع الالتزامات التي يلتزمها الانسان للانسان .

ونهى عن أكل أموال الناس بالباطل والادلاء بها الى الحكام « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالاثم وانتم تعلمون » .

وجاء بنظام كتابة الدين المؤجل « يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه ــ وليكتب بينكم كاتب بالعدل ــ ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله ــ فليكتب ــ وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئاً ــ فان كان الذي عليه الحق سفيهاً او ضعيفاً او لايستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى ــ ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ــ ولا تسأموا ان تكتبوه صغيراً أو كبيراً الى اجله ــ ذلكم اقسط عند الله واقوم للشهادة وأدنى الا ترتابوا ــ الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها ــ واشهدوا اذا تبايعتم ولا يضارّ كاتب ولا شهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم . وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة ــ فان أمِنَ بعضكم بعضاً فليؤد الذي أؤتمن أمانته وليتق الله ربه ــ ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعلمون عليم » .

* * *

وذكر الاسلام ميراث الابناء « يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كن نساءً فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف » .

وحكمة جعل نصيب البنت نصف ما يرث الابن ، ان الابن من شأنه ان يتزوج

ويدفع مهراً من نصيبه في الميراث ويقوم بنفقة زوجته منه ، أضف الى ذلك ان ما يحتاج اليه البيت من الفراش وسائر الامتعة وغيرها مما تتطلبه المعيشة الزوجية لا يجب شيء منه على المرأة شرعاً ، بل هو واجب على الزوج وحده كما تجب عليه نفقتها ، اما البنت فشأنها ان تأخذ مهراً ونفقة من زوجها وتضم ذلك الى نصيبها في الميراث .

ومن هنا يتبين ان مال الابن مهدد بالنقص من نواح شتى ، ومال البنت محفوظ لها ، فتفضيل الابن على البنت في الميراث أتى من قبل الواجبات المنوعة التي ألقتها الشريعة على عاتقه .

ونفقة الابن الفقير تجب له على ابيه حتى يقدر على الكسب ، اما البنت فلها النفقة على ابيها حتى تتزوج ، ثم يتحول الوجوب الى زوجها ، فاذا طلقت وعادت الى بيت ابيها عادت نفقتها عليه بعد انتهاء ما يجب لها من النفقة على مطلقها .

وليس للاب ان يلزمها طلب الرزق كالابن ، بل اذا اتفق انها احترفت حرفة مشروعة من تلقاء نفسها وكان لها كسب ما يسد حاجتها ارتفعت النفقة عن ابيها ، واذا لم يكفها كسبها وجبت عليه النفقة .

وذكر ميراث الوالدين « ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلأمه الثلث فان كان له اخوة فلأمه السدس » .

وقال في ميراث الزوجين : « ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن . ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم » .

وقال في ميراث اولاد الام : « وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث » .

وقال في ميراث الاخوة العصبات : « يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرء هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد

فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا رجـالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين » .

* * *

وأمر ان تتمتع المرأة اذا طلقت بما تتعزى به وجعل ذلك حقاً واجباً لمن طلقت قبل الدخول ولم تكن قد سمي لها مهر : « لا جناح عليكم اذا طلقتم النساء مالم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضةً ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متـاعاً بالمعروف حقاً على المحسنين » . ثم ذكر ذلك بلفظ عام : « وللمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين » .

وقال فيمن طلقت قبل الدخول : « فمتعوهن وسرحوهن سراحاً جميلا » . « وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم الا ان يعفون او يعفو الذي بيده عقدة النكاح وان تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما تعملون بصير » .

* * *

وأوصى الشارع بالقوام على اليتامى : « ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم » « وآتوا اليتامى اموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم انه كان حوباً كبيرا » « وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشداً فادفعوا اليهم أموالهم ولا تأكلوها اسرافاً وبداراً ان يكبروا ــ ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا » « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً . ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلماً انما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيرا » « وان تقوموا لليتامى بالقسط » . « ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا » .

عن سهل بن سعد عن النبي (ص) قال : انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وقال باصبعيه السبابة والوسطى[1] .

---

(١) صحيح البخاري ج٤ .

وبين الاسلام توزيع غنائم الحرب : « واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » .

وقال في الفيء وهو مالم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب : « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم » « للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون . والذين تبؤوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون . والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ذنوبنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم » .

* * *

وذكر الاسلام الوصية فقال : « كتب عليكم اذاحضر احدكم الموت ان ترك خيراً الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقاً على المتقين فمن بدله بعدما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله غفور رحيم » .

عن سعد بن ابي وقاص قال : جاء النبي (ص) يعودني وانا بمكة وهو يكره ان يموت بالارض التي هاجر منها قال : يرحم الله ابن عفراء ، قلت : يا رسول الله أوصي بمالي كله قال : لا ، قلت : فالشطر ؟ قال : لا ، قلت : الثلث ؟ قال : فالثلث والثلث كثير انك ان تدع ورثتك أغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس في ايديهم ، وانك مهما أنفقت من نفقة فانها صدقة حتى اللقمة التي ترفعها الى في امرأتك وعسى الله ان يرفعك فينتفع بك ناس ويضر بك آخرون ولم يك له يومئذ الا ابنة [1] .

* * *

أثر تعاليمه في العرب :

أحدثت تعاليم الرسول (ص) انقلاباً عظيماً في العرب ، فرفعت مستواهم العقلي الى

---

(١) صحيح البخاري ج٢ .

درجة عظيمة ، نقلتهم من عبادة الاصنام والاوثان وما يقتضيه ذلك من انحطاط في النظر واسفاف في الفكر ، الى عبادة اله وراء المادة « لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار » ، كان الاله عند اكثرهم اله قبيلة وان اتسع سلطانه فاله قبائل ، او اله العرب فأبانه الاسلام اله العالمين ومدبر الكون ، وبيده كل شيء ، وعالماً بكل شيء ، فاستطاع العربي بهذه التعاليم ان يرقى الى فهم اله لا مادة له واسع السلطان واسع العلم .

وافهمهم الاسلام ان دينهم خير الاديان ، وان العالم حولهم في ضلال ، وان نبيهم هادي الناس جميعاً وانهم ورثته في هداية الامم فكان ذلك من البواعث على غزو هذه الامم يدعونهم الى دينهم ويبشرونهم به ، فمن دخل فيه كان كأحدهم — وكان لعقيدة اليوم الآخر ودار الجزاء والجنة والنار أثر عظيم في بيع كثير منهم نفوسهم في سبيل نشر الدعوة « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » .

كان للاسلام أثر كبير في تغيير قيمة الاشياء والاخلاق في نظر العرب فارتفعت قيمة أشياء وانخفضت قيمة اخرى ، وأصبحت مقومات الحياة في نظرهم غيرها بالامس .

أمة كانت بالامس متفرقة الكلمة بعيدة عن النظام والتطلع الى الملك تنهض فتوحد كلمتها وتجمع أشتاتها وتستجمع قواها فتتألف دولة متينة القواعد في داخليتها سليمة من عوامل التفرق في جثمانها ، ثم تندفع الى خارج بلادها لتطالب الامم بالخضوع الى سلطانها والانقياد لاصولها .

وجعلت هذه التعاليم العرب لا يدعون لتكوين دولة تفتح البلدان وتدوخ الشعوب لتغنى بافقارها وتحيى باهلاكها ، بل جعلتهم هذه التعاليم ان يكونوا أمة تقوم على تأييد الحق وازهاق الباطل ورفع منار الاخلاق واعلاء كلمة الله .

أثرت تعاليم الاسلام في كثير من العرب فجعلتهم يصدقون ولا يكذبون ويحافظون على الوعود والعهود ، ويؤدون الامانات الى اهلها ، واذا حكموا يحكمون بالعدل ، ويصلون الرحم ، ويحسنون معاشرة الجوار ، ويكفون عن كثير من الفواحش

والمحارم كقتل النفس الا بالحق وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات ووأد البنات ولعب الميسر وشرب الخمور والزنا ، وتجنبوا اللغو في الكلام والغيبة والنميمة والتجسس والتباغض والتحاسد والتنابز بالالقاب والكبر والتفاخر بالانساب ، واستعاضوا عن ذلك بالتعاضد والتكاتف والتواضع وعلو الهمة والجد والنشاط واللين واللطف والتراحم والحسنات والمبرات والتقـوى والصبر على الشدائد والقناعة الخ ، وبكلمة اخرى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

عقد غولدزيهر فصلاً في نقط النزاع بين الاسلام والفضائل عند العرب في الجاهلية عنونه بالدين والمروءة وهو يتلخص في ان الاسلام رسم للحياة مثلا أعلى غير المثل الاعلى للحياة في الجاهلية ، وهذان المثلان لايتشابهان وكثيرا ما يتناقضان فالشجاعة الشخصية والشهامة التي لا حد لها ، والكرم الى حد الاسراف ،والاخلاص التام للقبيلة والقسوة في الانتقام والاخذ بالثأر ممن اعتدى عليه او على قريب له او على قبيلته بقول او فعل ، هذه اصول الفضائل عند العرب الوثنيين ــ أما في الاسلام فالخضوع لله والانقياد لامره والصبر واخضاع منافع الشخص ومنافع قبيلته لاوامر الدين والقناعة وعدم التفاخر والتكاثر وتجنب الكبر والعظمة ، هي المثل الاعلى للانسان في الحياة [1] .

وبعد فالى أي حد تأثرت العرب بالاسلام ؟ وهل انمحت تعاليم الجاهلية ونزغات الجاهلية بمجرد دخولهم في الاسلام ؟ الحق ان ليس كذلك وتاريخ الاديان والآراء يأبى ذلك كل الاباء ، فالنزاع بين القديم والجديد والدين الموروث والحديث يستمر طويلا ويحل الجديد محل القديم تدريجا وقل ان يتلاشى بتاتاً ، وهذا ما كان بين الجاهلية والاسلام ، فقد كانت النزغات الجاهلية تظهر من حين الى حين وتحارب نزعات الاسلام ، وظل الشأن امداً بعيداً ، ولنقص طرفاً من مظاهر هذا النزاع .

جاء الاسلام يدعو الى محو التعصب للقبيلة والتعصب للجنس ويدعو الى ان الناس جميعا سواء : « ان اكرمكم عند الله أتقاكم » ، وبالرغم من هذه التعاليم لم تمت نزعة العصبية وكانت تظهر بقوة اذا بدا ما يهيجها .

---

(١) فجر الاسلام لاحمد امين .

لما تولى الامويون الخلافة عادت العصبية الى حالها كما كانت في الجاهلية وكان بينهم وبين بني هاشم في الاسلام كالذي كان بينهم في الجاهلية ، فخر الامويون بالدهاء والحلم وكثرة الخطباء والشعراء ، ورد عليهم بنو هاشم يكاثرونهم في ذلك، وكان جدالهم ومفاخرتهم صورة صادقة للمنافرة في الجاهلية .

وعاد النزاع في الاسلام بين القحطانية والعدنانية ، فكان في كل قطر عداء وحروب بين النوعين ، واتخذوا في كل صقع أسامي مختلفة ، ففي خراسان كانت الحرب بين الازد وتميم ، والاولون يمنيون والآخرون عدنانيون ، وفي الشام كانت الحرب بين كلب وقيس ، والاولون يمنيون والآخرون عدنانيون ، ومثل ذلك في الاندلس ومثل ذلك في العراق .

ومن رأي غودفرويه ديمومبين : ان جزيرة العرب ظلت بعد الاسلام كما كانت قبله في فوضى وبؤس اجتماعي مما يدل على ان الاسلام ماشى المقتضيات الجغرافية فظل العرب بعيدين عن ادراك توحيد السلطة ولم يعانوا شيئاً من ذلك الا بصعوبة قضت عليهم العوارض التاريخية[1] .

ليست ناحية العصبية وحدها ما يظهر لنا في عهد الاسلام من نزغات جاهلية فهناك نزغات أخرى لا تقل عنها وضوحاً .

من ذلك حروب الردة ، وذلك ان كثيراً من قبائل العرب عدوا دفع الزكاة للخليفة ضريبة عليهم ومذلة لهم ، ونظروا اليها نظرهم الى قبيلة تتسلط على اخرى وتضرب عليها الاتاوة فانتهزوا موت الرسول(ص) وعبروا عن شعورهم الجاهلي برفض دفعها لابي بكر ، وقد عجزوا عن ان ينظروا الى الزكاة كجزء من المال يؤخذ للصرف في الصالح العام وهو ما يرمي اليه الاسلام .

أضف الى ذلك ان بعض المسلمين وخاصة سكان البادية كانوا ينزعون في معيشتهم الاجتماعية النزغة الجاهلية من مهاجاة وحمية وشراب ونحو ذلك .

---

(١) التعاليم الاسلامية لغود فرويه ديمومبين .
Gaudefroy - Demombynes - Les institutions musulmanes.

وان بعض شبان بني أمية وبعض شباب بني هاشم كانوا يعيشون عيشة هي الى الجاهلية أقرب منها الى الاسلام ، شراب وصيد وغزل .

بجانب هذا ترى قوماً صبغهم الاسلام صبغة جديدة حتى انقطعت الصلة بين الحياتين الجاهلية والاسلامية كالذي ترى في سيرة ابي بكر وعمر وكثير من الصحابة ، ورع وزهد وتواضع والتزام شديد لاوامر الدين ، وحياة لا تستطيع ان ترى فيها مأخذاً جاهلياً ينافي الاسلام ، وتجد في خطبهم وكتبهم وأقوالهم أثر الاسلام بيناً حتى كأنهم خلقوا في الاسلام خلقاً جديداً .

الحق ان النزاع بين النفسية الاسلامية والنزعات الاسلامية والنفسية الجاهلية والنزغات الجاهلية كان شديداً وكان عهده طويلاً ، وان الاسلام لم يصبغ العرب صبغة واحدة على السواء ، بل ان خير من تأثر به هم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار ، أولئك الذين وصل الدين الى أعماق نفوسهم ، وأخلصوا له وأنفذوا أوامره ، فأما من اسلموا يوم الفتح ــ او بعده ــ وظلوا على كفرهم وعنادهم حتى رأوا النبي واصحابه ينتصر فلم يسعهم الا الاسلام فهؤلاء كان دين كثير منهم ركيكاً: « لايستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى » .

كذلك كان سكان المدن والقرى بل من دخل في الاسلام بعد من الامم الاخرى اكثر تديناً واعرف باحكام الاسلام من كثير من سكان البادية : « الاعراب أشدّ كفراً ونفاقاً وأجدر الا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله » .

فكثير من هؤلاء الاعراب كانت معرفتهم بالاسلام سطحية : كانوا يعكفون على الشراب ويتبعون تقاليد قبائلهم الجاهلية ويعقدون ألويتهم ويحاربون القبائل المعادية لهم في الاسلام كما كانوا يفعلون قبل الاسلام ، فاما الاسلام الحق والعقلية المسلمة فكانت أظهر في المدن وخاصة فيمن أسلموا قبل الفتح ، وكانت كذلك فيمن أخلص للدين من أهل المدن التي فتحها المسلمون .

اذن كان في العصور الاولى للاسلام نزغات جاهلية ونزعات اسلامية كانتا تسيران

جنباً الى جنب ، والذي يظهر لنا ان النزغة الجاهلية اثرت في الادب الاموي وخاصة الشعر اكبر أثر ، فالمعاني الجاهلية والهجاء الجاهلي والفخر الجاهلي والحمية الجاهلية كلها واضحة أجلى وضوح في الشعر الاموي ، فأما النزعة الاسلامية فظهرت في العلوم الشرعية فقد أقبل المسلمون على القرآن يتدارسونه ، والحديث يجمعونه ويستمدون منهما الاحكام ، ويستخرجون المواعظ .

اراء بعض الباحثين
في
تعاليم الرسول

قال تولستوي : ومما لاريب فيه ان النبي محمداً من عظام الرجال المصلحين الذين خدموا الهيأة الاجتماعية خدمة جليلة ويكفيه فخراً انه هدى أمة برمتها الى نور الحق وجعلها تجنح للسكينة والسلام وتفضل عيشة الزهد ومنعها عن سفك الدماء وتقديم الضحايا البشرية وفتح لها طريق الرقي والمدنية ، وهو عمل عظيم لا يقوم به الا شخص اوتي قوة ورجل مثل هذا جدير بالاحترام والاكرام[1] .

* * *

وقال مسمر : واما نحن معاشر الفلاسفة المحققين فنقول : ان الرجال اولي العظمة الذين تبقى أعمالهم خالدة مدى الازمنة هم من اهل النباهة الفائقة يجيئون لاصلاح العالم ولشقاء عصرهم من مرضه وشفقتهم تؤديهم الى البحث عن ايجاد ما يحتاج اليه العالم ويرغب الحصول عليه بدون تصوره اياه .

وما فعله محمد هو انه لما رأى ضلال الناس في معرفة الخليقة عزم على ارشادهم وتطبيق قوانين الطبيعة على أمور العالم بقدر ما كان معروفاً في ذلك الوقت ولذلك اعلن بان الله واحد بدلاً عن الخرافات التي من مقتضاها تثليث اله وجعله مركباً من الاب والابن والروح القدس ونشأت عنها عداوات وحروب بين الامم .

ثم ان الوحدانية التي هي أساس دين الاسلام هي السبب في نصرة محمد ولعمري لقد أصاب بعض المؤلفين العظام في قوله : ان اعلان الوحدانية في وقت ملت فيه الامم من خرافات علم اللاهوت كان من أفضل الاشياء حتى انه بمجرد

(١) حكم النبي محمد ـ لتولستوي .

ما نطق بها (أي كلمة التوحيد) محمد أحرقت جميع معابد الاصنام وانارت بذلك ثلث الدنيا [1] .

* * *

وقال دفرجه : في القرآن اصول دينية وأخلاقية وفلسفية وقوانين سياسية وحربية وقانون مدني ينظم سير علاقات الناس بينهم في كل وجه من وجوه الحياة العظيمة[2] .

* * *

وقال الدكتور شبلي شميل : وهل ينكر التمدن فضل دين القرآن عليه يوم كانت الشعوب المعول عليها في ذلك العهد منغمسة في الترف لاهية به عن العلم فكان الاسلام محيي رفاته وناشر لوائه وحافظ كنوزه ولولاه لربما كان قد قضي على علوم اليونان وآدابهم وفلسفتهم ولا اقول انه هو الذي نقلها كلها وانما صانها من ايدي اولئك الذين لو بقوا وشأنهم لعبثوا بها ولم يدعوا شيئاً منها يصل الينا[3] .

* * *

وقال كوزن : يجب علينا احترام دين الاسلام والاستعانة به في كل ما تعود منفعته على العالم كما استعنا في تقدمنا بجميع القوى الطبيعية كالماء والهواء والبخار والكهربائية بدون ان ننظر الى ما فعله الاقدمون من احتقارهم اياها[4] .

* * *

وقال ديفونبورت في كتابه اعتذار الى محمد والاسلام : ان من الحماقة ان نظن ان الاسلام قام بحد السيف وحده لان هذا الدين يحرم سفك الدماء ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وقد أمر بالشورى ونهى عن الاستبداد بقوله : « وشاورهم في الامر » «وامرهم شورى بينهم» ، ومنح الانسان حقوقه المدنية ، ولتتذكر اوربا انها

(١) دين الاسلام والعلم لرينان والرد عليه لمسمر .
(٢) العالم جزيرة العرب ــ لدفرجه .
M. Nœl - Desverges - L'Univers - L'Arabie.
(٣) مجموعة شبلي شميل .
(٤) دين الاسلام والعلم لرينان والرد عليه لمسمر .

مدينة للمسلمين أنفسهم بحفظ آداب العرب القديمة لما كانت هي في ظلام دامس فحفظوا آثار فلاسفة اليونان وأنشأوا علوم الطب وغيرها [1] .

* * *

وقال وليم ميور : ان القرآن الكريم ممتلىء بأدلة من الكائنات المحسوسة والدلائل العقلية على وجود الله وانه هو الملك القدوس وانه سيجزي المرء بعمله ان خيراً فخير وان شراً فشر ، وان اتباع الفضائل واجتناب الرذائل فرض على العالمين وان الواجب على كل مكلف ان يعبد الله وهي علة سعادته وقس على هذا ما هو موضح بادلة مؤكدة بليغة ، ويمثل حقيقة البعث بأمثال كونية صادقة وتشبيهات مدهشة [2] .

* * *

ونظم شبلي شميل بحق الرسول ابياتاً نشرتها جريدة الاخبار المصرية سنة ١٩٠٩ م وهي :

اني وان انكرت دين محمد	هل اكفرن بحكم الآيات
وبما حوت من ناصع الالفاظ من	حكم روادع للهوى وعظات
وشرائع لو انهم عقلوا بها	ما قيدوا العمران بالعادات
نعم المدبر والحكيم وانه	رب الفصاحة مصطفى الكلمات
رجل الحجى رجل السياسة والعلى	بطل حليف النصر في الغابات
ببلاغة القرآن قد جلب النهى	وبسيفه انحى على الهامات [3]

* * *

وقال مسمر : ان دين الاسلام يأمر بالوفاق ويعترف بنبوة موسى وعيسى ويعظم قدر مريم وابقى للعرب مالم يخالف ما أمر به من أوامرهم ووعد الجنة كل من عمل باوامره الصحيحة ولم يعمل سوءاً وآمن بالله وحده .

---

(١) مشكاة العلوم والبراهين في ابطال أدلة الماديين لاحمد فوزي الساعاتي .
(٢) اعتقاد الاسلام لعبد الله وليم كوليام .
(٣) مشكاة العلوم والبراهين في ابطال أدلة الماديين لاحمد فوزي الساعاتي .

ومحاسن دين الاسلام تظهر فيما القاه محمد عند هدم الاصنام التي كانت حول الكعبة وها هو بمعناه : ــ قد جاء الحق وزهق الباطل لا تمييز بين الناس نظراً لقدم حسبهم ونسبهم فان الكل من آدم وآدم من التراب فالجميع اخوة [1] .

* * *

وقال دأود اورْكُوَهرْتْ : ان الاسلام لم يكن ديناً مبتدعاً ولا حيا مخترعا ليس به قسوسية ولا حكومة كنائسية بل سن شريعة للناس كافةً ونظاماً مدنياً يجب على كل مسلم الانقياد اليه[2] .

* * *

وقال رينان : ان دين الاسلام (نفسه) فيه احكام رفيعة وما دخلت في حياتي مسجداً من مساجد المسلمين الا وحصل لي انجذاب لدين الاسلام ، بل تأسفت على عدم كوني مسلما [3] .

* * *

وقال ادوار جيبون : ان دين محمد خالٍ من الشكوك والظنون ، والقرآن اكبر دليل على وحدانية الله بعد ان نهى النبي عن عبادة الاصنام والكواكب ، وهذا الدين اكبر من ان تدرك أسراره العويصة عقولنا الحالية [4] .

* * *

وقال بندلي جوزي : لو بحثنا عما تم على يد النبي الامي من الاصلاح لما استطعنا ان ننكر انه قام بأكثر وعوده وحقق قسماً كبيراً من أمانيه ولو قدر له ان يعيش اكثر مما عاش لكان الاصلاح الذي ادخله على حياة الامة العربية أتم وأوسع ومع ذلك فان ما عمله في هذه السنين القلائل التي قضاها في المدينة بين الحروب

(١) دين الاسلام والعلم لرينان والرد عليه لمسمر .
(٢) اعتقاد الاسلام لعبد الله وليم كوليام .
(٣) دين الاسلام والعلم لرينان والرد عليه لمسمر .
(٤) مشكاة العلوم والبراهين في ابطال أدلة الماديين لاحمد فوزي الساعاتي .

والمنافسات الشخصية والدسائس والحسد والمكر والنفاق والمنافقين لهو شيء عظيم لاينكره الا كل مكابر عنيد او متعصب أعمى [1] .

* * *

وقال جون ديفونبورت في كتاب تاريخ محمد : هل بالامكان انكار فضل رجل يعني محمداً قام باصلاحات عظيمة خالدة لبلاده بان جعل اهلها يعبدون الله ويهجرون عبادة الاصنام ذلك الذي منع قتل الموؤدة وحرم شرب الخمر ولعب الميسر [2] .

* * *

وقال مسمر : زعم رينان ان دين الاسلام قتل نفسه بقتله العلوم والحال ان دين الاسلام قد عمر اثني عشر قرناً ولا يمكن لاحد ان يقول انه مات كما لايمكن لاي فيلسوف او سياسي تحديد عمره [3] .

* * *

وقال هربرت : ان شريعة الاسلام هي وصايا ادبية مدهشة يجب على المكلف القيام بها [4] .

* * *

وقال سيديو : مما يدل على عمى بصائر هؤلاء وصمم آذانهم عن الحق زلل اقدامهم عن سبيل الصدق والرشاد مافي القرآن من الآيات الناسخة لما ألفته العرب من القبائح كالاخذ بالثأر والتظاهر بالعدوان وقتل البنات درءاً للعار او حذراً من الفقر [5] .

* * *

وقال غوستاف لوبون : ان الاسلام يطابق اكتشافات العلم وهو قابل لتحسين الاخلاق وعمل الخير والعدالة والحلم .

---

(١) من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام ــ الجزء الاول ــ لبندلي جوزي .
(٢) مشكاة العلوم والبراهين في ابطال أدلة الماديين لاحمد فوزي الساعاتي .
(٣) دين الاسلام والعلم لرينان والرد عليه لمسمر .
(٤) اعتقاد الاسلام لعبد الله وليم كوليام .
(٥) خلاصة تاريخ العرب لسيديو .

وقال أيضاً : ان القرآن لم ينتشر الا بالاقناع لا بالقوة ، فاستطاع بذلك ان يجذب اليه الشعوب وتدين به ، تلك الشعوب التي تسلطت فيما بعد على العرب كالترك والمغول [1] .

قال كارل بروكلمان : اذا كانت الحماسة الدينية قد برزت في مكة على محمد الذي احسن في ذات نفسه انه رسول ونذير الى ابناء موطنه ، فقد انتهى في المدينة الى ان يصبح زعيم جماعة سياسية ورجل دولة موهوباً لا ينثني عن هدفه النهائي وهو السيطرة على بلاد العرب [2] .

(١) حضارة العرب لغوستاف لوبون .
G. Le Bon - La civilisation des Arabes.

(٢) تاريخ الشعوب الاسلامية لبروكلمان .

مصادر الباب الثاني

القرآن الكريم

الجامع الصحيح ـ للبخاري ـ طبعة ليدن

« « « مصر

« لمسلم

الجامع الكبير ـ لابي عيسى الترمذي ـ مخطوط

تيسير الوصول الى جامع الاصول من حديث الرسول ـ لعبد الرحمن بن علي المعروف بابن الديبع الشيباني الزبيدي

سيرة ابن هشام ـ الجزء الاول

كتاب البدء والتاريخ ـ الجزء الرابع ـ المنسوب لمطهر بن طاهر المقدسي

المختصر في اخبار البشر ـ الجزء الاول ـ لابي الفداء

السيرة الحلبية ـ الجزء الثالث ـ لبرهان الدين الحلبي

نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ـ لمحمد الخضري

تاريخ الامم الاسلامية ـ الجزء الاول ـ لمحمد الخضري

حكم النبي محمد ـ لتولستوي

رسالة التوحيد ـ لمحمد عبده

اعتقاد الاسلام ـ لعبد الله وليم كولیام

تاريخ التشريع الاسلامي ـ لمحمد الخضري

دائرة معارف القرن العشرين ـ مادة بعث ، سلم ، قرأ ـ لمحمد فريد وجدي

دائرة المعارف ـ مادة بيزنطية ـ للبستاني

فجر الاسلام ـ لاحمد امين

محمد صلى الله عليه وسلم المثل الكامل ـ لمحمد احمد جاد المولى

تاريخ الشعوب الاسلامية لبروكلمان

تاريخ التمدن الاسلامي ــ الجزء الاول والثالث ــ لجرجي زيدان
خلاصة تاريخ العرب ــ لسيديو
مبادي الفلسفة ــ لرابوبرت
تاريخ الفكر العربي ــ لاسماعيل مظهر
مجموعة شبلي شميل
الرق في الاسلام ــ لاحمد شفيق
مشكاة العلوم والبراهين في ابطال أدلة الماديين ــ لاحمد فوزي الساعاتي
الاسلام خواطر وسوانح ــ لهنري دي كستري
المرأة الجديدة ــ لقاسم امين
مركز المرأة في الاسلام ــ لامير علي الهندي
المرأة العربية في جاهليتها واسلامها ــ لعبد الله عفيفي
دين الاسلام والعلم ــ لرينان ــ والرد عليه ــ لمسمر
الاسلام والرد على منتقديه ــ لمحمد عبده
من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام ــ الجزء الاول ــ لبندلي جوزي ،
افريقية الغربية البريطانية ــ لعمر رضا كحالة

معلمة الاسلام ــ مادة عبد Encyclopédie de l'Islam - Abd .
الاوضاع الاسلامية ــ لغود فرويه ديمومبين
Gudefroy - Demombynes - Les institutions musulmanes .
لاروس القرن العشرين ــ مادة بيزنطية
Larousse du XX siècle - Art . Byzantin.
حضارة العرب ــ لغوستاف لوبون
G. Le Bon - La civilisation des Arabes .
تاريخ اضمحلال وسقوط امبراطورية الرومان الشرقية ــ الجزء الثالث ــ لادوارجبن
Edward Gibbon - The history of the decline and fall of the Roman empire - Vol III
شخصية النبي محمد ــ ليوسف علي
The personality of Muhammad the prophet by Yusuf Ali .

القرآن ترجمة جديدة ــ لادوار مونته

Le Coran - Traduction nouvelle par Edouard Montet .

الاسلام خواطر وسوانج لهنري دي كسترى

H. de Castrie - L'Islam - Impressions & études.

العالم الاسلامي والبيزنطي حتى الحروب الصليبية ــ لغودفرويه ديمومبين وبلاتونوف

Gudefroy - Demombynes & Platonov - Le monde Musulman & Byz - antin jusqu' Aux croisades .

الاسلام والاجناس ــ الجزء الاول ــ لاندره

P. J. André - L'Islam & les races - Vol. I

العالم ــ جزيرة العرب لدفرجه

M. Nœl. Desverger - L'Univers - Arabie .

H. Massé - L'Islam. الاسلام ــ لهنري ماسه

تقريظ الديانة الاسلامية للورافشيا واليري

Laura - Vessia Vaglieri - Apologie de l'Islamisme.

فهرس الموضوعات

الصفحة	
٣	المقدمة
٥	الباب الاول : العرب قبل الاسلام
٧ — ١٢	الفصل الاول : طبيعة شبه جزيرة العرب
	الفصل الثاني : العرب
١٣ — ١٤	اصلهم
١٤ — ١٧	انسابهم
١٧ — ٠٠	امتزاجهم بالامم
١٧ — ١٩	بدوهم
١٩ — ٢٤	حضرهم
	الفصل الثالث : تاريخ العرب قبل الاسلام
٢٥ — ٢٧	مصادر هذا التاريخ
	تاريخ العرب قبل الاسلام والمؤرخون العرب :
٢٨ — ٢٩	العرب البائدة
٣٠ — ٣١	العرب المتعربة او عرب الجنوب
٣١ — ٣٢	ملوك التبابعة وحمير
٣٢ — ٣٣	استيلاء الحبشة على اليمن
٣٣ — ٣٤	غزو الحبشة الكعبة
٣٤ — ٣٥	استيلاء الفرس على اليمن
	عرب الشمال :
٣٦ — ٣٨	امارة الحيرة

الصفحة

٣٨ — ٤٠ امارة الغساسنة

٤٠ — ٤١ امارة كندة

٤١ — ٠٠ ملوك متفرقة

تاريخ العرب قبل الاسلام والمعاصرون :

٤٢ — ٤٣ العمالقة في العراق

٤٣ — ٤٥ العمالقة في مصر

العرب في جنوبي الحيرة :

٤٧ — ٤٩ الدولة المعينية

٤٩ — ٥٠ دولة سبأ

٥٠ — ٥١ دولة حمير

العرب في شمالي الجزيرة :

٥٣ — ٥٥ امارة الحيرة

٥٥ — ٥٨ امارة الغساسنة

٥٨ — ٦١ نجد والحجاز

٦٢ — ٦٣ غزو الفاتحين بلاد العرب

الفصل الرابع : تمدن العرب

٦٤ — ٦٦ قبل الاسلام

تمدن العرب في جنوبي الجزيرة :

٦٧ — ٦٨ الدولة والامة

٦٨ — ٦٩ الزراعة

٦٩ — ٧١ عمارة اليمن

٧١ — ٧٢ التجارة

٧٢ — ٧٤ اديانهم

٧٤ — ٧٥ لغتهم

تمدن العرب في شمالي الجزيرة :

الصفحة

٧٦ — ٧٨ لغتهم
٧٨ — ٧٩ امثالهم
٧٩ — ٨٠ شعرهم
٨٠ — ٨١ خطبهم
٨١ — ٨٦ اديانهم
٨٦ — ٨٧ علمهم بالانساب
٨٧ — ٠٠ علمهم بالاخبار
٨٧ — ٨٨ علمهم بالكهانة والعرافة
٨٨ — ٠٠ علمهم بالنجوم وكائنات الجو
٨٨ — ٨٩ علمهم بالطب
٨٩ — ٩٠ علمهم بالخيل والرمي بالسهام
٩٠ — ٩٢ عاداتهم
٩٣ — ٩٤ مصادر الباب الاول
٩٦ — ٠٠ البعثة المحمدية

الفصل الاول : حال العالم قبل البعثة

٩٧ — ٩٨ الامبراطورية الرومانية الشرقية
٩٨ — ٩٩ الانقسامات الدينية
٩٩ — ١٠٠ العداء بين الروم واليهود
١٠٠ — ١٠٢ الفرس
١٠٢ — ١٠٧ حال الفلسفة والعلم
١٠٧ — ١١١ وصف بعض الباحثين العالم
١١١ — ١١٥ حال بلاد العرب

الفصل الثاني : محمد بن عبد الله :

١١٦ — ٠٠٠ نسبه
١١٦ — ٠٠٠ زواج عبد الله بآمنة وحملها بالرسول

الصفحة

١١٧ — ... مولده

١١٧ — ... رضاعه

١١٧ — ١١٨ الرسول في حضانة امه وجده وعمه

١١٨ — ١١٩ الرسول في شبابه

١١٩ — ... معيشة الرسول وسيرته الادبية قبل البعثة وبعدها

١٢٠ — ... كمال منطقه

١٢٠ — ... كمال عقله

١٢٠ — ١٢١ نجدته وشجاعته

١٢١ — ... رغبته عن الدنيا وخشيته من ربه

١٢١ — ١٢٢ احترامه نفسه

١٢٢ — ... جوده وسخاؤه

١٢٢ — ١٢٣ حسن معاشرته

اغضاؤه عما لا يحبه وعفوه عنه

١٢٣ — ... المقدرة

١٢٤ — ... حسن سياسته

١٢٤ — ١٢٥ طريقته المثلى في الهداية

١٢٥ — ١٢٧ ثباته على مبدئه

بعض غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم :

١٢٨ — ١٢٩ غزوة بدر

١٢٩ — ... غزوة بني فينقاع

١٢٩ — ١٣٠ غزوة احد

١٣٠ — ١٣١ غزوة الخندق

١٣١ — ١٣٢ فتح مكة

١٣٢ — ... غزوة حنين

١٣٣ — ... نشر الاسلام خارج بلاد العرب

الصفحة

١٣٣ — ... غزوة تبول

١٣٣ — ١٣٤ وفاة الرسول

١٣٥ — ١٤٠ رأي بعض الباحثين في الرسول

الفصل الثالث : نموذج من تعاليم محمد بن عبد الله :

١٤١ — ١٤٢ تعاليمه في العقائد

١٤٢ — ١٤٥ تعاليمه في العبادات

١٤٥ — ١٥١ تعاليمه في الاخلاق

١٥١ — ١٧٣ تعاليمه في الاجتماع والعمران

١٧٣ — ١٨١ تعاليمه في السياسة والقضاء

١٨١ — ١٩١ تعاليمه في الاقتصاد

١٩١ — ١٩٦ اثر تعاليمه في العرب

١٩٨ — ٢٠٣ آراء بعض الباحثين في تعاليم الرسول

٢٠٤ — ٢٠٦ مصادر الباب الثاني

٧٥

آثار المؤلف المطبوعة

خالد بن الوليد	نفد
افريقية الغربية البريطانية	»
العالم الاسلامي (الجزء الثاني)	تحت الطبع
أعلام النساء (٤ أجزاء)	» »
جغرافية شبه جزيرة العرب	
معجم قبائل العرب (٣ أجزاء)	
فهرس مجلة المجمع العلمي العربي (الجزء الأول)	
معجم المؤلفين (الجزء الأول والثاني والثالث والرابع والخامس والسادس)	

العالم الإسلامي

الجزء الثاني

مختصر تاريخ الدول الإسلامية

تأليف

عمر رضا كحّالة

الطبعة الثانية

المطبعة الهاشمية بدمشق

١٣٧٧ هـ — ١٩٥٨ م

العالم الاسلامي

الجزء الثاني

مختصر تاريخ الدول الاسلامية

تأليف

عمر رضا كحالة

الطبعة الثانية

المطبعة الهاشمية بدمشق

١٣٧٧ هـ — ١٩٥٨ م

طبع بنفقة
المكتبة الهاشمية بدمشق لأصحابها
محمد هاشم الكتبي وشركاه
حقوق إعادة الطبع والنشر محفوظة لمؤلفه

الفصل الأول

الخلفاء الراشدون

ابو بكر الصديق

ترجمته :

هو ابو بكر بن ابي قحافة من بني تيم ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي يلتقي مع الرسول(ص) في مرة، وأمه أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر من تيم ابن مرة ولد لسنتين من عام الفيل .

شب ابو بكر على الاخلاق الفاضلة والسيرة الكريمة ، وكان ذا يسار يحمل الكل ويكسب المعدوم ، وكان مصاحباً للرسول(ص) قبل النبوة، فلما بعث النبي(ص) كان ابو بكر اول رجل أجابه . اخرج ابن عساكر من طريق الحارث عن علي قال : اول من أسلم من الرجال ابو بكر [1] .

فكان ابو بكر أحب رفيق الى الرسول(ص) وأعز صاحب لديه حمل من اجله من قريش ما تنوء به العصبة اولو القوة ووقف أمامه موقف المدافع عن الحق الداعي الى الخير .

لكل عظيم أخلاق يظهر أثرها في أعماله ظهوراً واضحاً ، وتظهر للناس صورتها كلما ذكر اسمه ، فكان ابو بكر يتصف بصدق العزيمة والرفق والحلم والتواضع والجود والشجاعة والذكاء الخ .

وكان يتصف بحسن السياسة وكانت سياسته بشدة من غير عنف ، ولين من غير ضعف ، بطيء العقوبة غير متعجل فيها الا بقصاص واجب ، وكان يأمر عماله بان لا يغلوا في العقوبة ويأمرهم بالرفق والاناة ، وكان زاهداً يتعفف عما بايدي الناس

(١) تاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطي .

ويرضى بالقناعة والكفاف ويلتمس الحلال من طريق العمل دون الاعتماد على كفاية الاغيـــار .

* * *

انتخابه للخلافة :

كان للرسول (ص) وظيفتان يؤديهما لامته : الاولى تبليغ الرسالة ، والثانية كونه اماماً للمسلمين ، فأما وظيفته الاولى فقد انتهت بموته ، واما الثانية فلم ير المسلمون بدأ من اقامة من يخلف الرسول (ص) في خلافته .

لم يدفن الرسول حتى كانت هناك فكرتان : الاولى عدم تخصيص الخلافة ببيت من البيوت والثانية تخصيصها ، وهذه الفكرة ذات شعبتين : الاولى تخصيصها بالبيت القرشي على اختلاف بطونه والثانية تخصيصها بالقرابة القريبة من رسول الله (ص) وكان اقرب الناس اليه وقت موته من أعمامه العباس بن عبد المطلب ومن بني عمه علي وعقيل ابنا ابي طالب ، ويمتاز علي من بينهم بسبقه الى الاسلام وشهوده مشاهد الرسول وتزوجه بابنته فاطمة ، ويمتاز العباس بانه العاصب الوحيـــد له ان كان هناك ارث .

لما توفي الرسول وأعلنت وفاته اجتمع كبار الانصار في سقيفة بني ساعدة أوسهم وخزرجهم بقصد المفاوضة في انتخاب خليفة للرسول ، وكان نظرهم متوجهاً الى اختيار سعد بن عبادة ، فان سعداً خطب فيهم مبيناً ما للانصار من الفضل والسبق الى حماية الرسول (ص) ، وانه لاينبغي ان ينازعهم في هذا الامر احد فأجابوه أصبت ووفقت ، ثم ترادوا الكلام فيما بينهم فقال قائل منهم : فان ابى ذلك المهاجرون من قريش وقالوا نحن عشيرته وأولياؤه فماذا نقول لهم : فقال له آخر نقول منا امير ومنكم امير ولن نرضى بدون هذا فقال سعد لما سمعها هذا اول الوهن .

بلغ هذا الاجتماع كبار المهاجرين ابا بكر وعمر وغيرهما فمضوا الى السقيفة مسرعين حتى وصلوا اليها ، افتتح ابو بكر الكلام وقال : ان الله جل ثناؤه بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق فدعا الى الاسلام فأخذ الله بنواصينا وقلوبنا الى ما دعا اليه فكنا معشر المهاجرين اول الناس اسلاماً لنا فيه تبع ونحن

عشيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن مع ذلك أوسط العرب انساباً ليست قبيلة من قبائل العرب الا ولقريش فيها ولادة ، وانتم ايضاً والله الذين آووا ونصروا وانتم وزراؤنا في الدين ووزراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتم اخواننا في كتاب الله تعالى وشركاؤنا في دين الله عز وجل وفيما كنا فيه من سراء وضراء ، والله ما كنا في خير قط الا وكنتم معنا فيه فأنتم أحب الناس الينا واكرمهم علينا وأحق الناس بالرضا بقضاء الله والتسليم لامره ولما ساق لكم ولاخوانكم المهاجرين ، فلا تحسدوهم وانتم المؤثرون على انفسهم حين الخصاصة والله ما زلتم مؤثرين اخوانكم من المهاجرين وانتم أحق الناس الا يكون هذا الامر واختلافه على ايديكم ، وأبعد ان لاتحاسدوا اخوانكم على خير ساقه الله تعالى اليهم ، وانما ادعوكم الى ابي عبيدة أو عمر وكلاهما رضيت لكم لهذا الامر وكلاهما له اهل [1] .

ولما أتم ابو بكر خطابه قام الحباب بن المنذر فقال : يا معشر الانصار أملكوا عليكم امركم فان الناس في فيئكم وظلكم ولن يجتريء على خلافكم ولن يصدر الناس الا عن رأيكم انتم اهل العز والثروة واولو العدد والمنعة والتجربة وذوو البأس والنجدة وانما ينظر الناس الى ما تصنعون ولا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم وينتقص عليكم امركم ابى هؤلاء الا ماسمعتم فمنا امير ومنهم امير فقال عمر : هيهات لايجتمع اثنان في قرن وبعد كلام له قام الحباب ثانية فقال : يا معشر الانصار أملكوا على ايديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الامر ، فكان بينه وبين عمر حوار [2] .

ثم قال ابو عبيدة يامعشر الانصار انكم اول من نصر وآزر فلا تكونوا اول من بدل وغير ، فقام بشير بن سعد فقال : يا معشر الانصار انا والله لئن كنا اولي فضيلة وجهاد وسابقة في هذا الدين ما اردنا به الا رضا ربنا وطاعة نبينا والكدح لانفسنا فما ينبغي لنا ان نستطيل على الناس بذلك ولا نبتغي به من الدنيا عرضاً فان الله ولي المنة علينا بذلك الا ان محمداً من قريش وقومه أحق به وأولى وايم الله لايراني

---

(١) الامامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة الدينوري .

(٢) تاريخ الامم الاسلامية ـ لمحمد الخضري .

الله انازعهم هذا الامر ابداً فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم[1] .

فقال ابو بكر هذا عمر وهذا ابو عبيدة فأيهما شئتم فبايعوا فقالا : لا والله لانتولى هذا الامر عليك فانك أفضل المهاجرين وثاني اثنين اذ هما في الغار وخليفة رسول الله على الصلاة ، والصلاة أفضل دين المسلمين فمن ذا ينبغي له ان يتقدمك او يتولى هذا الامر عليك أبسط يدك لنبايعك فمد عمر يده اليه فبايعه ، ثم ابو عبيدة ثم بشير بن سعد [2] .

ولما رأت الاوس ما صنع بشير وما تدعو اليه قريش وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة ، قال بعضهم لبعض : قوموا فبايعوا ابا بكر فقاموا اليه فبايعوه ، فأقبل الناس من كل جانب يباعون ابا بكر حتى كادوا يطؤون سعد بن عبادة وهو مريض لايقدر على النهوض ، وتخلف عن البيعة علي بن ابي طالب ومن معه .

ولما رأى بنو هاشم انحياز الناس الى البيعة لابي بكر واتفاقهم على الرضا بخلافته ، وخصوصاً لما ثبت عندهم ان الخلافة غير النبوة ، وان ابا بكر أحق الناس بها بعد ان أنابه عنه الرسول في الصلاة بالمسلمين في حال مرضه ، أقبلوا على بيعته وبايعه علي بعد وفاة زوجه فاطمة وذلك بعد ستة أشهر لموت أبيها على رواية الزهري عن عائشة [3] .

وبعد ان تمت بيعة ابي بكر قام خطيباً ، فحمد الله واثنى عليه ثم قال : أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فاعينوني وان أسأت فقوموني ، الصدق أمانة والكذب خيانة ، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ منه الحق ، والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ له الحق ان شاء الله تعالى ، لا يدع احد منكم الجهاد فانه لا يدعه قوم الا ضربهم الله بالذل ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فلا طاعة لي عليكم ، قوموا الى صلاتكم رحمكم الله [4] .

* * *

(١) تاريخ الامم الاسلامية ـ لمحمد الخضري
(٢) تاريخ الامم الاسلامية ـ لمحمد الخضري
(٣) تاريخ ابي الفداء ج١
(٤) اشهر مشاهير الاسلام ـ لرفيق العظم ج١

انفاذ جيش اسامة وقتاله اهل الردة :

لم يكن امر البيعة اول عقبة قطعها المسلمون بعد وفاة النبي (ص)، فانه لم يكد ينتشر نعيه في الآفاق حتى ظهر النفاق ، وارتد كثير من الاعراب ، والمسلمون يومئذ في ارتباك عظيم لفقد نبيهم وقلتهم وكثرة عدوهم ، لانهم لم يتأثروا بعد بأثر الاسلام ولم تزك انفسهم الزكاء المطلوب ـ « قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم » ، وانقسم المرتدون الى فريقين : فريق امتنع عن أداة الزكاة ، وفريق تبع المتنبئين ورفض الدين كله .

قال البلاذري : لما استخلف ابو بكر ارتدت طوائف من العرب ومنعت الصدقة، وقال قوم منهم : نقيم الصلاة ولا نؤدي الزكاة ، فقال ابو بكر : لو منعوني عقالاً لقاتلتهم [1] .

ومن الاعمال التي أتاها ابو بكر التي تدل على صدق عزيمته انفاذه جيش أسامة الذي اكد انفاذه الرسول (ص) وقت مرضه .

لما تولى ابو بكر كان أسامة بن زيد مبرزاً ، وكان عمر بن الخطاب من جملة جيش أسامة على ماعينه رسول الله (ص) ، فقال عمر لابي بكر : ان الانصار تطلب رجلاً أقدم سناً من أسامة ، فوثب ابو بكر وكان جالساً وقال: ثكلتك أمك يا ابن الخطاب استعمله رسول الله (ص) وتأمرني ان اعزله : ثم خرج ابو بكر الى معسكر أسامة وأشخصهم وشيعهم وهو ماش وأسامة راكب ، فقال له أسامة يا خليفة رسول الله لتركبن او لانزلن فقال ابو بكر : والله لا تنزل ولا ركبت وما عليّ ان أغبر قدمي ساعة في سبيل الله ، ولما اراد الرجوع قال ابو بكر لاسامة : ان رأيت ان تعينني بعمر فافعل فأذن اسامة لعمر بالمقام ، ولم يشأ الخليفة ان يستبد على رئيس السرية بابقاء عمر ، وهذا مقام كبير في احترام ذي السلطان سلطانه .

هذا وقد أوصاهم ابو بكر قبل رجوعه عنهم بوصية قصارى ما يقال فيها : ان الدول المتمدنة الآن مع حرصها على تخفيف بلاء الحروب ودعواها العريضة في خدمة

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري

الانسانية والانسان ، ومراعاة حقوق العمران ، لم تستطع واحدة منهن ان تقيد جيوشها بمثل مضمونها وها هي بنصها :

لاتخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الطفل ولا الشيخ ولا المرأة ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً الا للاكل واذا مررتم بقوم فرغوا انفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا انفسهم له ، واذا لقيتم أقواماً فحصوا أواسط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاضربوا بالسيف ما فحصوا عنه ، فاذا قرب عليكم الطعام فاذكروا اسم الله عليه وكلوا ، يا أسامة اصنع ما أمرك به نبي الله ببلاد قضاعة ــ ولا تقصر في شيء من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ودعه من الجرف ورجع [1] .

فسار أسامة وشن الغارة على بلاد قضاعة وأخافهم وغنم منهم واستمر في بعثه اربعين يوماً ثم عاد ، وكان هذا البعث مفيداً للمسلمين لان اعداءهم لما تسامعوا به قالوا : لو لم يكن للقوم قوة ما أرسلوا جيوشهم تغير على من بُعد عنهم من القبائل القوية .

حمل ابوبكر على هؤلاء المرتدين لما جاءتهم أخبارهم ومكث ينتظر بعث أسامة لانه كان فيه معظم القوة وكانت جيران المدينة من عبس وذبيان قد اجترأوا عليها يريدون مهاجمتها فلما قدم بعث أسامة استخلف ابو بكر أسامة على المدينة وكان قصده بذلك ان يرتاح جنده ويريحوا ظهورهم ، وخرج فيمن معه من الجند وحرس المدينة لحرب عبس وذبيان حتى نزل على أهل الربذة بالابرق فاقتتل جنده مع بني عبس فهزم العبسيون ، وأقام ابو بكر بالابرق اياماً وقد غلب بني ذبيان على البلاد ثم عاد ابو بكر الى المدينة ، فلما استراح جند أسامة خرج الى ذي القصة فنزل بهم ، وذو القصة على بريد من المدينة تلقاء نجد فقطع بها الجند وعقد الالوية وهي احد عشر لواءً لاحد عشر اميراً وهم :

١ ــ خالد بن الوليد ووجهته طليحة بن خويلد الاسدي ببزاخة ، فاذا فرغ منه قصد مالك بن نويرة بالبطاح .

---

(١) تاريخ ابن خلدون ج٢

٢ ــ عكرمة بن ابي جهل ووجهه الى مسيلمة باليمامة .

٣ ــ ووجه في اثر عكرمة شرحبيل بن حسنة .

٤ ــ المهاجر بن ابي أمية ووجهه الى جنود الاسود العنسي بصنعاء .

٥ ــ حذيفة بن محصن ووجهته اهل ذبا بعمان .

٦ ــ عرفجة بن هرثمة ووجهته اهل مهرة وامر هذا ومن قبله ان يجتمعا وكل امير على صاحبه في عمله .

٧ ــ سويد بن مقرن الى تهامة باليمن .

٨ ــ العلاء بن الحضرمي ووجهه الى البحرين .

٩ ــ طريفة بن حاجز ووجهه الى بني سليم ومن معهم من هوازن .

١٠ ــ عمرو بن العاص ووجهه الى قضاعة .

١١ ــ خالد بن سعيد ووجهه الى مشارف الشام .

والخلاصة اشتغل ابو بكر في امر الردة بعزيمة لا تزعزعها الكوارث أطفأ بها تلك النار التي هاجت في انحاء الجزيرة حينما شعرت بفقد الرسول (ص) واستتب الامر لابي بكر وعاد الناس الى ما كانوا عليه .

* * *

غزو الفرس :

انتدب ابو بكر خالد بن الوليد بعد ان انتهى من حروب الردة ليغزو بلاد الفرس وامره ان يبدأ بثغر الهند ، وانتدب عياض بن غنم ليغزو الفرس من الشمال ويبدأ بالمُصيَّخ وهو في شمالي العراق .

وقد اقتطع خالد من بلا دالفرس حوض نهر الفرات من شمالي الابلة الى الفراض وهي تخوم الشام والعراق والجزيرة في شرقي الفرات وصادم جنود الفرس والعرب والروم في عدة مواقع لم يقهر فيها مرة ، وكان اسمه يسبقه الى كل موقعة أرادها ، وكان في عمله فاتحاً لا مغيراً فانه كان يعد حماة طريقه ليأمن ان يؤتى من خلفه ، وكان اذا فتح بلداً أقام فيه اميراً من قبله ينظر شؤونه وآخر يجبي الخراج من اهل الذمة ، ومن أحسن ما يؤثر عنه انه لم يكن يتعرض للفلاحين بسوء ، بل كان يعاملهم

بالرأفة ويمنعهم من عدوهم حتى صاروا يفضلون حكمه على حكم الفرس الذين كان عظماؤهم يستعبدونهم ويذلونهم ، وعلى نسبة رأفته بهؤلاء كانت شدته على المقاتلين واهل الحرب ، وكان لا يصبر عن الميدان اذا رأى الجنود ينظر بعضها بعضاً بل سرعان ما يخرج طالباً رئيس القوم للمبارزة وفيها القضاء على خصمه فلا يطول أمر الحرب بعده .

وأما عياض ففتح دومة الجندل وبلغ العراق من طريق المصيخ قبل خالد واجتمع مع خالد في الحيرة .

* * *

غزو الشام :

كتب ابو بكر الى اهل مكة والطائف واليمن وجميع العرب بنجد والحجاز يستنفرهم للجهاد في الشام ويرغبهم فيه وفي غنائم الروم فسارع الناس اليه بين محتسب وطامع ، فعقد ألوية .

قال الطبري : وكان ابو بكر قد سمى لكل امير من أمراء الشام كورة فسمى لابي عبيدة بن عبد الله الجراح حمص ، وليزيد بن ابي سفيان دمشق ، ولشرحبيل ابن حسنة الاردن ، ولعمرو بن العاص ولعلقمة بن مجزر فلسطين ، فلما فرغا منها نزل علقمة وسار الى مصر (١) .

وأهم وقائع العرب في الشام التي انهزم فيها الروم شر هزيمة ولحق فلهم بالشام وقعة اليرموك ــ واليرموك نهر ــ فهي الوقعة الفاصلة التي هان بها الاستيلاء بعد ذلك على القدس ودمشق وما اليهما ، ثم على حمص وحماة وحلب وما في اكنافها من البلدان وظهر فيها النبوغ العربي في الحرب باجلى مظاهره .

ولما قدم خالد بن الوليد مدداً للمسلمين في اليرموك وجد العرب يقاتلون الروم متساندين كل امير على جيش ، وقد علم ان الروم قد عزموا على الخروج من خنادقهم للصدمة الكبرى فجمع الامراء وخطب فيهم ، ومن جملة ما قال لهم : ولقد علمت ان الدنيا فرقت بينكم والله ، فهلموا فلنتعاور الامارة فليكن علينا بعضنا اليوم

(١) تاريخ الطبري ج٤

وبعضنا غداً والآخر بعد غد حتى يتأمر كلكم ودعوني اليوم عليكم ، قالوا نعم : فأمروه فكان الفتح على يد خالد [1] .

وجاءه البريد يومئذ بموت ابي بكر وخلافة عمر وتأمير ابي عبيدة على الشام كله وعزل خالد ، فأخذ الكتاب منه وتركه في كنانته ووكل به ان يمنعه ان يخبر الناس من الامر لئلا يضعفوا ، وهزم الروم وقتل منهم ما يزيد على مئة الف ، ثم دخل على ابي عبيدة وسلم عليه بالامارة .

* * *

وفاته :

حم ابو بكر لسبع خلون من جمادى الآخرة سنة ١٣ هـ ، ومكث محموماً ١٥ يوماً وتوفي في ٢١ جمادى الآخرة سنة ١٣ (٢٢ آب سنة ٦٣٤ م) فكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة اشهر وعشر ليال ، ودفن في حجرة عائشة بجوار الرسول (ص).

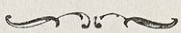

(١) خطط الشام ـ لمحمد كرد علي ج١

عمر بن الخطاب

استخلف ابو بكر لما أحس بدنو أجله عمر بن الخطاب لانه كان يرى عمر بن الخطاب أجدر الناس بالخلافة .

* * *

ترجمته :

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب ، وامه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم .

كان عمر من أشراف قريش واليه كانت السفارة في الجاهلية ، وكانت قريش اذا وقعت الحرب بينهم او بينهم وبين غيرهم بعثوه سفيراً أي رسولا ، واذا نافرهم منافر او فاخرهم مفاخر بعثوه منافراً او مفاخراً .

عن نصر بن مزاحم عن معروف بن خربوذ قال : كانت السفارة الى عمر بن الخطاب ان وقعت حرب بين قريش وغيرهم بعثوه سفيراً ، او نافرهم منافر او فاخرهم مفاخر بعثوه منافراً او مفاخراً ورضوا به [1] .

ولما بعث الرسول(ص) كان عمر شديداً عليه وعلى المسلمين ، ثم أسلم بعد رجال سبقوه ، قال هلال بن يساف أسلم عمر بعد اربعين رجلا واحدى عشرة امرأة ، وقيل أسلم بعد تسعة وثلاثين رجلا وثلاث وعشرين امرأة فكمل الرجال به اربعين رجلا [2] .

* * *

نفسيته وشيء من سيرته وأقواله :

كان عمر يحب رعيته حباً جماً ويحب ما يصلحها ويكره ما يفسدها ، ساسها

(١) سيرة عمر بن الخطاب ــ لابي الفرج بن الجوزي
(٢) اسد الغابة في معرفة الصحابة ــ لابن الاثير

بسياسة تقربه الى القلوب فكان عفيفا عن اموالهم عادلا بينهم مسوياً بين النـاس لم يكن قوي يطمع ان يأخذ مما له ولا ضعيف يخاف ان يضيع منه مـاله ، كان حكيماً يضع الشيء في موضعه يشتد حيناً حسبما توحي اليه الاحوال التي هو فيها عرف العرب معرفة تامة وعرف ما يصلح أنفسها ، فسيرها في الطريق الذي لا تألم فيه ، فصيرها أمة حرة لا تستطيع ان تنظر الى خسف يلحقها من أي انسان ، كان يتفانى في مصلحة رعيته ولا يرى لنفسه من الحقوق الا كما لادناهم مع تحمله مشقات الحياة وأتعابها ، العربي تستدعي سياسته حكمة عالية فانك ان اشتددت عليه اذللته فهلك وان لنت معه ليكون رجلا نافعاً لم يكن هناك حد لجفائه ولا لحريته ، فهو يحتاج الى عقل كبير يدبره حتى لاتهلكه الشدة ولا يطغيه اللين ، وذلك العقل الذي تتوخاه كان في رأس عمر .

روى أسلم قال : خرجت مع عمر بن الخطاب الى حرة واقم حتى اذا كنا بصرار اذا نار تؤرث فقال : يا أسلم اني أرى هؤلاء ركباً قصر بهم الليل والبرد انطلق بنا فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم فاذا امرأة معها صبيان لها وقدْر منصوبة على النار وصبيانها يتضاغون ، فقال عمر : السلام عليكم يا أصحاب الضوء وكره ان يقول يا أصحاب النار ، قالت « المرأة » وعليك السلام ، فقال : أأدنو ؟ قالت : أدن بخير او دعْ ، فقال : ما بالكم ؟ قالت : قصر بنا الليل والبرد ، قال : فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون ؟ قالت : الجوع ، قال : وأي شيء في هذا القدر : قالت : ماء اسكتهم به حتى يناموا أالله بيننا وبين عمر ، فقال : أي رحمك الله ما يدري عمر بكم ؟ قالت: يتولى امورنا ويغفل عنا ؟ فأقبل عليّ فقال : انطلق بنا فخرجنا نهرول حتى اتينا دار الدقيق فاخرج عدلاً فيه كبة شحم فقال : احمله عليّ ، قلت : انا احمله عنك ، قال : احمله عليّ مرتين او ثلاثاً كل ذلك اقول انا احمله عنك ، فقال في آخر ذلك أنت تحمل عني وزري يوم القيامة لا أم لك ؟ فحملته عليه فانطلق وانطلقت معه نهرول حتى انتهينا اليها فالقى ذلك عندها واخرج من الدقيق شيئاً فجعل يقول : ذُري عليّ وأنا احرك لكِ وجعل ينفخ تحت القدر وكان ذا لحية عظيمة ، فجعلت انظر الى الدخان من خلل لحيته حتى أنضج وأدم القدر وقال : ابغني شيئاً فأتته بصحفةفافرغها فيها ، ثم جعل يقول : أطعميهم وانا اسطح لك فلم يزل حتى شبعوا ، ثم خلى فضل

ذلك عندها وقام وقمت معه فجعلت تقول : جزاك الله خيراً انت اولى بهذا الامر من امير المؤمنين فيقول قولي خيراً انك اذا جئتِ امير المؤمنين وجدتني هناك ان شاءالله ثم تنحى ناحية ثم استقبلها وربض مربض السبع فجعلت اقول ان لك شأناً غير هذا وهو لا يكلمني حتى رأيت الصبية يصطرعون ويضحكون ، ثم ناموا وهدؤوا فقام وهو يحمد الله ، ثم أقبل عليَّ فقال يا أسلم ان الجوع اسهرهم وابكاهم فاحببت ان لا انصرف حتى أرى ما رأيت منهم [١] .

كان عمر قد أخذ نفسه واهله بحال من التقشف وخشونة العيش حتى ساوى البائس الفقير الذي انما يعيش بما يتبلغ به مما يمسك الرمق ويدفع الجوع ، لم تشره نفسه الى رقيق العيش ونعيم الحياة الدنيا ، ولم يهم بمكاثرة الناس في المال مرتعاً وبيلاً على من رعاه فقتر على نفسه تقتيراً ، فكان لايسوغ احداً من اهل بيته ان ينتفع بشيء ليس له فيه حق ، فكانت عفته هذه تزيده حباً واحتراماً في قلوب المسلمين .

قال طلحة بن عبيد الله ما كان عمر بن الخطاب باولنا اسلاماً ولا أقدمنا هجرة ولكنه كان أزهدنا في الدنيا وأرغبنا في الآخرة [٢] .

عن ابن البراء بن المعرور ان عمر رضي الله عنه خرج يوماً حتى اتى المنبر وقد كان اشتكى شكوى له فنعت له العسل وفي بيت المال عكة فقال : ان اذنتم لي فيها اخذتها والا فهي عليَّ حرام [٣] .

عن ابن عباس قال : قدم عمر بن الخطاب حاجاً فصنع له صفوان بن أمية طعاماً قال : فجاؤا بجفنة يحملها اربعة فوضعت بين القوم فاخذ القوم يأكلون وقام الخدام فقال عمر مالي أرى خدامكم لا يأكلون معكم أترغبون عنهم ، فقال سفيان بن عبدالله لا والله يا امير المؤمنين ولكنا نستأثر عليهم فغضب غضباً شديداً ، ثم قال : ما لقوم يستأثرون على خدامهم فعل الله بهم وفعل ، ثم قال للخدام : أجلسوا فكلوا فقعد الخدام يأكلون ولم يأكل امير المؤمنين [٤] .

(١) تاريخ الطبري ج٥
(٢) اسد الغابة في معرفة الصحابة ـ لابن الاثير ج٤
(٣) تاريخ الطبري ج٥
(٤) سيرة عمر بن الخطاب لابي الفرج بن الجوزي

عن الحسن : ان رجلا اتى اهل ماء فاستسقاهم فلم يسقوه حتى مات عطشاً فأغرمهم عمر بن الخطاب ديته [1] .

عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن ابيه قال : قدمنا مكة مع عمر فأقبل عمر ومعه الدرة فاذا ابو سفيان قد نصب أحجاراً فقال ارفع هذا فرفعه ، ثم قال : وهذا وهذا حتى رفع احجارا كثيرة خمسة او ستة ، ثم استقبل عمر الكعبة فقال : الحمد لله الذي جعل عمر يأمر ابا سفيان ببطن مكة فيطيعه [2] .

عن أسلم ان نفرا من المسلمين كلموا عبد الرحمن بن عوف فقالوا : كلم عمر بن الخطاب فانه قد اخشانا حتى والله ما نستطيع ان نديم اليه أبصارنا ، قال : فذكر ذلك عبد الرحمن بن عوف لعمر فقال : أوقد قالوا ذلك ؟ فوالله لقد لنت لهم حتى تخوفت الله في ذلك ، ولقد اشتددت عليهم حتى خشيت الله في ذلك وايم الله لانا أشد منهم فرَقا منهم مني [3] .

عن عمر بن مرة قال لقي رجل من قريش عمر بن الخطاب فقال : لن لنا فقد ملأت قلوبنا مهابة فقال : أفي ذلك ظلم ؟ قال : لا قال : فزادني الله في صدوركم مهابة [4] .

عن انس بن مالك قال : سمعت عمر بن الخطاب يوماً ، وخرجت معه حتى دخل حائطاً فسمعته وهو يقول : وبيني وبينه جدار ، وهو في جوف الحائط عمر امير المؤمنين بخ بخ والله ابن الخطاب لتتقين الله او ليعذبنك [5] .

عن عبيد الله بن عمر : ان عمر بن الخطاب حمل على عنقه قربة فقال له أصحابه : يا امير المؤمنين ما حملك على هذا قال : ان نفسي أعجبتني فاردت ان اذلها [6] .

---

(١) سيرة عمر بن الخطاب لابي الفرج بن الجوزي
(٢) سيرة عمر بن الخطاب لابي الفرج بن الجوزي
(٣) سيرة عمر بن الخطاب لابي الفرج بن الجوزي
(٤) تاريخ الطبري ج٥
(٥) سيرة عمر بن الخطاب لابي الفرج بن الجوزي
(٦) تاريخ ابن عساكر ج٧ ـ مخطوط

عن الاكدر العارض قال قال عمر بن الخطاب : تعلموا المهنة فانه يوشك ان يحتاج احدكم الى مهنة [1] .

عن ابي بكر بن عبد الله قال قال عمر بن الخطاب : مكسبة فيها بعض الدناءة خير من مسألة الناس [2] .

عن عبيد الله بن كزيز قال قال عمر بن الخطاب : ان أخوف ما أخاف عليكم اعجاب المرء برأيه فمن قال انه عالم فهوجاهل ، ومن قال انه في الجنة فهو في النار [3].

عن حصين المُرّي قال قال عمر : انما مثل العرب مثل جمل انف اتبع قائده فلينظر حيث يقوده فاما انا فورب الكعبة لاحملنهم على الطريق [4] .

عن جواب التيمي قال قال عمر بن الخطاب : يا معشر القراء ارفعوا رؤوسكم فقد وضح الطريق فاستبقوا الخيرات ولا تكونوا عيالاً على المسلمين [5] .

وكان عمر يميل الى ان تكون مجتمعات الناس عامة يهوي اليها جميع الناس على اختلاف طبقاتهم وكان يكره اختصاص الناس بمجالس لان ذلك يدعوهم الى ان تكون لهم آراء متفرقة متباينة .

* * *

الفتوحات في عهده :

حارب المسلمون في عهد عمر بن الخطاب الروم والفرس وانتصروا عليهما في اكثر الوقعات نصرا مبينا ، مكنهم من ان يفتحوا بلادا عامرة واسعة الارجاء اعتزت بها تلك الامبراطورية العربية الفتية .

فتح المسلمون في عهد عمر من بلاد الروم فحل وأجنادين وبيسان والاردن وفلسطين وجبل اللكام ودمشق وحمص وشيزر والمعرة وبعلبك وصيدا وبيروت وعرقة وقنسرين وحلب وانطاكية وجميع بلاد الشمال ، ولما دخل اليأس على هرقل

(١) سيرة عمر بن الخطاب لابي الفرج بن الجوزي
(٢) سيرة عمر بن الخطاب لابي الفرج بن الجوزي
(٣) سيرة عمر بن الخطاب لابي الفرج بن الجوزي
(٤) تاريخ الطبري ج٥
(٥) سيرة عمر بن الخطاب لابي الفرج بن الجوزي

من الشام سار عنه الى قسطنطينية من الرُّها في الجزيرة ، فالتفت الى الشام عند مسيره وهو على نشز وقال السلام عليكِ ياسورية سلام لا اجتماع بعده ولا يعود اليك رومي بعدها الا خائفا حتى يولد الولد المشؤوم ــ وليته لم يولد ــ فما اجل نفعه وامرٌ فتنته على الروم (١) .

وفتح المسلمون مصر واختلف في فتحها فقال بعضهم انها فتحت صلحاً ، وقال آخرون انها فتحت عنوة ؟ . عن الليث قال : كان يزيد بن ابي حبيب يقول : مصر كلها صلح الا الاسكندرية فانها فتحت عنوة (٢) .

وعن عروة : ان مصر فتحت عنوة (٣) .

وفتح المسلمون في عهد عمر العراق ، وفتحوا من بلاد الفرس المدائن والجزيرة والاهواز ورامهرمز والسوس وتستر ونهاوند واصبهان واذربيجان والري والباب وخراسان .

والخلاصة فقد سقطت مملكة الفرس بين ايدي المسلمين فصار اليهم قطعة من الارض يحدها من الغرب نهر الفرات ومن الشرق نهرا جيحون والسند ومن الجنوب البحر الهندي ومن الشمال بلاد ارمينية .

* * *

بعض العوامل التي جرأت العرب وساعدتهم على ذلك الفتح :

ان من يمعن النظر في أمة كانت بالامس قبائل متفرقة متباغضة يدهش ان يراها تصبح في زمن قصير أمة قوية الشكيمة ، تقهر تينك الدولتين العظيمتين دولة الرومان الشرقية البيزنطية ودولة الفرس الساسانية .

لا جرم ان لهذا الفتح عوامل جرأت العرب وساعدتهم على اكتساح ساطانهما : جرأهم على ذلك اعتقادهم صدق الدعوة التي دعوا اليها ــ اعتقادهم انهم انما يفتحون الدنيا في سبيل الدين ، وان الله يدعوهم الى نشر الاسلام في الارض ، وانه من مات منهم مات شهيداً وما في الآخرة خير وابقى .

(١) خطط الشام ــ لمحمد كرد علي ج١
(٢) فتوح مصر واخبارها ــ لابن اعين طبعة اوربا
(٣) فتوح مصر واخبارها ــ لابن اعين طبعة اوربا

جرأهم على ذلك تعاليم الاسلام التي امرت بالمؤاخاة والتعاضد وتوحيد الكلمة وطرح العصبية القبيلية في زوايا الاهمال .

جرأ العرب على ذلك ضعف الروم والفرس على أثر حروب بينهما قبيل الاسلام ، ويتبع ذلك ظلم الرعية وارهاقها ، وفوضى في الحكم ، وانقسام في المعتقدات والآراء الى ما هنالك من عوامل التقهقر والانحلال .

وقد زاد العرب رغبة في حرب الشام والعراق ومصر ما علموه من خصب تلك الارضين وكثرة خيراتها ، وبلادهم قاحلة لا تفي بمطامعهم .

ساعدهم على ركوب هذا المركب الخشن كونهم اهل بادية تعودوا خشونة العيش فأصبحوا لا يبالون بالجوع ولا العطش ، وللابل فضل كبير في تغلب العرب لانها كانت تقوم عندهم مقام المركبات والخيول والماشية عند الروم ، فالعربي يركب ناقته ويحمل عليها أثقاله ويغتذي من لبنها ويستريح في ظلها وهي تقتات بالعشب في الصحراء ولو يابساً وتصبر على الجوع وتحتمل الظمأ اياماً . واما الرومي او الفارسي فلا يستطيع الانتقال الى الحرب الا بالاحمال والاثقال من المؤونة والذخيرة مالا يقوى على حمله الا المركبات ، والمركبات تحتاج في جرها الى دواب ، والدواب تحتاج الى طعام ومياه .

ساعدهم على ذلك اعتقادهم بالقضاء والقدر وان الانسان لا يموت الا اذا جاء أجله ولو كان على فراشه واذا تأخر أجله فلا يصاب بسوء ولو كان تحت مراهف السيوف ، وكان هذا الاعتقاد متمكناً فيهم وهو علة معظم ما كان يبدو من بسالتهم في وقائعهم المشهورة .

ساعدهم على ذلك مهارتهم في ركوب الخيل ورمي النبال فقد كانوا أمهر من الروم والفرس فيهما .

ساعدهم على ذلك رجال صدر الاسلام وقواده في الحرب والسياسة والدهاء والحكمة والتقوى وصدق العزيمة كأبي بكر وعمر وعلي بن ابي طالب وابي عبيدة ابن الجراح وخالد بن الوليد وسعد بن ابي وقاص وعمرو بن العاص ومعاوية بن ابي

سفيان والمغيرة بن شعبة الخ الذين كانوا من اكبر العوامل في سرعة نجاح هذا الفتح .

ساعدهم على ذلك نجدة العرب كالغساسنة في الشام والمناذرة بنو لخم في العراق ، ولم يكن هؤلاء يحبون الروم ولا الفرس وانما كانوا يخضعون لهم قسراً او طمعاً بالغنائم اذا حاربوا معهم ، وخصوصاً المناذرة فقد كان بينهم ضغائن على أثر مقتل النعمان بن المنذر الملقب بابي قابوس ، فكان هؤلاء العرب أقرب سائر الامم الى نجدة الاسلام للاسباب التي قدمناها .

ساعدهم على ذلك خط الرجعة فكانت قاعدة العرب في حروبهم المحافظة على خط الرجوع ، فلا يقاتلون الفرس او الروم الا وهم في حوطة ، وكان حفظ ذلك الخط هيناً عليهم لانهم كانوا يجعلون الصحراء وراءهم وهي ملجأهم ، فاذا اندحروا لا يستطيع الروم او الفرس اللحاق بهم اليها ، ومتى عاد العدو الى مساكنه عاد العرب عليهم ، وهكذا حتى يقلقوا راحتهم ويضعفوهم بالمطاولة والصبر ولو كانوا اقل عددا منهم .

ساعدهم على ذلك نقمة الرعايا على حكامهم فقد تاقت انفس كثير منهم الى الانتقال من سلطان الروم والفرس الى سلطان العرب فرارا من الظلم او الضغط ، وزد على ذلك ان المرء من طبعه يرجو النفع من البعيد اكثر من القريب ، ويتوسم الخير في القادم المجهول اكثر مما في الحاصل المعلوم .

ساعدهم على ذلك اضطهاد اليهود ، ولما جاء المسلمون لفتح الشام كانت البغضاء قد بلغت معظمها وود اليهود ان يخسروا اموالهم مع رغبتهم في الاموال في سبيل الانتقام من الروم ، وكانوا عوناً للعرب عليهم يدلونهم على عورا ت المدن .

ساعدهم على ذلك عدل المسلمين ورفقهم وزهدهم وتسويتهم بين الناس فكان لتلك المناقب تأثير عظيم في من يدخل في سلطان المسلمين من رعايا الروم او الفرس .

ساعدهم على ذلك ابقاء الناس على احوالهم فكان العرب اذا فتحوا بلداً اقروا اهله على ما كانوا عليه من قبل لايتعرضون لهم في شيء من دينهم او معاملاتهم او

احكامهم المدنية او القضائية او سائر احوالهم ، فكان فتحهم كالاحتلال العسكري في هذه الايام ، وكان ما يأخذونه من الجزية ثمناً لحمايتهم ، وكان الروم قد تعودوا اداء مثل هذا المال للعرب المقيمين في حدود الشام من الغساسنة وغيرهم يبتاعون به نصرتهم على الفرس كما كان الفرس يؤدون المال الى عرب العراق لينصروهم على الروم ، فلم يكن استيلاء المسلمين ثقيلاً على الناس بل كان الاهالي كثيرا ما يفضلونهم على حكامهم الاصليين ، والجزية التي كانوا يتكلفون دفعها الى المسلمين أقل كثيرا من مجموع الضرائب التي كانوا يؤدونها الى الروم والفرس .

قال سيديو : عود النبي الصحابة على الجهاد واعلمهم بنحو الحديث : جعل رزقي تحت ظل رمحي ان الدنيا نصيب المؤمنين بقوة عزائمهم فغلب عليهم في الجهاد هيام ديني ، ولا سيما اذا حثهم الرؤساء حين تقوم الحرب على ساقها بقولهم : ان الجنة امامكم والنار خلفكم ، فانهم بهذه الموعظة المبشرة بالجنة والحماسة المثيرة طباع الحرب وشدة الضرب والطعن يلقون انفسهم وسط المعركة فيفوزون في اكثر الحروب بالنصر بعد ان ينازل رئيسهم أشجع الاعداء قبل انعقاد الواقعة الا انهم كانوا يجهلون تعبئة الجيش فاعتنوا بمعرفة استعدادات اعدائهم الحربية وانتظاماتهم العسكرية فأخذوا يقلدونهم حتى عودوا عساكرهم الانتظام وعرفوا كيف ينتفعون بفرسانهم بوضعهم على ميمنة الصفوف وميسرتها وقت القتال ، وبالجملة توالت للعرب نصرات ضعفت بها الفرس وكذا الروم المنقسمون الى أحزاب متعادية لاختلاف أديانها ، المتعودون ان يستأمنوا على مملكتهم للحماية عنها غرباء مؤجرين لايعرفون قوة عزائم الامة العربية ظانين ان حربها كالحروب القديمة التي كان يؤول امرها الى الاتفاق والصلح مع الاعداء ، فضيعوا بذلك زمناً نفيساً لم يتداولوا فيه مع هؤلاء الرجال الذين كانوا اذا نصروا أو انهزموا لايزالون مصرين على الزام العدو اما الدخول في الاسلام او دفع الجزية مع الصغار ، على ان الرعايا الرومية كانت فرحة بحكم الاسلاميين لما رأت من صدقهم في المعاهدات والمعاملات وعدم تعسفهم واجحافهم فأخذ الروم يسلمون ، وكل من نطق منهم بالشهادتين تثبت له حقوق

الاسلام ، ثم تكامل اختلاط الروم بالعرب فأخذ كل عربي يتزوج برومیات في آن واحد [1] .

* * *

مقتله :

انتهت حياة ذلك الرجل العظيم والعادل المحب لرعيته بضربة خنجر أصابته سنة ٢٣ هـ ــ ٦٤٤ م ، وليس بغريب ان الانسان لا يستطيع ان يرضي الخلق كافة ، فان عمر اذا كان أرضى العرب بما صنعه لهم وأرضى عامة العجم بما فاض عليهم من العدل فقد أغضب كبراءهم وذوي السلطان عليهم لانه ثل عروش مجدهم وزلزل قصور عظمتهم .

كان المسلمون يسبون من أبناء فارس ويتخذونهم لانفسهم عبيداً ، وقداحضروا عددا منهم الى المدينة ، وكانوا يختلفون الى الهرمزان ملك فارس الذي أضاع عمر ملكه واقامه بالمدينة كواحد من الناس لا فضل له على احد ، وكان من هؤلاءالسبايا رجل اسمه فيروز ويلقب بابي لؤلؤة وهو غلام للمغيرة بن شعبة .

عن المِسوَر بن مخرمة قال : خرج عمر بن الخطاب يوماً يطوف في السوق فلقيه ابو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة وكان نصرانياً فقال يا امير المؤمنين أعدني على المغيرة بن شعبة فان عليَّ خراجاً كثيراً قال : وكم خراجك ؟ قال درهمان في كل يوم قال وايش صناعتك ؟ قال : نجار ، نقاش ، حداد قال : فما ارى خراجك بكثير على ما تصنع من الاعمال قد بلغني انك تقول لو اردت ان اعمل رحى تطحن بالريح فعلت قال : نعم فاعمل لي رحى ، قال : لان سلمت لاعملن لك رحى يتحدث بها من بالمشرق والمغرب ، ثم انصرف عنه ، فقال عمر : لقد توعدني العبد آنفاً [2] .

قال عمرو بن ميمون : شهدت عمر بن الخطاب فما منعني ان اكون في الصف الاول الا هيبته فكنت في الصف الذي يليه وكان عمر لا يكبر حتى يستقبل الصف المتقدم بوجهه فان رأى رجلا متقدماً من الصف او متأخراً ضربه بالدرة فذلك الذي

---

(١) خلاصة تاريخ العرب لسيديو

(٢) تاريخ الطبري ج٥

منعني من التقدم ، قال : فأقبل لصلاة الصبح وكان يغلس بها فعرض له ابو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة فطعنه ثلاث طعنات ، فسمعت عمر وهو يقول : دونكم الكلب فانه قد قتلني وماج الناس ، فخرج ثلاثة عشر رجلا وصاح بعضهم ببعض دونكم والكلب فشد عليه رجل من خلفه فاحتضنه الخ (١) .

ولما وجد عمر حرّ السلاح سقط وقال : أفي الناس عبد الرحمن بن عوف قالوا : نعم يا امير المؤمنين هو ذا ، قال : تقدم فصل بالناس ، فصلى عبد الرحمن بن عوف وعمر طريح ثم احتمل فأدخل داره ، ثم ان المهاجرين دخلوا على عمر وهو في البيت، فقالوا : استخلف علينا ، قال عمر : والله لا احملكم حياً وميتاً ، فان استخلفت فقد استخلف من خير مني يعني ابا بكر وان أترك فقد ترك من هو خير مني يعني النبي (ص)، وبعد تردد فيما يخلفه أجمع رأيه ان يستخلف النفر الذين توفي الرسول (ص) عنهم وهو راض فأرسل اليهم فجمعهم وهم : علي بن ابي طالب وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف ، وكان طلحة غائباً فقال : يا معشر المهاجرين اني نظرت في أمر الناس فلم أجد فيهم شقاقاً ولا نفاقاً فان يكن بعدي شقاق ونفاق فهو فيكم تشاوروا ثلاثة ايام فان جاءكم طلحة الى ذلك والا فاعزم عليكم بالله ان لاتتفرقوا من اليوم الثالث حتى تستخلفوا احدكم، وليصل بكم صهيب خلال هذه المدة التي تتشاورون فيها فانه رجل من الموالي لا ينازعكم امركم ، واحضروا معكم من شيوخ الانصار وليس لهم من امركم شيء واحضروا معكم الحسن بن علي وعبد الله بن عباس فان لهما قرابة وليس لهما من امركم شيء ، ويحضر ابني عبد الله مستشاراً وليس له من الامر شيء ، قالوا : يا امير المؤمنين ان فيه للخلافة موضعاً فاستخلفه فانا راضون به ، فقال : حسب آل الخطاب لحمل رجل منهم الخلافة ليس له من الامر شيء ، ثم قال : يا عبد الله اياك ثم اياك لا تتلبس بها ، ثم قال : ان استقام امر خمسة منكم وخالف واحد فاضربوا عنقه وان استقام اربعة واختلف اثنان فاضربوا اعناقهما وان استقام ثلاثة واختلف ثلاثة فاحتكموا الى ابني عبد الله فلاي الثلاثة قضى فالخليفة منهم وفيهم فان ابى الثلاثة الاخر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقين .

(١) الامامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة

ثم قال : قد قومت لكم الطريق فلا تعرجوه ، ثم التفت الى علي بن ابي طالب فقال : لعل هؤلاء القوم يعرفون لك حقك وقرابتك وشرفك من رسول الله وما آتاك الله من العلم والفقه والدين فيستخلفونك فان وليت هذا الامر فاتق الله يا علي فيه ولا تحمل احداً من بني هاشم على رقاب الناس ، ثم التفت الى عثمان فقال : يا عثمان لعل هؤلاء القوم يعرفون لك صهرك من رسول الله وسنك وشرفك وسابقتك فيستخلفونك ان وليت هذا الامر فلا تحمل احداً من بني أمية على رقاب الناس .

قال حذيفة : كان مثل الاسلام ايام عمر مثل امر مقبل لم يزل في اقبال ، فلما قتل عمر ادبر فلم يزل في ادباره[1] .

قال كارل بروكلمان : فلم يكن محمد يموت حتى استولى هؤلاء (يعني اصحاب النبي (ص) المكيين القدماء) على زمام الامر وكان عمر بن الخطاب اعظمهم شأناً ، والروايات تصور لنا دائماً هذا الرجل الطويل القامة وهو يحمل سوطا ينتهر به ابنته حفصة ، بل ينتهر سائر ازواج النبي فيخفنه بأكثر مما يخفن محمدا نفسه وايا ما كان فهو لم يل امر المسلمين مباشرة بل قدم لهذه الولاية صديق الرسول الاول ابا بكر ولم يصبح هو صاحب السلطة بصورة رسمية الا عندما توفي ابو بكر ... ثم قال قتل عمر وهو في غمرة نضاله الجليل بسبيل نشر راية الاسلام وعزم الشباب لما يزل او يكاد ملء بردية[2] .

---

(١) تاريخ ابن عساكر ج٧ ــ مخطوط

(٢) تاريخ الشعوب الاسلامية لبروكلمان

عثمان بن عفان

ترجمته :

هو عثمان بن عفان بن ابي العاص بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الاموي، ولد في السنة الخامسة من ميلاد الرسول(ص) ، وشب على الاخلاق الفاضلة والسيرة الحسنة ، وأسلم على يد ابي بكر ، ثم هاجر الى الحبشة مع زوجته رقية بنت الرسول(ص) ، ثم هاجر الهجرة الثانية الى المدينة ، وحضر مع النبي(ص) كل مشاهده الا بدراً ، فانه لم يشهدها لتخلفه في تمريض زوجته رقية ، وكانت له في جيش العسرة الى تبوك اليد الطولى فقد أنفق مالا كثيراً .

عن قتادة قال : حمل عثمان في جيش العسرة على الف بعير وسبعين [1] .

واشترى بئر رومة بماله ، ثم تصدق بها على المسلمين . قال ابن عبد البر النمري: واشترى عثمان بئر رومة وكانت ليهودي يبيع المسلمين ماءها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يشتري رومة فيجعلها للمسلمين ؟ فاتى عثمان اليهودي فساومه بها فأبى ان يبيعها كلها فاشترى نصفها باثنى عشر الف درهم فجعله للمسلمين ـ ثم اشترى النصف الآخر بثمانية آلاف درهم [2] .

وكان كاتب الوحي بين يدي رسول الله(ص) ، ولما توفي الرسول (ص) كان لابي بكر ، ثم لعمر كاتبا امينا يستشار في مهام الامور .

* * *

انتخابه للخلافة :

لما توفي عمر اجتمع القوم فحلوا في بيت احدهم فتشاوروا ثلاثة ايام ، فقال عبد الرحمن بن عوف : أيكم يخرج نفسه منها ويتقلدها على ان يوليها افضلكم ؟

---

(١) الاستيعاب في معرفة الاصحاب ـ لابن عبد البر ـ ج٢

(٢) الاستيعاب في معرفة الاصحاب ـ لابن عبد البر ـ ج٢

فلم يجبه احد فقال : انا أنخلع منها ، فقال عثمان : انا اول من رضي ، فقال القوم قد رضينا وعلي ساكت ، فقال : ما تقول يا ابا الحسن ؟ قال : اعطني موثقاً لتؤثرن الحق ولا تتبع الهوى ولا تخص ذا رحم ولا تألوا الامة ، فقال : اعطوني موثقكم على ان تكونوا معي على من بدل وغير ، وان ترضوا من اخترت لكم على ميثاق الله ان لا اخص ذا رحم لرحمه ، ولا آلو المسلمين ، فأخذ منهم ميثاقاً واعطاهم مثله [1].

قال المسور بن مخرمة : قال لهم عبد الرحمن بن عوف : كونوا مكانكم حتى آتيكم وخرج يتلقى الناس في أنقاب المدينة متلثماً لا يعرفه احد فما ترك احداً من المهاجرين والانصار وغيرهم من ضعفاء الناس ورعاعهم الا سألهم واستشارهم ، اما اهل الرأي فأتاهم مستشيراً وتلقى غيرهم سائلا يقول : من ترك خليفة بعد عمر فلم يلق احداً يستشيره ولا يسأله الا ويقول : عثمان [2].

حتى اذا كانت الليلة التي يستكمل في صبيحتها الاجل اتى عبد الرحمن منزل المسور بن مخرمة فقال : الا اراك نائماً ولم اذق في هذه الليلة كثير غمض انطلق فادع الزبير وسعداً فدعاهما فبدأ بالزبير فقال له : خل ابني عبد مناف وهذا الامر قال نصيبي لعلي ، وقال لسعد : انا وانت كلالة فاجعل نصيبك لي فأختار ، قال : ان اخترت نفسك فنعم وان اخترت عثمان فعلي أحب اليّ ، أيها الرجل بايع لنفسك وارحنا وارفع رؤوسنا ، قال : يا ابا اسحق اني قد خلعت نفسي منها على ان اختار ولو لم أفعل وجعل الخيار اليّ لم اردها ــ ولا يقوم مقام ابي بكر وعمر بعدهما احد فيرضى الناس عنه ، ثم انصرف الزبير وسعد ، ثم دعا علياً فناجاه طويلا وهو لايشك انه صاحب الامر ، ثم دعا عثمان فناجاه حتى فرق أذان الصبح بينهما ، ولما صلوا الصبح جمع عبد الرحمن الرهط وبعث الى من حضره من المهاجرين واهل السابقة والفضل من الانصار والى أمراء الاجناد فاجتمعوا حتى التج المسجد بأهله فقال عبد الرحمن : اني نظرت وشاورت فلا تجعلن أيها الرهط على انفسكم سبيلا ،

---

(١) تاريخ الطبري ج٥

(٢) الامامة والسياسة ــ المنسوب لابن قتيبة

ودعا علياً فقال عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده ، قال : ارجو ان افعل واعمل بمبلغ علمي وطاقتي ، ودعا عثمان فقال له مثل ما قال لعلي قال نعم : فبايعه فقال علي : حبوته حبو دهر ليس هذا اول يوم تظاهرتم فيه علينا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ، والله ما وليت عثمان الا ليرد الامر اليك والله كل يوم هو في شأن ، فقال عبد الرحمن يا علي لاتجعل على نفسك سبيلا فاني نظرت وشاورت الناس فاذا هم لا يعدلون بعثمان ، فخرج علي وهو يقول : سيبلغ الكتاب أجله ، ثم أقبل الناس يبايعون عثمان ، ورجع علي يشق الناس حتى بايع عثمان ، وكانت بيعة عثمان يوم الاثنين لليلة بقيت من ذي الحجة سنة ٢٣ هـ فاستقبل بخلافته المحرم سنة ٢٤ هـ .

* * *

الفتوحات في عهده :

عن فروة بن لقيط الازدي : ان مغازي اهل الكوفة كانت الري وآذربيجان ، وكان بالثغر عشرة آلاف مقاتل من اهل الكوفة : ستة آلاف باذربيجان ، واربعة آلاف بالري ، وكان بالكوفة اذ ذاك اربعون الف مقاتل ، وكان يغزو هذين الثغرين منهم عشرة آلاف في كل سنة ، فكان الرجل يصيبه في كل اربع سنين غزوة [1] .

غزا الوليد بن عقبة في امارته على الكوفة اهل اذربيجان لانهم حبسوا ما كانوا يدفعونه في عهد عمر ، ووطئهم بالجيش فلما رأوا ذلك انقادوا له وطلبوا اليه ان يتم لهم على ذلك الصلح .

وسار سلمان بن ربيعة الباهلي الى ارمينية ، فقتل وسبى وغنم .

وغزا سعيد بن العاص خراسان ومعه حذيفة بن اليمان وناس من اصحاب الرسول (ص) ومعه الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن الزبير ، فقاتل اهل طبرستان حتى سألوه الامان وطلبوا الصلح .

وغزا عبد الله بن سعد بن ابي سرح افريقية واستولى على كثير من المدن التي

(١) تاريخ الطبري ج٥

كانت تابعة للروم وانتهى امره معهم بالصلح على ان يدفعوا له الفي الف وخمسائة الف دينا .

وافتتح عثمان بن ابي العاص الثقفي سابور .

قال اليعقوبي : انتقضت الاسكندرية وحاربهم عمرو بن العاص حتى فتحها وسبى الذراري ، وجه بهم الى المدينة فردهم عثمان الى دمهم الاولى ، وعزل عمرو ابن العاص وولى عبد الله بن ابي سرح ، فكان ذلك سبب العداوة بين عثمان وعمرو [1] .

واوغل عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي في بلاد الخزر حتى وصل بلنجر وهي اكبر مدنهم ، ولكن الترك تجمعوا عليهم هناك وصادموهم بجمعهم الكبير فأصيب عبد الرحمن وانهزم المسلمون فتفرقوا فرقتين : فرقة عادت فقابلت سلمان بن ربيعة الذي كان قد أرسل مدداً لاخيه فنجت ، وفرقة اخرى اخذت طريق جيلان وجرجان .

وفي امارة عبد الله بن عامر انتقض اهل فارس وقتلوا اميرهم عبيد الله بن معمر فسار اليهم ابن عامر وأوقع بهم ، وفي امارته على البصرة قتل يزدجرد آخر ملوك الفرس وبموته انقضت الدولة الساسانية .

ولمعاوية بن ابي سفيان غزوات مع الروم فبلغ عمورية وأسكن الحصون التي في طريقه جماعة كثيرة من اهل الشام والجزيرة ، وسير حبيب بن مسلمة بأمر عثمان الى ارمينية فسار حتى اتى قاليقلا فصالحه اهلها ثم استمر في فتوحه حتى وصل تفليس .

وفتح معاوية بن ابي سفيان قبرص ، وقد رتب معاوية امر الغزو في البحر واعد لذلك اسطولا جعل اميره عبدالله بن قيس الحارثي .

وغزا معاوية بجيش على الصائفة فبلغوا مضيق القسطنطينية وفتحوا فتوحاً كثيرة .

* * *

(١) تاريخ اليعقوبي ج٢ ــ طبعة اوربا

بعض الاسباب التي ادت الى قتله :

ان من الاسباب التي دعت الى قتل عثمان حياءه ولينه ، وخلق الحياء يحمل صاحبه على الاغضاء عن كثير مما يكره ، أما اللين فان عثمان كان كثير التشاؤم يخاف الفتن على المسلمين ويود ان لايكون فتح بابها على يده .

دعاه الحياء الى التسامح مع من يناله منهم اذى في حق نفسه فلا يوجه الى واحد منهم كلمة تسوءه وهذا وان حسن عند الحكماء فانه لا يحسن ابداً في سياسة الرعية ، بل لابد لمقام الخلافة من هيبة في القلوب تقف بالناس عند الحد اللائق بهم .

ودعاه اللين يمتنع عن عمل أي تدبير لمعاقبة المفسدين الذين رفعوا اليه وثبت انهم يديرون حركة الفتنة من غير مبالاة .

ومن الاسباب التي دعت الى قتل عثمان وقوعه تحت تأثير قرابته ، مثل عبدالله ابن سعد بن ابي سرح ومروان بن الحكم ومعاوية بن ابي سفيان وعمرو بن العاص .

ومنها حرمانه المجتمع الاسلامي من مكونيه الاولين أمثال علي بن ابي طالب وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص وعبد الله بن عمر وغيرهم من كبار الصحابة ، واعتماده على فتيان بني أمية ، فكان يرسل الى الولايات الكبرى من اولئك الفتية ، ويدع أمثال اولئك الكاملين عاطلين بلا عمل .

عزل عثمان ابا موسى الاشعري وولى مكانه عبد الله بن عامر بن كُرَيز وهو يومئذ ابن خمس وعشرين .

قال اليعقوبي : فلما بلغ ابا موسى ولاية عبد الله بن عامر قام خطيباً فحمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه ، ثم قال : قد جاءكم غلام كثير العمات والخالات والجدات في قريش يفيض عليكم المال فيضاً [1] .

قال اليعقوبي : ولي الوليد بن عقبة بن ابي معيط الكوفة مكان سعد وصلى بالناس الغداة وهو سكران اربع ركعات ثم تهوَّع في المحراب والتفت الى من كان خلفه فقال : ازيدكم ثم جلس في صحن المسجد [2] .

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج٢ طبعة اوربا

(٢) تاريخ اليعقوبي ج٢ طبعة اوربا

ومنها انفاقه الاموال واعطاؤه أقاربه وعشيرته العطيات الوافرة ، ذكر ابن قتيبة : انه اجتمع ناس من اصحاب رسول الله كتبوا كتاباً ذكروا فيه ما خالف فيه عثمان من سنة رسول الله وسنة صاحبيه ، وما كان من هبته خمس افريقية لمروان وفيه حق الله ورسوله ومنهم ذوو القربى واليتامى والمساكين وما كان من تطاوله في البنيان حتى عدوا سبع دور بناها بالمدينة داراً لنائلة وداراً لعائشة وغيرهما من اهله وبناته ، وبنيان مروان القصور بذي خشب الخ [1] .

ذكر ابن الاثير : ان ابلاً من ابل الصدقة قدم بها على عثمان فوهبها لبعض بني الحكم فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف فأخذها وقسمها بين الناس ، وعثمان في الدار [2] .

ومنها ظهور الفتن في المدن الكبرى كالبصرة والكوفة ومصر التي حاكها ارباب الغايات فاستخدموا العامة لها وأثاروا نيراناً لم تخمدها الا نتائج محزنة عادت على الاسلام والمسلمين بالخسران المبين .

وبكلمة أخرى ان العصبية القبيلية وجدت المجال أمامها فسيحاً لان تعيد سيرتها الاولى ، تلك العصبية التي لم ينتزعها الاسلام من قلوب العرب انتزاعاً اخيرا وقضى عليها القضاء الاخير ، بل عملت عملها الفظيع وظلت نيرانها تتأجج في نفوس المسلمين .

* * *

مقتله :

ولما اشتد الطعن على عثمان خرج ناس من اهل مصر ، وناس من اهل الكوفة ، وناس من اهل البصرة ، وكانت أهواء اهل الامصار الثلاثة مختلفة ، فأهل البصرة كانوا يريدون طلحة ، واهل الكوفة كانوا يريدون الزبير ، واهل مصر كانوا يريدون علياً ، ولما وصلوا الى المدينة اجتمع نفر من اهل مصر أتوا علياً ، ونفر من اهل البصرة أتوا طلحة ، ونفر من اهل الكوفة أتوا الزبير ، فسلم المصريون على علي وعرضوا له بالامر فرد عليهم رداً شديداً ، وكذلك فعل طلحة والزبير بمن جاءهم .

---

(١) الامامة والسياسة ــ المنسوب لابن قتيبة

(٢) تاريخ الكامل ــ لابن الاثير ج٣

وطلب اهل مصر تولية محمد بن ابي بكر فأجابهم عثمان الى ذلك وكتب عهده وولاه ، وانصرفت هذه الجموع حتى اذا كانوا على مسيرة ثلاث ليال من المدينة ، فاذا هم بغلام أسود على بعير ، فقال له اصحاب محمد ما قصتك وما شأنك كأنك طالب او هارب ؟ فقال : انا غلام امير المؤمنين وجهني الى عامل مصر ، ففتشوه فاذا به يحمل كتاباً من عثمان الى عبد الله بن ابي سرح ، ثم فك الكتاب بمحضر من المهاجرين والانصار فقرأه فاذا فيه اذ أتاك محمد بن ابي بكر وفلان وفلان فاقتلهم وابطل كتابهم وأقر على عملك حتى يأتيك رأيي ، فلما رأوا الكتاب فزعوا منه ورجعوا الى المدينة ، فجمعوا علياً وطلحة والزبير وسعداً ومن كان من اصحاب رسول الله ، ثم فكوا الكتاب بمحضر منهم واخبروه بقصة الغلام وأقرأوهم الكتاب فلم يبق احدمن اهل المدينة الاحنق على عثمان، وقام اصحاب النبي (ص) فلحقوا بمنازلهم، وحصر الناس عثمان وأحاطوا به ومنعوه الماء والخروج ومن كان معه ، فكان لايصل اليهم الا خفية .

ثم دخلوا بالكتاب على عثمان فقالوا : كتبت فينا كذا وكذا ؟ فقال : انما هما اثنتان ان تقيموا عليَّ رجلين من المسلمين او يميني بالله ما كتبت ولا أمليت ولا علمت وقد تعلمون ان الكتاب يكتب على لسان الرجل وقد ينقش الخاتم على الخاتم، فقالوا : قد والله احل الله دمك ونقضت العهد والميثاق ، فتركهم عثمان ، وكان القوم يحاولون منه ان يخلع نفسه من الخلافة وهو يأبى .

استمر الحصار على عثمان واشتد عليه ، وكان عثمان يطل عليهم من آن الى آخر ويعظهم فلا تؤثر فيهم الموعظة ، ثم شددوا عليه الحصار لما بلغهم ان جنداً من الامصار أقبلت لنصر عثمان ، فعجلوا بالامر خوفاً من خطر يفاجئهم فأحرقوا ابواب الدار ، ومنهم من تسوَّر من دار ابن حزم وكان جاراً له ، ودخلت عليه جماعة فضربه الغافقي بحديدة ، ثم ضرب بعضهم عنقه فقتله وذلك سنة ٣٥ هـ ـ ٦٥٦ م .

علي بن ابي طالب

ترجمته :

هو علي بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، ولد قبل البعثة بعشرسنين على الصحيح فربي في حجر النبي(ص) ولم يفارقه ، وشهد معه المشاهد الا غزوة تبوك، فقال له الرسول(ص) : بسبب تأخيره له بالمدينة : ألا ترضى ان تكون مني بمنزلة هرون من موسى ، وزوجه فاطمة بنت الرسول(ص)، وكان اللواء بيده في أكثر المشاهد ، ومناقبه كثيرة يغلب فيها الشجاعة والفروسية والاقدام والقضاء .

عن ابي اسحاق ان عبد الله كان يقول : أقضى اهل المدينة ابن ابي طالب [1] .

عن ابي هريرة قال قال عمر بن الخطاب : علي أقضانا [2] .

عن ابن مسعود قال : كنا نتحدث ان اقضى اهل المدينة علي بن أبي طالب [3] .

عن سفيان قال : ما بنى علي لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة [4] .

* * *

انتخابه للخلافة :

كانت الكلمة العليا في المدينة اذ ذاك بطبيعة الحال لهؤلاء الغالبين الذين قتلوا الخليفة ، ولم يكن في نظر جمهورهم أليق من علي للخلافة فكلموه في البيعة له فامتنع ، ثم أجاب الى ذلك ، ثم قال : أيها الناس بايعتموني على ما بويع عليه من كان قبلي وانما الخيار قبل ان تقع البيعة فاذا وقعت فلا خيار ، وانما على الامام الاستقامة

---

(١) الطبقات الكبير ـ لابن سعد طبعة ليدن ج٢

(٢) الطبقات الكبير ـ لابن سعد طبعة ليدن ج٢

(٣) الرياض النضرة في مناقب العشرة ج٢

(٤) اسد الغابة في معرفة الصحابة ـ لابن الاثير ج٤

وعلى الرعية التسليم ، وان هذه بيعة عامة من ردها رغب عن دين الاسلام وانها لم تكن فلتة [1] .

وتخلف عن بيعته طلحة والزبير ، ثم بايعا مكرهين ، ثم استأذنا علياً في الحج فأذن لهما ، وقد كانت عائشة خرجت قبل ذلك معتمرة وعثمان محصور فوافاها الزبير وطلحة ، وتخلف أيضاً من الصحابة حسان بن ثابت وكعب بن مالك وابو سعيد الخدري ومحمد ابن مسلمة ، وتربص آخرون كسعد بن ابي وقاص وعبد الله بن عمر وصهيب وزيد بن ثابت وأسامة بن زيد .

* * *

عزله عمال عثمان ، وبعثه عمالا على الامصار :

فرق علي عماله على الامصار بعد ان عزل عمال عثمان وذلك قبل ان تصل اليه بيعة اهل الامصار ، وقد حذره عاقبة ذلك المغيرة بن شعبة اولا وابن عباس ثانياً فأبى ذلك اباءً تاماً كأنه قد وقر في نفسه ان هؤلاء العمال لا يصلحون لان يلوا شيئاً من امر المسلمين ، وان الابقاء على واحد منهم يوما كاملا نقص في دينه ، ولو كان الامر قد استتب وبايعه اهل الامصار لما كان في عزل الولاة شيء لان الخليفة هو الذي يعطي الولاة سلطانهم فهو حر في اختيار عماله ، ولكن هذه السرعة الغريبة لم تفهم .

قال ابن قتيبة : ان المغيرة بن شعبة دخل على علي فقال : يا امير المؤمنين ان لك حق الصحبة فأقر معاوية على ما هو عليه من امرة الشام وكذلك جميع عمال عثمان حتى اذا اتتك طاعتهم وبيعتهم استبدلت حينئذ او تركت ، فقال علي : انا ناظر في ذلك وخرج عنه المغيرة ، ثم عاد اليه من غد فقال : يا امير المؤمنين اني أشرت امس عليك برأي فلما تدبرته عرفت خطأه والرأي ان تعاجل معاوية وسائر عمال عثمان بالعزل لتعرف السامع المطيع من العاصي فتكافيء كلاً بجزائه ، ثم قام فتلقاه ابن عباس داخلا فقال لعلي : فيم أتاك المغيرة ؟ فأخبره علي بما كان من مشورته بالامس

---

(١) الاخبار الطوال للدينوري

وما أشار عليه بعد ، فقال ابن عباس : اما امس فانه نصح لك واما اليوم فغشك ، وبلغ المغيرة ذلك فقال : صدق ابن عباس نصحت له فلما رد نصحي بدلت قولي[1] .

مع انه قبل ان يؤخر الحد على قتلة عثمان حتى يهدأ الناس مع ان هذا حد من حدود الله . قال الطبري : واجتمع الى علي بعدما دخل طلحة والزبير في عدة من الصحابة فقال : يا علي انا قد اشترطنا اقامة الحدود وان هؤلاء القوم قد اشتركوا في دم هذا الرجل وأحلوا بانفسهم ، فقال يا اخوتاه : اني لست أجهل ما تعلمون ولكني كيف اصنع بقوم يملكونا ولا نملكهم ها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم وثابت اليهم اعرابكم وهم خلالكم يسمونكم ما شاؤوا الخ [2] .

بعث علي عماله على الامصار ، فبعث عثمان بن حنيف على البصرة ، وعمارة بن شهاب على الكوفة ، وعبيد الله بن عباس على اليمن ، وقيس بن سعد على مصر ، وسهل بن حنيف على الشام .

وكتب علي الى معاوية : اما بعد فقد بلغك الذي كان من مصاب عثمان واجتماع الناس عليّ ومبايعتهم لي فادخل في السلم او ائذن بحرب ، وبعث الكتاب مع الحجاج ابن غزية الانصاري ، فلما قدم على معاوية وأوصل كتاب علي اليه فقرأه فقال : انصرف الى صاحبك فان كتابي مع رسولي على اثرك ، فانصرف الحجاج وامر معاوية بطومارين فوصل احدهما بالآخر ولفا ولم يكتب فيهما شيئاً الا بسم الله الرحمن الرحيم ، وكتب على العنوان من معاوية بن ابي سفيان الى علي بن ابي طالب ثم بعث به مع رجل من عبس له لسان وجسارة ، فقدم العبسي على علي فناوله الكتاب ففتحه فلم ير فيه شيئاً الا بسم الله الرحمن الرحيم ، وعند علي وجوه الناس فقام فقال : أيها الناس هل فيكم احد من عبس ؟ قالوا : نعم قال : فاسمعوا مني وافهموا عني اني قد خلفت بالشام خمسين الف شيخ خاضبي لحاهم بدموع أعينهم تحت قميص عثمان رافعيه على أطراف الرماح قد عاهدوا الله الا يشيموا سيوفهم حتى يقتلوا قتلته او تلحق أرواحهم بالله ، فقام اليه خالد بن زفر العبسي فقال : بئس لعمر الله وافد اهل الشام انت أتخوف المهاجرين والانصار بجنود الشام وبكائهم

---

(١) الاخبار الطوال للدينوري

(١) تاريخ الطبري ج٥

على قميص عثمان فوالله ما هو بقميص يوسف ولا بحزن يعقوب ولئن بكوا عليه بالشام فقد خذلوه بالعراق [1] .

أحب الناس ان يعلموا رأي علي في معاوية وانتفاضه ليعرفوا رأيه في قتال اهل القبلة أيجسر عليه ام ينكل عنه ، وقد بلغهم ان الحسن بن علي دخل عليه ودعاه الى القعود وترك الناس ، فدسوا اليه زياد بن حنظلة التميمي فجلس اليه ساعة ، ثم قال له علي : يا زياد تيسر فقال : لاي شيء قال : تغزو الشام ، فخرج زياد على الناس فسألوه عما وراءه فقال : السيف ، ثم دعا علي ابنه محمداً فأعطاه لواءه وعبأ جنده واستخلف على المدينة قثم بن عباس واقبل على التجهز .

* * *

خروج عائشة والزبير وطلحة ووقعة الجمل :

وبينا هو على ذلك اذ فجأه ما هو أشد عليه من امر الشام وهو خلاف طلحة والزبير وعائشة ومن لف لفهم ، وانهم توجهوا الى البصرة .

قال ابن قتيبة : ولما قضى الزبير وطلحة وعائشة حجهم تآمروا في مقتل عثمان فقال الزبير وطلحة لعائشة : ان اطعتنا طلبنا بدم عثمان قالت : وممن تطلبون دمه ؟ قالا انهم قوم معروفون وانهم بطانة علي ورؤساء اصحابه فاخرجي معنا حتى نأتي البصرة فيمن تبعنا من اهل الحجاز وان اهل البصرة لو رأوك لكانوا جميعا يدا واحدة معك فأجابتهم الى الخروج فسارت والناس حولها يمينا وشمالا [2] .

عن الشعبي قال : خرجت عائشة نحو المدينة من مكة بعد مقتل عثمان فلقيها رجل من اخوالها فقالت : ما وراءك ؟ قال : قتل عثمان واجتمع الناس على علي والامر امر الغوغاء فقالت : ما اظن ذلك تاماً ردوني فانصرف راجعة الى مكة حتى اذا دخلتها أتاها عبد الله بن عامر الحضرمي ، وكان امير عثمان عليها فقال ما ردك يا ام المؤمنين ؟ قالت : ردني ان عثمان قتل مظلوماً وان الامر لايستقيم ولهذه الغوغاء امر فاطلبوا بدم عثمان تعزوا الاسلام ، فكان اول من أجابها عبد الله بن عامر الحضرمي،

---

(١) الاخبار الطوال ــ للدينوري

(٢) الاخبار الطوال ــ للدينوري

وذلك اول ما تكلمت بنو امية بالحجاز ورفعوا رؤوسهم وقام معهم سعيد بن العاص والوليد بن عقبة وسائر بني امية ، وقد قدم عليهم عبد الله بن عامر من البصرة ويعلى ابن امية من اليمن ، وطلحة والزبير من المدينة ، واجتمع ملأهم بعد نظر طويل في امرهم على البصرة ، وقالت : ايها الناس ان هذا حدث عظيم وامر منكر فانهضوا فيه الى اخوانكم من اهل البصرة فانكروه فقد كفاكم اهل الشام ما عندهم لعل الله عز وجل يدرك لعثمان وللمسلمين بثأرهم [1] .

ولما علم عثمان بن حنيف امير البصرة من قبل علي بقدوم عائشة وقومها انتدب رجلين ، ولما وصلا استأذنا على عائشة فأذنت لهما واستخبراها عن قدومها فذكرت لهما : ان الغوغاء من اهل الامصار احدثوا في حرم رسول الله الاحداث واستوجبوا لعنة الله ولعنة رسوله مع ما نالوا من قتل امام المسلمين بلا عذر ، ثم سألا طلحة ما اقدمك فقال : المطالبة بدم عثمان ، ثم تكلم طلحة والزبير محرضين على المطالبة بدم عثمان ، وقد حصلت بين الفريقين مناوشات لا تذكر .

ولما بلغ علياً مسير من سار الى البصرة وهو يتهيأ للشام رأى ان يبدأ بهذا الفتق وبعد مراسلات ومفاوضات دارت بين جماعة علي وعائشة حصلت بينهما وقعة الجمل قتل فيها عشرة آلاف تقريباً من شجعان المسلمين وأعلامهم كطلحة والزبير وغيرهما ، وبعد انتهاء هذه الوقعة اخذ علي بيعة اهل البصرة وامر عليها عبد الله ابن عباس .

* * *

علي ومعاوية ووقعة صفين والتحكيم :

وجه علي عند منصرفه من البصرة الى الكوفة وفراغه من وقعة الجمل جرير بن عبد الله البجلي الى معاوية يدعوه الى بيعته فلما قدم عليه ماطله واستنظره ، ودعا عمراً فاستشاره فيما كتب اليه فأشار عليه ان يرسل الى وجوه الشام ويلزم علياً دم عثمان ويقاتله بهم ففعل ذلك معاوية .

---

(١) تاريخ الطبري ج٥

روى الطبري : ان اهل الشام قد آلى الرجال الا يأتوا النساء ولا يمسهم الماء للغسل الا من احتلام ولا يناموا على الفرش حتى يقتلوا قتلة عثمان [1] .

ولما جاء جرير علياً وأخبره بما عليه اهل الشام فلم ير الا المسير والقتال ، فخرج فعسكر بالنُّخيلة ، وبلغ معاوية خروجه اليه بنفسه فخرج اليه باهل الشام .

فلما انتهى علي الى الرقة عبر الفرات بجسر قد نصبوه ، وسار علي بجيشه حتى التقى بطلائع معاوية فكانت بين الفريقين مناوشات قليلة ، ثم عسكرت الطائفتان في سهل صفين .

وبعد اخذ ورد بين على ومعاوية زحف علي بجنود اهل العراق ، وزحف معاوية بجنود اهل الشام ، والتحم الجيشان ، وكان النصر اولاً حليف معاوية ، ثم انتصر علي انتصاراً باهراً حتى وصل جيشه الى حرس معاوية ، وبينما هم في هذه الشدة الشديدة اذ بالمصاحف قد رفعت على رؤوس الرماح من قبل اهل الشام ، وقائل يقول : هذا كتاب الله بيننا وبينكم من لثغور اهل الشام بعد اهل الشام ، ومن لثغور اهل العراق بعد اهل العراق لما رأى الناس المصاحف قد رفعت قالوا : نجيب الى كتاب الله وننيب اليه .

اما علي فقال : عباد الله امضوا على حقكم وصدقكم وقتال عدوكم فان معاوية وعمرو بن العاص وابن ابي معيط وحبيب بن مسلمة وابن ابي سرح والضحاك بن قيس ليسوا باصحاب دين ولا قرآن انا أعرف بهم منكم قد صحبتهم اطفالا وصحبتهم رجالا فكانوا شر اطفال وشر رجال ويحكم انهم مارفعوها ثم لايعرفونها ولا يعلمون بما فيها وما رفعوها لكم الا خديعة ودهاء ومكيدة [2] .

فقالوا له : ما يسعنا ان ندعى الى كتاب الله فنأبى ان نقبله ، ثم طلبوا منه ان يبعث الى الاشتر ليترك القتال ، فأجا ب الاشتر الرسول ان ليس هذه الساعة التي ينبغي لك ان تزيلني فيها عن موقفي اني قد رجوت ان يفتح لي فلا تعجلني ، فرجع الرسول وكان يزيد بن هانيء الى علي فأخبره بالخبر ، ولما انتهى اليه ارتفع الرَّهج

---

(٢) تاريخ الطبري ج٥

(١) تاريخ الطبري ج٦

وعلت الاصوات وقال له القوم : والله ما نراك الا امرته ان يقاتل ، ثم قالوا :فابعث اليه فليأتك والا والله اعتزلناك ، قال له : ويحك يا يزيد قل له اقبل الي فان الفتنة قد وقعت ، فاتى وترك ساحة الحرب مكرهاً .

ثم بعث علي الاشعث بن قيس الى معاوية ليسأله فقال : يا معاوية لاي شيء رفعتم هذه المصاحف ، قال لنرجع نحن وانتم الى كتاب الله ، امر الله في كتابه تبعثون منكم رجلاً ترضون به ونبعث منا رجلا ، ثم نأخذ عليهما ان يعملا في كتاب الله لايعدوانه ، ثم نتبع ما اتفقا عليه ، فقال له : الاشعث هذا الحق فانصرف الى علي فأخبره ، فقال الناس : انا قد رضينا وقبلنا ، فقال اهل الشام :فانا قد اخترنا عمرو ابن العاص ، وقال اهل العراق : قد رضينا بابي موسى الاشعري ، قال علي : فانكم قد عصيتموني في اول الامر فلا تعصوني الآن اني لا ارى ان اولي ابا موسى ، فأبوا الا اياه فلم يسعه الا مسايرتهم .

ثم اجتمع الحكمان وبحثا فيما جاءا لاجله وهو اصلاح ما بين الناس ، وبعد كلام جرى بينهما اتفق رأيهما على خلع علي ومعاوية ، قال ابو موسى لعمرو : قم يا عمرو فقل وصرح بما اجتمع عليه رأيي ورأيك وما اتفقنا عليه ، فقال عمرو : سبحان الله أقوم قبلك وقد قدمك الله قبلي في الايمان والهجرة وانت وافد اهل اليمن الى رسول الله ، قم انت فقل ، ثم اقوم فأقول : فقام ابو موسى فقال : أيها الناس ان هذه الفتنة قد اكلت العرب واني رأيت وعمراً ان نخلع علياً ومعاوية ونجعلها لعبد الله بن عمر فانه لم يبسط في هذه الحرب يداً ولا لساناً ، ثم قام عمرو فقال : أيها الناس هذا ابو موسى شيخ المسلمين وحكم اهل العراق ومن لايبيع الدين بالدنيا قد خلع علياً وأثبت معاوية ، فقال ابو موسى : مالك ؟ عليك لعنة الله ما انت الا كمثل الكلب تلهث ، فقا لعمرو : ولكنك مثل الحمار يحمل أسفاراً [1] .

* * *

الخوارج ووقعة النهر :

فلما سمع الناس ذلك أيقنوا انها حيلة قد عملت ، ولو انها آلت الى خلافة

(١) الاخبار الطوال ـ للدينوري

معاوية فقط لهان امرها ، ولكنها أوجبت انقسام رجال علي عليه ، لان بعضهم لاموه على قبول التحكيم وخرجوا من حكمه وقالوا : لا حكم الا لله وقد سموا بالخوارج، فأصبح علي بين عدوين واهل الشام .

بلغ علياً وهو في مقامه بالنخيلة ان الخوارج اعترضوا الناس وقتلوا منهم فأرسل رسولا ليعلم جلية الخبر فقتلوه ، ولما جاءه ذلك قال الناس : يا امير المؤمنين علام تدع هؤلاء وراءنا يخلفوننا في اموالنا وعيالنا سر بنا الى القوم فاذا فرغنا مما بيننا وبينهم سرنا الى عدونا من اهل الشام ، فلم يجد بداً من موافقتهم ونادى بالرحيل فلما وصلهم أرسل اليهم ان ادفعوا الينا قتلة اخواننا منكم نقتلهم بهم ثم انا تاركوكم وكاف عنكم حتى القى اهل الشام فلعل الله يقلب قلوبكم ويردكم الى خير مما انتم عليه من امركم ، فبعثوا اليه كلنا قتلتهم وكلنا نستحل دماءهم ودماءكم ، ثم قامت رحى الحرب بين الفريقين وانتهت بقتل ابن وهب ومعظم من معه وتم الظفر لعلي .

* * *

معاوية بعد وقعة صفين :

واما معاوية بعد وقعة صفين فاتجهت مطامعه الى الاستيلاء على مصر لانها متاخمة له وهي ذات مورد ورزق عظيم للجنود فأعمل لذلك الرأي ونجح ، وذلك ان معاوية قد قوي بنتيجة التحكيم وبايعه اهل الشام بالخلافة فرأى ان يستعين بمن بها ممن ساءهم قتل عثمان ، فكتب الى مسلمة بن مخلد ومعاوية بن خديج يقويهما ويمنيهما فكتبا اليه بخبر من معهما وانهما ممتنعون وان ابن ابي بكر هائب لهم ، وطلبا المدد ، فجهز الى مصر عمرو بن العاص .

أقبل ابن العاص مريداً مصر ، وخرج اليه محمد بن ابي بكر وحصلت بينهما معركة أسفرت بفوز الجنود الشامية وبقتل محمد وانهزام جيشه ، وكانت مصر لمعاوية قوة كبيرة مكنته ان يجهز البعوث الى اطراف علي ينتقصها ، فوجه بعوثاً للاغارة على عين التمر والانبار والمدائن والحجاز واليمن وبوادي البصرة وغيرها .

* * *

تآمر الخوارج على قتل علي ومعاوية وعمرو :

عن اسماعيل بن راشد انه اجتمع ثلاثة من الخوارج وهم عبد الرحمن بن ملجم

والبُرَك بن عبد الله وعمرو بن بكر التميمي فتذاكروا امر الناس وعابوا على ولاتهم ثم ذكروا اهل النهر فترحموا عليهم وقالوا : ما نصنع بالبقاء بعدهم شيئاً اخواننا الذين كانوا دعاة الناس لعبادة ربهم والذين كانوا لا يخافون في الله لومة لائم ، فلو شرينا انفسنا فأتينا أئمة الضلالة فالتمسنا قتلهم فأرحنا منهم البلاد وثأرنا بهم اخواننا ، فقال ابن ملجم : انا اكفيكم علي بن ابي طالب وكان من اهل مصر ، وقال البرك انا اكفيكم معاوية ، وقال ابن بكر انا اكفيكم عمراً ، فتعاهدوا وتواثقوا بالله لا ينكص رجل منا عن صاحبه الذي توجه اليه حتى يقتله او يموت دونه ، فأخذوا أسيافهم فسموها واتعدوا لسبع عشرة تخلو من رمضان [1] .

أما ابن ملجم فقد تقلد سيفه وضرب علياً سنة ٤٠ هـ ـ ٦٦١ م وهو ينادي الصلاة أيها الناس ، واما معاوية فقد أقبل البرك حتى قام خلف معاوية وهو يصلي بالغداة ومعه خنجر فوجأه به في اليته ولم يصبه مقتلاً ، واما ابن بكر فانه اتى مصر وقام حيال المحراب ومعه مِشمَل قد اشتمل عليه بثيابه ، فأصاب عمراً مغص في بطنه فامر رجلا من بني عامر ان يخرج فيصلي بالناس فتقدم مغلساً فلم يشك ابن بكر انه عمرو فلما سجد ضربه بالسيف من ورائه فقتله ، ونجى عمرو من القتل .

* * *

سر نجاح معاوية :

تولى علي الخلافة في دور فتنة عمياء ، وفي وقت كان على جند المسلمين بالشام رجل شديد الدهاء بعيد المطامع وهو معاوية بن ابي سفيان ، انتهز فرصة تقلب الاحوال في عاصمة الخلافة الاسلامية فدعا الناس الى نفسه ، وكان بما فيه من صفات القادة وخلال رجال السياسة كفؤاً لما ندب نفسه اليه ، فالتفت عليه قلوب من كان قبله من جنود المسلمين وقوادهم ، واستطاع بهذه القوة منازعة علي على الخلافة طول مدة خلافته .

ومن اكبر اسباب قوته عدم تحرجه مما كان يتحرج منه الخليفة الرابع ، فكان

---

(١) تاريخ الطبري ج٦

معاوية يستميل الاحزاب اليه بالاموال واجتذاب أهوائهم بالمصانعات ، بينا كان علي يحاسب عماله ورجاله على الفتيل والقطمير ولا يضع درهماً في غير موضعه .

عن عبد الله بن عمير قال : حدثني رجل من ثقيف قال : استعملني علي بن ابي طالب على مدرج سابور فقال : لاتضربن رجلا سوطاً في جباية درهم ولا تبيعن لهم رزقاً ولا كسوة شتاءً ولا صيفاً ولا دابة يعتملون عليها ، ولا تقيمن رجلا قائما في طلب درهم ، قلت : يا امير المؤمنين اذن ارجع اليك كما ذهبت من عندك ، قال : وان رجعت ويحك انما امرنا ان نأخذ منهم العفو يعني الفضل [1] .

كان معاوية بالعكس يهب مئات الالوف لاشياعه بلا حساب فاجتمعت عليه أهواء من معه ورأوا في بقائهم بقاءً لتمتعهم واستدامة لعزتهم ، فلم يقصروا في الدفاع عنه طرفة عين .

ولولا هذه الاسباب لما استطاع معاوية ان يطمح ببصره الى خلافة النبي(ص)في حياة علي حتى ولا في حياة مثل عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وغيرهما من اركان الدين واعلام الهدى ، ولكن للمال في كل زمان ومكان سلطاناً على النفوس يفوق كل سلطان .

وكان من عوامل نجاح معاوية حلمه البالغ الحد ، وسياسته البعيدة الغور ، ولين عريكته مع ذويه والمحيطين به ، جمع حوله نفراً أمثال عمرو بن العاص وعبد الله بن سريح والضحاك بن قيس من اقطاب الدهاء والمكر من لايشق لهم غبار في التوسل لاغراضهم .

ومما زاد في عوامل نجاح معاوية ان علياً كان لسعة علمه واحاطته بالاحكام يرى نفسه جديراً بان يستبد برأيه في الامور العظام فلا يستشير فيها احداً فأغضب بذلك من حوله من كبار الصحابة ، فكانوا ينظرون لخلافته نظر المستثقل لثيرها المحب لانتهاء امدها .

ومن العوامل التي أسقطت هيبة خلافة علي مع ما كان عليه من الكفاءة العالية

---

(١) اسد الغابة في معرفة الصحابة ـ لابن الاثير ج٤

انها أقيمت بيد رجال من اهل الثورة كانوا يرون لهم فضلاً عليه ، وكانت نفوسهم مشبعة باصول انقلاب لا تصلح معها لحفظ حالة معينة .

اما معاوية فانه في هذه الاثناء أظهر كل ما يستطيع اظهاره من الدهاء والسياسة فاستمال الاحزاب بالمال وقطع ألسنة اهل المطامع بالولايات والاعطيات ولم يدع وسيلة من الوسائل الا استخدمها لفشل امر علي وافساد قلوب اصحابه عليه .

فماذا يفعل علي وهو لايستطيع دس الدسائس ، ولا بذل الاموال في غيروجوهها ولا المحاباة بالولايات والاقاليم ، بل كان من الورع وشدة الحرص على امانة الله انه شدد الحساب على عبد الله بن عباس اخص اعوانه حتى اضطره لمفارقتهوالشخوص الى المدينة .

الفصل الثاني
الدولة الأموية

معاوية بن ابي سفيان :

تنسب هذه الدولة الى امية بن عبد شمس بن عبد مناف ، كان سيداً من سادات قريش في الجاهلية يعادل في الشرف والرفعة عمه هاشم بن عبد مناف ، وكانا يتنافسان رياسة قريش ، وكان أمية رجلاً تاجراً كثير المال أعقب كثيراً من الاولاد ، والمال والاولاد من اكبر اسباب السيادة بعد شرف النسب .

هو معاوية بن ابي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، كان ابوه ابو سفيان احد أشياخ مكة أسلم في السنة التي فتح فيها الرسول (ص) مكة ، وأسلم معاوية وكتب الوحي في جملة كتبه بين يدي الرسول (ص) .

كان معاوية عاقلاً في دنياه عالماً حليما ملكا قويا جيد السياسة حسن التدبير ، عاقلا حكيما فصيحا بليغا يحلم في موضع الحلم ، ويشتد في موضع الشدة ، الا ان الحلم كان أغلب عليه ، وكان كريماً باذلاً للمال محباً للرياسة .

كان يفد كثير من أشراف قريش كعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله ابن الزبير وعبد الرحمن بن ابي بكر وناس من آل طالب على معاوية فيكرم مثواهم ويحسن قراهم ويقضي حوائجهم ، ولا يزال بعضهم يحدثونه أغلظ الحديث وهو يداعبهم تارة ويتغافل عنهم أخرى ولا يعيدهم الا بالجوائز السنية والصلات الجمة .

لم ينتخب معاوية للخلافة انتخاباً عاماً يعني من طرف جميع اهل الحل والعقد من المسلمين ، وانما انتخبه اهل الشام للخلافة بعد صدور حكم الحكمين ، ولما قتل علي وبايع جند العراق ابنه الحسن رأى الحسن مصلحة المسلمين ان يبايع معاوية ويسلم الامر اليه ، فبايعه في ربيع الاول سنة ٤٠ هـ ـ ٦٦٠ م . وقصارى القول

ان بيعته كانت بطوع اهل الشام وبطريق الغلبة والقهر من اهل العراق الا انها انتهت في الآخر بالرضى عن معاوية والتسليم له من جميع الامة ما عدا الخوارج .

لم يكن في الشرق على حدود بلاد الفرس الا فتوح قليلة ، والذي كان انما هو ارجاع الناكثين من اهل تلك البلاد الى الطاعة .

غزا عبد الله بن سوار العبدي القيقان مرتين ، وفي المرة الثانية استعان القيقان بالترك فقتلوه .

وغزا المهلب بن ابي صفرة الازدي ثغر السند ، فأتى بَنَّة ولاهور فلقيه العدو وقاتله .

وكانت همة المسلمين موجهة نحو الشمال والغرب من مملكة الروم فرتب معاوية الغزو اليها براً وبحراً ، وافتتح عدة جهات وبعض جزائر اليونان وجزيرة رودس وقبرس .

وجهز معاوية سنة ٤٨ هـ ــ ٦٦٨ م جيشاً عظيماً لفتح القسطنطينية براً وبحراً ، فسار المسلمون حتى بلغوا القسطنطينية واشتد الحرب بينهم وبين الروم ، ولكن هذا الجيش لم يتمكن من فتحها لمتانة أسوارها ومنعة موقعها وفتك النار الاغريقية بسفنهم ، ثم اضطر المسلمون للعودة الى الشام بعد ان فقدوا كثيراً من جنودهم ومراكبهم .

وسير معاوية الى عقبة بن نافع سنة ٥٠ هـ ــ ٦٧٠ م عشرة آلاف فدخل افريقية وانضم اليه من أسلم من البربر فكثر جمعه وجعل للاسلام فيها قدماً راسخاً .

* * *

يزيد الاول :

هو يزيد بن معاوية بن ابي سفيان وامه ميسون بنت بجدل ولد سنة ٢٦ هـ ــ ٦٤٧ م وربي في حجر الامارة ، فكان موفر الرغبة في اللهو والقنص والنساء والشعر ، وكان فصيحاً كريماً شاعراً مفلقاً .

بايع معاوية لابنه يزيد بولاية العهد ، ولم يتخلف عن البيعة الا اربعة نفر الحسين ابن علي وعبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن ابي بكر وعبد الله بن الزبير .

ولما بلغ اهل الكوفة موت معاوية وبيعة يزيد سنة ٦٠ هـ ٦٨٠ م كتبو الى الحسين يستقدمونه ليبايعوه ، فخرج من مكة متوجهاً الى الكوفة وهو لايعلم بحال مسلم ابن عقيل ، فلما قرب من الكوفة علم بالحال ولقيه ناس فاخبروه الخبر وحذروه فلم يرجع وصمم على الوصول الى الكوفة .

أرسل ابن زياد اليه عسكراً فقاتلوا الحسين واصحابه حتى قتل الحسين قتلة شنيعة .

وثنى يزيد بقتال اهل المدينة ، وذلك ان اهل المدينة كرهوا خلافة يزيد وخلعوه وحصروا من كان بها من بني أمية وأخافوهم ، فلما بلغ يزيد الخبر ندب الى تلك الحرب مسلم بن عقبة فحاصرها من جهة الحرة حتى فتحها .

ثم ثلث يزيد بغزو الكعبة فأمر مسلم بن عقبة بغزوها بعد فراغه من امر المدينة فتوجه اليها وكان عبد الله بن الزبير بها ، وقد دعا الى نفسه وتبعه اهل مكة فمات مسلم في الطريق واستخلف على الجيش رجلا كان يزيد أوصاه بتأميره ان هلك فمضى بالجيش الى مكةوحصرها ، وبرز ابن الزبيراليه في اهل مكة ونشبت الحرب.

استعمل يزيد عقبة بن نافع على افريقية فسار في عسكر عظيم ، وقد اجتمع بها كثير من الروم فقاتلوه قتالاً شديداً وانهزموا ، ثم سار الى بلاد الزاب ، ثم رحل الى تاهرت فانهزمت الروم والبربر ، وغنم المسلمون اموالهم وسلاحهم ، ثم سار حتى نزل طنجة ، ثم سار نحو السوس الادنى وهو مغرب طنجة فلقيته البربر في جموع كثيرة فقاتلهم وهزمهم هزيمة منكرة ، ثم سار نحو السوس الاقصى ، وقد اجتمع له جمع عظيم من البربر فقاتلهم وهزمهم ، وسار بعد ذلك حتى بلغ بحر الظلمات ، ثم عاد واخذ يأمر اصحابه ان يتقدموا فوجاً فوجاً ثقة منه بما نال من العدو فلما رآه الروم في قلة اتفقوا مع كسيلة كبير جيش البربر فهاجموا المسلمين وقتلوهم وقتل عقبة .

* * *

معاوية بن يزيد الاول :

ثم ملك بعد يزيد معاوية بن يزيد بن معاوية سنة ٦٤ هـ و ٦٨٣ م ، ولم يلبث

في الملك الا اياماً حتى خلع نفسه قائلاً للناس : اني ضعفت عن امركم فالتمست لكم مثل عمر بن الخطاب فلم اجد فالتمست لكم مثل اهل الشورى فلم اجد ، فأنتم اولى بأمركم فاختاروا له من احببتم فما كنت لاتزودها ميتاً وما استمتعت بها حياً[1] .

* * *

مروان بن الحكم :

ولما مات معاوية الثاني ماج الناس فأراد اهل الشام بني أمية واراد غيرهم عبد الله بن الزبير واختلفت بنو امية فيمن يولونه ، فمال ناس الى خالد بن يزيد بن معاوية ومال ناس الى مروان بن الحكم لسنه وشيخوخته ، وهؤلاء بايعوا مروان وتمت له البيعة سنة ٦٤ هـ ــ ٦٨٤ م ، فقاد الجنود وفتح مصر وبايعه اهلها ، ثم عاد الى دمشق فأقام بها ، ولم تطل مدة مروان في سلطانه فانه توفي سنة ٦٥ هـ ، وكان قد عهد من بعده لابنه عبد الملك ثم عبد العزيز .

* * *

عبد الملك بن مروان :

تولى الملك بعد مروان ابنه عبد الملك سنة ٦٥ هـ ــ ٦٨٥ م وكانت الحال في البلاد الاسلامية غاية في الاضطراب ، بايع اهل الحجاز والعراق وغيرهما عبد الله ابن الزبير ودخلوا في طاعته .

قال الذهبي بايع الزبير اهل الحرمين واليمن والعراق وخراسان [2] .

ولما صفا الشام لعبد الملك اعتزم على غزو العراق وأتته الكتب من أشرافهم يدعونه فاستمهله اصحابه فأبى وسار نحو العراق وبلغ مصعباً سيره ، فالتقى الجمعان والتحم الحرب بينهما ، وظل مصعب في نفر يسير يقاتل اشد قتال حتى قتل ، واستولى عبد الملك على العراق وخراسان واستناب اخاه بشر بن مروان ورجع بجيشه الى دمشق .

وبذلك لم يبق خارجاً عن سلطان عبد الملك الا الحجاز ، فوجه جنداً يقوده

---

(١) الفخري في الآداب السلطانية ــ لابن الطقطقي

(٢) دول الاسلام ــ للذهبي ج١

الحجاج بن يوسف الثقفي لقتال عبد الله بن الزبير ، فلما وصل مكة حصر ابن الزبير بها ورماها بالمجانيق حتى اشتد الحصار على اهلها فتفرقوا عن ابن الزبير وخرجوا بالامان الى الحجاج ولم يبق معه الا اليسير ، ثم خرج فقاتل حتى قتل ، وبقتل ابن الزبير صفا الامر لعبد الملك في جميع الامصار الاسلامية واجمعت عليه الكلمة .

وبالرغم مما اصاب الامة من الفتن والاضطرابات والحروب التي انهكت قواها بقتال بعضهم بعضاً ، قطع المهلب بلخ ونزل على كِس ، ووجه ابنه حبيباً الى رَبَيْخَن فوافى صاحب بخاري ، فكانت بينهم مناوشات لم تنته بنتيجة وانصرف حبيب ، ثم صالح المهلب اهل كِش على فدية .

ولما استقر الامر لعبد الملك عادت الغزوات الى بلاد الروم فنظمت الشواتي والصوائف وافتتح عبد الملك قيسارية وقليقلا .

كان عبد الملك لبيباً عاقلاً عالماً ملكاً جباراً قوي الهيبة عظيم السياسة حسن التدبير للدنيا مكنته هذه الصفات من اخضاع الامة الى خليفة واحد ، وسلمها لابنه الوليد وهي على غاية من الهدوء والطمأنينة .

* * *

الوليد بن عبد الملك :

تولى بعد عبد الملك الخلافة ابنه الوليد سنة ٨٦ هـ ـ ٧٠٥ م ، كان الوليد من أفضل خلفاء بني امية سيرة ، وكان ميالاً للاصلاح والعمارة فقام باصلاح داخلي عظيم ، وسير قواداً عظاماً لفتح المعمور .

واخذت سنة ٩٢ هـ ـ ٧١١ م أساطيل الامويين تمخر البحر قاصدة سيلان ، وسار القاسم الى بلاد السند حتى اتى الديبل ولم يزل محاصراً للديبل حتى خرج العدو اليه فهزمهم وفتحها ، ثم جعل لايمر بمدينة الا فتحها حتى عبر نهر السند وفتح فتوحاً عظيماً في بلاد السند .

وخرج قتيبة بن مسلم الى ما وراء النهر فجاشت الترك والسغد والشاش وفرغانة واحدقوا به فهزمهم وفتح بخارى ، ثم فتح مدائن خوارزم صلحاً ، وسمرقند بعد قتال شديد وكاشان وكاشغر .

ارسل موسى بن نصير عامل الوليد على افريقية رجلاً من مواليه يقال له طريف، فأغار على جزيرة سميت باسمه فأصاب شيئاً ورجع سالماً وذلك سنة احدى وتسعين ، ثم دعا موسى مولى له يقال له طارق بن زياد لفتح اسبانيا ، ولما بلغ الامر رودريك (رذريق) ملك طليطلة جمع جموعه والتقى بطارق في موضع يقال له البحيرة فانهزم رودريك ، وسار طارق باصحابه الى مضيق الجزيرة فمدينة استجة فلقيه اهلها فقاتلوه قتالاً شديداً ، ثم انهزموا ، ثم فرق جيوشه على مدن اسبانيا ففتح كثيرا منها ، ثم كتب الى موسى بالفتح والغنائم فحركته الغيرة ،واستخلف على القيروان ولده عبد الله وجهز جيشاً من وجوه العرب والموالي وعرفاء البربر فأتم موسى الفتح ، ثم أجمع ان يأتي الى المشرق من ناحية القسطنطينية ويتجاوز الى الشام ، ويخوض ما بينهما من أمم الاعاجم مجاهداً الى ان يلحق بدمشق دار الخلافة وبلغ ذلك الوليد فاشتد قلقه بمكان المسلمين من دار الحرب فبعث اليه بالتوبيخ والانصراف ، فقفل موسى عن الاندلس وولى عليها ابنه عبد العزيز واتى القيروان ، واصبحت اسبانيا كلها في يد العرب الا ولايات جبلية دافعت عن استقلالها ، ولم يهم العرب امرها فخلوا عنها ، غير ان هذه الولايات كانت الاساس الذي بنى الاسبان عليه ملكهم القومي .

وأهم العوامل الطبيعية التي ساعدت العرب على فتح اسبانيا مجاورتها لملك العرب في الغرب ، وانكشاف البلاد للعرب وسهولة اجتيازها .

وأهم العوامل السياسية التي خولت العرب فتحها توحيد امر العرب وتنظيم القيادة واعتيادهم الجهاد وعدل امرائهم واشتهارهم بذلك ، ومن جهة اخرى تضعضع حالة الاسبان لانقسامهم بعضهم على بعض ، مقاطعة قومية ، وتشتت آرائهم في انتخاب ملوكهم وقيام بعضهم على بعض الآخر ، وخراب البلاد بالحروب الاهلية وظلم اولي الامر فيهم ، وسوء ادارتهم واسرافهم في سفك الدماء واضطهاد اليهود واستباحة أموالهم وأرواحهم ، ظهر أثر هذه العوامل في تحريض نفر منهم العرب على فتح البلاد ، وفي ضعفهم عن مقاتلة العرب والتحاق قسم منهم بالفاتحين يدلونهم على عورات البلاد ، وقعود القسم الآخر عن مقاومة تذكر .

وأهم العوامل الاقتصادية التي ساعدت العرب على فتح اسبانيا جهل الاسبان

استثمار خيراتهم ، والمجاعة التي وقعت قبيل الفتح ، ونستطيع ان نضيف الى ذلك الوباء الذي أصاب هذه الجزيرة في ذلك العهد فذهب بعدد عظيم من السكان ، ثم رغبة العرب والبربر بما يجره الفتح من الكسب والغنائم .

وأهم العوامل الدينية التي سهلت للعرب فتح اسبانيا انشقاق الاسبان بعضهم على بعض ديناً ، ثم رغبة المسلمين في نشر دينهم وما نفثه هذا الدين في صدورهم من الايمان بالقضاء والقدر .

وكان مسلمة بن عبد الملك يسير الى الروم ليفتح ما أمامه من الحصون العظيمة التي أقاموها لحفظ بلادهم ، ومن الحصون التي افتتحوها حصن طوانة وحصن عمورية واذورلية وهرقلة وقمونية وطرطوس وغيرها حتى هابهم الروم .

* * *

سليمان بن عبد الملك :

بويع سليمان بن عبد الملك بدمشق سنة ٩٦ هـ ــ ٧١٥ م ، وفي عهده فتح يزيد ابن المهلب دهستان بعد ان حاصرها مدة طويلة ، ثم اتى جرجان فصالحه اهلها وخلف فيهم جنداً وسار الى طبرستان ، وبينا هو محاصر طبرستان بلغه ان اهل جرجان غدروا بعامله وقتلوه هو ومن معه فعاد اليهم وفتح جرجان الفتح الاخير .

وجهز اخاه مسلمة بن عبد الملك بجند عظيم لفتح القسطنطينية وامره ان يقيم عليها حتى يفتحها او يأتيه بها امره ، فجاءها وحاصرها وشتا بها وصاف ومات سليمان وهو لها محاصر .

* * *

عمر بن عبد العزيز :

هو عمر بن عبد العزيز بن مروان ولد سنة ٦٢ هـ بالمدينة ، وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، ولي الخلافة بعد سليمان بن عبد الملك سنة ٩٩ هـ ــ ٧١٧م

كان عمر بعيداً عن كبرياء الملوك وجبروتهم زاهداً متواضعاً تقيا ورعا عادلاً محبا لرعيته ، أعاد الى الناس سيرة جده عمر بن الخطاب . قال محمد بن عبد الله ابن عبد الحكيم : كان يأتي (عمر) عبد الله بن عمر كثيراً لمكان أمه منه ، ثم يرجع

الى أمه فيقول : يا امه انا احب ان اكون مثل خالي ــ يريد عبد الله بن عمر ــ فتقول له انت تكون مثل خالك تكرر عليه ذلك غير مرة [1] .

انصرف عمر عن مظاهر الخلافة وأقبل على احياء الكتاب والسنة ، ورد المظالم وحمل رعيته على الشريعة ، وحثهم على اتباع ما امر الله به واجتناب ما نهى عنه ، ونهى عن سب علي بن ابي طالب على المنابر .

وعزل عمر بعض العمال لاعتقاده بهم جبابرة كيزيد بن المهلب ، وكان يقول : لا أحب آل المهلب لانهم جبابرة [2] ، وكتب الى مسلمة بن عبد الملك ان يرجع من القسطنطينية .

* * *

يزيد بن عبد الملك :

ولما توفي عمر بن عبد العزيز سنة ١٠١ هـ ــ ٧٢٠ م ، أفضي الامر الى يزيد بن عبد الملك ، وعرف بالشراب وقتل الوقت في معاشرة القيان .

عزل يزيد عمال عمر بن عبد العزيز وولى غيرهم كعمر بن هبيرة وعبد الرحمن ابن الضحاك .

وفي عهده غزا الجراح بن عبد الله الحكمي الترك وفتح بلنجر وانتصر نصراً مبيناً .

* * *

هشام بن عبد الملك :

ولما توفي يزيد بن عبد الملك سنة ١٠٥ هـ ــ ٧٢٤ م ، تولى الخلافة هشام بن عبد الملك ، وكان غزير العقل حليماً عفيفا .

غزا اسد بن عبد الله في ايام هشام الغور وهو جبال هراة فغنم ، وخرج الجنيد ابن عبد الله غازياً يريد سمرقند وبخارى ، وبعد قتال شديد بين المسلمين واعدائهم دخل سمرقند وورد بخاري وانتصر على اعدائه نصراً مبيناً وهزمهم شر هزيمة .

وفي ايام هشام خرج زيد بن علي بن الحسين بن علي فقدم الكوفة وأسرعت

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز ــ لعبد الله بن عبد الحكم

(٢) البدء والتاريخ ــ المنسوب لمطهر بن طاهر المقدسي ج٦

اليه الشيعة وقالوا : لنرجو ان يكون هذا الزمان الذي تهلك فيه بنو أمية ، وجعلوا يبايعونه سراً ، ولما بلغت الاخبار يوسف بن عمر وهو بالحيرة جد في طلب زيد ، وفي الليلة التي كان قد اتفق زيد مع كثير من اهل الكوفة على الخروج فيها لم يأته الا عدد قليل منهم وانتهى الامر بقتل زيد .

ودخل الجراح بلاد الخزر من ناحية تفليس وقاتل حتى قتل ومن معه بمرج اردبيل ، بذلك طمع الخزر في البلاد واوغلوا فيها حتى قاربوا الموصل وعظم الخطب فلما علم ذلك هشام استعمل على تلك البلاد سعيداً الحرشي وأتبعه بالجنود ، ولما وصل ارزن لقيته فلول الجراح فأخذهم معه وقاتل الخزر قتالا شديداً حتى هزمهم هزيمة منكرة .

* * *

الوليد بن يزيد بن عبد الملك :

لما توفي هشام سنة ١٢٥ هـ ــ ٧٤٣ م ، بويع بالخلافة الوليد الثاني كان من فتيان بني أمية وشجعانهم واجوادهم وأشدائهم منهمكا في اللهو والشرب وسماع الغناء ، وكان شاعراً محسناً له أشعار حسنة في العتاب والغزل ووصف الخمر .

صار بنو امية يشيعون عن الوليد بين الناس القبائح ورموه بالكفر ، وبذلك نفرت قلوب الخاصة والعامة حتى قتل سنة ١٢٦ هـ ــ ٧٤٤ م .

* * *

يزيد بن الوليد بن عبد الملك :

وبعد قتل الوليد الثاني ملك بعده يزيد الثالث ، وكان يظهر التنسك ، وكان يسمى يزيد الناقص لانه نقص من اعطيات اهل الحجاز .

ولم تطل خلافته فانه توفي سنة ١٢٦ هـ ــ ٧٤٤ م ، بعد ان حكم خمسة اشهر واثنين وعشرين يوماً ، وفي ايامه شرع حبل بني أمية يضطرب ، وشرعت الدولة العباسية تنبع وانبعثت الدعاة في الامصار .

* * *

مروان بن محمد بن مروان بن الحكم :

وبعد وفاة يزيد الثالث ملك اخوه ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك ، وكان

ذلك العهد عهد فتن ، وكان حبل بني أمية قد اضطرب ، وكان الناس يسلمون عليه بالخلافة ، وناس بالامارة ، وناس ربما لا يسلمون عليه بواحدة منهما ، واضطرب امره .

وسبب ذلك ان مروان بن محمد والي الجزيرة وارمينية لم يرض ولاية ابراهيم فسار الى الشام في جنود الجزيرة فاستولى على قنسرين وحمص ، ولما وصل عين الجر قابلته جنود أرسلت لحربه من قبل ابراهيم فانتصر عليه مروان وهزمهم ، ثم اخذ عليهم البيعة له ، ثم سار حتى دمشق وبايعه اهلها سنة ١٢٧ هـ ـ ٧٤٤ م وكانت مدة مروان مدة مملوءة بالفتن والاضطرابات منذ بويع حتى قتل .

خرج على مروان عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب داعياً الى نفسه ، وبايعه عدد من الشيعة ، فبرز اليهم أمير العراق عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، فحاربه وغلبه ونفاه عن العراق .

وانتقض على مروان اهل حمص وكان له معهم واقعة انتصر فيها عليهم ، ثم قام عليه اهل الغوطة فحاربهم وانتصر عليهم ، ثم ثار عليه سليمان بن هشام ، ولما بلغ الخبر مروان أقبل بالجنود وقاتله وهزم سليمان وجنده .

ووجدت بقايا الخوارج الفرصة لاظهار مافي انفسهم ، فخرج الضحاك بن قيس واتى الكوفة واستولى عليها من يد اميرها عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، واشتدت الحرب ، سلم عبد الله الى الضحاك وبايعه ، وكذلك دخل في هذه البيعة سليمان بن هشام ، ولما تم ذلك للضحاك عاد الى الموصل فافتتحها واستولى على كورها ، ولما بلغ مروان الخبر كتب الى ابنه عبد الله وهو خليفته بالجزيرة يأمره ان يسير الى نصيبين فيمن معه ليمنع الضحاك فسار اليها ، ولما انتهى مروان من امر حمص سار لمقاتلة الضحاك وحصلت بين الفريقين موقعة عظيمة قتل فيها الضحاك ، وولى الخوارج عليهم سعيد الخيبري ولم يلبث الا قليلاً حتى قتل ، ولما علم الخوارج بمقتله ولوا بدله شيبان بن عبد العزيز اليشكري ، فأقام يقاتل مروان ، ولكنه لما رأى ان الناس يتفرقون عنه انصرف بمن معه الى الموصل فتبعهم مروان وأقام يقاتلهم ستة اشهر

ثم سير مروان يزيد بن عمر بن هبيرة الى العراق بالجنود فأجلى الخوارج وهزم شيبان هزيمة منكرة .

ومن الذين خرجوا على مروان وشغلوه المختار بن عوف الازدي ، وكان يوافي الموسم كل سنة يدعو الناس الى خلاف مروان .

كل هذه المشاغل والفتن التي كانت بالشام والحجاز شغلت مروان عن خراسان وما كان يجري فيها فكان ذلك مساعداً لشيعة بني العباس ورئيسهم ابي مسلم الخراساني ومبايعة اهلها لبني العباس .

وفي سنة ١٣٢ هـ ــ ٧٥٠ م بويع بالكوفة لابي العباس ، وبعد ان تم له الامر بالعراق اختار عمه عبد الله بن علي وجعله قائداً لذلك الجند ، فسار حتى التقى بمروان وجنده قرب نهر الزاب وهناك حصلت الموقعة العظمى بين الجندين وانتهت بهزيمة مروان بن محمد وجنده ، وصار مروان ينتقل من بلد الى آخر ، وعبد الله بن علي يتبعه حتى قتله اخوه صالح بن علي في مصر سنة ١٣٢ هـ ــ ٧٥٠ م ، وبقتله انتهت ايام الدولة الاموية وابتدأ عصر الدولة العباسية .

الفصل الثالث

الدولة العباسية

ابتدأت الدعوة للبيت الهاشمي وتأسست الجمعية السرية عقب تولي عمر بن عبد العزيز الخلافة ذلك الخليفة الذي أضعف تلك الاسس التي قامت عليها دولة بني أمية وأبطل عواملها الجوهرية الا وهي سياسة الشدة والارهاب والمكر والدهاء ، مما جعل دولة بني هاشم تتحرك ويدعون اليهم دعوة جعلوا دعائمها الدهاء والاناة والصبر .

جعل للدعوة مركزان : احدهما بالكوفة والآخر بخراسان ، واختير من الدعاة اثنا عشر نقيباً ، وسبعون رجلا ليكونوا مؤتمرين بهؤلاء .

كان الدعاة يجوبون البلاد الخراسانية ظاهر امرهم التجارة وباطنها الدعوة ينتهزون الفرص ، ثم يبلغون امرهم الى القائم بالكوفة وهو يوصلها الى الحميمة او الى مكة حيث يجتمع المسلمون لاداء فريضة الحج .

وجاء دور العمل ونزل ابو مسلم بقرية من قرى مرو يقال لها سفيذنج ، وهناك بث دعاته في الناس ليجتمعوا اليه ، فانثال اليه الناس ولبسوا السواد الذي جعل شعاراً للدولة العباسية .

كثرت بعد ذلك وفود الناس على ابي مسلم ، ووجدت الدعوة في قلوبهم مكاناً صالحاً ، ثم شرع ابو مسلم يرسل قواده فيستولون على البلاد ، ولما صفت مرو لابي مسلم امر باخذ البيعة على اهلها ، ثم صفت خراسان كلها لابي مسلم وبعث العمال الى جميع الولايات .

ثم ذهب بعض القواد الى الكوفة وقابلوا ابا العباس وسلموا عليه بالخلافة ، ثم خرج السفاح الى القصر وأجلس أخاه ابا جعفر ليأخذ البيعة على الناس في

المسجد ، فلم يزل يأخذها عليهم حتى صلى بهم العصر والمغرب ، ثم خرج ابو العباس الى المعسكر واستخلف على الكوفة عمه داود بن علي .

* * *

ابو العباس السفاح :

هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، بويع بالخلافة سنة ١٣٢ هـ ـ ٧٥٠ م .

كان ابو العباس كريماً وقوراً سديد الرأي ، وكانت حياته مفعمة بحوادث القسوة مع بقايا بني أمية وغيرهم من أولياء الدولة ، وبعبارة اخرى انقضت حياته كلها في الخلاص من بني أمية والاطمئنان من جهة كل من يرتاب من اخلاصه ، فسفكت دماء كثيرة وأحدثت قدوة سيئة في نكث العهود واغتيال المخالفين .

* * *

المنصور :

عقد السفاح قبل موته لاخيه ابي جعفر المنصور الخلافة من بعده وجعله ولي عهد المسلمين ، وبويع بالخلافة سنة ١٣٦ هـ ـ ٧٥٤ م .

كان المنصور حازماً عاقلاً وقوراً ذا آراء صائبة عالماً ، تولى الخلافة ولم تكن قد توطدت دعائمها ، ولم يكن يخاف عليها من الدولة البائدة ، دولة الامويين لانه لم تبق لهم بقية يخاف منها ، وانما كان الخوف ينتاب المنصور من ثلاث جهات :

الاولى منافسة عمه عبد الله بن علي له في الامر لما كان له من نباهة الذكر في بني العباس ولانه كان يدير امر جيوش الدولة من اهل خراسان واهل الشام والجزيرة والموصل .

والثانية من عظمة ابي مسلم الخراساني مؤسس الدولة ، فانه كان يرى له من الصولة وشدة التمكن في حياة اخيه ما لم يكن يرى معه لهم امراً ولا حكما ، ومثل المنصور في علو نفسه لا يرضيه ان يكون له في الامر شريك ذو سطوة وسلطان مثل ابي مسلم .

والثالثة وهي خوفه من بني عمه آل علي بن ابي طالب الذين لا يزال لهم في قلوب الناس مكان مكين ، فكان المنصور يتخوف ان يخرج عليه طالب بالخلافة .

عزم المنصور ان يضرب اعداءه فيستريح منهم جميعاً ، فأرسل عيسى بن موسى الى عبد الله بن علي بيعة المنصور وعبد الله غاز فانصرف بمن معه من الجيوش وقد بايع نفسه حتى بلغ حران ، فلما علم المنصور بذلك استحضر ابا مسلم وسيره لحرب عبد الله ، وبعد وقائع حصلت بين الفريقين انهزمت جماعة عبد الله وفر الى البصرة ، ثم امر المنصور بحبسه وحبس من كان معه ، واستمر في محبسه حتى مات سنة ١٤٧ هـ — ٧٦٤ م .

ولما استراح المنصور من عبد الله على يد ابي مسلم وجه همته الى خصمه الثاني ابي مسلم لانه أصبح صاحب الشوكة والسلطان في الدولة ، فصمم على الفتك به وما زال يترقب الفرص حتى تم له ما أراد وفتك بابي مسلم .

وقمع المنصور ثورة معانديه ومخالفيه من آل البيت كمحمد بن عبد الله وبني الحسن بن علي وابراهيم بن عبد الله ، ووطد دعائم الملك بعد ان كاد يذهب من آل العباس قبل ان يستقر .

وقد هرب في عهد المنصور عبد الرحمن بن معاوية بن هشام الى بلاد الاندلس وأسس بها الدولة الاموية الثانية ، ولم يتسم عبد الرحمن بامير المؤمنين بل تسمى بالامير فقط ، وهذه اول بلاد اقتطعت من الخلافة الاسلامية الكبرى بالمشرق .

وقد حصلت حروب بين المسلمين والروم غير انها لم تكن الا غارات لم يقصد بها فتح بل كان كل من الطرفين ينتهز الفرصة فيجتاز حدود عدوه ، ثم يعود الى مقره ثانية ، ولم تكن المصالحات يطول زمنها .

* * *

المهدي :

تولى المهدي الملك بعد وفاة ابيه المنصور سنة ١٥٨ هـ — ٧٧٥ م ، والخلافة العباسية قد توطدت ، فأمر باطلاق من كان في سجن المنصور الا من كان متهماً بقتل

او كان معروفا بالسعي في الارض بالفساد ، وبعبارة أخرى أطلق الذين كان جرمهم سياسياً ، اما ارباب الجنايات والمحبوسون لحقوق مدنية فانهم ظلوا في حبسهم .

وكانت العلاقة بين الخلافة المشرقية ببغداد وبين امير الاندلس سيئة ، ولكن الشقة بين الطرفين بعيدة لم تمكنهما من المقاتلة ، بل اكتفيا بمعاداة احدهما الآخر .

واما العلاقات بين المهدي وبين ملك الروم فكانت سيئة ايضاً فلم تكن الغارات من الطرفين تنقطع بل كانت الصوائف من طرف المسلمين كما كانت الغارات من ملك الروم ، وكانت الحروب براً وبحراً .

وغزا المسلمون في عهد المهدي الهند فمضوا حتى أتوا باربد ففتحوها عنوة واقاموا بها فأصابتهم أمراض مات بسببها نحو الف ، ثم انصرفوا حين امكنهم الانصراف حتى بلغوا ساحلا من فارس يقال له بحر حمران ، فعصفت عليهم الريح فكسرت عامة مراكبهم فغرق بعضهم ونجا بعض ، ويظهر ان هذه الغزوة ليست الا اغارة لا عملا يقصد به توسيع المملكة .

* * *

الهادي :

ارتقى عرش الخلافة بعد وفاة ابيه المهدي سنة ١٦٩ هـ ــ ٧٨٥ م ، وفي عهده خرج عليه بالمدينة الحسين بن علي بن الحسن المثلث ، ولما انتهى الخبر الى الهادي امر محمد بن سليمان ان يسير لمحاربة الحسين ، فلقيه بفخ ، وكانت عاقبة الوقعة ان قتل الحسين وجماعة ممن معه ، وافلت من الموقعة رجلان لهما تاريخ جليل ، وهما ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب ، وهو مؤسس دولة الادارسة بالمغرب الاقصى ، والثاني اخوه يحيى بن عبد الله الذي ذهب الى بلاد الديلم .

* * *

الرشيد :

بويع الرشيد بالخلافة بعد موت أخيه الهادي سنة ١٧٠ هـ ــ ٧٨٦ م ، وقد

وصلت الدولة العباسية الى افخم درجاتها صولة وسلطـانا وثروة وعلماً وأدباً ، وازدان عهده برجال الادارة والحرب فعظمت الهيبة في الداخل والخارج .

استمال الرشيد قلوب بني طالب بشيء من الاحسان ، فرفع الحجر على من كان منهم ببغداد ، ولكن لم يمض الا زمن يسير حتى خرج عليه يحيى بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب ، وذهب الى بلاد الديلم فاشتدت شوكته بها وقوي امره ، ولما علم الرشيد بذلك ندب الى قتاله الفضل بن يحيى بن خالد ، فلم يكن من يحيى الا ان أجاب الى الصلح على ان يكتب له الرشيد اماناً فكتب له ذلك ، ولم يترتب على خروج يحيى هذا انفصال شيء من جسم الخلافة .

ولما هرب ادريس بن عبد الله بن الحسن اخو يحيى من وقعة فخ سار الى مصر ومنها اتجه الى بلاد المغرب فكوّن هناك اول خلافة للعلويين وهي دولة الادارسة .

وقتل الرشيد البرامكة ونكبهم ، ولم يكن هذا الامر بدعاً في الدولة العباسية فان للمنصور والمهدي سلفاً في ذلك .

وغزا الرشيد الروم غزوات كثيرة انتصر في اكثرها نصراً عظيماً واخذ منهم الخراج والجزية .

وارسل شارلمان سفراء الى بغداد يستجلبون رضا الرشيد ، وكان لشارلمان غرض من مصافاة الرشيد ، وهو اضعاف الدولة الاموية بالاندلس وليكون له اسم كبير في الديار الشرقية ، ولتكون درجته فوق درجة نقفور ملك القسطنطينية ، ولما فاز رسل شارلمان برضا الرشيد سُرَّ بذلك وعده فوزاً .

* * *

الامين :

لما مات ابوه الرشيد بطوس بويع للامين في عسكر الرشيد بالخلافة سنة ١٩٣ هـ ـ ٨٠٩ م ، ووصل الخبر الى بغداد فبايعه الخاصة والعامة .

كانت المدة التي وليها الامين مملوءة بالمشاكل والاضطرابات بين الاخوين الامين والمأمون كادت الامة تذهب ضياعاً ، وبعد وقعات ومناوشات حربية قتل الامين وصفا الجو للمأمون .

المأمون :

وبعد قتل الامين سنة ١٩٨ هـ ـ ٨١٣ م ، ابتدأ سلطان المأمون الحقيقي ، وتجلت مزاياه العاليه ، فساس الامة سياسة لين لايشوبها ضعف ، وقوة لايشوبها عنف ، واخذت بغداد تستعيد نضرتها التي كانت لها في عهد ابيه ، وعظمت بها الحركة العلمية لما كان من ميل المأمون الشديد الى تقوية تلك الحركة .

وأراد المأمون نقل الخلافة الى بني علي وان يجعلها في رجل يصلح لها لتبرأ ذمته ، فاعتبر أحوال أعيان البيتين العباسي والبيت العلوي ، فلم ير فيهما أصلح ولا افضل ولا اروع من علي بن موسى الرضا ، فعهد اليه وكتب بذلك كتاباً بخطه وألزم الرضا بذلك فامتنع ثم أجاب ووضع خطه في ظاهر كتاب المأمون ، فلما سمع العباسيون ببغداد ما فعل المأمون من نقل الخلافة من البيت العباسي الى البيت العلوي انكروا ذلك وخلعوا المأمون من الخلافة غضباً من فعله وبايعوا عمه ابراهيم ابن المهدي ، في ايام كانت الفتن ووقائع الحروب بالغة مبلغها ، فلما بلغ المأمون ذلك ورأى انكار الناس ببغداد لما فعله كتب الى بني العباس ببغداد يقول لهم : ان الذي انكرتموه من امر علي بن موسى قد زال وان الرجل مات فأجابوه أغلظ جواب ، ثم سار المأمون الى بغداد فوصلها وقد هرب ابراهيم بن المهدي ، فلما دخل البلدة تلقاه العباسيون وكلموه في ترك لباس الخضرة والعود الى السواد فأجابهم الى ذلك بعد ان امرهم بلبس الخضرة .

وخرج على المأمون محمد بن جعفر الصادق بمكة وبويع بالخلافة وسموه امير المؤمنين ، فارسل المأمون اليه عسكرا فكانت الغلبة له وظفر به المأمون وعفا عنه .

وخرج على المأمون ايضاً نصر بن شَبَث وكان عربياً شريفاً يميل الى محمد الامين ، فلما قتل الامين غضب ولا سيما لما رأى العنصر العربي قد انحط شأنه وصار معظم القواد والامراء من غيرهم فأظهر الخروج على السلطان وتغلب على ما جاوره من البلاد التي كان يسكنها وهي يكسوم شمالي حلب ، واجتمع عليه خلق كثير من الاعراب واهل الطمع وقويت نفسه وعبر الفرات الى الجانب الشرقي .

ولما علم المأمون بذلك ارسل طاهر بن الحسين الى محاربة نصر بن شبث فارسل

طاهر الى نصر يدعوه الى الطاعة وترك الخلاف فلم يجب ، فتقدم اليه طاهر ولقيه بنواحي يكسوم فاقتتلا هناك قتالاً عظيماً كان النصر حليف نصر مما قوى امره فكثر جمعه ، ثم كتب طاهر الى ابنه عبد الله وامره ان يسير الى محاربة نصر فضيق عليه حتى مال الى طلب الامان ، فكتب له المأمون كتاب امان ووجه بنصر الى المأمون.

وتحرك الزط وهم قوم من النور انتهزوا الفتنة التي كانت بين الامين والمأمون ، تجمعوا واستولوا على طريق البصرة ، ولما استقر المأمون ببغداد بعث عيسى بن يزيد الجلودي لحربهم ففرق جموعهم .

وأرسل المأمون الى محاربة بابك قواداً فحاربوه وقتلوا جمعاً كثيراً ممن كان معه، واوصى المأمون أخاه المعتصم حين أدركته المنية ان يحارب بابك ويكسر شوكته .

* * *

المعتصم :

بويع ابو اسحق محمد بن هارون الرشيد بعد وفاة اخيه المأمون سنة ٢١٨ هـ ٨٣٣ م .

خرج على المعتصم محمد بن القاسم بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ، فاجتمع اليه ناس كثير فاهتم بامره عبد الله بن طاهر امير خراسان ، وبعث له البعوث فكان بين الفريقين وقعات بناحية الطالقان وجبالها فهزم هو واصحابه فخرج هارباً يريد بعض كور خراسان ، فلما وصل أخذه عاملها واستوثق منه وبعث به الى عبد الله بن طاهر فارسل به الى المعتصم فحبس بسامرا .

وقهر المعتصم الزط حتى طلبوا منه الامان فأمنهم .

وأرسل المعتصم قواداً لمحاربة بابك واصحابه فقهرهم .

وغزا المعتصم عمورية ، وسبب هذه الغزوة ان ملك الروم خرج الى بلاد المسلمين فنهب حصناً من حصونهم يقال له زِبَطْرَة وقتل من به من الرجال وسبى الذرية والنساء ، ويقال انه كان في جملة السبي امرأة هاشمية فسمعت وهي تقول : وامعتصماه ، فبلغ المعتصم ما فعله ملك الروم بالمسلمين فاستعظمه وكبر عليه وبلغه

ما قالت الهاشمية فقال : وهو في مجلسه لبيكِ لبيكِ ، ونهض من ساعته وصاح في قصره الرحيل الرحيل ، ثم ركب دابته وامر العساكر بالتجهز ، فسار بجيش مجهز ، فظفر ببعض الروم فسأله عن أحصن مدنهم وأعظمها وأعزها عندهم ، فقال له الرومي : ان عمورية هي عين بلادهم فتوجه المعتصم اليها وحاصرها ، ثم فتحها ودخل اليها وقتل وسبى وأسر وبالغ في ذلك حتى هدم عمورية .

استكثر المعتصم من الاتراك واحضر منهم عددا واسكنهم بغداد واستغنى عن جيوش العرب وأسقطهم من الدواوين ، واتى بكثير من الفراعنة والاشروسنية ، واشتهر من هؤلاء قواد اصطنعهم المعتصم ورفع من أقدارهم وجعل بيدهم مستقبل الخلافة العباسية .

والمعتصم وحده يتحمل اكثر تبعة ما حل بالعباسيين من بعده من اضطراب امرهم وضعف سلطانهم وما حل بالامة العربية من غلبة هذه العناصر الغريبة على امرها .

ان المعتصم لم يكن بعيد النظر في العواقب وانما كان شجاعاً صبوراً يحب الشجعان ويعتز بهم مهما كان شأنهم سواء كان يهمهم شأن الدولة وبقائها ام لا ، وهذا خطأ عظيم يحط بقدر الدول وينزلها من عظمتها .

* * *

الواثق

وملك بعد المعتصم ابنه ابو جعفر هارون الواثق بالله سنة ٢٢٧ هـ ـ ٨٤٢ م ، ولما ولي الخلافة أحسن الى بني عمه الطالبيين وبرهم ، ولم يقع في أيامه من الفتوح الكبار والحوادث المشهورة ما يؤثر .

* * *

المتوكل :

تولى الخلافة بعد اخيه الواثق سنة ٢٣٢ هـ ـ ٨٤٧ م ، كان المتوكل شديد الكره لآل علي لان جماعة اشتهروا ببغض علي فكانوا يحملون المتوكل على الوقيعة بهم .

ومن آثار تلك الكراهة انه امر سنة ٢٣٧ هـ ـ ٨٥١ م بهدم قبر الحسين بن علي بكربلاء وهدم ما حوله من المنازل والدور ليمنع الناس من اتيانه .

وكان الجيش على عهد المتوكل كما كان عليه في مدة الواثق والمعتصم ، وكلما قدم العهد زاد الاتراك نفوذاً وقوة ، وقد أحس المتوكل بنفوذ الاتراك في الدولة واستبدادهم باموال الخلافة وادارتها وجيشها فأحب ان يضعف شوكتهم ويقلل من نفوذهم .

ثم عزم على نقل عاصمة الملك الى دمشق فشخص اليها ونقل دواوين الملك وامر بالبناء ، فتحرك الاتراك ظانين انه يريد ان يستعين بسلطان العرب عليهم حيث اختار بلاد الشام ، فامر المتوكل بما ارضاهم ولم يمكث بالبلاد الا قليلا ، ثم عاد الى سامرا .

وفي سنة ٢٣٨ هـ ـ ٨٥٢ م أغار الروم على مصر من جهة دمياط ، وكان امير مصر قد أمر حاميتها ان يحضروا اليه بالفسطاط ، فلما جاءهم الروم بمراكبهم لم يجدوا بها حامية ، فدخلوا البلد وعاثوا فيه وأحرقوا دوره والمسجد الجامع وسبوا كثيراً من نساء المسلمين واهل الذمة وأخذوا ما وصلت اليه ايديهم من المغانم ، ثم عادوا الى بلادهم .

وفي عام ٢٤٢ هـ ـ ٨٥٦ م خرجت الروم حتى قاربوا آمد فانتهبوا عدة قرى واسروا عدداً عظيماً من الاهلين ، ثم انصرفوا راجعين الى بلادهم .

وفي سنة ٢٤٤ هـ ـ ٨٥٨ م وجه المتوكل بغا من دمشق لغزو الروم فغزا الصائفة وافتتح صملة .

وفي سنة ٢٤٥ هـ ـ ٨٥٩ م اغارت الروم على سميساط فقتلوا وسبوا ، وغزا علي بن يحيى الارمني الصائفة .

وفي آخر عهد المتوكل ابتدأت الدولة اليعفرية بصنعاء أسسها يعفر بن عبد الرحيم وكان ابتداء استقلالها سنة ٢٤٧ هـ ـ ٨٦١ م .

ولم تكن قلوب كبار الاتراك مطمئنة الى المتوكل واستعانوا بابنه المنتصر فدخلوا

القصر وسيوفهم مسلولة ، والمتوكل قد اخذ منه الشراب فابتدره احدهم بضربة وثنى عليه باخرى كانت القاضية ، وكان قتله سنة ٢٤٧ هـ ـ ٨٦١ م وكانت الحادثة اول ثمرة لغرس المعتصم .

* * *

المنتصر :

بويع للمنتصر بالخلافة في الليلة التي قتل فيها ابوه المتوكل سنة ٢٤٧ هـ ـ ٨٦١م وبقتل المتوكل زادت الاتراك قوة في الدولة على قوتهم لان ايديهم امتدت الى حياة الخلفاء فانشبوا أظافرهم بذلك في جسم الدولة .

ولما ولي الخلافة اخذت نفسه توبخه وتقرعه على عمله حتى أسقم ذلك بدنه وأذل نفسه فحم ، ويقال ان الاتراك قد دسوا الى طبيبه ريشة مسمومة ثم فصده بها فمات .

* * *

المستعين :

ولما مات المنتصر اجتمع الامراء واكابر المماليك وقالوا : متى ولينا احداً من ولد المتوكل طالبنا بدمه وأهلكنا ، فأجمعوا على مبايعة المستعين وذلك سنة ٢٤٨هـ ـ ٨٦٢م وقالوا : هو ابن ابن مولانا المعتصم فاذا بايعناه لم تخرج الخلافة من ولد المعتصم فبايعوه .

وخرج على المستعين يحيى بن عمر .... بن الحسين بالكوفة فاستولى عليها وعلى بيت مالها ، فأرسل المستعين الى محاربته محمد بن عبد الله بن طاهر فحاربه وبعد وقعات دارت بين الطرفين قتل يحيى وارسل رأسه الى المستعين بسامرا وانهزم جنده .

وخرج على المستعين الحسن بن زيد .... بن الحسن بن علي بنواحي طبرستان وقد نجح الحسن في تكوين دولة تعرف بالدولة الزيدية بطبرستان واقتطع من ملك بني العباس أو آل طاهر طرفاً عظيماً تحميه جبال طبرستان والديلم .

واما الحال في الخارج فكان اعظم اضطراباً لان الاضطراب الحادث في الداخلية كان سبباً في تقاعد اولي الامر عن حماية الثغور والوقوف في وجه الروم الذين كانوا ينتظرون مثل هذه الفرصة ليحاربوا المسلمين وينتصروا في اكثر الوقائع .

* * *

المعتز :

بويع المعتز محمد بن المتوكل بالخلافة سنة ٢٥٢ هـ ـ ٨٦٦ م بعد ان خلع الاتراك المستعين لان امر تنصيب الخليفة وخلعه كان بيد الاتراك .

قال ابن الطقطقي : ان الاتراك كانوا قد استولوا منذ قتل المتوكل على المملكة واستضعفوا الخلفاء فكان الخليفة في يدهم كالاسير ان شاؤا خلعوه وان شاؤا قتلوه (١) .

استخلف المعتز ، وأحوال الجند والاتراك على شر ما يكون ، فهم اصحاب السلطان والنفوذ ، وهم فيما بينهم مختلفون اذ لا يد فوق ايديهم تقف كلاً منهم عند حده ولا حيلة للخليفة الا مراعاة جانبهم حيناً ، واعمال الحيلة والدسائس حيناً ومثل هذا يفعل كل من سلب سلطانه ولا قدرة له على استرداده .

وفي ايام المعتز ظهر يعقوب بن الليث الصفار واستولى على فارس وجمع جموعاً كثيرة ، ولم يقدر المعتز على مقاومته .

واخيراً ثار الاتراك على المعتز وطلبوا منه مالاً فاعتذر اليهم وقال ليس في الخزائن شيء فاتفقوا على خلعه وقتله وتم لهم ما ارادوا .

* * *

المهتدي :

بويع بالخلافة محمد المهتدي بالله بن هارون الواثق بن المعتصم بعد ان خلع المعتز نفسه سنة ٢٥٥ هـ ـ ٨٦٩ م .

وتغير الجند في زمن المهتدي على قوادهم الذين أقطعوا ضياعاً كثيرة ولم يلتفتوا

(١) الفخري في الآداب السلطانية ـ لابن الطقطقي ـ طبعة اوربا .

الى اصلاحها فخربت وأدى ذلك الى نقصان الخراج حتى لم يكن عند الخليفة ما يسد به حاجة الجند ، وكانت هذه الشكوى بدء انقلاب جديد لو وجدت خليفة قوية ينتفع بهـا .

كانت تلك الحال فرصاً لخلاص المهتدي من سيادة القواد الاتراك فلم يفعل ، بل كان ظاهره مع الرؤساء وباطنه مع الجنود ، ويظهر انه أراد استعمال الحيلة في الخلاص منهم وأرسل لمحاربتهم ، ولما علم الاتراك خبره جاؤا اليه وقبضوا عليه وحملوه الى داره مهاناً ، ثم خلعوه لما ابى ان يخلع نفسه .

* * *

المعتمد :

بويع المعتمد بالخلافة سنة ٢٥٦ هـ ـ ٨٧٠ م ، وكان المعتمد مستضعفاً وكان اخوه الموفق طلحة الناصر هو الغالب على اموره ، وكانت دولة المعتمد دولة عجيبة الوضع كان هو واخوه طلحة كالشريكين في الخلافة : للمعتمد الخطبة والسكة والتسمي بامرة امير المؤمنين ، ولاخيه طلحة الامر والنهي وقيادة العساكر ومحاربة الاعداء ومرابطة الثغور وترتيب الوزراء والامراء .

ادعى في عهد المعتمد رجل يقال له علي بن محمد زاعماً انه يتصل نسبه الى علي ابن ابي طالب ، فاستمال قلوب العبيد من الزنج بالبصرة ونواحيها فاجتمع اليه منهم خلق كثيرون وناس آخرون من غيرهم وعظم شأنه وقويت شوكته ، فخرج اليه طلحة بعساكر كثيرة وبعد وقعات كانت الغلبة للجيش العباسي وقتل صاحب الزنج وحمل رأسه الى بغداد .

وفي عهده ضاق نطاق الخلافة العباسية لان كثيراً من البلاد انفصلت عنها ، فكانت الدولة الصفارية بفارس وكرمان وسجستان وخراسان ، والدولة السامانية ببلاد ما وراء النهر ، والدولة الزيدية العلوية ، واقتطعت دولة احمد بن طولون برقة ومصر والشام .

واما الحالة الخارجية فكانت أتعس ، كانت الحدود الرومية محل اضطراب دائم يغير عليها الروم كل وقت فيجدون الدفاع عنها ضعيفاً وغلبوا كثيراً من الجيوش ،

ولم تتحسن الاحوال قليلا الا بعد ان اخذ ابن طولون مدينة طرطوس وعهد اليه حماية الثغور الشامية ، فتولى الغزو بجنوده المصرية والشامية ، وقد أوقع بالروم وقعة هائلة سنة ٢٧٠ هـ ــ ٨٨٣ م .

* * *

المعتضد :

ولي المعتضد الملك سنة ٢٨٩ هـ ــ ٨٩٢ م والمملكة العباسية خربة وثغورها مهملة ، فقام قياماً مرضياً حتى عمرت مملكته وكثرت الاموال وضبطت الثغور ، ساعده على ذلك هيبته وسياسته وشدته على اهل الفساد ، فكان حاسماً لاطماع عساكره عن اذى الرعية محسنا الى بني عمه من آل ابي طالب .

وخرج على المعتضد كثيرون منهم عمرو بن الليث فعظم شأنه وفخم امره واستولى على اكثر بلاد الفرس ، ثم ألقي القبض عليه وارسل الى المعتضد وقتل في اول خلافة المكتفي .

* * *

المكتفي :

بويع المكتفي بالخلافة سنة ٢٨٩ هـ ــ ٩٠٢ م وفي عهده انتكست البلاد بعد ان ان اخذت تنتعش في عهد ابي احمد الموفق وعهد ابنه المعتضد ، فقد بدأت المنافسات بين ذوي النفوذ من الدولة ، فكان احدهم يكيد للآخر شر كيد حتى يورده المهالك من غير نظر في ذلك الى ما تقتضيه مصلحة الامة .

وانتظمت في عهد المكتفي بلاد خراسان وما وراء النهر لاسماعيل بن احمد الساماني ، ولم يزل امره على ما هو عليه والمكتفي راض عنه .

واما العلاقات مع الروم فكانت في اول الامر حسنة حتى تبودلت الهدايا بين الملكين وحصل بينهما مفاداة .

واستفحل امر القرامطة في عهد المكتفي وهم قوم من الخوارج خرجوا وقطعوا الدرب على الحاج فسرح اليهم المكتفي جيوشاً كثيرة فأوقع بهم وقتل بعض زعمائهم .

* * *

المقتدر :

بويع المقتدر بالخلافة سنة ٢٩٥ هـ ـ ٩٠٨ م ، وفي عهده عظم امر القرامطة ، وكان عاملاً قوياً على اسقاط شأن الدولة وزد على ذلك ما كان من الاخلال بالامن في العراق والحجاز .

استولى رئيس القرامطة الحسن بن بهرام على هجر والاحساء والقطيف وسائر بلاد البحرين ، ثم خلفه ابنه فكانت له غزوات متتابعة الى جهة البصرة يريد الاستيلاء عليها .

واشتد في عهد المقتدر سلطان المستقلين عن المملكة العباسية : ففي الاندلس تسمى عبد الرحمن الناصر بامير المؤمنين ، وفي افريقية قامت الدولة العلوية ومحت الادارسة من المغرب الاقصى والاغالبة من افريقية ، وفي خراسان وما وراء النهر استقر ملك السامانية ، وفي الموصل ابتدأت دولة آل حمدان ، ولكن لم يتمكن سلطانهم في عهد المقتدر .

وأغار الروم سنة ٣٠٣ هـ ـ ٩١٥ م على ثغور المملكة وسبوا من فيها ، ولم يكن أمام الروم من الجيوش من يصدهم لانهم كانوا مشغولين برتق الفتوق الداخلية التي كانت متوالية .

وعلى الجملة فقد كانت خلافة المقتدر شراً على الدولة العباسية لانه حكم فيها النساء والخدم ، وبذر في الاموال تبذيراً ، وكان يعزل الوزراء ويولي غيرهم بما يقدم من الرشا له ولامه ولقهرمانته ولخدمه ، وظل على هذه الحال حتى قتل سنة ٣٢٠ هـ ـ ٩٣٢ م .

* * *

القاهر :

بويع القاهر بالخلافة سنة ٣٢٠ هـ ـ ٩٣٢ م ، كان القاهر مهيباً مقداماً على سفك الدماء أهوج ، محباً لجمع الاموال رديء السياسة ، صادر جماعة من امهات اولاد المقتدر وصادر أم المقتدر فعلقها برجل واحدة منكسة الرأس وعذبها بصنوف العذاب من الضرب والاهانة حتى ماتت بعد ايام قلائل ، وبكلمة أخرى قتل جمعاً غفيرا ،

ورأى الناس من شدة القاهر انهم لا يسلمون من يده وندم كل من أعانه من الجنود حيث لم ينفعهم الندم .

وفي سنة ٣٢٢ هـ خلع القاهر ، وسبب ذلك ان وزيره ابن مقلة كان قد استتر خوفاً منه فكان يفسد عليه قلوب الجند ويحذرهم منه وحسن لهم خلعه فهجموا عليه وخلعوه وسملوا عينيه حتى سالتا على خديه ، ثم حبس في دار السلطنة ومكث في الحبس مدة ثم أخرج منه ، وكان يحبس مرة ويفرج عنه اخرى .

* * *

الراضي :

بويع الراضي بالخلافة سنة ٣٢٢ هـ ـ ٩٣٤ م ، فاخذت حال الدولة العباسية في عهده تزيد ادباراً وانتكاساً واضطراباً ، وكانت مدته منازعات سياسية بين ارباب السلطان فكان كل منهم يود ان تكون له امارة الامراء ببغداد ، والاعداء ينتقصون كل يوم أطراف الخلافة حتى فقدت الهيبة ونفوذ الكلمة .

ومما زاد الامر ادباراً ظهور المنازعات الدينية ببغداد عاصمة الخلافة فقد ظهر بها الحنابلة وقويت شوكتهم ، وبذلك تجاوز النزاع الإمراء الى عامة الناس ، وقلما وجدت المنازعات الدينية بين قوم الا ذلوا وفشلوا .

وفي عهد الراضي ظهرت الدولة الاخشيدية بمصر على يد مؤسسها محمد الاخشيد بن طغج وهو من موالي آل طولون .

وفي ايام الراضي حدث اسم امير الامراء في بغداد وصار الى امير الامراء الحل والعقد والخليفة يأتمر بامره وليس له نفوذ الكلمة ولا سلطان الخلافة شيء .

* * *

المتقي :

بويع بالخلافة المتقي سنة ٣٢٩ هـ ـ ٩٤٠ م ، ولم يكن للمتقي من السيرة ما يؤثر واضطربت عليه الامور ، واستولى عليه رجل من امراء الديلم يقال له توزون ، فهرب المتقي ومعه ابنه واهله الى الموصل خوفاً على نفسه من حرب ، وقد حصل ما كان يترقبه ، فان فتناً استعرت نيرانها أدت الى نهب دار الخلافة واخذ ما كان بها .

ثم ان توزون كتب الى المتقي يستميله وحلف لـه ايماناً غليظـة انه لا يناله مكروه من جهته ، فاغتر المتقي بذلك وانحدر من الموصل حتى وصل الى السندية من نهر عيسى ، فخرج توزون الى تلقيه والناس كافة ، فلما رآه توزون قبل الارض وكان قداوصى جماعة من أصحابه سراً ان يحتاطوا به فاحتاطوا به وأدخلوه الى خيمته، ثم قبض عليه وسمل عينيه وخلعه وبايع المستكفي .

* * *

المستكفي :

بويع المستكفي بالخلافة سنة ٣٣٣ هـ ـ ٩٤٤ م ، وعهد المستكفي هذا كان تاريخ سقوط السلطان الحقيقي من ايديهم وصيرورة الخليفة منهم رئيساً دينياً لا أمر له ولا نهي ولا وزير ، وانمـا له كاتب يدير اقطاعاته واخراجاته لا غير وذلك سنـة ٣٣٤ هـ ـ ٩٤٥ م .

وتفرقت المملكة الاسلامية تفرقاً غريباً بين طوائف الملوك بعد ان كانت متماسكة الاعضاء ترجع كلها الى حاضرة كبرى تجمع أشتاتها .

ولم يمكث المستكفي في الخلافة بعد استيلاء معز الدولة الا اربعين يوماً وخلع لان معز الدولة اتهمه بالتدبير عليه .

* * *

بقية خلفاء بني العباس :

نرى ان لا نتوسع بذكر ما بقي من الخلفاء العباسيين لانهم أصبحوا كما علمنا خلفاء دينيين ليس لهم من امر الدنيا شيء ، مكتفين بذكر أسمائهم :

المطيع	٣٣٤ هـ	٩٤٦ م
الطائع	٣٦٣	٩٧٤
القادر	٣٨١	٩٩٢
القائم	٤٢٢	١٠٣١
المقتدي	٤٦٧	١٠٧٥
المستظهر	٤٨٧	١٠٩٤

المسترشد	٥١٢	١١١٨
الراشد	٥٢٩	١١٣٥
المقتفي	٥٣٠	١١٣٦
المستنجد	٥٥٥	١١٦٠
المستضيء	٥٦٦	١١٧٠
الناصر	٥٧٥	١١٨٠
الظاهر	٦٢٢	١٢٢٥
المستنصر	٦٢٣	١٢٢٦
المستعصم	٦٤٠	١٢٤٢

وفي عهد المستعصم سارت جيوش هولاكو الجرارة قاصدة بغداد ونزل بنفسه سنة ٦٥٦ هـ ــ ١٢٥٨ على باب بغداد وأعد عدة الحصار ولم يكن عند الخليفة ما يدفع به ذلك السيل الجارف واكتفى باقفال الابواب ، فجد المغول في القتال حتى ملكوا الاسوار بعد حصار لم يزد على عشرة ايام ، وبملك الاسوار تم لهم ملك البلد .

ولما رأى الخليفة ذلك استأذن ان يخرج الى هولاكو فأمره هولاكو ان ينزل باب كلواذي احد أبواب بغداد ، وشرعت جنوده في نهب تلك المدينة التي كانت حاضرة الاسلام كله ، ثم تقدم باحضار الخليفةفاحضره ومثل بين يديه وقدم لهولاكو جواهر نفيسة ولآليء ودرراً معباة في أطباق ، ففرق هولاكو ذلك على امرائه .

وفي رابع عشر من صفر سنة ٦٥٦ هـ ــ ١٢٥٨ م رحل عن بغداد واستصحب معه الخليفة ، وفي اول مرحلة قتله هو وابنه الاوسط مع ستة نفر من الخصيان ، وقتل ابنه الكبير ومعه جماعة من الخواص على باب كلواذي ، وبهذا القتل كسفت شمس الخلافة العباسية من بغداد بعد ان مكثت في دست الخلافة ٥٢٤ سنة .

اما بغداد دار الخلافة وعاصمة الملة فقد جرى عليها ما جرى على سواها من أمهات المدن الاسلامية فقد قتل معظم اهلها وقليل منهم من نجا .

الفصل الرابع

الدول الاسلامية

في الاندلس

دولة الامويين في الاندلس :

يقسم الحكم الاموي في الاندلس الى ثلاثة عهـود : الولاية ـ الامارة ـ الخلافة ، اما الولاية الاموية فقد بدأت بالفتح سنة ٩٢ ـ ٩٣ هـ ـ ٧١١ ـ ٧١٢ م وانتهت بامارة عبد الرحمن الداخل سنة ١٣٨ هـ ـ ٧٥٥ م ، واما عهد الامارة فبدأت سنة ١٣٨ هـ وانتهت سنة ٣١٥ هـ ـ ٩٢٧ هـ ، واما الخلافة الاموية فقد بدأت سنة ٣١٥ هـ ـ ٩٢٧ م وانتهت سنة ٤٢٢ هـ ـ ١٠٣١ م .

واول وال على الاندلس عبد العزيز ، وليها لابيه موسى بن نصير ، فثـار به العسكر وقتلوه لسنتين من ولايته ، وتتابعت ولاة الامويين عليهـا تارةً من قبل الخليفة بدمشق ، وطوراً من قبل عامله على القيروان ، وكأن مقتل الوالي الاول فتح باب اللدد على مصراعيه فظلت هذه الولاية مضطرباً للنزاع والصدام ، قل ان استقام فيها لوال امر او طال له حكم ، حتى نيف عدد الولاة في هذه الفترة من الزمن على بضعة وعشرين والياً .

والسبب في ذلك مطامع الرؤساء وتضارب الاهواء ، ونزعة العرب الى العصبية الجاهلية الاولى ، فقامت القيسية واليمنية تتنازعان السلطان ، والقيسية واليمنية حزبان كان لهما في تاريخ الاسلام الى أجل غير بعيد شأن خطير .

كان عامل الاندلس منقطعاً به في أقصى ثغور المسلمين ، بعيداً عن قلب الدولة ومادتها ، فكان لابد له من عصبة تؤيده في ولايته ، ففزع كل وال من ولاة هذا

العهد الى عصبية ، القيسي الى القيسية ، واليماني الى اليمنية ، والعصبية تقتضي الرجل ان ينصر أخاه ظالماً او مظلوماً ، فخرج الوالي عن ان يكون حاكماً عاما ، وأصبح زعيم عصبية يتصحب لذويه ويتحامل على أعدائهم ، فكان من جراء ذلك ان انشقت الجماعة وهاجت الاحقاد وتقدمت الناس باحزابها .

ومن طبيعة السياسة الحزبية ان تشتد معها العداوة وتستحكم البغضاء ، وان يتربص كل فريق بصاحبه وثبة يهتبلها منه فيدال له عليه ، القيسي من اليمني ، واليمني من القيسي ، وكان الامر بينهما دواليك ، وهُزل الامر حتى بلغ ان لايكون للوالي حكم نافذ الا على قومه ، الوالي القيسي يطيعه القيسيون وينحاز عنه اليمانيون ، واليماني يخضع له اليمنيون ويعصيه القيسيون .

وزاد هذا الخلاف امر أمية بالمشرق وتضعضع احوالهم فشغلوا عن قاصية الثغور بكثرة الخوارج ، فبقي اهل الاندلس فوضى ، فتن دائمة وولاية متداولة وحال لا تستقر من القلق .

واتفق جند الاندلس آخر الامر ان يجعلوا الولاية في القيسية واليمانية مداولة بين الجندين ، سنة لكل دولة ، فقدم المضريون على انفسهم سنة ١٢٩ هـ ـ ٧٤٧ م يوسف بن عبد الرحمن الفهري فاستتم ولايته بقرطبة ، ثم وافته اليمانية لميعاد ادالتهم واثقين بمكان عهدهم وتراضيهم واتفاقهم ، فبيتهم يوسف في قرى قرطبة بممالأة القيسية وسائر المضرية ، فاستلحموهم وتمت الغلبة للقيسية في معظم انحاء الجزيرة.

شغلت الفتن ولاة الامويين عن الفتح فلم تنهض بهم همة اليه ، الا ما كان من فتوح عبد العزيز بن موسى ، وعقبة الذي جاهد حتى بلغ سكنى المسلمين في ايامه اربونة وصار رباطهم على نهر ردونة ، والهيثم بن عبيد الكلابي غزا مقوشة فافتتحها ، والسمح بن مالك الخولاني نهض بالفتح الى جنوبي فرنسا ، وعنبسة بن سحيم مات وقيل قتل وهو على حصار تولوسة (تولوز) ، وعبد الرحمن بن عبد الله الغافقي فتح قرقشونةوغيرها من جنوبي فرنسا ، واستولى على ارل وليون وبزانسون وانتهى الى تور ، وعبد الملك بن قطن الفهري غزا البشنكش (البسكة) ، واكثر هؤلاء كان جهادهم في العدو اقرب بنتيجته الى الغزو منه الى الفتح .

واما موقف الاسبان ازاء العرب فقد كان لفتح الاندلس امر خطير كان له دوي كبير ، فأصبح اسم العرب ملء الاسماع والابصار ، فانصدعت من جراء ذلك قلوب الاسبان وصغرت نفوسهم عن مقاومة العرب اول الامر فلم يشجعهم هذا الخلاف الذي نجم بين العرب على منازلتهم وعهدهم بالفتح وبيأس العرب قريب ، واخرى وهي ان العرب كانوا في حكمهم أعدل من الاسبان ، فلم يكن ينال الاسبان الذين تفيأوا ظل الحكم الاسلامي وبقوا على نصرانيتهم شيء من الظلم الذي كان ينالهم ايام حكم امرائهم المسيحيين ، وللعدل روعة في النفوس وجلال حمل اولئك الاسبان الجبليين الذين اعتصموا بتلك الولايات الجبلية ان يتربصوا الى حين .

ولما كثر بين العرب الخلاف واستحكم امره ، وكان قد مضى على الفتح ردح من الزمن اخذ الاسبان يتحيفون أطراف الملك العربي فتغلبوا على جزء من بلاد برشلونة، ثم على برشلونة ، وهذا الذي استخلصوه من العرب ان لم يكن شيئاً مذكوراً بالنسبة الى الجزيرة ، فهو شيء كبير بنفسه .

واما عهد الامارة الاموية فكان خير العهود التي عرفتها الاندلس العربية ، فقد كان فاتحته عبد الرحمن الداخل وواسطته عبد الرحمن الاوسط وخاتمته عبد الرحمن الناصر : ثلاثة لا ندري أيهم أفضل من صاحبيه ، فكانوا رجال أمية في الغرب غير منازعين ولا مدافعين ، ومن رجالات الدهاء والحزم والسياسة في العرب .

واخذت الامور بعد عبد الرحمن الاوسط بالضعف ، فاضطرب الامن ونجمت قرون الفتن في ثغور الاندلس ، واشتعلت الثورات في جوانبها حتى كادت تعمها لولا ان قيض الله لهذه الجزيرة عبد الرحمن الناصر فقفأ عين الثورة ونظم عقد الدولة وأعاد الجزيرة سيرتها الاولى .

واما موقف الاسبان أمام هذه الفتن الاخيرة فقد قوت هذه الفتن من عزائم الاسبان وزاد في الامر نصرة الافرنج لهم ، واستنصار بعض الامراء بهم ، فكثر اعتداؤهم على الاندلس العربية وعملوا على التدخل في سياستها الداخلية ، ينصرون الامير الاموي على أخيه الاموي ، والعامل على اميره ، فاسترجعوا من جراء ذلك قسماً كبيراً من ولاية قطالونية .

واما الخلافة فقام في عهد المقتدر العباسي رجل الدولة الاموية عبد الرحمن الناصر وتسمى باسم امير المؤمنين لانه لم يعد هناك ما يراعيه رجال الدولة الاموية من امر الخلافة الاسلامية ببغداد لانحطاط شأنها ولعب الفساد بها .

كان عبد الرحمن الناصر أعظم خلفاء بني امية في الاندلس ، حارب الفرنجة مراراً وردهم على أعقابهم ، واجتث جذور الفتن حتى استقامت له الاندلس في سائر جهاتها .

قال المقري : ووجد (الناصر) الاندلس مضطربة بالمخالفين مضطرمة بنيران المتغلبين فأطفأ تلك النيران واستنزل أهل العصيان واستقامت له الاندلس في سائر جهاتها بعد نيف وعشرين سنة من ايامه ، ودامت ايامه نحو خمسين سنة استفحل فيها ملك بني أمية بتلك الناحية ، وهو اول من تسمى منهم بالاندلس بأمير المؤمنين عندما التاث أمر الخلافة بالمشرق واستبد موالي الترك على بني العباس ــ فتلقب بالقاب الخلافة ــ فقعد عن الغزو بنفسه وصار يردد الصوائف في كل سنة فأوطأ عساكر المسلمين من بلاد الافرنج ما لم يطؤه قبل في ايام سلفه ، ومدت اليه أمم النصرانية من وراء الدورب يد الاذعان ، وأوفدوا عليه رسلهم وهداياهم من رومة والقسطنطينية في سبيل المهادنة والسلم الخ [1] .

وبهشام الثالث انقرضت دولة بني أميــة في الاندلس وصــار الحكم لملوك الطوائف بها .

* * *

طوائف الملوك في الاندلس :

قال المقري : بايع الوزير ابو محمد جهور بن محمد بن جهور عميد الجماعة وكبير قرطبة لهشام بن محمد اخي المرتضى ، وكان بالثغر في لاردة عند ابن هود ، وذلك سنة ثمان عشرة وتلقب المعتمد بالله ، وأقام مترددا في الثغر ثلاثة أعوام ، واشتدت الفتن بين رؤساء الطوائف واتفقوا على ان ينزل دار الخلافة بقرطبــة فاستقدمه ابن جهور والجماعة ، ونزل آخر سنة عشرين وأقام بها يسيراً ، ثم خلعه

(١) نفح الطيب ــ للمقري ج١

الجند سنة اثنتين وعشرين وفر الى لاردة فهلك بها سنة ثمان وعشرين ، وانقطعت الدولة الاموية من الارض وانتشر سلك الخلافة بالمغرب وقام الطوائف بعد انقراض الخلائف وانتزى الامراء والرؤساء من البربر والعرب والموالي بالجهات واقتسموا خطتها ، وتغلب بعضهم على بعض ، واستقل اخيراً بامرها منهم ملوك استفحل امرهم وعظم شأنهم وأقاموا على ذلك برهة من الزمان حتى قطع عليهم البحر ملك العدوة وصاحب مراكش امير المسلمين يوسف بن تاشفين فخلعهم وأخلى منهم الارض [1] .

وقال المراكشي في المعجب : واما حال سائر الاندلس بعد اختلال دعوة بني أمية فان اهلها تفرقوا فرقاً وتغلب في كل جهة منها متغلب وضبط كل متغلب منهم ما تغلب عليه ، تقسموا ألقاب الخلافة فمنهم من تسمى بالمعتضد وبعضهم تسمى بالمأمون وآخر تسمى بالمستعين والمقتدر والمعتصم والمعتمد والموفق والمتوكل الى غير ذلك من الالقاب الخلافية ، وفي ذلك يقول ابو علي الحسن بن رشيق :

مما يزهد في ارض اندلس سماع مقتدر فيها ومعتضد
القاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخاً صولة الاسد [2]

انقسمت الاندلس في أوائل القرن الخامس من الهجرة وأصبحت ممالك صغيرة يتولاها رؤساء وامراء .

ان انقسام الاندلس على هذه الصورة وانقسام اولئك الملوك على أنفسهم الذين اخذوا يتنازعون ويتغالبون فيما بينهم ، دعا كل ذلك الافرنج ان يطمعوا بهم ويغيروا عليهم ، حتى ضاق العبابدة ذرعاً في حرب الفونس دي ليون فاستنجدوا ملوك المرابطين من المغرب سنة ٤٧٩ هـ ـ ١٠٨٦ م ، ثم عاد المرابطون بعد بضع سنين ففتحوا الاندلس وجعلوها أيالة تابعة لمملكتهم في المغرب .

ولما صارت المغرب الى الموحدين صارت اليهم الاندلس سنة ٥٤٠ هـ ـ ١١٤٥ م ونشأت في اثناء ذلك ممالك صغيرة في بلنسية ومرسية أهمها الدولة النصرية في غرناطة أصحاب الحمراء حكموا من سنة ٦٢٩ ـ ٨٩٧ هـ و ١٢٣٢ ـ ١٤٩٢ م ،

---

(١) نفح الطيب ـ للمقري ج١
(٢) المعجب ـ لعبد الواحد بن علي التميمي المراكشي

وزهت الاندلس في ايامهم وظهر فيها الشعراء والادباء نحو ما كانت عليه في ايام عبد الرحمن الناصر ، لكن الاسبان ما زالوا يهاجمون المسلمين ويناوئونهم وهم يدافعونهم الى اواخر القرن التاسع للهجرة فهاجمها فرديناند وايزبلا سنة ٨٩٧ هـ ١٤٩٢ م ففر ملكها ابو عبد الله آخر ملوكها وانقضت بفراره دولة المسلمين في الاندلس على أسوأ حال .

* * *

« أمراء بني أمية في الاندلس »

عبد الرحمن الاول	١٣٨ هـ — ٧٥٦ م
هشام الاول	١٧٢ هـ — ٧٨٨ م
الحكم الاول	١٨٠ هـ — ٧٩٦ م
عبد الرحمن الثاني	٢٠٦ هـ — ٨٢٢ م
محمد الاول	٢٣٨ هـ — ٨٥٢ م
المقتدر	٢٧٣ هـ — ٨٨٦ م
عبد الله بن محمد	٢٧٥ هـ — ٨٨٨ م

« خلفاء بني أمية في الاندلس »

عبد الرحمن الثالث	٣٠٠ هـ — ٩١٢ م
الحكم الثاني المستنصر	٣٥٠ هـ — ٩٦١ م
هشام الثاني المؤيد	٣٦٦ هـ — ٩٧٦ م
محمد الثاني المهدي	٣٩٩ هـ — ١٠٠٩ م
سليمان المستعين	٤٠٠ هـ — ١٠٠٩ م
محمد الثاني (مرة ثانية)	٤٠٠ هـ — ١٠١٠ م
هشام الثاني (مرة ثانية)	٤٠٣ — ٤٠٧ هـ — ١٠١٣ — ١٠١٦ م
سليمان المستعين (مرة ثانية)	٤٠٣ — ٤٠٧ هـ — ١٠١٣ — ١٠١٦ م
عبد الرحمن الرابع المرتضى	٤٠٩ هـ — ١٠١٨ م
عبد الرحمن الخامس المستظهر	٤١٤ هـ — ١٠٢٣ م

محمد الثالث المستكفي ٤١٤ هـ ـ ١٠٢٤ م
هشام الثالث المعتمد ٤١٨ـ٤٢٢هـ ـ ١٠٢٧ـ١٠٣١م

« الدولة الزيرية في غرناطة »

زاوي بن زيري ٤٠٣ هـ ـ ١٠١٢ م
حسون ٤١٠ هـ ـ ١٠١٩ م
باديس بن حسون المظفر ٤٣٠ هـ ـ ١٠٣٨ م
عبد الله بن سيف بلكين ٤٦٦ هـ ـ ١٠٧٣ م
تميم بن بلكين ٤٨٣ هـ ـ ١٠٩٠ م

« دولة بني حمود في مالقة »

علي الناصر ٤٠٧ هـ ـ ١٠١٦ م
القاسم المأمون ٤٠٨ هـ ـ ١٠١٨ م
يحيى المعتلي ٤١٢ هـ ـ ١٠٢١ م
القاسم (مرة ثانية) ٤١٣ هـ ـ ١٠٢٢ م
يحيى (مرة ثانية) ٤١٦ هـ ـ ١٠٢٥ م
ادريس المتأيد ٤٢٧ هـ ـ ١٠٣٥ م
حسان المستنصر ٤٣١ هـ ـ ١٠٣٩ م
ادريس الثاني العلي ٤٣٤ هـ ـ ١٠٤٢ م
محمد الاول المهدي ٤٣٨ هـ ـ ١٠٤٦ م
ادريس الثالث الموفق ٤٤٤ هـ ـ ١٠٥٢ م
ادريس الثاني (مرة ثانية) ٤٤٥ هـ ـ ١٠٥٣ م
محمد الثاني المستعلي ٤٤٦ـ٤٤٩ هـ ١٠٥٤ـ١٠٥٧ م

« ملوك دانية »

مجاهد بن يوسف ٤٠٨ هـ ـ ١٠١٧ م
علي اقبال الدولة بن مجاهد ٤٣٦ـ٤٦٨ هـ ١٠٤٤ـ١٠٧٥م

« الدولة التجيبية والهودية في سرقسطة »

منذر المنصور بن مطرف بن يحيى التجيبي
٤١٠ هـ ـ ١٠١٩ م

يحيى بن المظفر بن منذر ٤١٤ هـ ـ ١٠٢٣ م

المنذر بن يحيى ٤٢٠ هـ ـ ١٠٢٩ م

سليمان المستعين بن هود ٤٣١ هـ ـ ١٠٣٩ م

احمد سيف المقتدر ٤٣٨ هـ ـ ١٠٤٦ م

يوسف المؤتمن بن احمد ٤٧٤ هـ ـ ١٠٨١ م

احمد المستعين بن يوسف ٤٧٨ هـ ـ ١٠٨٥ م

عبد الملك بن احمد ٥٠٣ هـ ـ ١١٠٩ م

احمد يوسف بن عبد الملك ٥١٣ ـ ٥٣٦ هـ ١١١٩ ـ ١١٤١ م

« الدولة العامرية في بلنسية »

عبد العزيز المنصور ٤١٢ هـ ـ ١٠٢١ م

عبد الملك المظفر ٤٥٣ ـ ٤٥٧ هـ ١٠٦١ ـ ١٠٦٥ م

ابو بكر بن عبد الملك ٤٦٨ هـ ـ ١٠٧٥ م

عثمان بن ابي بكر ٤٧٨ هـ ـ ١٠٨٥ م

« دولة بني عباد في اشبيلية »

ابو القاسم محمد الاول بن اسماعيل ٤١٤ هـ ـ ١٠٢٣ م

ابو عمرو عباد المعتضد ٤٣٤ هـ ـ ١٠٤٢ م

ابو القاسم محمد الثاني المعتمد
٤٦١ ـ ٤٨٤ هـ ١٠٨٨ ـ ١٠٩١ م

« الدولة الجهورية في قرطبة »

ابو الحزم جهور ٤٢٢ هـ ـ ١٠٣١ م

ابو الوليد محمد بن جهور ٤٣٥ هـ ـ ١٠٤٣ م

عبد الملك بن محمد ٤٥٠ـ٤٦١ هـ ١٠٥٨ـ١٠٦٨ م

« دولة بني ذي النون في طليطلة »

اسماعيل الظافر ٤٢٧ هـ ـ ١٠٣٥ م

يحيى المأمون بن اسماعيل ٤٢٩ هـ ـ ١٠٣٧ م

يحيى القادر بن اسماعيل بن مأمون

٤٦٧ـ٤٧٨ هـ ١٠٧٤ـ١٠٨٥ م

« دولة بني حمود في الجزيرة الخضراء »

محمد المهدي ٤٣١ هـ ـ ١٠٣٩ م

القاسم الواثق ٤٤٠ـ٤٥٠ هـ ١٠٤٨ـ١٠٥٨ م

« الدولة النصرية »

محمد الاول الغالب ٦٢٩ هـ ـ ١٢٣٢ م

محمد الثاني ٦٧١ هـ ـ ١٢٧٣ م

محمد الثالث ٧٠١ هـ ـ ١٣٠٢ م

ناصر ابو الجيوش ٧٠٨ هـ ـ ١٣٠٩ م

اسماعيل الاول ابو الوليد ٧١٣ هـ ـ ١٣١٤ م

محمد الرابع ٧٢٥ هـ ـ ١٣٢٥ م

يوسف ابو الحجاج ٧٣٣ هـ ـ ١٣٣٣ م

محمد الخامس ٧٥٥ هـ ـ ١٣٥٤ م

اسماعيل الثاني ٧٦٠ هـ ـ ١٣٥٩ م

محمد السادس ابو سعيد ٧٦١ هـ ـ ١٣٦٠ م

محمد الخامس (مرة ثانية) ٧٦٣ هـ ـ ١٣٦٢ م

يوسف الثاني ٧٩٣ هـ ـ ١٣٩١ م

محمد السابع ٧٩٤ هـ ـ ١٣٩٢ م

يوسف الثالث

ابو الحجاج الناصر	٨١٠ هـ ـ ١٤٠٧ م
محمد الثامن	٨٢٠ هـ ـ ١٤١٧ م
محمد التاسع	٨٣١ هـ ـ ١٤٢٧ م
محمد الثامن (مرة ثانية)	٨٣٣ هـ ـ ١٤٢٩ م
يوسف الرابع	٨٣٥ هـ ـ ١٤٣٢ م
محمد الثامن (مرة ثالثة)	٨٣٥ هـ ـ ١٤٣٢ م
محمد العاشر	٨٤٨ هـ ـ ١٤٤٤ م
المستعين	٨٤٩ هـ ـ ١٤٤٥ م
محمد العاشر (مرة ثانية)	٨٥٠ هـ ـ ١٤٤٦ م
المستعين (مرة ثانية)	٨٥٧ هـ ـ ١٤٥٣ م
علي ابو الحسن	٨٦٦ هـ ـ ١٤٦١ م
محمد الحادي عشر	٨٨٧ هـ ـ ١٤٨٢ م
علي ابو الحسن (مرة ثانية)	٨٨٨ هـ ـ ١٤٨٣ م
محمد الثاني عشر	٨٩٠ هـ ـ ١٤٨٥ م
محمد الحادي عشر	
(مرة ثانية)	٨٩٢ـ٨٩٧ هـ ١٤٨٦ـ١٤٩٢ م

الفصل الخامس

الدول الاسلامية

في المغرب

حكم المغرب دول او دويلات ، وامتد سلطان بعضهم الى الاندلس وصقلية وأسس بعضهم عدة نزلات اسلامية على سواحل البحر الابيض الخ .. كبني الاغلب والادارسة والمرابطين والموحدين وبني مرين وغيرهم .

* * *

الادارسة :

ظهر من العلوية في المغرب رجل جليل يقال له ادريس اتخذ حزباً قوي الشوكة واستولى على تلمسان وجميع المغرب الاقصى واسس مدينة فاس ومسجدها ودور كتب .

لبث الادارسة في الحكم مائتي سنة وثلاث سنين وشهرين تقريباً ، وكان عمالهم بالمغرب من السوس الاقصى الى مدينة وهران ، وقاعدة ملكهم مدينة فاس ، وكان ينازعهم الملك دولتان عظيمتان دولة العُبيديين بافريقية ودولة بني امية بالاندلس ، وكانوا يزاحمون الخلفاء الى ذروة الخلافة ويقعد بهم عنها ضعف سلطانهم وقلة مالهم .

* * *

المرابطون :

أثار عبد الله بن تاشفين احد فقهاء مدينة سوس الحمية الدينية في بعض سكان براري المغرب فانقادوا اليه وتلقبوا بالمرابطين وجعل قائدهم ابن اخته ابا بكر ففتحوا بلاد دهرة وغيرها ، ثم اجتازوا سنة ٤٦٠ هـ ـ ١٠٦٨ م جبل اطلس ، ثم أسس ابو بكر مدينة سماها مراكش .

ثم ولي الحكم خاله يوسف بن تاشفين واختاره المرابطون قائدهم فرتب خفراء من عبيد اشتراهم من بلاد غينة وغيرها ، ثم سار بهم فأخذ مدينتي فاس ومكناس من العرب والبربر ، وعلى التوالي استولوا على مدائن سبتة وطنجة وسالة ، واعترف المغرب بسلطنة يوسف بن تاشفين سنة ٤٧٧ هـ ــ ١٠٨٤ م .

ولما اشتد الخطب بعرب اسبانيا هرع ملوك اشبيلية وغرناطة وغيرهما الى يوسف ابن تاشفين فاستنجدوه على النصارى ، فارتحل وعبر البحر ونزل في الاندلس بجيش جرار ، دب في نفوس مسلمي الاندلس الحماسة والنشاط ، وكان النصر حليفهم .

ورأى ابن تاشفين جمال بلاد الاندلس فتاقت نفسه لاخذها ، وأدرك منه الاندلسيون ذلك فانحلت بينه وبينهم عرى الاتفاق ، وانتهز الفرصة الاسبان فجمعوا جموعهم وعادوا الى المحاربة .

وتم فيما بعد للمرابطين ما ارادوا فاستولوا على مدن قرطبة وغرناطة واشبيلية وغيرها من مدن اندلس الجنوبية ، ولم يبق في جميع البلاد الاسلامية الواقعة في جنوبي الاندلس غير سلطنة المرابطين .

وخرج المرابطون من مراكش قاصدين اواسط افريقية ، وظهر ابو بكر بن عمرو من اعوان الملك سني علي ، وهو بربري الاصل وشيد مملكة السونغاي في غانة سنة ٤٨٠ هـ ــ ١٠٨٧ م وهؤلاء السونغاي هم من الجنس النوبي رحلوا من مصر العليا عند الفتح العربي ، وكانت لهم دولة لم تبدأ بالانحطاط الا في زمن فتح المنصور السعدي (سلطان مراكش للسودان) .

ومد ابو بكر رواق سلطانه الى أبعد من زاوية النيجر ، وجميع البلاد المعروفة بساحل الذهب والداهومي وبلاد نيجريا الى بحيرة تشاد ، وكانت هذه السلطنة تنقسم الى اربع ممالك ، وكانت قاعدتها جنة .

هذا ما كان من جهة البربر ، واما العرب فان فصائل بني هلال تقدمت من نواحي طرابلس الى واحة (ودان) ومن هناك الى (والانة) ثم تقدمت نحو السودان ، فتلاقت مع البربر الآتين من الشمال الغربي واختلطت بهم .

تقل القلقشندي العبارات الآتية : ولما أسلم الملثمون من البربر تسلطوا عليهم بالغزو حتى دان كثير منهم بالاسلام وأعطى الجزية آخرون وضعف بذلك ملك غانة واضمحل ، وتغلب عليهم اهل صوصو المجاورون لهم ، وملكوا غانة من يدي أهلها ، واما ملوك مالي فقد دخلوا في الاسلام من زمن قديم [1] .

وامتد سلطان الاسلام في الجنوب الغربي الى البامباره والماديغ والبله في القرن الثاني عشر م ، ووصل الاسلام في الجنوبي الشرقي الى بحيرة تشاد في القرن الثالث عشر م ، واما في الشمال الشرقي فكانت الغالة والنوبة دخلوا في الاسلام بين سنة ٦٩٩ ــ ٧٥١ هـ ــ ١٣٠٠ ــ ١٣٥٠ م .

كانت مدة دولة الملثمين او المرابطين نحو ثمانين سنة ، وكانت سطوة دولتهم تمتد من مدينة أفراغة من قاصية شرق الاندلس الى مدينة أشبونة على البحر المحيط من غرب الاندلس وبر العدوة من جزائر بني مزغنّة الى طنجة الى آخر السوس الاقصى الى جبال الذهب من بلاد السودان .

* * *

الموحدون :

كان بعض الاقوام المنقادين للمرابطين ينظرون اليهم بعين الحسد ويشتهون ان يحوزوا مثل ما حازوه من الاموال والجاه ، واخذ على عاتقه تطبيق ذلك رجل يسمى محمد بن عبد الله احد الخدم بمسجد قرطبة ، اطلع في صباه على مبادي العلوم ، ثم سار الى بغداد فأخذ فيها العلم عن الامام الغزالي ، وجاء المغرب ونزل مراكش ، وشرع بقوة فطنته بازالة سلطنة المرابطين ، فأخذ ينتقد كل ما رآه من رؤسائهم مغايراً لما امر القرآن باتباعه فطرد ، ولما طرد أعلن ان هذا أوان احياء الآداب الدينية وانه المهدي الجديد المعيد للفضائل والعدل واستصحب رجالا ذوي همة اخذوا ينصحون وينذرون فهرع جم غفير من مراكش وغيرها الى استماع نصحهم وانذارهم .

ولما رأى هذا الرجل كثرة حزبه وخوف ملوك تلك البلاد منه ووقوع ابصارهم

---

(١) صبح الاعشى ــ للقلقشندي ج٥ .

عليه رحل الى بلدة تنمال باقليم سوس وضم اليه رجالا لقبهم بالموحدين ، وامرهم ان يبنوا بذلك المحل قلعة لا يمكن العدو الهجوم عليها ، وجعل امور هذا الحزب شورى بين عشرة من أفطن تلامذته أجلهم رجل يقال له عبد المؤمن وبين سبعين رجلا ثم انضم اليه أعداء المرابطين .

ولما وجد حزبه كافياً في بلوغ مراده بدأ سنة ٥٠٦ هـ ـ ١١١٢ م في محاربة المرابطين ونصر عليهم في ثلاث وقائع ، ثم حاصر سنة ٥٠٧ هـ ـ ١١١٣ م مراكش التي هي مركز شوكة عائلة المرابطين في الاقاليم الشمالية من افريقية ، فنصر في بعض وقائع ، ثم غدر به وسفك دم كثير من عساكره سنة ٥١٩ هـ ـ ١١٢٥ م وبلغ به الخطب حد اليأس حتى ترك دعوى العظمة .

ثم ابتكر تلميذه عبد المؤمن وسائل حزبية جديدة واخذ يثير الحمية في قلوب الرجال حتى جبر سنة ٥٢٤ هـ ـ ١١٣٠ م جميع الخسارات ، وصمم رأيه على العود الى الحرب ، وعهد اليه شيخه بالخلافة ، ثم توفي بعد اربعة ايام ، فقام تلميذه عبد المؤمن باعباء الخلافة أحسن قيام ، وأدخل تحت حكمه جميع القبائل الممتدة من مدينة تنمال تحت بلاده الى مدينة صال ، ثم اخذ بلاد فاس وبلاد طاسة سنة ٥٣١ هـ ١١٣٧ م ، ثم سار الى تلمسان وبعض الاقاليم المجاورة لمراكش ، فصف عساكره بقرب تلمسان على هيأة شكل مربع واخذ يقاتل جيش المرابطين حتى هزمه ، وسار الى تونس واستولى عليها وعلى طرابلس والقيروان والمهدية وغيرها .

وبعث عبد المؤمن جيشاً فتح جزءاً عظيماً من اقليم الجرف ، وأوقف سير ملك البرتغال سنة ٥٤٢هـ١١٤٧م ، ثم جيشاً آخر حارب سنة ٥٤٧ ـ ٥٥١ هـ١١٥٢ـ١١٥٦م مدينة المرية واخذها من الفنس السابع ، وجيشاً ثالثاً فتح سنة ٥٥١ـ٥٥٥هـ١١٥٦ ـ١١٦٠ م غرناطة والبلاد الممتدة الى الوادي اليانع .

اقتصر الموحدون على منع غارات النصارى على البلاد الاسلامية ولكنهم لما رأوا اتحاد بعضهم مع بعض اضطروا الى محاربة الاسبانيين والبرتغاليين .

وقد جدد هؤلاء الموحدون لاسبانيا الرونق الذي كان لها زمن الامويين ، فقد

اعتنى كل من عبد المؤمن ويوسف ويعقوب بالعلوم والصنائع والشريعة الاسلامية ، وأسسوا مدارس عامة ، وغمروا بعطائهم علماء الاسلام .

وكان بهزيمة محمد الناصر في واقعة طولوسة اضمحلال سلطنة الموحدين فقد عصت بها رجال اسبانيا وانحطت سلطنته بالمغرب ، وعصاهم والي تونس سنة ٦٤٠ هـ ١٢٤٢ م واستقل بالحكم الذي استمر في عائلته المعروفة بعائلة ابي حفص .

انقرضت دولة الموحدين سنة ٦٧٤ هـ ــ ١٢٧٥ م بعد ان حكمت ١٧٤ سنة ، كانت هذه الدولة من اعظم الدول وأقواها ، وقد نالت الشهرة العظيمة في الاعمال البحرية ، وكانت مملكتها واسعة الاطراف حصينة الاكناف ، نالت من السلطة وارتفاع الشأن مالم تنله دولة المرابطين ، فكانت تحد جنوباً بالصحراء الكبرى وغرباً ببحر الظلمات وشرقاً بالرمال الفاصلة لها عن مصر وشمالا ببحر الروم ، وكانوا يملكون مدن اشبيلية وقرطبة وغرناطة ومالقة والمرية وجميع شواطيء الوادي الكبير ، وكان يفصل مملكتهم بالشمال الشرقي عن مملكتي قشتالة وابن سعد الذي كان يحكم بلنسية ومرسية المعاهد للاسبانيين ، وكان لهم عدة مدن على الشاطيء الايمن من وادي يانة الذي كانوا يملكون جميع شاطئه الايسر ، وكان لهم ايضاً جميع القسم الجنوبي من بلاد البرتغال الحالية المسماة باقليم الغرب ، وبذلك كانت دولة الموحدين عرضة من هذه الجهات لغارات أعدائهم .

* * *

بنو مرين :

قامت دولة بني مرين سنة ٦١٤ هـ ــ ١٢١٧ م ، واصل بني مرين من جبل زنانة بالمغرب ، وكانوا قبل استيلائهم على ملك المغرب احياء ظواعن بمجالاة القفر من فجيج الى سجلماسة الى ملوية ، وربما يتخطون في ظعنهم الى بلاد الزاب ، ويتصل نسب مرين جدهم بزنانة بن يحيى ابي الجيل .

ولما هم يعقوب المنصور ملك المرابطين بغزو فرنج الاندلس استنفرهم الى غزوة الارك فشهدوها وأبلوا فيها البلاء الحسن ، وكان رئيسهم اذ ذاك محيو بن ابي بكر أصابته في تلك الواقعة جراحات هلك منها سنة ٥٩٢ هـ ــ ١١٦٩ م .

اما سبب دخولهم بلاد المغرب فانه لما كانت وقعة العقاب بالاندلس سنة ٦٠٩ هـ ١٢١٢ م ، وهزم الناصر وهلك الجمهور من حامية المغرب حتى خلت البلاد من أهلها وحدث عقب ذلك الوباء العظيم الذي أهلك الناس الا قليلا ، ومات الناصر ، بايع الموحدون ابنه يوسف المنتصر وهو يومئذ صبي حدث لا يحسن التدبير ، وشغلته مع ذلك احوال الصبا ولذات الملك عن القيام بامر الرعية ، فتضافرت هذه الاسباب على الدولة الموحدية فاضعفتها لحينها وأمرضتها المرض الذي كان سبباً في ملاشاتها.

كان بنو مرين يومئذ يتنقلون بين قفار المغرب وصحاريه لا يدخلون تحت حكم سلطان ، ولا تنالهم الدولة بهضيمة ، ولا يؤدون اليها ضريبة ، ولا يعرفون تجارة ولا حرفاً ، انما شغلهم الصيد والغارات على أطراف البلاد وكانوا يترددون على منابت الكلأ صيفاً ، ثم يرحلون عنها شتاء .

وفي سنة ٦١٠ هـ ــ ١٢١٣ م أقبلوا على عادتهم وأطلوا على المغرب فألفوه وقد تبدلت أحواله وبادت خيله ورجاله فاغتنموا الفرصة وانتشروا في نواحي المغرب واقتسموا بالغارات والنهب بسيطه ، ولجأت الرعايا من ذلك الى الحصون والمعاقل وكان رئيسهم لما دخلوا المغرب عبد الحق بن محيو .

ولما كثر عيثهم وتضاعف على الرعية بلاؤهم ، رفعت الشكايات الى خليفة مراكش يوسف المنتصر بن الناصر فجهز لهم جيشاً وامر عماله باستئصالهم ، ثم التقى الجمعان ، وكان الظهور لبني مرين على الموحدين سنة ٦١٣ هـ ــ ١٢١٦ م .

وزحف الامير عبد الحق الى بعض المدن فافتتحها وفرق جميع الاسلاب والغنائم على جنوده ولم يمسك لنفسه منها شيئاً فكان ذلك من اكبر الاسباب في اجتماع القلوب عليه ، ثم تضافر الموحدون مع كثير من عرب المغرب على قتال بني مرين وطردهم من البلاد ، ولما علم بنو مرين بذلك اجتمعوا الى اميرهم عبد الحق فصبرهم وقال لهم : يا معشر مرين امــا مادمتم في امركم مجتمعين وفي آرائكم متفقين ، وكنتم على حرب أعدائكم أعوانا وفي ذات الله اخوانا ، فلا أخشى ان القى بكم جميع اهل المغرب ، وان اختلفت اهواؤكم وتشتت آراؤكم ظفر بكم عدوكم ، ثم بايعوه على السمع والطاعة وعدم الاختلاف ، ثم نهضوا مع اميرهم للقاء عدوهم فكانت

بينهم حروب دموية قتل فيها الامير عبد الحق وكبير اولاده ادريس سنة ٦١٤ هـ ١٢١٧ م .

ولما رأت بنو مرين ما وقع باميرها وابنه حميت وغضبت وأقسمت ان لايدفن حتى يؤخذ بثاره ، ثم استأنفوا القتال وصبروا صبراً جميلا فنصرهم الله على عدوهم وشردوهم في الشعاب والاودية واحتووا على اموالهم .

ولما قتل عبد الحق بايع بنو مرين ابنه الامير ابا سعيد عثمان ، ولما رأى ابو سعيد ما عليه دولة الموحدين من الاضمحلال وما نزل بالمغرب من الجور والعسف سار على رأس جيش فأخضع المدن والحصون وضرب عليها الاتاوة في كل سنة .

رفع ابو بكر بن عبد الحق شأن بني مرين وأوصل مملكتهم الى مرتبة الدول القديمة ، وجند الجنود ونشر البنود وقسم بلاد المغرب وقبائله وأقطع كلاً منهم ناحية جعلها له طعمة .

ولما رسخت قدم يعقوب بالمغرب واتسع سلطانه قطع دعوة الحفصيين أصحاب تونس وافريقية ، وافتتح سجلماسة وانتزعها من ايدي بني عبد الواد ، واستنصر ابن الاحمر ، يعقوب فنصره على الاسبانيول وجهز جيشاً لمقاتلتهم وانتصر عليهم .

والخلاصة ان دولة بني مرين قضت معظم ايامها في مقاتلة الاسبانيول برا وبحرا وحينا يتنازع بعضهم بعضاً السلطان ويؤدي هذا التنازع الى استعمال وسائط الحرب والقتال .

وفي آخر دولة بني مرين استولى البرتغال على غالب ثغور المغرب الاقصى ، واستفحل امر الاسبانيول والبرتغال خصوصاً ، وكثرت أسفارهم البحرية واستولوا على عدة جزائر بالبحر المحيط وكشفوا بعض سواحل السودان وغيرهـا ومالوا لتملك سواحل المغرب الاقصى فاستولوا على سبتة سنة ٨١٨ هـ ــ ١٤١٥ م بعد حصارها ست سنين وعلى قصر المجاز او قصر مصمودة ٨٦٢ هـ ــ ١٤٥٨ م وعلى طنجة ٨٦٩ هـ ــ ١٤٦٥ م وعلى اصيلا ٨٧٦ هـ ــ ١٤٧١ م وعلى مدينة اسفى وبعض جهات السوس وغير ذلك من الثغور العديدة ولم يبق من ثغور المغرب الاقصى بيد اهله الا القليل .

بنو وطاس او دولة بني مرين الثانية :

وملك بعد بني مرين بنو وطاس ، كانوا يسكنون بلاد الريف ، ثم كان لكثير منهم المراتب العالية والوظائف العظيمة في دولة بني مرين ، فمنهم من ساعد على ارتقائها وتنظيم أحوالها ، ومنهم من امتدت يده الى العبث بها .

واول من ولي السلطنة ابو عبد الله محمد الشيخ ٨٧٦ هـ ــ ١٤٧١ م ، استولى ابو عبد الله على فاس والتفت لتدويخ القبائل حتى دخلوا في طاعته ، وفي عهده محيت دولة بني الاحمر من الاندلس ولم يبق بها للمسلمين سلطان ، واستولى البرتغال في زمنه على ساحل البريجة وشيدوا بها مدينة جديدة حصينة ، ولم يتمكن بنو وطاس من مقاتلة هؤلاء البرتغال لاشتغالهم مع برتغال سبتة وطنجة وغيرهما .

وبعد وفاة محمد الشيخ بويع ابنه محمد الملقب بالبرتغالي ، وفي عصره استولى البرتغال على غالب الثغور وضايقوا المسلمين أشد المضايقة ، وقد اهتم هذا السلطان بامرهم وردد عليهم الجيش بعد الجيش حتى شغل بمقارعتهم عن النظر في أحوال البلاد المراكشية فكان ذلك من اكبر الاسباب لظهور دولة الاشراف السعديين .

وقام بالامر من بعد محمد ابو حسون ، ثم قبض عليه احد أقاربه وخلعه ، ثم قام بالامر ابو العباس احمد وحصل بينه وبين السعديين وقائع انتهت بانتصار السعديين .

وقام بالامر من بعد ابي العباس السلطان ابو حسون مرة ثانية ، ولما قبض الشيخ السعدي على بني وطاس فر ابو حسون الى الجزائر واستنجد بالعثمانيين الذين كانوا استولوا على المغرب الاوسط وانتزعوه من يد بني زيان ، فأجابوه الى مطلبه وأقبلوا معه بجيش كثيف تحت قيادة صالح باشا واستولوا على فاس بعد حروب عظيمة ، وفر منها الشيخ السعدي ، ولما وصل السعدي الى مراكش اخذ في استنفار القبائل وبقية الجنود لقتال ابي حسون ونهض الى فاس فقابل ابا حسون ودارت الحرب بينهما وكانت الهزيمة على ابي حسون واستولى السعدي أخيراً على فاس سنة ٩٦١ هـ ــ ١٥٥٤ م وبمقتل ابي حسون انقرضت دولة الوطاسيين او الدولة المرينية الثانية من المغرب .

الاشراف السعديون :

تولى مملكة مراكش في اوائل القرن السادس عشر م الشرفاء السعديون من آل زيدان ، كان يقيم اسلاف السعديين بدرعة الى ان نشأ منهم ابو عبد الله محمد القائم بامر الله ، فنشأ على عفاف وصلاح وحج البيت الحرام ولقي جماعة من العلماء في وفادته على الحرمين .

وفي سنة ٩١٧ هـ ـ ١٥١١ م بايعه بعض قبائل السوس التي كانت في امر مريج ولم يكن هناك امير تجتمع عليه الكلمة .

وكان هؤلاء الاشراف في اول امرهم داعين الى الجهاد وطلبوا من عامل مراكش ناصر بوشتنوف ان يظاهرهم على جهاد العدو فاسعفهم وقدموا مراكش فدخلوها واحسن اليهم وبعد ايام خرجوا به للصيد فسموه[1] فهلك فصفت للاشراف مراكش واعمالهـا .

ولما تم للاشراف امر درعة والسوس ومراكش ، حاربوا الوطاسيين وانتصروا عليهم واستولوا على تافيلالت واكادير واسفى وآزمور ، ثم حاصروا فاس وقبض على الوطاسيين وغربوهم الى درعة .

ولما استتب الامر لابي عبد الله القائم ندب الناس الى مقارعة البرتغال والجهاد فيهم ورد جموعهم عن ثغور المغرب وبلاده ، فجمع ابو عبد الله الجموع من المسلمين وحاربهم وانتصر عليهم ، ولما رأى الناس ذلك خضعوا لسلطانه وتفاءلوا بطائره الميمون ، ثم خلفه خلفاء قضوا اكثر ايامهم في الحروب والغارات ومحاربة الاعداء من برتغاليين واسبانيول وعثمانيين وغيرهم من بني جلدتهم حتى انقرضت دولتهم سنة ١٠٦٩ هـ ـ ١٦٥٩ م .

* * *

الاشراف الحسنيون :

قامت دولة الاشراف السجلماسيين الحسنيـة في المغرب الاقصى فاتخـذ المولى محمـد بن الشريف جيشـاً وانضم اليه جمع من اهل سجلماسة واعمالها

---

(١) راجع الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ـ للسلاوي

وذلك سنة ١٠٤٥ هـ ـ ١٦٣٥ م ، وكان اصحاب ابي حسون قد أساؤا السيرة بسجلماسة ونصبوا حبالة الطمع في الناس حتى ملتهم القلوب وزرعوا بغض المملكة السوسية في قلوب الخاصة والعامة ، ولما دعا الناس الى الايقاع باهل السوس أجابوه وأجمع رأيهم على بيعة المولى محمد فبايعوه سنة ١٠٥٠ هـ ـ ١٦٤٠ م ، في حياة ابيه ووافق على بيعته اهل الحل والعقد بسجلماسة ، فاستتب امره واستولى على درعة واعمالها واتسعت ايالته وتوفرت جموعه وعظمت جبايته وطار في بلاد المغرب صيته .

ولما قتل محمد بن الشريف سنة ١٠٧٥ هـ ـ ١٦٦٤ م ، انحشرت جموعه كلها الى أخيه المولى الرشيد فبايعوه البيعة العامة وعظم امره وفتح مدينة تازا وسجلماسة وفاس وزاوية ومراكش وتارودانت وايليغ وسائر السوس .

وكانت أساطيل الحسنيين تطوف حوالى بلاد المغرب وما جاورها ، فيغير قرصان البحار على سفن الفرنج ويأخذونها غنيمة مما جعل المستعمرين يبررون موقفهم في الاستيلاء على المغرب .

وكان بعض الاوربيين كالدانيماركيين وغيرهم يؤدون الى سلطنة مراكش كل سنة مالا في مقابلة عدم التعدي على سفنهم التجارية .

وظلت دولة الاشراف الحسنية تدافع تيار دول الاستعمار من اسبانيول وبرتغال وافرنسيس وانكليز وعثمانيين وغيرهم تارة بعقد معاهدات واخرى بوقائع حربية دامية حتى غلبت على امرها وسلب منها استقلالها ، وذلك لما احتلت فرنسا الجزائر في بداية الثلث الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ، وظلت تعمل في السر والخفاء لتصل الى ثغرة تنفذ منها الى اخضاع الدولة المراكشية والسيطرة عليها .

ولما جلس المولى عبد العزيز على عرش المغرب تحفزت فرنسا لبسط نفوذها على مراكش ، فكانت انكلترا واقفة لها بالمرصاد خشية من امتدادها الى جبل طارق ولما حل عام ١٣٢٢ هـ ـ ١٩٠٤ م ، جرت مذاكرات بين انكلترا وفرنسا اسفرت عن توقيع معاهدة في ٨ نيسان نصت المادة الاولى منها على تنازل فرنسا عن حقوقها في مصر لانكلترا ونصت المادة الثانية على ان فرنسا لا ترغب في اجراء تبديل الحالة

السياسية في مراكش ، وان بريطانيا تعترف بانه من شأن فرنسا ان تحافظ على سلامة بلاد مراكش ، وان تقدم لها جميع ما تحتاج اليـه من المساعدات الادارية والاقتصادية والمالية والاصلاحات العسكرية ، وان بريطانيا لا تمانع في بسط نفوذ فرنسا على مراكش بشرط المحافظة على حقوقها وامتيازاتها ، وفي شهر تشرين الاول من السنة نفسها عقد اتفاق بين فرنسا واسبانيا ، حددت فيه مصالحهما في مراكش ، فأحدث ذلك ضجة كبرى في الاندية الالمانية ، واعتبرته الحكومة الالمانية عملا مغايراً لنصوص معاهدة برلين وطلبت وضع المسألة المراكشية على بساط البحث فاذعنت فرنسا ، ووافقت على عقد مؤتمر دولي عام لوضع حد نهائي للقضية المراكشية فعقد المؤتمر في الجزيرة احدى مدن الاسبان ، حضره مندوبو الدول صاحبة الشأن ووضع في صفر ١٣٢٤ هـ ـ ٧ نيسان ١٩٠٦ م ، معاهدة تحتوي على ١٢٣ مادة ، منها المادة الاولى تنص على الاعتراف باستقلال السلطان ، والمادة الثانية تنص على المحافظة على كيان السلطنة المراكشية تحت حماية فرنسا ، ونصت المادة الثالثة على ان للدول الموقعة على هذه المعاهدة الحرية التجارية وغيرها من الشؤون ، غير ان المراكشيين رفضوا الخضوع لمقررات المؤتمر وقامت ثورة بزعامة الرسولي ، ارسلت فرنسا على اثرها قوة لاخمادها ، واحتلت العوجاء والـدار البيضاء والشاوية ، وجاءت اسبانيا على الاثر ، فحشدت قوات في مليلة وسبتة ، وخلع اهل المغرب المولى عبد العزيز عن كرسي المملكة ، وولوا مكانه المولى عبد الحفيظ .

وفي ٥ صفر ١٣٢٩ هـ ـ آذار ١٩١١ م هاجمت القبائل مدينة فاس ، فاستنجد السلطان بالجنود الفرنسية ، فارسلت فرنسا قوة لحماية السلطان ، واحتلت في شهر ايار فاس ، كما احتلت في الوقت نفسه الجنود الاسبانيين العرايش ، فعدت المانيا هذا العمل مخالفا لاتفاقية الجزيرة وارسلت اسطولها الى اغادير ، وعقد على اثرها مؤتمر في الجزيرة في ذي القعـدة ١٣٢٩ هـ ـ ٤ تشرين الاول ١٩١١ م اعترفت بموجبها المانيا :

١ ـ بحماية فرنسا على مراكش لقاء تنازلها لالمانيا عن ٢٧٥٠٠ كيلو متر في الكونغو .

٢ ــ ان تحتل فرنسا أي مقاطعة في مراكش تراها مناسبة لحفظ الامن .

٣ ــ ان تمثل فرنسا السلطان باموره الخارجية .

٤ ــ حرية التجارة في هذه البلاد .

وبعد انفضاض المؤتمر وقعت معاهدة في ربيع الثاني ١٣٣٠ هـ ــ ٣٠ آذار ١٩١٢م بين مراكش وفرنسا ، اعترف سلطان المغرب بموجبها ان بلاده اصبحت محمية فرنسية وكانت اسبانيا تدعي حق الحماية على جانب من المغرب الاقصى ، فاتفقت هي وفرنسا في تشرين الثاني من تلك السنة على تحديد مصالحهما ، ونصيب كل منهما من تلك البلاد .

وحدثت ثورات عديدة بمراكش خلال الحرب العامة الاولى ، وبعده ضد المحتلين ، اشهرها ثورة محمد بن عبد الكريم الخطابي فقد شكل جمعية وطنية وعقدت اجتماعها الاول في بدء سنة ١٣٤٠ هـ ــ ١٩٢١ م فكان قرارها الاول اعلان استقلال البلاد وتشكيل حكومة دستورية جمهورية ، يرأسها محمد بن عبد الكريم زعيم الثورة ، ثم وضعت دستورا للبلاد مبدؤه سلطة الشعب ، وجعل السلطتين التشريعية والتنفيذية في يد الجمعية الوطنية ، وجعل رئيس الجمهورية رئيسا للجمعية المذكورة ، واوجب على كل شيخ وزعيم وقائد من اعضاء المجلس تنفيذ المقررات التي تقرها الجمعية وهم مسؤولون عنها تجاه الرئيس بصفته رئيس الحكومة .

وبذل محمد بن عبد الكريم كثيرا من الجهود السياسية والجهود الحربية لايقاف الطامعين المستعمرين عن حقهم والاعتراف باستقلال بلاده . واهتمت الجمعية الوطنية اهتماما عظيما في تكوين الجيش فجعلته في مقدمة القضايا ، فأقرت التجنيد العام واستعرت نار الحرب بين الجيشين الريفي والاسباني ، وهزم الاخير في كثير من المعارك ، وقرر مجلس الوزراء الاسباني انتداب وفد للمفاوضة مع محمد بن عبد الكريم في عقد الصلح مع الريف وانهاء الحرب وقد اشترط مندوب الريف لعقد الهدنة مع الاسبان الشروط الآتية :

١ ــ ان تدفع اسبانيا عشرين مليونا من الجنيهات كتعويض .

٢ ــ ان تسلم اسبانيا لحكومة الريف خمس عشرة طيارة ، ومئة الف بندقية ، ومئة وعشرين بطارية مدافع جبلية .

٣ ــ ان يجلو الاسبان عن مراكش الى حدود مليلة وسبتة .

٤ ــ اذا قبلت اسبانيا بشروط هذه الهدنة سيبحث في الصلح ومبادلة الاسرى .

وقد رفضها الاسبان ، واصدروا بلاغا بتنفيذ الجلاء عن ٢٠٠ مركز من مراكز الريف .

وعز على فرانسا ان ترى جمهورية محمد بن عبد الكريم مجاورة للجزائر في الغرب ولمراكش في الشمال ، فأخذ المرشال ليوتي يعد قواته على الحدود ، ويقيم المخافر الامامية استعدادا للحرب ، وجعلت بعض صحف باريس تمهد السبيل لاقناع الرأي العام الفرنسي بضرورة الحرب مع عبد الكريم الخطابي ، فاشتعلت نار الحرب بين الخطابي والفرنسيين ، وانتصر الخطابي في كثير من المعارك ، غير ان قوة الاستعمار قد تغلبت على الحق ، وقضت على هذه الجمهورية الفتية .

واخيراً تزعم محمد الخامس الحركة الوطنية المراكشية ، فخلعه الفرنسيون ونفوه ، ونوع الاستعمار الفرنسي الاساليب لخنق هذه الحركة المباركة ، فلم يستطيعوا بل اضطروا الى اعلان تصريح سان كلو في صفر ١٣٧٥ هـ ــ ٦ تشرين الاول ١٩٥٥ م الذي اعترف بمبدأ المفاوضة في سبيل تحقيق الاستقلال المراكشي ، وعاد محمد الخامس الى بلاده وعرشه في ١٦ تشرين الاول ، وتألفت اول حكومة برئاسة مبارك البكاي في ٨ كانون الاول وفي رجب ١٣٧٥ هـ ــ ٢ آذار ١٩٥٦ م، تم توقيع التصريح المشترك المغربي الفرنسي في باريس الذي الغى معاهدة الحماية المفروضة على مراكش في ٣٠ ربيع الثاني ١٣٣٠ هـ آذار ١٩١٢ م .

وفي ٧ نيسان ١٩٥٦ م ، تم توقيع التصريح المشترك المغربي الاسباني الخاص بالغاء نظام ربيع الثاني ١٣٣٠ هـ ــ ٣٠ آذار سنة ١٩١٢ م ، واتفاقية مدريد التي وقعت في ٢٧ تشرين الثاني من نفس السنة ، واعتراف اسبانيا باستقلال المغرب ووحدة اقاليمه وفي ٢٥ ايار ١٩٥٦ تم توقيع الاتفاقية الدبلوماسية بين المغرب وفرنسا وارسل في ٧ تموز من السنة المذكورة الوفد المغربي فتسلم السلطات من الاسبان في منطقة شمال المغرب .

وفي ١٤ تموز أرسل وزير خارجية مراكش الى الامين العام لهيئة الامم طلب

انضمام المغرب الى المنظمة الدولية ، فاوصى مجلس الامن بالاجماع الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة بقبولها المغرب عضواً في الهيئة وقد قبل الطلب واصبح المغرب في عداد اعضاء هيئة الامم المتحدة .

* * *

بنو زيان :

أسس بنو زيان سنة ٦٣٣ هـ ١٢٣٦ م في مدينتي تلمسان والجزائر سلطنتهم الممتدة الى نواحي فاس ، وجلس على كرسي الحكم عشرة ملوك ، وانقضت ايامهم سنة ٧٩٦ هـ ــ ١٣٩٤ م .

* * *

بنو الاغلب :

قامت دولة بني الاغلب في تونس سنة ١٨٤ هـ ــ ٨٠٠ م ، وتنسب هذه الدولة الى الاغلب بن سالم ، والاغلب هو ممن قام مع ابي مسلم الخراساني في دعوة العباسيين ، وفي عهد المنصور ولي الاغلب افريقية فقدم القيروان سنة ١٤٨ هـ ــ ٧٦٥ م

واخذ بنو الاغلب يغزون في القرن الثامن من الميلاد سواحل البحر الابيض المتوسط ويبعثون في السفن رجالا يغيرون على سواحل مملكتي ايطاليا وفرنسا وجزائر قرسقة وسردانية وصقلية ومالطة .

استولى الاغلبيون على صقلية ، وسكن المسلمون مدنها ، ورتبوا وقسموا البلاد وخططوها ونشطوا الفلاحة والصناعات .

ثم تقدم الاغلبيون الى ايطاليا وحاربوا الافرنسيين واليونان وامراء لمبردية ، واستولوا على بعض مرافيء في بحر الادرياتيكي ، وخربوا سواحل الاقاليم الشرقية من ايطاليا ، واستولوا على بعض مدن ايطاليا الجنوبية .

وجهزوا انفسهم للمسير الى رومة والقسطنطينية ، غير ان عقبات حالت دون أمنيتهم وردتهم على أعقابهم الى افريقية .

وأخيراً هزم ابو عبد الله الشيعي بني الاغلب في عدة مواقع وتفرقوا وانقضت ايامهم سنة ٢٩٦ هـ ــ ٩٠٩ م .

العُبيديون في افريقية :

تأسست دولة العبيديين بافريقية سنة ٢٩٦ هـ ــ ٩٠٩ م ، وأصل هذه الدولة فرقة من غلاة الشيعة المسماة بالاسماعيلية ، قام ابو عبد الله الشيعي بالدعوة في بلاد المغرب وكان يدعو الى محمد والد المهدي ، ولما توفي اوصى الى ابنه عبيد الله المهدي وأطلعه على حال الدعاة ، وشاع ذلك في خلافة المكتفي بالله ، فطلب عبيد الله فهرب هو وابنه ابو القاسم محمد وتوجها نحو المغرب في زي التجار حتى لحق بسجلماسة فأقام بها ينتحل مهنة التجار ، وكان صاحبها اليسع ، ثم قبض اليسع على عبيد الله وحبسه ، ولما علم ابو عبد الله الشيعي بذلك سار الى اليسع وحاصره وهزمه ، وجدد البيعة لعبيد الله المهدي ، واستولى على ملك بني الاغلب بافريقية وتلقب بالمهدي امير المؤمنين ، وبذلك صفا له الجو وقويت شوكة العبيديين ، ثم بعث عبد الله العمال في النواحي .

ثم ان المهدي أراد فتح الديار المصرية لضعف دولة الإخشيد وإزالة سلطة بني العباس اعدائه فحاربهم براً وبحراً وجرت بينه وبين العباسيين عدة وقعات انهزم المهدي في اكثرها .

وجهز القائم ابو القاسم محمد اسطولا ضخماً لغزو ساحل اوربا فافتتح جنوة وأثخن في جزيرة سردانية وغيرها ، وملك القائم الاسكندرية ، ولكن اجلاه عنها الإخشيد .

وجهز المعز ابا الحسين جوهراً الصقلي خادمه في جيش عظيم وأرسله الى أقاصي المغرب سنة ٣٤٦ هـ ــ ٩٥٧ م ، حتى انتهى الى البحر المحيط وجال في اكثر بلاده وفتح فاس عنوة واستمر المعز يغزو الجهات فاتسعت أملاك العلويين اتساعاً عظيما ، ولما رأى اضطراب أحوال مصر ، وكان ينتظر هذه الفرصة من زمن ، وذلك بعد موت كافور الإخشيدي جهز جيشاً وأرسله تحت قيادة جوهر ٣٥٥ هـ ــ ٩٦٦ م ، الى الديار المصرية فاستولى عليها بلا حرب وأقام فيها دعائم العلويين ، ثم ان المعز سار من افريقية قاصدا ديار مصر ٣٦١ هـ ــ ٩٧٢ م ، بطريق البحر ، واستعمل على افريقية يوسف بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي ، وجعل على بلاد صقلية ابا القاسم علي

ابن الحسن بن علي ، وعلى طرابلس الغرب عبد الله بن يخلف الكتامي ، واستصحب المعز معه اهله وخزائنه ، ولما وصل الى الاسكندرية ٣٦٢ هـ ـ ٩٧٣ م ، أتاه اهل مصر وأعيانها فلقيهم واكرمهم ، ثم دخل مدينة القاهرة التي اختطها جوهر ٣٥٨ هـ ـ ٩٦٩ م وقامت فيها دولتهم الفاطمية وسيأتي ذكرها في تاريخ مصر .

* * *

بنو زيري :

قامت دولة بني زيري الصنهاجيين في تونس سنة ٣٦١ هـ ـ ٩٧٢ م ، وتنسب هذه الدولة الى صنهاجة وهي قبيلة من قبائل البربر ، وكانت لهم في افريقية مدة دولة العبيديين دولة ضخمة ، فكانوا عمالا للعبيديين ، ثم تغلبوا واتسع ملكهم واستفحل امرهم في افريقية ، وعدة ملوكهم ثمانية ، ومدة ملكهم مائة واحدى وثمانون سنة وذلك من حين ذهاب المعز الى مصر الى ان انقرضت دولتهم ، وان اعتبرنا اول دخولهم في الامارة واستعمال العبيديين لهم فانه كان من سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة فان المدة تكون مائتين وسبع سنين .

* * *

بنو حفص :

قامت سنة ٦٠٣ هـ ـ ١٢٠٧ م دولة بني حفص في تونس ، والحفصيون ينسبون الى ابي حفص عمر بن ابي يحيى الهنتاني ، وكان من اصحاب المهدي محمد بن تومرت وخواصه المقربين ، فلما توفي ابن تومرت وبايع الموحدون عبد المؤمن بن علي ، كان اول من بايعه ابو حفص عمر الهنتاني هذا ، فجعله عبد المؤمن رئيس وزرائه ، وبعد ذلك صارت عند عبد المؤمن على طريقته يولون بني ابي حفص الوزارة ويقلدونهم الولايات العظيمة .

كانت ايام بني حفص في ابتداء امرهم من غرر الايام ، وعمت بلاد الاسلام بافريقية واوربا ، وأتتهم البيعة من الاندلس وغيرها من البلاد وارتفع مقامهم وتلقبوا بالقاب الخلفاء ، وامتد سلطان الطبقة الاولى من الحفصيين من تلمسان الى طرابلس الغرب ، ولم يزل أمرهم على أحسن حال حتى وقع بينهم التحاسد وافتراق الكلمة ،

فأخذت دولتهم في الادبار الى ان كان ما كان من حضور العساكر العثمانية الى تونس واستيلائهم عليها في عهد السلطان محمد بن الحسن ، وبذلك انقرض ملكهم سنة ٩٨٢ هـ ــ ١٥٧٤ م ، بعد ان حكموا ٣٧٩ سنة .

* * *

العائلة الحسينية في تونس :

قامت في تونس سنة ١١١٧ هـ ــ ١٧٠٥ م ، العائلة الحسينية ، وانتخب الاهالي بطيب نفس واختيار منهم حسين بن علي باشا وسلموا له الامر واقرت الدولة العثمانية ولايته ، وما زالت الولاية متوارثة في عائلته كبيرا عن كبير الا ماندر ، وأمضت الدولة العثمانية ذلك في حياته ، ومن ذلك التاريخ استقرت الرياسة العامة للباي وصار هو الذي يولي الداي الى ان انقطع هذا اللقب وعوض برئيس الضابطية في سنة ١٢٧٧ هـ ــ ١٨٦٠ م .

وفي جمادى الثانية ١٢٩٨ هـ ــ ١٢ أيار سنة ١٨٨١ م ، أمضيت معاهدة بين محمد الصادق باي وبين الجنرال بريار ، وتشتمل المعاهدة المذكورة على عشرة بنود جعلت فيها تونس تحت حماية فرنسا التي يكون لوكيلها المقيم بالولاية حق القيام بجميع الاعمال الخارجية ، وتتعهد الحكومة الافرنسية بحماية تونس من جميع الطوارىء وان يكون لها اكبر نفوذ وما أشبه ذلك من الامتيازات التي جعلت تونس وأهلها في قبضة فرنسا ، وتسمى هذه المعاهدة بمعاهدة باردو .

وكانت الاسباب التي مهدت لانتصاب الحماية الفرنسية بتونس ، تتصل الى حد بعيد بضعف عام في أهم الميادين الحيوية التي ترتكز عليها حياة الدولة واستقرارها .

فقد كانت السياسة التونسية في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي تعاني انعزالا يكاد يكون تاما عن التيارات العالمية ، حتى ان الحكومة التونسية لم تبد حراكا ازاء ما دبر لها في مؤتمر برلين سنة ١٢٩٥ هـ ــ ١٨٧٨ م ، الذي اطلقت فيه يد فرنسا لتفعل بتونس ما تشاء .

وكان الاقتصاد التونسي في حالة من الانهيار والضعف ، جعلت البلاد عاجزة

حتى عن تحويل ميزانية الدولة الامر الذي اضطر المسؤولين التونسيين الى الاقتراض من عدة دول اجنبية ، لا لتأسيس مشاريع اقتصادية تعود على البلاد بالخير والرفاهية وانما لتسديد المصاريف الاعتيادية للدولة ، وقد نتج عن تكاثر ديون الدولة وتضخمها دخول تونس تحت عجز دولي مالي ، اذ انشئت سنة ١٢٨٧ هـ ــ ١٨٧٠ م ، لجنة مالية دولية للاشراف على الميزانية التونسية ومراقبتها .

ولقد ساعد ضعف الجهاز الدفاعي التونسي ، على تجرء فرنسا وهجومها من الجزائر على تونس ، وفرض الحماية عليها .

على ان التدخل الاجنبي في الشؤون التونسية ، ابتدأ منذ ظهور نظام الامتيازات القنصلية ، ذلك النظام الذي جعل الاجانب لا يقعون تحت طائلة القضاء الوطني ، الامر الذي فتح المجال للدسائس والمؤمرات ضد أمن الدولة وسلامتها حتى انتهى نفوذ الفرنسيين الى خلع ملك تونس الشرعي محمد المنصف وذلك في ربيع الثاني ١٣٦١ هـ ٧ ايار ١٩٤٣ م واعتقاله في مدينة بو بفرنسا .

وبعد جهاد مرير وصراع دام طويل مع الاستعمار الفرنسي ، عقدت تونس اتفاقاً مع الحكومة الفرنسية في شوال ١٣٧٤ هـ ــ ٣ حزيران ١٩٥٥ م ، اثر مفاوضات دارت بين وفدي تونس وفرنسا على الاعتراف لتونس بالتصرف الكامل في سيادتها الداخلية .

ثم جرت مفاوضات بين فرنسا وتونس بباريس في رجب ١٣٧٥ هـ ــ ٢٧ شباط ١٩٥٦ م ، وتم الاتفاق بينهما على الامور الآتية :

١ ــ ان المعاهدة التي ابرمت في ١٢ ايار ١٨٨١ م بين فرنسا وتونس ، لم يعد في امكانها ضبط العلاقات الفرنسية التونسية .

٢ ــ ان كل ما يتنافى من تدابير الاتفاقيات المبرمة في ٣ حزيران ١٩٥٥ م مع النظام الجديد لتونس بوصفها دولة مستقلة وذات سيادة ، فانه يقع تحويره او الغاؤه .

٣ ــ ويترتب على ذلك ايضا ممارسة تونس لمسؤولياتها في ميادين الشؤون الخارجية والامن والدفاع ، وكذلك تأليف جيش وطني تونسي ، وتتفق فرنسا

وتونس على ان تحددا او تتمما في دائرة احترام سيادتيهما تدابير التكافل الذي يتحقق بحرية وذلك بتنظيم تعاونهما في الميادين التي تشترط فيها مصالحهما ، وخاصة في مادتي الدفاع والعلاقات الخارجية ، وستضبط الاتفاقات بين فرنسا وتونس صيغ الاعـانة التي تقدمها فرنسا لتونس قصد تأليف الجيش الوطني التونسي

ثم وقع اتفاق دبلوماسي بين تونس وفرنسا في ١٥ حزيران سنة ١٩٥٦ م ـ ١٣٧٥ هـ يؤكد استقلال تونس وتصرفها في شؤونها الداخلية والخارجية .

وقد نص هذا الاتفاق على الفصول الآتية :

الفصل الاول : تمثل فرنسا بتونس وكذلك البلاد التونسية بباريس بواسطة سفير ، يلقب كل ممثل لهذين القطرين بسفير فوق العادة مبعوث خاص للجمهورية الفرنسية لدى ملك تونس ، وسفير فوق العادة مبعـوث خاص لملك تونس لدى الجمهورية الفرنسية .

الفصل الثاني : في الاقطار التي لم تقرر البلاد التونسية توجيه بعثة دبلوماسية فان الجمهورية الفرنسية مستعدة للقيام هناك بتمثيل ورعاية التونسيين والمصالح التونسية ، اذا طلبت الحكومة التونسية ذلك ، وفي هذه الصـورة فان الاعضاء الدبلوماسيين والقناصل الفرنسيين يعملون طبق تعليمات الحكومة التونسية .

الفصل الثالث : تؤيد فرنسا ترشيح البلاد التونسية في المنظمة الاممية ، التي لم يكن لتونس تمثيل بها .

الفصل الرابع : ريثما يتم ابرام المعاهدة التي تضبط كيفية المشاركة في ميدان الشؤون الخارجية فان الحكومتين تتخابرا وتتشاورا في جميع الامور التي لها مصلحة مشتركة في هذا الميدان ، وذلك في جو المودة والتضامن الذي يسود علائقهما .

وابرمت في رجب ١٣٧٦ هـ ـ ٢٠ آذار ١٩٥٧ م ، مع مراكش معاهدة اخاء وتضامن كما ابرمت ايضا مع ليبيا معاهدة اخاء وحسن جوار في جمادى الثانيـة ١٣٧٦ هـ ـ ٦ كانون الثاني ١٩٥٧ م .

الجمهورية التونسية :

وفي ٢٦ ذي الحجة ١٣٧٦ هـ ـ ٢٥ تموز ١٩٥٧ م اجتمع نواب الامة في المجلس

القومي التأسيسي ، وناقشوا نظام الدولة ، ثم اعلنوا ان تونس دولة جمهورية ، واسندوا رئاستها الى الرئيس الحبيب بو رقيبة • وهذا نص القرار :

نحن نواب الامة اعضاء المجلس التأسيسي بمقتضى مالنا من نفوذ كامل مستمد من الشعب وتدعيما لاركان استقلال الدولة وسيادة الشعب •

وسيرا في طريق النظام الديموقراطي الذي هووجهة المجلس في تسطير الدستور تتخذ باسم الشعب القرار التالي النافذ المفعول حالا :

١ ــ نلغي النظام الملكي الغاءً تاما •

٢ ــ نعلن ان تونس دولة جمهورية •

٣ ــ نكلف رئيس الحكومة السيد حبيب بو رقيبة بمهام رئاسة الدولة على حالها الحاضر ، ريثما يدخل الدستور في حيز التطبيق ، ونطلق عليه لقب رئيس الجمهورية التونسية •

٤ ــ نكلف الحكومة بتنفيذ هذا القرار ، واتخاذ التدابير اللازمة لصيانة النظام الجمهوري ، كما نكلف كلا من رئيس المجلس والامين العام لمكتب المجلس والحكومة بابلاغ هذا القرار الخاص والعام ، اصدرناه في قصر المجلس بباردو في ٢٦ ذي الحجة ١٣٧٦ هـ وفي ٢٥ تموز ١٩٥٧ م •

* * *

عائلة القرهمانلي في طرابلس :

استقلت عائلة القرهمانلي بولاية طرابلس سنة ١١٢٣ هـ ــ ١٧١١ م ، ونصب الجنود احمد القرهمانلي وهو رأس هذه العائلة التي استقلت بالحكم في ولاية طرابلس مدة تزيد عن قرن من الزمان ، وقد اشتهرت هذه العائلة بالاعمال البحرية حتى ان الدول البحرية الاوربية قامت لها بدفع جزية سنوية في مقابلة منع تعدي قرصانها على سفنهم بالبحر المتوسط •

قال سيديو : والخلاصة قد بقي الحكم متوارثاً للحفصية بتونس والزيانية بتلمسان والمرينية بمراكش من القرن الثالث عشر الى القرن السادس عشر بعد الميلاد•

ولا يمكن الآن ان نبين حدود تلك الممالك الثلاثة بغاية الضبط ، والغالب على الظن ان ملك الحفصية كان يمتد الى نهاية ارض بجاية ، والزيانية الى ارض تلمسان والجزائر ، والمرينية الى جميع البلاد الممتدة من تلمسان الى الاوقيانوس الاطلانطيكي، وكان بين تلك الممالك حروب أوجبت تغيراً كلياً لكل مملكة هاجرت [1] .

وفي محرم ١٢٥١ هـ ــ ١٨٣٥ م ، ابحر اسطول تركي مؤلف من اثنين وعشرين قطعة بحرية قاصدا ميناء طرابلس ، وعندما صعد علي باشا القرهمانلي آخر ولاة هذه العائلة الى سفينة الاميرال لاستقبال مصطفى نجيب ممثل السلطان العثماني ، امر هذا باعتقاله على ظهر السفينة ، ونزل مصطفى نجيب فأعلن خلع علي باشا المذكور وتولية محمد باشا رائس ، ولما تولى محمد باشا كان اول عمل قام به ، هو اجلاء افراد الاسرة القرهمانلية الى القسطنطينية باستثناء يوسف القرهمانلي وبعض اولاده ثم تتابع الولاة العثمانيون بعد ذلك على ليبيا ، وتخللت حكمهم ثورات واضطرابات .

احتلال ايطاليا لطرابلس وليبيا :

قد حاولت ايطاليا قبل احتلالها ليبيا ، ان تخلق ذريعة لمحاربة تركيا ، وحاولت التحرش بالاتراك عدة مرات ، كما ارسلت اساطيلها الى السواحل الطرابلسية للاستكشاف واثارة الشعور .

وفي رمضان ١٣٢٩ هـ ٧ ايلول ١٩١١ م ، وجهت ايطاليا انذارا الى حقي باشا الصدر الاعظم العثماني ، تطلب فيه تسليم ليبيا ، وقد سارع الصدر الاعظم الى تلبية هذا الطلب ، وأمر الجنود بالانسحاب والعودة الى القسطنطينية دون قتال .

وبينما اخذ الاتراك يتجمعون عند قرقارش تمهيدا لانسحابهم ، دخلت ميناء طرابلس باخرة ترفع العلم الالماني وفيها سلاح ، فاستولى عليها الطرابلسيون ، ووزعوا السلاح على القرى والقبائل المختلفة ، ثم ارسل الشيوخ والزعماء برقيات الى القسطنطينية يبدون فيها استعدادهم للقتال ، فاستجيب طلبهم وسقطت وزارة حقي باشا ، وتولت وزارة سعيد باشا الحكم واعلنت الحرب على ايطاليا في شوال ١٣٢٩ هـ ــ ٢٩ ايلول ١٩١١ م ، .

وفي ٣ تشرين الاول ١٩١١ م وصلت البوارج الحربية الايطالية ميناء طرابلس ،

---

(١) خلاصة تاريخ العرب لسيديو

واخذت تقذف المدينة بقنابلها ، ثم انزل الايطاليون جنودهم الى المدينة وكان عددهم حوالى ١٢٠ الفا ، مجهزين بأحدث الاسلحة والتحموا مع الطرابلسيين في عدة معارك انتهت بعقد معاهدة بين تركيا وايطاليا في ١٨ تشرين الاول ١٩١٢ م ، سلمت تركيا بموجبها ليبيا الى ايطاليا .

وباعلان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ ــ ١٩١٨ م) استؤنف القتال مرة اخرى بين ايطاليا وتركيا ، فاتصل الاتراك بالليبيين واتفقوا معهم على محاربة ايطاليا ، وامدوهم بالاسلحة والذخائر ، بواسطة الغواصات الالمانية وأنشأ الطرابلسيون حكومة وطنية عام ١٣٣٢ هـ ــ ١٩١٤ م في مصراته برئاسة رمضان السويحلي ، وعين الاتراك الامير عثمان فؤاد حفيد السلطان مراد اميرا على البلاد ، كما تولى اسحاق باشا التركي القيادة العامة للجيش الطرابلسي ، فأخذ الطرابلسيون يشنون على الايطاليين الحرب ، وتقهقر الايطاليون الى داخل مدينة طرابلس ، حيث اعتصموا طيلة مدة الحرب .

وعقب انتهاء الحرب العالمية الاولى سنة ١٣٣٧ هـ ــ ١٩١٨ م ، استأنفت ايطاليا القتال مع الوطنيين ونكلت بهم ولم تخضع ليبيا بكامل اجزائها لحكم الطليان الا في عام ١٣٥١ هـ ــ ١٩٣٢ م .

المملكة الليبية المتحدة :

بعد اعلان ايطاليا الحرب على انجلترا وفرنسا في ذي القعدة ١٣٥٨ هـ ــ ١٠ كانون الثاني ١٩٤٠ م ، عقد الزعماء الليبيون اجتماعا في القاهرة تقرر فيه انشاء جيش ليبي للاشتراك مع الانجليز في تحرير ليبيا ، وسمى بالجيش العربي الليبي ، وقام الانجليز بتدريبه واعداده للقتال ، وبلغت قوة هذا الجيش عام ١٣٦١ هـ ــ ١٩٤٢ م ، خمس فرق ، اشتركت في الحرب ضد الالمان والطليان .

وفي المحرم ١٣٦٢ هـ ــ ٢٣ كانون الثاني ١٩٤٣ ، تقهقر الالمان والايطاليون ، ودخل الانجليز مدينة طرابلس وبذلك انتهى حكم الطليان في هذه البلاد واعقب ذلك تأليف احزاب سياسية طالبت بالاستقلال والوحدة والانضمام الى الجامعة

العربية وقد تكللت تلك الجهود بان اتخذت الجمعية العمومية للامم المتحدة في ذي الحجة ١٣٦٧ هـ ـ ٢١ تشرين الاول ١٩٤٨ م ، قرارا بان تصبح ليبيا المكونة من ولايات طرابلس الغرب ، وبرقة ، وفزان ، دولة مستقلة ، ذات سيادة ، على ان يصبح هذا الاستقلال نافذا في اقرب وقت ، بحيث لا يتأخر ذلك بحال من الاحوال عن ربيع الثاني ١٣٧١ هـ ـ اول كانون الثاني سنة ١٩٥٢ م .

ثم نادت الجمعية الوطنية الليبية في ٢٢ صفر ١٣٧٠ هـ ـ ٢ كانون الاول ١٩٥٠م بالامير محمد ادريس المهدي السنوسي امير برقة ملكا دستوريا للمملكة الليبيةالمتحدة

وبعد اتمام عملية نقل السلطات ، وصدور الامر الملكي البريطاني بانهاء سلطة ملك بريطانيا العظمى في اقليمي طرابلس وبرقة ، والاعلان الصادر في فزان بالغاء جميع السلطات التي كانت للجمهورية الفرنسية في ذلك الاقليم ، اعلن الملك ادريس الاول في ربيع الثاني ١٣٧١ هـ ـ ٢٤ كانون الاول ١٩٥١ م ، بصفة رسمية في قصر المنار بحضور رئيس وزراء الحكومة الموقتة ووزرائها ، ومندوب الامم المتحدة في ليبيا ، وممثلين دبلوماسيين لدول اجنبية وأعيان من الاقاليم الثلاثة ان ليبيا اصبحت دولة مستقلة ذات سيادة وانه سيحكم البلاد بطريقة دستورية ، ثم اصبحت ليبيا في عداد اعضاء هيئة الامم المتحدة .

الادارسة

ادريس الاول	١٧٢ هـ ــ ٧٨٨ م
ادريس الثاني	١٧٧ هـ ــ ٧٩٣ م
محمد بن ادريس الثاني	٢١٣ هـ ــ ٨٢٨ م
علي الاول بن محمد	٢٢١ هـ ــ ٨٣٧ م
يحيى الاول بن محمد	٢٣٤ هـ ــ ٨٤٨ م
يحيى الثاني بن يحيى	
علي الثاني بن عمر	
يحيى الثالث بن القاسم	
يحيى الرابع بن ادريس	
الحسن الحجام	

المرابطون

يحيى بن عمر	٤٤٨ هـ ــ ١٠٥٦ م
ابو بكر بن عمر	
يوسف بن تاشفين	٤٨٠ هـ ــ ١٠٨٧ م
علي بن يوسف	٥٠٠ هـ ــ ١١٠٦ م
تاشفين بن علي	٥٣٧ هـ ــ ١١٤٣ م
ابراهيم بن تاشفين	٥٤١ هـ ــ ١١٤٥ م
اسحق بن علي	٥٤٢ هـ ــ ١١٤٦ م

الموحدون

عبد المؤمن بن علي	٥٤٢ هـ ــ ١١٣٠ م
ابو يعقوب يوسف الاول	٥٥٨ هـ ــ ١١٦٣ م
ابو يوسف يعقوب المنصور	٥٨٠ هـ ــ ١١٨٤ م
محمد الناصر	٥٩٥ هـ ــ ١١٩٩ م

يوسف الثاني المستنصر	٦١١ هـ	١٢١٤ م
عبد الوالد بن يوسف	٦٢٠	١٢٢٣
عبد الله العادل	٦٢١	١٢٢٤
يحيى بن الناصر	٦٢٤	١٢٢٧
ابو العلاء ادريس المأمون	٦٢٦	١٢٢٩
عبد الواحد الرشيد	٦٣٠	١٢٣٢
ابو الحسن علي السعيد	٦٤٠	١٢٤٢
ابو حفص عمر المرتضى	٦٤٦	١٢٤٨
ابو العلاء الواثق	٦٦٥–٦٦٧ هـ	١٢٦٦ – ١٢٦٩ م

بنو مرين

عثمان الاول	٦١٤	١٢١٧
محمد الاول	٦٣٧	١٢٣٩
ابو يحيى ابو بكر	٦٤٢	١٢٤٤
عمر بن ابي بكر	٦٥٦	١٢٥٨
ابو يوسف يعقوب	٦٥٧	١٢٥٩
ابو يعقوب يوسف ناصر دين الله	٦٨٥	١٢٨٦
ابو ثابت عامر	٧٠٦	١٣٠٧
ابو الربيع سليمان	٧٠٨	١٣٠٨
ابو سعيد عثمان الثاني	٧١٠	١٣١٠
ابو الحسن علي	٧٣٢	١٣٣١
ابو عنان	٧٤٩	١٣٤٨
السعيد	٧٥٩	١٣٥٨
ابو سليم ابراهيم	٧٦٠	١٣٥٩
ابو عمر تاشفين	٧٦٢	١٣٦١
عبد الحليم	٧٦٢	١٣٦١

ابو زيان محمد الثاني	٧٦٣ هـ	١٣٦١ م	
السعيد الثاني	٧٧٤	١٣٧٢	
ابو عباس احمد	٧٧٦	١٣٧٤	
موسى	٧٨٦	١٣٨٤	
المنتصر	٧٨٦	١٣٨٤	
الواثق	٧٨٨	١٣٨٦	
ابو العباس احمد (مرة ثانية)	٧٨٩	١٣٨٧	
ابو فارس	٧٩٦	١٣٩٣	
ابو سعيد	٨١٤	١٤١١	حوالى
سعيد ويعقوب	٨٢٤	١٤٢١	
عبد الله	٨٢٦	١٤٢٣	
محمد بن ابي عنان احمد			
المولى ابو حسون	٨٦٢	١٤٥٨	حوالى
عبد الله	٨٧٥	١٤٧٠	»
المولى سعيد	٨٧٦	١٤٧١	»
المولى احمد			
المولى ناصر بوكنتوف	٩٠٨	١٥٠٢	
المولى احمد	٩٢٦	١٥٢٠	
المولى ابو حسون	٩٦١	١٥٥٤	

الاشراف السعديون

ابو عبد الله القائم بامر الله	٩١٦	١٥١١
ابو العباس احمد الاعرج	٩٢٣	١٥١٧
محمد الشيخ الاول المهدي	٩٥١	١٥٤٤
المولى عبد الله الاول	٩٦٤	١٥٥٧
المولى محمد	٩٨١	١٥٧٤

ابو مروان عبد الملك الاول ٩٨٣ هـ ـ ١٥٧٥ م

المولى احمد المنصور بن عبد الملك الذهبي ٩٨٦ ـ ١٥٧٨

المولى المأمون ١٠١٢ ـ ١٦٠٢

المولى عبد الله الثاني ١٠٢٢ ـ ١٦١٣

المولى عبد الملك ١٠٣٣ ـ ١٦٢٤

محمد الشيخ الثاني ١٠٣٦ ـ ١٦٢٧

المولى احمد العباس ١٠٦٤ ـ ١٠٦٩ هـ ـ ١٦٥٤ ـ ١٦٥٩ م

الاشراف الحسنيون

المولى محمد بن الشريف ١٠٥٠ هـ ـ ١٦٤٠ م

المولى الرشيد ١٠٧٥ ـ ١٦٦٤

ابو النصر المولى اسماعيل ١٠٨٤ ـ ١٦٧٢

احمد الذهبي ١١٣٩ ـ ١٧٢٧

المولى عبد الله بن اسماعيل ١١٤١ ـ ١٧٢٨

المولى محمد بن عبد الله ١١٧١ ـ ١٧٥٧

المولى يزيد ١٢٠٤ ـ ١٧٨٩

المولى سليمان ١٢٠٦ ـ ١٧٨٩

المولى عبد الرحمن بن هشام ١٢٣١ ـ ١٨١٦

المولى محمد بن عبد الرحمن ١٢٧٦ ـ ١٨٥٩

المولى الحسن ١٢٩٠ ـ ١٨٧٣

المولى عبد العزيز ١٣١١ ـ ١٨٩٤

المولى الحفيظ ١٣٢٦ ـ ١٣٣٠ هـ ـ ١٩٠٩ ـ ١٩١٢ م

السلطان يوسف ١٣٣٠ ـ ١٣٤٦ هـ ـ ١٩١٢ ـ ١٩٢٧ م

الملك محمد الخامس ١٣٤٦ ـ ٠٠٠ هـ ـ ١٩٢٧ ـ ٠٠٠ م

الاغلبيون

ابراهيم الاول	١٨٤ هـ — ٨٠٠ م
عبد الله الاول	١٩٦ — ٨١١
زيادة الله الاول	٢٠١ — ٨١٦
ابو عقال الاغلب	٢٢٣ — ٨٣٧
محمد الاول	٢٢٦ — ٨٤٠
احمد بن ابي العباس	٢٤٢ — ٨٥٦
زيادة الله الثاني	٢٤٩ — ٨٦٣
محمد الثاني	٢٥٠ — ٨٦٤
ابراهيم الثاني	٢٦١ — ٨٧٤
عبد الله الثاني	٢٨٩ — ٩٠٢
زيادة الله الثالث	٢٩٠—٢٩٦ هـ ٩٠٣—٩٠٩ م

دولة العُبيديين بافريقية

عبيد الله المهدي	٢٩٦ هـ — ٩٠٨ م
القائم ابو القاسم محمد	٣٢٢ — ٩٣٤
اسماعيل المنصور	٣٣٤ — ٩٤٦
المعز لدين الله ابي تميم	٣٦١ — ٩٧٢

دولة بني زيري الصنهاجيين في تونس

يوسف بن بلكين بن زيري بن باديس ٣٦١ هـ — ٩٧٢ م

المنصور بن يوسف	٣٧٣ — ٩٨٣
باديس بن المنصور	٣٨٦ — ٩٩٦
المعز بن باديس	٤٠٦ — ١٠١٥
تميم بن المعز	٤٥٣ — ١٠٦١

يحيى بن تميم	٥٠١ هـ ـ ١١٠٨ م
علي بن يحيى	٥٠٩ ـ ١١١٥
الحسن بن علي	٥١٥ـ٥٤٢ هـ ١١٢١ـ١١٤٧ م

دولة بني حفص بتونس

عبد الواحد بن ابي بكر بن ابي حفص	٦٠٣ هـ ـ ١٢٠٧ م
ابو زيد بن عبد الواحد	٦١٨ ـ ١٢٢١
محمد بن يحيى	٦٤٧ ـ ١٢٤٩
يحيى بن محمد	٦٧٥ ـ ١٢٧٦
ابو حفص عمر الملك	٦٨٣ ـ ١٢٨٤
محمد بن يحيى الواثق	٦٩٤ ـ ١٢٩٥
ابو حفص عمر	٧٤٧ ـ ١٣٤٦
ابراهيم المستنصر	٧٥٣ ـ ١٣٥٢
ابو البقاء خالد	٧٧٠ ـ ١٣٦٩
ابو العباس احمد	٧٧٢ ـ ١٣٧٠
ابو فارس عبد العزيز	٧٩٦ ـ ١٣٩٤
محمد بن ابي فارس	٨٣٧ ـ ١٤٣٤
ابو عمرو عثمان	٨٣٩ ـ ١٤٣٦
يحيى بن ابي عبد الله المسعود	٨٩٣ ـ ١٤٨٨
محمد بن الحسن	٨٩٩ ـ ١٤٩٤
الحسن بن محمد	٩٣٢ ـ ١٥٢٦
احمد بن الحسن	٩٤١ ـ ١٥٣٤
محمد بن الحسن	٩٧٨ـ٩٨٢ هـ ـ١٥٧٠ـ١٥٧٤ م

العائلة الحسينية بتونس

حسين بن علي باشا	١١١٧ هـ ـ ١٧٠٥ م
الباي علي باشا	١١٥٣ ـ ١٧٤٠

الباي محمد الرشيد	١١٦٩ هـ	١٧٥٦ م
الباي علي الثاني	١١٧٢	١٧٥٩
« حموده	١١٩٦	١٧٨٢
« عثمان	١٢٢٩	١٨١٤
« محمود	١٢٣٠	١٨١٥
« حسين	١٢٣٩	١٨٢٤
« مصطفى	١٢٥١	١٨٣٥
« المشير احمد	١٢٥٣	١٨٣٧
« المشير محمد	١٢٧١	١٨٥٥
المشير محمد الصادق باي	١٢٧٦ـ١٢٩٩ هـ	١٨٥٩ـ١٨٨٢ م
علي باي	١٢٩٩	١٨٨٢
محمد الهادي باي	١٣٤٠	١٩٢٢
محمد الناصر باي		
محمد الحبيب باي		
محمد المنصف باي	١٣٦٢	١٩٤٣
محمد الامين باي	١٣٧٦	١٩٥٧

عائلة القره‌مانلي بطرابلس الغرب

احمد القره‌مانلي	١١٢٣ هـ	١٧١١ م
محمد بن احمد	١١٥١	١٧٣٨
علي بن احمد	١١٦٧	١٧٥٤
علي الجزائري	١٢٠٧	١٧٩٣
يوسف بن علي بن محمد بن		
احمد القرمانلي	١٢١٠	١٧٩٥
علي بن يوسف	١٢٤٦ـ١٢٥١ هـ	١٨٣٠ـ١٨٣٥ م

الفصل السادس

الدول الاسلامية

في مصر والشام وجزيرة العرب

الدولة الطولونية :

قامت الدولة الطولونية بمصر سنة ٢٥٤ هـ ـ ٨٦٨ م ، وتنسب هذه الدولة الى رجل تركي يدعى طولون والد الامير احمد أصله من تركستان أخذ أسيرا في احدى الوقائع الحربية وجيء به الى ابن اسد الصماحي عامل المأمون على بخارى ، فبعثه ابن اسد الى الخليفة ضمن المماليك الذين أرسلهم اليه سنة ٢٠٠ هـ ـ ٨١٦ م فأعجب المأمون بتناسب أعضائه وقوة بنيته ، فألحقه بحاشيته وصار يرقيه الى ان جعله رئيس حرسه .

واما ابنه احمد بن طولون فقد تولى على مصر في اواخر خلافة المتوكل سنة ٢٥٥ هـ ـ ٨٦٩ م ، ولما تم امر الامير احمد بن طولون في ولايته على مصر استكثر من مشترى المماليك الديالمة واشترى عبيداً من الزنج واتخذ كثيرا من شناترة العرب مما قوى ساعده وسطا على الخلفاء وادعى الخلافة لنفسه بمصر وانفرد بخراجها ، وحاربه المعتضد بالله أشد المحاربة فلم يقدر عليه .

قال ابن وصيف شاه لما تولى الامير احمد بن طولون على مصر اخذ في اسباب عمارة قرى مصر وعمارة جسورها وقناطرها وحفر خلجانها وسد ترعها ، فاستقامت أحوال الديار المصرية في ايامه بعدما كانت قد تلاشى أمرها الى الخراب وانحط خراجها في ايام من تقدمه من العمال [1] .

---

(١) تاريخ مصر لابن اياس ج١

وسار احمد بن طولون بعد ان استخلف بمصر ابنه العباس الى دمشق فملكها وأقر قواد اماجور على اقطاعهم ، وسار الى حمص فملكها وكذلك حماة وحلب وسار الى انطاكية فملكها بعد قتال شديد ، ومضى الى طرسوس فدخلها ، ولما بلغه ان ابنه العباس خالف عليه بمصر واخذ الاموال وسار الى برقة عقد على جيش وبعث به الى برقة فقاتل جيش العباس وهزمه سنة ٢٦٧ هـ ــ ٨٨١ م ، وأسر العباس واخذه الى والده فحبسه ، ثم خرج بنفسه فأقام بالاسكندرية واشتدت العداوة بينه وبين الموفق ، وفي سنة ٢٦٩ هـ ــ ٨٨٣ م ، حصلت بين عساكر ابن طولون والموفق وقعة انهزم فيها جيش ابن طولون وثارت عليه عماله في الشام فسار ثانية ، فنازلها ورجع الى مصر ومات سنة ٢٧٠ هـ ــ ٨٨٤ م .

* * *

الدولة الاخشيدية :

قام المعتضد يريد الاستيلاء على مصر ، فسار الى آمد سنة ٢٨٥ هـ ــ ٨٩٨ م ، فافتتحها بالامان ، ومات المعتضد وخلفه المكتفي بالله ، وبعد ان هزم القرامطة ٢٩١ هـ ٩٠٤ م ، عزم على فتح مصر فبعث ٢٩٢ هـ ــ ٩٠٥ م ، جيشا مع قائده محمد بن سليمان فاستولى على دمشق وسار حتى دنا من مصر فاستعد هارون بن خمارويه للمدافعة الا ان غالب قواده غدروا به ولحقوا بعسكر الخليفة ، وجرى بين هارون ومحمد بن سليمان فأمنه ثم هرب ، واستولى محمد بن سليمان على مصر وأخرج ولد احمد بن طولون وقوادهم ولم يبق بمصر منهم أحد يذكر وخلت منهم الديار وحل بهم الذل بعد العز .

ولما رأى ابو بكر محمد بن طغج امير مصر ما كان من انحلال الدولة العباسية وانقسام الدولة الاسلامية صرح باستقلاله في مصر ٣٢٣ هـ ــ ٩٣٥ م ، واضطر الخليفة الراضي الى تثبيته ، وملكه فوق ذلك الشام والجزيرة والحرمين وغير ذلك ولقبه بالإخشيد ، وكان ذلك لقب ملوك فرغانة ، ومن سلالة ابي بكر هذا جاءت الدولة الاخشيدية .

حارب الاخشيد ابن رائق ودخل دمشق وأصلح امورها وعاد الى مصر .

ثم حصل انقسام في العائلة الإخشيدية وارتبكت أحوال الدولة من الفتن التي كان يرى منها قرب انقراض الدولة الإخشيدية مماسهل للعبيديين الاستيلاء على مصر.

* * *

العبيديون أو الدولة الفاطمية :

بعد ان دخل العبيديون مصر سير جوهر جيشاً مع جعفر بن فلاح الى الشام فبلغ الرملة وبها الحسن بن عبد الله بن طغج وغيره من بواقي الاخشيديين فحاربهم ودخل الرملة عنوة ، ثم سار الى طبرية ، وقصد دمشق فافتتحها عنوة ، وحصلت حروب هائلة بين القرامطة وجيش المعز بالقرب من عين شمس (المطرية) وكاد جيش المعز يضعف لولا انهزام حسان بن الجراح الطائي بالعرب ، ذلك الانهزام الذي أضعف جانب القرمطي وجعل جيش المعز ينتصر ويقتفي اثرهم الى بلدهم الاحساء والقطيف .

ولم يكتف الفاطميون بهذا الفوز السياسي الذي أحرزوه بل اخذوا ينازعون العباسيين في امور دينية ، واعترف بخلافتهم في كثير من البلاد الاسلامية .

واجتهد الفاطميون في انجاح التجارة والصناعة والفلاحة والعلوم ، وبنوا المساجد الفاخرة وحسنوا ادارة الخراج وكيفية تحصيله .

* * *

الدولة الصلاحية :

استولى صلاح الدين ٥٦٧ هـ ــ ١١٧٢ م ، على بلاد مصر عاملا لنور الدين ، وباستيلاء صلاح الدين هذا قطع خطبة العاضد لدين الله آخر خلفاء الفاطميين بامر نور الدين وأقام الخطبة العباسية ، وثقل مرض العاضد في هذه السنة ومات ، وبموته انقضت ايام الخلفاء الفاطميين وعدتهم اربعة عشر وملكوا مائتين وثماني سنين.

ولما استقر صلاح الدين يوسف عاملا لنور الدين على مصر أحضر اباه واخوته واهله فقدموا عليه من الشام وأقطعهم الاقطاعات العظيمة ، وفي ٥٦٧ هـ ــ ١١٧٢ م ، جرى بين نور الدين وصلاح الدين وحشة في الباطن لان صلاح الدين كان يميل الى الاستقلال ، ولذلك أخذ في إعداد القوات ، ولما أحس نور الدين بذلك كتب

اليه يستقدمه مع فرقة من رجاله مظهرا له الاستنجاد به في حرب الصليبيين عند الكرك ، وكان في الحقيقة يقصد ابعاده عن مصر ليأمن غائلته ، فأدرك صلاح الدين ذلك وأخذ يعد العدة حتى اشتد النفور بين هذين الرجلين ، وهمّ نور الدين بحشد الجيوش وتسييرها الى مصر لاخراج صلاح الدين منها واقامة حامية لحماية الحدود التي يخشى هجوم الصليبيين عليها ، وبينا هو على أهبة الرحيل فاجأته المنية فمات بدمشق سنة ٥٦٩ هـ ـ ١١٧٤ م ، وبموته رأى صلاح الدين اذ ذاك من قواته والاحوال المحيطة به ما لبلوغ ما كان يتمناه من الاستقلال بالملك ، فصرح بسلطانه في مصر والشام ، وأخذ يحارب الملك الصالح وسيف الدين غازي في البلاد الشامية وغلبهما وتم له الفوز بمصر والشام .

وعاد صلاح الدين الى مصر ٥٧٢ هـ ـ ١١٧٦ م ، بعد ان استخلف أخاه طوران شاه على دمشق ، وكان أمر قبل سفره الى الشام وزيره الامير بهاء الدين الاسدي ان يقيم البنايات اللازمة لرونق البلاد ومنعتها ، فأنفذ بهاء الدين ما عهد اليه بغيرة ونشاط .

ولصلاح الدين وقعات مع الصليبيين انتصر فيها نصراً مبيناً سنذكرها في بحثنا عن الحروب الصليبية .

* * *

دولة المماليك البحرية :

قامت دولة المماليك الترك الاولى المعروفة بالبحرية ٦٤٨ هـ ـ ١٢٥٠ م ، وسموا بالبحرية لان الصالح نجم الدين ايوب أسكنهم قلعة الروضة وصار اولئك المماليك يتدربون على الاعمال البحرية .

ولما قامت بمصر المنازعات بخصوص ملك مصر اتفق كبراء الدولة على اقامة عز الدين أيبك الجاشنكير الصالحي في السلطنة لعدم تعود الاسلام على حكومة النساء ، فتزوج عز الدين بشجرة الدر وانضم حزبها الى حزبه وفاز بمبايعة الاشرف مظهر الدين موسى سنة ٦٤٨ هـ ـ ١٢٥٠ م .

واخذ المعز عز الدين ايبك يسعى للاستقلال بالسلطة حتى ابطل اسم الاشرف موسى واستقل بالسلطة .

وحارب سيف الدين مظفر قطوز ٦٥٨ هـ ـ ١٢٦٠ م ، جيوش هولاكو بالشام ، وبعد وقائع انهزم التتار هزيمة قبيحة ، وأعادت جيوش مصر فتح حماة ودمشق وبقية بلاد الشام .

وفي ايام ركن الدين بيبرس البنقداري سنة ٦٦٠ هـ ـ ١٢٦٢ م ، قدم شخص الى مصر من بني العباس الذين سلموا من قتل التتار في بغداد واسمه احمد بن الظاهر بن الناصر ، فعقدوا له مجلسا من شيخ الاسلام وغيره من القضاة والعلماء ومشايخ الصوفية والطرق وسائر الامراء وأرباب الدولة والسلطان الظاهر بيبرس بنفسه وأثبتوا نسبه ، وعلى هذا يكون عم المستعصم ، وجاء بجماعة من العرب العارفين به فشهدوا بنسبه فبايعه السلطان الظاهر والقضاة والعلماء وغيرهم بالخلافة ولقبوه بالمستنصر بالله ، وبايع المستنصر الملك الظاهر بالسلطنة وفوض اليه امر البلاد الاسلامية وما يضاف اليها ، ومن وقتئذ صارت القاهرة مقر الخلفاء العباسيين يبايعهم سلاطينها وليس بيدهم من الملك والتصرف شيء ، بل الامر بيد السلاطين واستمر ذلك الى دخول السلطان سليم الاول مصر ٩٢٢ هـ ـ ١٥١٦ م ، وانتقال الخلافة الاسلامية لبني عثمان كما سيأتي .

وجهز الملك الظاهر جيشاً وسار به من مصر الى الشام وأغار على عكا وصور وطرابلس وحصن الاكراد ، وكانت في ايدي الصليبيين ، وسار الى ارمينية واستولى عليها ، واقتحم الفرات وحارب التتار وهزمهم ، وغزا بلاد الروم بعساكره المتوافرة .

* * *

دولة المماليك الجراكسية :

قامت سنة ٧٨٤ هـ ـ ١٣٨٢ م دولة المماليك الثانية المعروفة بالجراكسة ، وسبب قيامها ان الصالح حاجي بن الاشرف شعبان بويع له وعمره لا يتجاوز الست سنوات فثارت في اول حكمه عربان بلاد البحيرة ونهبوا البلاد فجرد عليهم برقوق ستة امراء وخمسمائة مملوك فحاربوهم حتى شتتوا شملهم وغنموا منهم غنائم وافرة ،

ثم اتفق ان الشيخ الصفوي أبلغ الاتابكي برقوق خبر اتفاق بعض المماليك على قتله ، فعزم برقوق من وقتئذ على اظهار مقصده ، فجمع الخليفة المتوكل على الله والقضاة وأخبرهم بالحالة التعسة التي وصلت اليها البلاد واختلال الامن ورحيل السكان من المظالم والتعديات ، وانه اذا لم تسلم البلاد لسلطان قوي ذي بطش ساءت الحالة اكثر مما هي وعم الاضطراب ، وبعد ان تداول المذكورون في الامر طويلا قرروا خلع الملك الصالح ومبايعة الاتابكي برقوق اول دولة المماليك الثانية المعروفة بالجراكسة .

وفي عهد الظاهر برقوق ٧٩٥ هـ ــ ١٣٩٣ م ، استفحل امر تيمورلنك ونازل بغداد وامتلكها من نائبها السلطان احمد بن ادريس الذي قدم الى مصر مستنصراً بالظاهر برقوق فقابله الظاهر بالاكرام ٧٩٧ هـ ــ ١٣٩٥ م ، واخذ يجهز الجيوش لمساعدته ، وخرج بها الى الشام واستصحب معه السلطان احمد ، ثم بعث جيشاً مع السلطان احمد يساعده على فتح بغداد فتم له ذلك وضرب السكة باسم السلطان برقوق وخطب له .

وغزا الناصر فرج دمشق وافتتحها وفتح كثيراً من بلاد الشام وعُني بالاصلاحات الداخلية فساد الامن في أطراف البلاد .

وتواطأ الامراء الخارجون عن طاعة الناصر على خلع الناصر واجلاس الخليفة المستعين بالله العباسي وقد تم ذلك ، وصار الخليفة العباسي سلطانا وخليفة ، ثم خلع ولم يلبث في الخلافة الى قليلا .

وخرج طومان باي ٩٢٣ هـ ــ ١٥١٧ م ، بجيش يضم ٤٠٠٠٠ من الجراكسة بقصد قتال السلطان سليم الاول ومنعه من دخول مصر ، ووقع القتال بين الجيشين في سهل بركة الحج ، فانهزمت الجراكسة ، وهرب طومان باي وعسكره بعد ان قتل منهم خلق كثير ، ثم قبض عليه وجيء به الى السلطان سليم وأذن له بالحضور في الاجتماعات التي كان يعقدها السلطان للنظر في امر البلاد وكان يسأله في كثير من المسائل المتعلقة بها وبخراجها وادارتها واستمر على ذلك عشرة ايام ، ثم رأى السلطان سليم لزوم قتله فأمر بشنقه ٩٢٣ هـ ــ ١٥١٧ م ، وبقتله انتهت دولة الجراكسة

بعد ان حكموا ١٤٠ سنة تقريباً ، ومن وقتئذ صارت البلاد المصرية وتوابعها من الولايات العثمانية الكبيرة وانتقلت الخلافة الى سلاطين آل عثمان .

* * *

العائلة المحمدية العلوية :

قامت العائلة المحمدية العلوية في مصر سنة ١٢٢٠ هـ ــ ١٨٠٥ م ، أسس هذه العائلة محمد علي باشا الكبير ، ولد بمدينة قوله من اعمال مقدونية سنة ١١٨٢ هـ ١٧٦٨ م ، وكان والده يسمى ابراهيم آغا من ضباط تلك المدينة ، ولما توفي والده تركه في سن لايتجاوز الاربع سنوات فكفله عمه ، ثم مات عمه بعد ذلك بمدة يسيرة فتكفل به حاكم المدينة المذكورة ورباه عند احد اصدقاء والده ، فشب على حب استعمال السلاح ، وزوجه وهو في الثامنة عشرة من العمر باحدى قريباته ، وكانت ذات يسار ، فكان ذلك مبدأ ثروته واشتغل بالتجارة ونجح فيها خصوصاً في تجارة التبغ التي هي أعظم حاصلات بلدته .

ولما عين كوجك حسين باشا لاخراج الفرنسويين من مصر كتب الى (جورباجي) مدينة قوله حسين اغا بارسال عدة من العسكر فأرسل مائتي جندي مع صهره محمد علي اغا هذا صحبة الاسطول الذي أقلع الى مصر سنة ١٢١٤ هـ ــ ١٧٩٩ م ، وبعد اخراج الفرنسويين من الديار المصرية ١٢١٦ هـ ــ ١٨٠١ م ، ترقى محمد علي الى رتبة قائد فرقة ، ثم توظف في معية محمد خسرو باشا والي مصر ، ولم يزل محمد علي يتقدم الى ان ارتقى الى رتبة امير لواء ، فظهر حينئذ اقباله وعلا نجم سعده حتى خاف منه خسرو باشا واراد الفتك به .

وبعد حدوث امور ووقائع يطول شرحها صدرت الاوامر السلطانية بتولية محمد علي باشا على الديار المصرية في شهر صفر من سنة ١٢٢٠ هـ ــ ١٨٠٥ م ، عملا بارادة أعيان البلاد وأمرائها .

واخذ محمد علي بعد توليته يسعى بشتى الطرق في تسكين الاضطرابات وقطع دابر الفتن واستمالة قلوب المشايخ والعلماء وأصحاب الكلمة .

ثم ان الحكومة الانكليزية اعتبرت تثبيت محمد علي مخلاً بنفوذها ومضراً بمصالحها ، فجردت حملة تحت قيادة الجنرال فريزر لارجاع سلطة المماليك ، فوصل

الانكليز الاسكندرية في ٩ المحرم سنة ١٢٢٢ هـ ــ ١٧ آذار ١٨٠٧ م ، وفي ٤ رجب ١٢٢٢ هـ ــ ١٨٠٧ م ، عقد صلح بين محمد علي والانكليز مؤداه ان يخرج الانكليز من الاسكندرية وفي ١٧ رجب ١٢٢٢ هـ ــ ١٨٠٧ م ، خرج الانكليز من الاسكندرية ودخلها محمد علي .

ولما رسخ قدم محمد علي ، وقوي شوكته ، سعى بعض الناس في مصالحته مع المماليك ، ثم اخذ يسعى محمد علي في تخليص مصر منهم وعزم على ابادتهم ودمارهم .

وتم لمحمد علي ما أراد وذلك ان السلطان محمود الثاني كلفه بقهر الوهابي الذي كان استفحل أمره في بلاد العرب وامره باخضاع الوهابيين ، فانتهز محمد علي الفرصة وأجاب السلطان طائعاً وشرع يجمع القوى اللازمة لتلك الغزوة وبعد ان رتب الحملة صورة وجعلها تحت قيادة ابنه طوسون ، وامر بخروج الحملة وقوادها وعسكر بهم في الحصوة المسماة بالعباسية ، ودعا جميع الاعيان والامراء والمماليك لوداع ابنه طوسون والاحتفال بخروجه ورجاله الى الغزوة .

وفي صفر ١٢٢٦ هـ ــ اول آذار ١٨١١ م ، اجتمع الناس وورد المماليك الى القلعة أفواجاً وصار محمد علي يستقبل المماليك ويرحب بهم في سرايته حتى اذا تكامل الجمع وأزفت الساعة الموعودة امر محمد علي بمسير الموكب فسار وكان المماليك في الخلف حولهم الفرسان والمشاة حتى اذا قربوا من باب العزب من أبواب قلعة القاهرة وساروا في طريق ضيق منحدر بين أسوار عالية ، فأمر محمد علي بغلق الابواب وأشار الى الارناؤد فهجموا على المماليك بغتة فارتاعوا وحاولوا الفرار فلم يجدوا لهم ملجأ ، وسقط المشاة على المماليك من خلفهم ضرباً برصاص البنادق فأرادوا الرجوع الى الخلف فلم يتمكنوا من كثرة الخيول وضيق الطريق ، وبهذه المذبحة انقرضت طائفة المماليك .

ولما خلت البلاد من المماليك واطمأن بال محمد علي من خوف حدوث ثورة في البلاد أصدر الاوامر بتجهز الجيوش لحرب الوهابيين ، فسافرت تلك الجيوش تحت قيادة نجله طوسون الى ينبع ١٢ شعبان ١٢٢٦ هـ ــ ٣ ايلول ١٨١١ م ، فاستخلصت من ايدي الوهابيين المدينة ومكة ، ثم وقع بين الطرفين قتال شديد اضطر طوسون الى

الهزيمة ، ولما عاد الجيش المصري الى ينبع ارسل طوسون الى ابيه يعلمه بالخبر ، فجهز له جيشاً آخر حمل به طوسون على الوهابيين فقهرهم في عدة مواقع ، وأراد محمد علي مشارفة القتال بنفسه ، فسار الى الحجاز وقبض على الشريف غالب بن مساعد لما تحقق فيه من الميل الى الفتنة وأرسله الى مصر ومنها نفته الدولة الى سلانيك .

وبينما محمد علي يستعد لفتح ما بقي بيد الوهابية من الاقطار العربية ، بلغه ان بيد لطيف باشا خطا سلطانيا يقضي بتقليده الولاية المصرية ، فأسرع محمد لاظ اوغلي نائب محمد علي بمصر مدة تغيبه بالقبض على لطيف باشا وقتله ، ولما حضر محمد علي الى مصر اخذ يقوي الثغور ويجهز المعدات الحربية ، وامر نجله طوسون بان يعقد شروطاً بينه وبين امير الوهابية عبد الله بن سعود تقضي بان يرد الوهابيون جميع ما سلبوه من الحجرة النبوية ، وان يبقى اميراً ببلاده بشرط الطاعة لمحمد علي وعاد طوسون الى مصر ، وبعد قليل من الزمن أصيب بمرض لم يمهله ومات .

ولما رأى الوهابيون في انفسهم القدرة على القتال استعدوا لهواستعد محمد علي لقتالهم واعد السفن لحمل الجنود ، وجعل على هذه القوة ولده ابراهيم ١٢ شوال ١٢٣١ هـ ــ ١٣ ايلول ١٨١٦ ، ولما اجتمعت الجيوش في ينبع تقدم بها ابراهيم الى الدرعية وبعد حصارها اياماً سلمها عبد الله بن سعود على غير شرط ، ثم قبض عليه وعلى أتباعه وبعث به وبكثير من أمراء الوهابين الى مصر ، ثم أرسلوا عبد الله بن سعود الى دار الخلافة فقتل هو واتباعه ، وبموتهم انتهى امر الوهابيين ، وعاد ابراهيم الى مصر بجميع عساكره ، وأنعم عليه السلطان بلقب والي مكة .

وبعد ان فرغ محمد علي من هذه الطائفة التفت الى تنظيم البلاد واصلاح القطر المصري فقطع دابر الاشقياء وأمّن السبل واخذ في تحسين سير التجارة براً وبحراً واهتم بالزراعة وأمر بحفر بعض الترع واصلاحها ، ونشط الحركة العلمية واصلح الجيش والادارة ، الى ما هنالك من الاصلاحات العمرانية التي قام بها .

وجهز محمد علي سنة ١٢٣٤ هـ ــ ١٨١٩ م ، جيشاً ، وجعل ابنه اسماعيل قائداً عاماً على هذه القوة وأرفقه بصهره احمد الدفتردار فتوجها بالجيوش وتقدما نحو

دنقله ، وهزم اسماعيل المماليك في واقعة كورتي ١٢٣٥ هـ ــ ١٨٢٠ م ، ثم امتلك في زمن قليل بلاد النوبة وبلاد سنار ، ووجد اسماعيل نقطة اتصال النيل الابيض بالنيل الازرق انها أعظم تلك البقاع وأحسنها فأخذ في تحصينها وأسس على رأسها مدينة الخرطوم .

وأحسنت الحكومة المصرية معاملة الامراء السودانيين وكانت هذه المعاملة سبباً لمقاصد الحكومة في ادارة شؤون البلاد واصلاح أحوالها ، ونظمت مدينة الخرطوم وقسمت مقاطعات السودان وحسنت الزراعة ونشرت اصول الصناعة والتجارة فيها الخ .

ثم عزم محمد علي على توسيع تخوم الديار المصرية ، ففتح ١٢٣٥ هـ ــ ١٨٢٠ م سيوة وأخضع سكانها واعترفوا بالطاعة والخضوع للحكومة المصرية .

وفي عام ١٢٣٩ هـ ــ ١٨٢٤ م ، ارسل محمد علي بامر الباب العالي حملة مصرية تحت قيادة ابنه ابراهيم للمحاربة في بلاد اليونان فسار وحارب ، وأظهرت الحملة المصرية في تلك الحروب شجاعة الابطال ولولا اتحاد الدول مثنى وثلاث على الجنود العثمانية والمصرية لما قامت لليونان قائمة في تلك الحرب .

وجرد محمد علي عام ١٢٤٧ هـ ــ ١٨٣١ م ، حملة في البر والبحر الى الشام فأرسل المشاة والمدفعية عن طريق العريش براً وسار ابراهيم في رجاله بحراً ، اما حملة البر فاستولت على غزة ويافا ، ثم وصل ابراهيم باشا الى يافا وسار في جيشه الى عكة ، ثم سار الى دمشق فأخضعها ولم تدافع الا يسيراً ، وبرحها الى حمص حيث كانت تنتظره الجنود العثمانية تحت قيادة محمد باشا والي طرابلس فوصلها صفر ١٢٤٨ هـ ــ ٨ تموز سنة ١٨٣٢ م ، وبعد الاخذ والرد استولى ابراهيم على حمص ، فخافت الشام سطوة هذا القائد ، فسلمت له حلب وغيرها من مدن الشام .

بعث الباب العالي حسين باشا السر عسكر بجيش عثماني لايقاف ابراهيم باشا عند حده فجاء وعسكر في اسكندرونة فلاقاه ابراهيم باشا وحاربه وانتصر عليه ، ثم تقدم في آسيا الصغرى تاركاً جبال طوروس وراءه ، وكان الباب العالي أرسل رشيد باشا في جيش لملاقاته ، فجند ابراهيم باشا جنداً كبيراً من البلاد التي افتتحها

وسار نحو القسطنطينية لملاقاة رشيد باشا فالتقى الجيشان في رجب ١٢٤٨ هـ ـ ١ كانون الاول سنة ١٨٣٢ م في قونية جنوبي آسيا الصغرى فتقهقر رشيد باشا برجاله واخترق ابراهيم باشا آسيا الصغرى حتى هدد الاستانة .

ولم يقف بابراهيم عن المسير الا توسط الدول وفي مقدمتهن الدولة الروسية فانفذت الى مصر البرنس مورافيف لمخاطبة محمد علي بذلك وتهديده ، فبعث الى ابراهيم ان يتوقف عن المسير ، ثم عقدت بمساعي الدول معاهدة من مقتضاها ان تكون الشام قسماً من مملكة مصر وابراهيم باشا حاكماً عليها وجابيا لخراج ادنة .

عاد ابراهيم باشا الى الشام واهتم بتدبير احكامها واخذ يدير الاحكام بكل دراية وحكمة خشية سوء العقبى ، وبالرغم من ذلك لم ينجح من ثورات استعرت نيرانها في الشام وحروب التقى فيها الجيشان العثماني والمصري .

وتوالت الحوادث الى جمادى الاولى ١٢٥٦ هـ ـ ١٥ تموز سنة ١٨٤٠ م ، فانعقدت معاهدة لوندرا التي تقضي باعتبار محمد علي باشا من تابعي الدولة العثمانية .

وبعد ذلك بيسير من الزمن جاءت الجيوش الانكليزية الى صيدا ثم سار الاسطول الانكليزي لحصار بيروت ، وكانت تحت قيادة سليمان باشا الفرنسوي وقد حصنها تحصيناً منيعاً ، ولكن لسوء الحظ جاءته الانباء ان ابراهيم باشا قتل وتشتت رجاله ، ولما رأى سليمان نفسه منفرداً في بيروت ترك المدينة فاستولى عليها الانكليز ، ثم اتصل به ان ابراهيم باشا لايزال حياً ويأمره بالثبات امام العدو .

ثم سار نابيه الى الا سكندرية بست سفن انكليزية وعرض على محمد علي باشا الصلح فقبل وعقدوا معاهدة وقع عليها الطرفان ، ومانعت الدول في تثبيتها وبقيت الامور على حالها حتى دارت المخابرات بين الباب العالي ومحمد علي باشا ، فأراد السلطان ارضاء محمد علي ، فأعطاه ولاية مصر على ان تكون وراثية لنسله بشرط ان يكون للسلطان الحق المطلق ان يختار من عائلة محمد علي من يريد لتوليتها ، فتردد محمد علي في بادىء الامر ، ثم أمر جيوشه ان تنسحب من الشام .

وتولى ابراهيم بن محمد علي الامارة المصرية بعد تنازل ابيه عام ١٢٦٥ هـ ١٨٤٩ م ، وقد تقدم في سيرة ابيه معظم سيرة حياته ، لانهما عملا معاً في مصر ،

وكان ابراهيم ساعد ابيه الايمن في فتوحه وسائر اعماله العسكرية ، ولم يدم حكم ابراهيم الا احد عشر شهرا ، وتوفي قبل والده .

ثم تولى عباس الاول ١٢٦٥ هـ ــ ١٨٤٩ م ، وكان على جانب من العلم والمعرفة، وشهد اكثر الوقائع الحربية وفي عهده انشىء الخط الحديدي بين مصر والاسكندرية واسست المدارس الحربية في العباسية ، ومدت الخطوط البرقية ، وجهزت حملة عسكرية لنجدة الدولة العثمانية في حربها ضد الروس .

ثم تولى الحكم سعيد بن محمد علي سنة ١٢٧٠ هـ ــ ١٨٥٤ م ، وفي عهده تم تمديد الخطوط الحديدية والبرقية بين الاسكندرية ومصر ، وعدلت الضرائب ، ورفع كثير منها ، وثارت مديرية الفيوم على الحكومة فاخمدت ثورتها ، واعطيت بلاد السودان بعض الامتيازات ، وولي عليها الامير حليم حكمداراً .

ثم تولى الحكم اسماعيل بن ابراهيم سنة ١٢٨٠ هـ ــ ١٨٦٣ م ، ووقعت في ولايته حوادث عظيمة بالديار المصرية منها : الاحتفال بفتح قناة السويس سنة١٢٨٦ هـ ١٨٦٩ م ، كان قد بوشر بحفرها على عهد عمه سعيد باشا فحضر ذلك الاحتفال ملوك اوربا ، او من يقوم مقامهم ، واعد لضيوفه من وسائل الزينة شيئاً كثيراً ، حتى انه بنى الاوبرا الخديوية بالقاهرة لتكون مرسحاً يشاهد فيه ضيوفه صنوف التمثيل .

وقد فتحت القناة ، وبيد الحكومة المصرية ٤٤ في المئة من اسهمها ونحو ٥٢ في المئة من اسهمها لفرنسا ، واما انكلترا فلم تشتر الا ٨٥ سهماً .

ثم تهور اسماعيل في النفقات على البلاد ، وعلى نفسه ، فاضطر للاموال فجعل يبدد مما في يديه من الاسهم ، واحتاج اخيرا الى مبلغ كبير ، فتقدمت فرنسا لابتياع تلك الاسهم ، فانتبهت انكلترا لما يترتب على ذلك من ازدياد نفوذ فرنسا في تلك المنطقة ، فابتاعت من اسماعيل ١٧٦٠٠٠ سهم بمبلغ ٤٠٠٠٠٠٠ جنيه ، ثم تورط في اسراف المال ، فاحتاج الى مال آخر ، فاقترض مليون جنيه من شركة السنديكات الكبرى ورهن عندها حصة مصر من ارباح القناة أي ١٥ بالمئة .

وبسبب اسرافه الكبير ، تدخلت بعض الدول الاوربية ذات العلاقة في الشؤون المالية المصرية ، فوضعوا قانون التصفية ، وعجزت مصر عن دفع المليون جنيه المذكور

فتنازلت عن الرهن ، وتألفت شركة فرنسية دفعت الدين ، وقامت مقام مصر في الاستيلاء على حصتها المشار اليها .

وكان اسماعيل قبل بيع اسهم القناة قد باع ارباحها لعشرين سنة ، فلما باع الاسهم لانكلترا سوت تلك الارباح بأن تسددها الحكومة المصرية باقساط مقدارها ٢٠٠٠٠٠ جنيه كل سنة الى عام ١٣١٤ هـ ــ ١٨٦٩ م .

ثم عينت الدول ذات العلاقة ١٢٩٥ هـ ــ ١٨٧٨ م ، لجنة مالية مختلفة ، لمراقبة حسابات الحكومة المصرية ، فرأت فيها عجزا مقداره مليون ومائتا الف جنيه ، فتنازل اسماعيل عن املاكه الخاصة واملاك عائلته للحكومة التي تعرف باملاك الدومين كما تقرر في تلك السنة استقراض ثمانية ملايين جنيه ونصف ، وجعلت املاك الدومين رهناً لها ، وهذا الدين المعروف بدين روتشيلد .

ثم صادق اسماعيل على تعيين ناظرين في مجلس النظـار ، احدهما انكليزي للمالية والآخر فرنسي للاشغال العمومية ، ثم اخرج الناظرين الاجنبيين ، فعظم ذلك على دولتي انكلترا وفرنسا ، فعمدتا الى الانتقام ، فسعتا في ذلك لدى الباب العالي سراً وجهراً حتى صدر الامر الشاهاني سنة ١٢٩٦ هـ ــ ١٨٧٩ م ، باقالته وتولية ابنه توفيق ، ورحل اسماعيل الى اوربا .

وفي ١٧ ربيع الآخر ١٣٠٤ هـ ــ ١٣ كانون الثاني ١٨٨٧ م ، الح الباب العالي على الحكومة الانكليزية ، ان تعين زمن جلاء جيوشها عن القطر المصري ، فأجابت انها لايمكنها ذلك الا متى استتب النظام فيه . وفي ٣ شباط تقرر ان يكون جيش الاحتلال منحصراً في ثلاثة مراكز : فيقيم في القاهرة ٢٩٠٠ جندي ، وفي الاسكندرية ٩٠٠ ، وفي اصوان ٤٠٠٠ .

ثم خلف محمد توفيق ابنه عباس حلمي سنة ١٣٠٩ هـ ــ ١٨٩٢ م ، وقد تزعم حركة جلاء البريطانيين عن مصر مصطفى كامل ، فجاهد بقلمه ولسانه وقلبه ، في مصر وتركيا وربوع اوربا ، يكتب ويخطب ، فأنشأ جريدة اللواء ، واخذ يتصل برجال الصحافة والسياسة والنفوذ والادب من مشاهير الغرب واليك نموذج مما سطره قلمه الى جلادستون في ربيع الثاني ١٣١٤ هـ ــ ٢٨ ايلول ١٨٩٦ م : ايها السيد

المبجل ان الذي يخاطبكم اليوم هو مصري ، تشرف من قبل بمراسلتكم ، ولما شرفتموني في شهر يناير الماضي بجوابكم الذي صرحتم فيه ان وقت الجلاء عن مصر قد حان منذ اعوام كتبت اليكم راجياً باسم الانسانية والشرف البريطاني ان تلقوا خطبة تذكرون فيها حكومة الملكة بان هناك معاهدات خاصة بمصر ، يجب احترامها ، فلم يصلني جواب ما ، وحسبت ان رجائي لم يؤثر أي تأثير في روحكم الشريفة الكريمة ، واليوم ارى من الاسف انكم لا تميلون الا الى المسيحيين من بني الانسان او ليس لنا حق كذلك نحن معشر المصريين المسلمين في دعواكم المؤثرة ونداءكم القوي ؟ أما انا فأظن ذلك ، وخصوصا لانكم بدعوتكم للجلاء عن مصر لاتدافعون عن حقوق امة متمدنة معتدلة فقط ، بل تدافعون كذلك عن مقام بريطانيا وشرفها ، وان اليوم الذي تدافعون فيه عن مصر تستميلون اليكم لامحالة كل المسلمين الذين يعتقدون الآن ان دفاعكم عن الارمن انما تحيز للمسيحية ودفاعاً عنها ، لا عن الانسانية ، وعلى هذا أؤمل ان تعيروا رجائي التفاتكم ورعايتكم ، ومع انتظاري لجوابكم ارجو منكم ايها السيد العظيم المقام أن تتفضلوا بقبول صادق اعتباري وعظيم احترامي .

ثم عقد اتفاق في ٨ نيسان ١٩٠٤ م ــ ١٣٢٢ هـ ، بين انكلترا وفرنسا هذا نصه :

تصرح حكومة جلالة الملك (ملك انكلترا) انها لاتنوي تغيير حالة مصر السياسية وتصرح حكومة الجمهورية الفرنسية انها لاتعيق عمل بريطانيا العظمى في مصر بطلب تحديد زمن الاحتلال الانكليزي ، او بأي اسلوب آخر .

ولما توفي مصطفى كامل ١٣٢٦ هـ ــ ١٩٠٨ م ، خلفه رفيقه في الجهاد محمد فريد فاضطلع باعباء الزعامة في ظروف اشد واحرج من ظروف سلفه ، هذا الى ان وفاة مصطفى كامل ، وما احدثته من قوة واستقرار في الشعور الوطني ، قد نبهت سلطات الاحتلال الى خطر الحركة الوطنية ، وعظم شأنها وحفزتها الى مضاعفة الجهود لاضطهادها واخمادها واتبعت سياسة جديدة للوصول الى هذه الغاية ، هي سياسة الوفاق التي عقدت بين الخديوي عباس حلمي والمعتمد البريطاني ، وحلت محل سياسة الخلاف والمشادة التي كانت قائمة بين الخديوي وسلطات الاحتلال ، وبذلك

استهدفت الحركة الوطنية لمحاربة السلطتين المتحالفتين ، ولكن محمد فريد لم يهن ولم يضعف ، بل استمر في نضاله ، وقاوم الاحتلال باستمساكه بالجلاء ، وظل يجاهد ويناضل ، حتى فاضت روحه في ربيع الاول ١٣٣٨ هـ ــ ١٥ تشرين الثاني ١٩١٩ م ، في برلين .

وفي المحرم ١٣٣٣ هـ ــ ١٨ كانون الاول ١٩١٤ م ، اعلنت الحماية البريطانية على مصر ، ثم اعلن في غده قيام السلطان حسين كامل على العرش ، ولم تمض اشهر قليلة بعد اعلان الحماية حتى اطلقت السلطات الانكليزية ايديها في دواوين الحكومة ، الا ماهي في غنى عنه ، ولا قدرة لها على ادارته .

ثم ولي السلطان فؤاد سلطنة مصر في ١٣٣٥ هـ ــ ١٩١٧ م ، ولما اعلنت الهدنة في صفر ١٣٣٧ هـ ــ ١١ تشرين الثاني ١٩١٨م ، ذهب سعد زغلول وصاحباه علي شعراوي وعبد العزيز فهمي فقابلوا معتمد الدولة البريطانية بمصر وبعد مناقشة وجيزة ، قالوا : اننا نريد ان نكون اصدقاء للانجليز صداقة الحر للحر لا العبد للسيد ، فصاح المعتمد دهشاً : اذن انتم تطلبون الاستقلال ؟ فأجابه سعد نعم ، ونحن أهل له ، فأجاب المعتمد اني لا اعرف شيئاً عن افكار الحكومة البريطانية في هذا الصدد ، ثم طلبوا منه السماح لهم بالسفر الى الخارج للمطالبة بالغاء الحماية والاعتراف باستقلال مصر امام مؤتمر الصلح في فرساي فرفض طلبهم ، فأخذ عندئذ الزعماء ينشرون الدعوة للاستقلال في انحاء البلاد ، وايدهم الشعب تأييداً كبيراً ، ومنحهم توكيلا للمطالبة باستقلال مصر استقلالا تاماً ، وتألف حزب الوفد المصري برئاسة سعد زغلول ، للسعي لتحقيق هذا الغرض .

فلما رأى الانجليز حماسة الشعب واشتداد الحركة الوطنية ، غضبوا وعزموا على استعمال القوة ، فنفوا سعد زغلول وثلاثة من زملائه محمد محمود وحمد الباسل واسماعيل صدقي الى جزيرة مالطة في جمادى الثانية ١٣٣٧ هـ ــ آذار ١٩٩١ م ، فقامت في البلاد ثورة ، تعرف بثورة سنة ١٩١٩ م ، ثم اطلق سراحهم في رجب ١٣٣٧ هـ ــ ٧ نيسان ١٩١٩ م ، فسافروا الى باريس ، ولحق بهم آخرون من اعضاء الوفد للدفاع عن قضية البلاد امام مؤتمر الصلح في فرساي ، ولكنه لم يقبل

اشتراكهم فيه ، واعترف بالحماية البريطانية على مصر ، فأخذ الوفد يعمل على افهام اهل اوربا واميركا مركز مصر وعدالة مطالبها وحقها في الاستقلال .

غير ان الانجليز لم يعترفوا بالوفد المصري ، وارسلت لجنة برياسة ملنر الى مصر لبحث اسباب الثورة ، فقاطعها الشعب المصري ، ولذلك اضطرت انجلترا ان تعترف بالوفد المصري ، وحدثت مفاوضات بين سعد واللجنة في لندن .

وبعد مدة قصيرة حدث نزاع بين سعد وعدلي يكن رئيس الوزراء واستقال بعض اعضاء الوفد ، وكونوا حزب الاحرار الدستوريين ، وسافر عدلي الى لندن على رأس وفد رسمي لمفاوضة الحكومة الانجليزية ، ولكن المفاوضات لم تنجح ، وعاد الى مصر ، واستقال في ربيع الثاني ١٣٣٩ هـ ـ كانون الاول ١٩٢٠ م .

وعلى اثرها اشتدت الحركة الوطنية بفضل جهاد سعد وخطبه الحماسية ، فلجأ الانجليز الى القوة مرة ثانية ، لوقف هذه الحركة ، فنفوا سعداً وبعضاً من كبار انصاره الى جزيرة سيشل في المحيط الهندي .

وبعد نفي سعد وصحبه اعلنت الحكومة الانجليزية تصريح ٢٨ شباط ١٩٢٢ م ، تهدئة للحالة بمساعي عبد الخالق ثروت ، وبموجبه اعلنت انجلترا الغاء الحماية البريطانية على مصر واعترفت بمصر مملكة مستقلة ذات سيادة ، واصبح السلطان ملكاً على البلاد .

واحتفظت انجلترا لنفسها باربع نقط وهي :

١ ـ ان يكون لها حق حماية قناة السويس .

٢ ـ ان يكون من حقها حماية مصالح الاجانب والاقليات الدينية بمصر .

٣ ـ ان تدافع عن مصر من أي تدخل او اعتداء اجنبي .

٤ ـ ان تتفاوض الدولتان فيما بعد في مركز السودان .

ولما تم وضع الدستور سنة ١٣٤١ هـ ـ ١٩٢٣ م ، بدىء في تنفيذه ، فاجريت انتخابات لاختيار اعضاء المجلس النيابي ، فحصل الوفد المصري فيه على اغلبية

عظيمة ، فألف سعد الوزارة الدستورية الاولى ، وافتتح المجلس في شعبان ١٣٤٢ هـ ١٥ آذار ١٩٢٤ .

وبعد وفاة سعد زغلول في ربيع الاول ١٣٤٦ هـ ــ ٢٣ آب ١٩٢٧ م ، خلفه في زعامة الوفد مصطفى النحاس ، وتولى رئاسة الوزارة وحاول في أثنائها الوصول الى اتفاق مع الانجليز يحقق به مطالب البلاد .

وجرت مفاوضات بين انجلترا ومصر في عدة مناسبات ، منذ اعلان تصريح ٢٨ شباط ، لحل مسألة التحفظات الاربعة ولكنها فشلت جميعها ، وأهمها مفاوضات سنة ١٩٣٠ م ، التي قام بها مصطفى النحاس رئيس الوزارة وقتئذ ، وعلى أثر فشل هذه المحاولة ، اقيلت وزارة النحاس ، وتألفت وزارة جديدة برئاسة اسماعيل صدقي ، وقامت بوضع دستور جديد يعرف بدستور سنة ١٩٣٠ م ، وعارضه بشدة الوفد المصري والاحرار الدستوريون وغيرهما من الاحزاب المصرية ، واستمر هذا الدستور معمولا به حتى ألغتهوزارة محمد توفيقنسيم في شعبان ١٣٥٣ هـ ــ تشرين الثاني ١٩٣٤ م ، واعادت دستور سنة ١٩٢٣ م .

وفي سنة ١٣٥٥ هـ ــ ١٩٣٦ م ، اظهر الشعب المصري والملك فؤاد الرغبة في اتحاد الاحزاب للوصول الى اتفاق مع الانكليز ، وقد لبى الزعماء النداء ، وتكونت الجبهة الوطنية برئاسة مصطفى النحاس .

وعقب وفاة الملك فؤاد الاول ١٣٥٥ هـ ــ ١٩٣٦ م ، نودي بابنه فاروق ملكاً على مصر ، ولما كان عمره اذ ذاك اقل من ثماني عشرة سنة ، تألف مجلس الوصاية برئاسة الامير محمد علي توفيق ولي العهد وبعضوية عبد العزيز عزت ومحمد شريف صبري ، ليشرف على احوال الدولة حتى يبلغ الملك السن الدستورية .

وفي سنة ١٣٥٥ هـ ــ ١٩٣٦ م ، اظهر المصريون والانجليز ، رغبة في التفاهم وحل المشكلات التي كانت بين البلدين ، فجرت مفاوضات بين الجبهة الوطنية برئاسة مصطفى النحاس ، وهيئة بريطانية برئاسة مايلز لامبسون المندوب السامي البريطاني بمصر ، وبدأت المفاوضة بقصر الزعفران بالقاهرة في المحرم ١٣٥٥ هـ آذار ١٩٣٦ م ، وانتهت بنجاح بقصر انطونيادس بالاسكندرية في آب وسائر اعضاء

الجبهة الوطنية الى لندن بدعوة من الحكومة البريطانية ، لامضاء المعاهدة هناك ، وقد تم امضاؤها في جمادى الثانية ١٣٥٥ هـ ـ ٢٦ آب ١٩٣٦ م ، وصارت تعرف بمعاهدة الزعفران .

ولما كان يقطن مصر اجانب كثيرون يتمتعون بامتيازات عظيمة ، تعرف بالامتيازات الاجنبية ، فاتفقت مصر مع الدول ذات العلاقة على عقد مؤتمر في مونترو بسويسرا في نيسان ١٩٣٧ م ، للنظر في مسألة الامتيازات الاجنبية بمصر ، وسافر وفد مصري برئاسة مصطفى النحاس لحضور هذا المؤتمر : وبعد مناقشات ، وافقت الدول على الغاء الامتيازات الاجنبية بمصر ، على ان يتم ذلك في اثنى عشر عاما ، ابتداء من شعبان ١٣٥٦ هـ ـ ١٥ تشرين الاول ١٩٣٧ م .

وفي ربيع الاول ١٣٥٦ هـ ـ ايار ١٩٣٧ م ، عقدت عصبة الامم بمدينة جنيف بسويسرا اجتماعاً خاصاً للنظر في قبول مصر عضواً فيها ، فوافقت الدول على قبول مصر عضوا في العصبة .

وفي ٢٩ تموز ١٩٣٧ م ، بلغ فاروق الاول السن القانونية ، فتولى سلطاته الدستورية .

وفي رجب ١٣٥٩ هـ ـ آب ١٩٤٠ م ، الغي صندوق الدين العمومي .

ثم اشتدت الخصومة السياسية بين الاحزاب وتكتلت الاحزاب المناوئة لحزب الوفد وساندها الملك ورجال القصر .

ثم فرض الانكليز على فاروق مصطفى النحاس لتأليف الوزارة في صفر ١٣٦١ هـ ـ شباط سنة ١٩٤٢ م ، فقبل الملك ذلك مرغماً .

ثم سرت في البلاد موجة من الاغتيالات ، فاغتيل امين عثمان واحمد ماهر ومحمود فهمي النقراشي وحسن البنا ، وتوالت الاحداث التي أنذرت بسوء العاقبة اضف الى ذلك معركة فلسطين الخاسرة ١٣٦٧ هـ ـ ١٩٤٨ م .

جمهورية مصر :

جعل كل ذلك الضباط الاحرار في الجيش المصري ١٣٦٨ هـ ـ ١٩٤٩ م ،

يعملون لاعادة الاتصال بينهم من جديد ، فأسسوا هيئة تضم في البداية جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين وحسن ابراهيم وخالد محيي الدين وعبد المنعم عبد الرؤوف ، ثم انضم اليها عبد الحكيم عامر وصلاح سالم وجمال سالم وعبد اللطيف البغدادي وانور السادات .

وفي ربيع الاول ١٣٦٩ هـ ـ كانون الثاني ١٩٥٠ م ، انتخب جمال عبد الناصر رئيساً للهيئة التأسيسية بالاجماع ، ثم اعيد انتخابه ١٣٧٠ هـ ـ ١٩٥١ م ، ثم تقرر القيام بالثورة ليلة ٢٣ تموز ١٩٥٢ م ، ونجحت تلك الثورة وما انتصف نهار ٢٣ يوليو حتى كانت السيطرة على الجيش قد اصبحت مطلقة ، وانهارت القلاع واحدة وراء الاخرى في ساعات وطلبت قيادة الثورة من فاروق ان يعهد اولا لعلي ماهر بتأليف الوزارة فقبل وقدم علي ماهر الى الاسكندرية .

وفي الساعة السادسة من صباح ٢٦ تموز ترأس زكريا محيي الدين مؤتمرا من ضباط جميع القوات الموجودة في الاسكندرية ، وشرح لهم واجباتهم ، ثم اصدر اليهم الاوامر النهائية ، وبعد نصف ساعة ، تحركت القوات ، فاحتلت مراكزها قبل الثامنة صباحاً ، واقامت القوات التي ستشترك في عملية ابعاد فاروق عن عرشه ، حصاراً على سراي رأس التين وسراي المنتزه ، وفي نفس اللحظة كانت هناك قوات بالقاهرة تحاصر قصري عابدين والقبة .

ثم وجه الى فاروق انذاراً من قيادة الثورة بالتنازل عن العرش ومغادرة البلاد ، فقبل الانذار وتنازل عن العرش لابنه الطفل فؤاد الثاني وغادر البلاد في الساعة السادسة من يوم ٢٦ تموز ١٩٥٢ م .

وقد حققت هذه الثورة الامور الآتية : في ١٨ حزيران الغيت الملكية واعلنت الجمهورية .

وفي ربيع الاول ١٣٧٣ هـ ـ ٩ تشرين الثاني ١٩٥٣ م ، صدر قرار بمصادرة املاك الاسرة المالكة السابقة أياً كان نوع هذه الاملاك .

وفي شعبان ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٥ م ، اشتركت حكومة الجمهورية المصرية في مؤتمر باندونج ، ولعبت في هذا الحقل الدولي الآسيوي الافريقي دوراً هاماً .

وبعد سنتين ونصف سنة أي في جمادى الاولى ١٣٧٧ هـ ـ كانون الاول ١٩٥٧م عقد في القاهرة مؤتمر الشعوب الافريقية الآسيوية ، فجاءت اعماله متممة لاعمال مؤتمر باندونج .

وقد حققت الجمهورية الجلاء التام عن ارض الوطن المصري ، وفي ذي القعدة ١٣٧٥هـ ـ حزيران ١٩٥٦ م ، اعلن جمال عبد الناصر رئيس جمهورية مصر تأميم شركة القناة ، وعودة الحقوق الى اصحابها ، وسيطرة مصر سيطرة نهائية كاملة على جميع مرافقها .

فثار الذين كانت القناة وشركتها مصدر ارباح ونعم لهم ، ومنفذا الى داخل الحظيرة المصرية ، ووسيلة للمساس بسيادة مصر ، فدبروا مؤامراتهم ، واتخذوا اداة للبدء بتنفيذها ، دولة اسرائيل .

وفي ربيع الاول ١٣٧٦ هـ ـ ٢٩ تشرين الاول ١٩٥٦ ، كان العدوان الثلاثي على مصر ، عدوان الانجليز وعدوان الفرنسيين وعدوان الصهيونيين وصمدت مصر وكتبت بور سعيد اسمها في سجل التاريخ الخالد ، وفشلت المؤامرة ، ووقف العالم في صف مصر ، لان حق مصر كان واضحاً جليا لايمكن نكرانه .

وواصلت الجمهورية تنفيذ مناهجها الاصلاحية في جميع الميادين ، فأممت بعض المرافق ، فضمنت استثمارها لمصلحة الشعب ، لا لمصلحة الافراد والجماعات .

ومصرت بعض المرافق ، فقضت بذلك على استغلال الاجانب لخيرات البلاد والاستئثار بها .

ثم عادت البلاد الى الحياة الدستورية ، ووضع الدستور الجديد في موضع التنفيذ ، واسفرت الانتخابات النيابية عن قيام مجلس الامة المصري في ذي الحجة ١٣٧٦ هـ ـ ٢٢ تموز ١٩٥٧ م ، واصبح لمصر اسطول حربي بجانب اسطولها التجاري وصار لمصر غواصات تجوب البحار بجانب الطائرات المحلقة في الجو .

واتفقت حكومة الجمهورية مع الحكومة السوفياتية على تنفيذ جميع المشروعات الصناعية التي تحول مصر الى بلد صناعي .

واخذت الحكومة في تشييد المدارس باستمرار ، بحيث اصبحت تتألف فيها الآن شبكة تمتد شعابها الى جميع انحاء القطر .

واعتنقت الجمهورية المصرية نظرية الحياد الايجابي .

وحققت الحكومة اعمال التحسين والتجميل في العاصمة والمدن والاقاليم واخيراً في ١ شباط ١٩٥٨ م ، اتحدت مصر وسورية تحت اسم الجمهورية العربية المتحدة .

* * *

الدولة الحمدانية في حلب :

قامت الدولة الحمدانية في حلب وما اليها ٣٣٣ هـ ـ ٩٤٥ م ، وسبب قيامها ان الخليفة العباسي بعث محمد بن رائق لينقذ الشام ومصر من الإخشيد ، فلم يضرب ابن رائق الاخشيد ضربة قاسية ، واكتفى بان ترك له مصر الى الرملة رملة فلسطين ٣٢٩ هـ ـ ٩٤١ م ، وقعد في القسم الاكبر من الشام ـ مقابل جزية سنوية قدرها مئة واربعون دينار .

كان هذا الامير يحاول ان يقيم له في الشام دولة ، فعصا فيه ، وقام يناجزه ناصر الدولة بن حمدان القتال ، وكان هذا استأثر بالموصل والجزيرة ، فقتل ابن رائق ٣٣٠ هـ ـ ٩٤٢ م ، وكتب بالامر الى الخليفة المتقي بالله فحل ذلك من نفسه محلا عظيماً ولقبه ناصر الدولة ولقب شقيقه علياً سيف الدولة ، وهذا هو صاحب الدولة التي اشتهر امرها في حلب وما اليها .

سار سيف الدولة ٣٣٣ هـ ـ ٩٤٥ م ، الى حلب فلقي فيها يأنس المؤنسي ، ففارقها يأنس واستأمن اليه في قطعة من الجيش ، فاستولى عليها سيف الدولة وسار الى دمشق وأقام الدعوة للمستكفي ولاخيه ولنفسه .

ولما بلغ الاخشيد ان سيف الدولة سار الى حمص يريد دمشق جرد عسكراً كبيراً ، فساروا الى دمشق ، ثم ساروا الى حمص فالتقوا مع سيف الدولة بالرستن من ارض حمص فهزمهم سيف الدولة ، فعادوا الى دمشق ، ثم خرجوا عنها يريدون الرملة ، ثم قصدوا الى مصر ، وسار سيف الدولة في اثرهم يريد دمشق ، وكتب

الرجحان لجيش سيف الدولة على جيش الاخشيد ، وأقام سيف الدولة بها وجبى خراجهـا .

ثم التقى عساكر الاخشيدية مع عساكر سيف الدولة بمرج عذراء على ساعتين من دمشق ، وكانت الواقعة اولا لسيف الدولة ثم آخرها عليه ، فانهزم وتقطع أصحابه وتبعوه الى حلب ، ولم يستطع سيف الدولة بعد ذلك ان ينال من الاخشيدية وبقيت لهم دمشق وما وراءها حتى مصر .

حارب سيف الدولة الروم وغزاهم ، وكذلك الروم أغاروا على أطراف الشام فسبوا وأسروا وعاثوا .

وتوفي سيف الدولة بن حمدان ٣٥٦ هـ ــ ٩٦٧ م ، بعد ان غزا الروم اربعين غزوة له وعليه ، فحفظ بغزواته بيضة العرب والاسلام ، ولولاه بعد ضعف العباسيين لتقدم الروم في بلاد الشام وربما استصفوها كلها .

وبعد حروب وغزوات أحياناً مع الاخشيديين والفاطميين وأخرى مع الروم ، انقرضت دولة بني حمدان ٣٩٤ هـ ــ ١٠٠٤ م ، بعد ان دامت حكومتهم في حلب وحماة وحمص والمعرة وانطاكية زهاء ٦٢ سنة عزيزة مستقلة في اولها ، ذليلة خاضعة لسلطان غيرها في آخرها .

* * *

تقسيم الشام بين القبائل وبني مرداس :

عند موت الحاكم بأمر الله ٤١١ هـ ــ ١٠٢٠ م ، اجتمع حسان امير بني طيء وصالح بن مرداس امير بني كلاب وسنان بن عليان امير بني كلب فتحالفوا واتفقوا على ان يكون من حلب الى عانة لصالح بن مرداس ، ومن الرملة الى مصر لحسان ، ودمشق لسنان .

قصد صالح حلب وبها رجل يقال له ابن ثعبان يتولى امرها للمصريين ، فسلم اهل البلد لصالح لاحسانه اليهم وسلمت القلعة اليه سنة ٤١٤ هـ ــ ١٠٢٣ م ، وملك من بعلبك الى عانة .

وافتتح حسان بن المفرج بن الجراح مدينة الرملة ٤١٥ هـ ـ ١٠٢٤ م ، واتى عليها حريقاً ونهباً وأسراً .

وحاصر سنان بن عليان مدينة دمشق ٤١٦ هـ ـ ١٠٢٥ م ، وجرت بينه وبين اهلها حرب شديدة ، وخرب داريا وأعمالها ، ولم تعمر هذه الدول الا قليلا وطغى عليها سيل السلجوقيين الجارف .

* * *

دولة آل سلجوق الدولة الاتابكية وبنو أرتق :

ظهرت دولة آل سلجوق في الشام سنة ٤٧٨ هـ ـ ١٠٨٥ م ، على يد تتش بن الب أرسلان وجلس على كرسي حكمها خمسة ملوك ، وانقضت حياتها سنة ٥١١ هـ ١١١٧ م .

ومن المماليك الذين حكموا الشام فأصبحوا ملوكاً وتسمت دولتهم باسمائهم الدولة الاتابكية في دمشق أسسها سيف الاسلام ظهير الدين طغتكين سنة ٤٩٧ هـ ١١٠٤ م ، وعدد ملوكها ستة ، وانتهى أمرها سنة ٥٤٩ هـ ـ ١١٥٤ م .

والتحق أرتق بصاحب دمشق تتش وعاونه على الاستيلاء على حلب وساعده في كثير من المواقف فأقطعه فلسطين سنة ٥٨٤ هـ ـ ١١٨٨ م ، ولما توفي صارت القدس وعملها لولديه ايلغازي وسقمان ابني أرتق ، وبقيت في حكم الارتقية ثلاث عشرة سنة واياماً .

* * *

الدولة النورية في الشام :

تنسب الدولة النورية الى الملك العادل نور الدين ، ويلقب زنكي ، كان جد نور الدين آق سنقر ولي حلب وغيرها من بلاد الشام ، ونشأ ابوه زنكي بالعراق ، ثم ولي ديار الموصل والبلاد الشامية ، وظهرت كفايته في مقابلة العدو ، ففتح الرها والمعرة وكفرطاب وغيرها من الحصون الشامية ، فلما انقضى أجله قام ابنه نور الدين مقامه سنة ٥٤١ هـ ـ ١١٤٦ م ، فقصد حلب فملكها .

ولم يكن نور الدين يتربع في دست الحكم في حلب حتى بدت آيات فضله وصحة حكمه وعقله وعزمه ، وأصبح لدولته المقام الاسنى في الشام .

كانت همة نور الدين منصرفة الى توحيد القوة الاسلامية فأخذ يسعى لذلك حتى تم له ما اراد ، خرجت بها الشام من انقسام الكلمة وتشتت الاهواء والآراء ومن خيانة الملوك والامراء الى تماسك وتعاضد ، ومن ظلمة الجهل والغرور الى ضياء العلم والنور ، ومن سلب أموال الامة الى امتاعها بالعدل الشامل والامن الكامل ، بسقت فروعها في أيسر زمن وأحرج العصور ، فخطب الناس ودها في كل مكان وودوا لو كان لها الحكم عليهم .

قضى نور الدين مدة ملكه في الشام التي لاتتجاوز اربعاً وعشرين سنة مقاتلا الاعداء في الغرب والجنوب وانتصر على أعدائه نصراً مبيناً وفتح نيفاً وخمسين حصنا وأقام المعالم وهو مشتغل بحفظ الاوطان .

* * *

الايوبيون :

خلف صلاح الدين سبعة عشر ذكراً وابنة واحدة ، وناب بعض أولاده عنه في اكثر بلاده ، وخلف أخاه الملك العادل ابا بكر ، وكان ينوب عنه في مصر والشام في حياته ، فوقع الخلف بين بنيه وعمهم في الباطن اولا ، ثم أعلن كل واحد لصاحبه خصومته .

وكان الملك الافضل نور الدين علي أكبر اولاد صلاح الدين قد حلف له الناس عندما اشتد مرض والده ، فاستقر في ملك دمشق وبلادها المنسوبة اليها ، وبحلب الملك الظاهر غياث الدين غازي ، وبالكرك والشوبك والبلاد الشرقية الملك العادل سيف الدين ابو بكر بن ايوب ، وبحماة وسلمية والمعرة ومنبج وقلعة نجم الملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر ، وببعلبك الملك الامجد نجم الدين بهرام شاه ، وبحمص والرحبة وتدمر شيركوه بن محمد ، وببصرى الملك المظفر خضر بن صلاح الدين وكان في خدمة أخيه الملك الافضل ، وبيد جماعة من أمراء الدولة بلاد وحصون .

قضى أبناء ايوب اكثر أوقاتهم وهم يتقاتلون على الملك ، فكان هذا القتال داعياً لضعف كيانهم وتشتيت شملهم وانقراض ممالكهم .

* * *

الحروب الصليبية :

كان قدوم الزوار من النصارى الى بيت المقدس عظيماً ، كادت تكون هذه الزيارة اكبر العلاقات التي كانت تربط الغرب بالشرق ، وكان عدد الزوار النصارى يزداد يوماً عن يوم الى تلك الديار ، وكانت الارض المقدسة بيد التركمان الذين خلفوا العرب في السلطان ، والفرق بين السلطتين عظيم ، أخذ التركمان يشددون ولا يسمحون لاولئك الحجاج النصارى بالدخول الى الارض المقدسة الا من كان يحمل معه اجازة مرور يتناولها منهم .

واتفق ان راهباً فرنسياً يدعى بطرس ــ وزاد التاريخ ــ الناسك ، وكان ترهب وانزوى عن الاهل والاصحاب وساح متنسكاً فزار بيت المقدس واخذته الحمية والتعصب لاستخلاص تلك الاماكن من أيدي المسلمين بدعوى ان زوار بيت المقدس من النصارى مضطهدون ، فلما رجع الى ايطاليا اجتمع بالبابا اوربانوس الثاني وخاطبه في ذلك ، فوافقه البابا وأمره ان يطوف ببلاد الفرنج يدعوهم ويحرضهم لانقاذ الارض المقدس .

بدأ هذا الراهب يتنقل من بلد الى بلد ومن مقاطعة الى مقاطعة يندب ما آلت اليه حال زوار بيت المقدس ويستنفز غيرة أمم الفرنج وحماستهم داعيهم الى اقامة حرب مقدسة تحفظ بها النصرانية كيانها وتنزل بالكافرين أشد العقاب .

وفي المجمع الاخير الذي عقد بفرنسا سنة ٤٨٨ هـ ــ ١٠٩٥ م ، دعا اوربانوس اوربا لاقامة الحرب المقدسة ، وتبعه الناس أفواجاً أفواجاً ورسموا جميعاً على صدورهم صورة الصليب باللون الاحمر وجعلوا هذه العلامة على الاسلحة والالوية والرايات والبنود ، ومن ذلك الوقت سموا بالصليبيين .

وفي أواخر سنة ٤٩٠ هـ ــ ١٠٩٧ م ، اجتمع في القسطنطينية اربعة جيوش متحالفة من اللورين والالمان بقيادة بودوين دي هينو وفرنسيس من الشمال بقيادة

القومس فرماندوا ودوق نورمنديا وبرفنسيون بقيادة قومس طولوز ونورمانديون من ايطاليا بزعامة بوهيموند دي ترانت وتنكري ، ولم يكن مع هذه الامم ملك من ملوكهم ولم يتفق رأي الغزاة على نصب ملك يرتضونه ويرجعون اليه .

وبعد سنتين ونصف مضت في المصائب الهائلة والجدال العنيف استولى الصليبيون على الرها وعلى انطاكية وبلغوا القدس واستولوا عليها وربما هلك في هذه الحملة نصف مليون من الرجال حتى تهيأ للصليبيين ان ينشئوا اربع إمارات : امارة القدس وامارة انطاكية وامارة الرها وامارة طرابلس ، قسمت اقطاعاً على الفرسان الغربيين ، اما المدن الكبرى في الساحل الشامي فقسمت مستعمرات اوربية .

ولما توغل الصليبيون في البلاد ، وكانوا في كل بلد يدخلونه يقتلون اهله ويخربون عمرانه ويحرقون كتبه ومتاعه وآثاره ، هام الناس على وجوههم في البراري ومنهم من قصد الى داخلية الشام ومنهم من فر الى مصر على حالة رثة .

قال ميشو : وقد ارتكب الصليبيون في فتح القدس أنواع التعصب الاعمى الذي لم يسبق له نظير حتى شكا من ذلك المنصفون من مؤرخيهم ، فكانوا يكرهون العرب على القاء انفسهم من أعالي البروج والبيوت ويجعلونهم طعاماً للنار ، ويخرجوهم من الاقبية واعماق الارض ويجرونهم في الساحات ، ويقتلونهم فوق جثث الآدميين[1] . وأعظم العوامل التي ساعدت الصليبيين على هذا الفتح تفرق كلمة القابضين اذ ذاك على زمام الامر في آسيا الصغرى ، ولو كانت كلمة هؤلاء القائمين متحدة وحكوماتهم قوية منظمة لتعذر كل التعذر على الصليبيين ان يزحفوا على انطاكية ، ثم يسير جيشهم حتى يأخذ الساحل ويبلغ البيت المقدس على كثرة عدده .

وطمع الفرنج بعد قتل والد نور الدين عماد الدين زنكي ، وظنوا انهم يستردون ما أخذه ، فلما رأوا من نور الدين جده واقدامه علموا ان ما أملوه بعيد وخاب ظنهم واستنجدوا بحملة ثانية من بلاد الافرنج لان الصليبيين في الشام قد ساءت بعد سقوط الرها وقل فارسهم وراجلهم لان سيوف التركمان والاكراد والعرب قد

---

(١) خطط الشام ـ لمحمد كرد علي ج١ .

حصدتهم ، وعلى كثرة تناسلهم مدة نصف قرن أصبحوا في قلة وأصبح أعداؤهم في كثرة .

ويرى مؤرخو الحروب الصليبية من الفرنج ان جيش الحملة الصليبية الثانية كان اكثر نظاماً وقيادة من جيش الحملة الاولى وليس فيه المتشردون والاشقياء ، بل كان مؤلفاً من فرسان وبارونات وغيرهم أخذوا بالحماسة الدينية وساروا في قيادة ملكين عظيمين (١) .

ونشبت الحرب ٥٤٣ هـ ـ ١١٤٨ م ، في ناحية المزة بين جيش الصليبيين بقيادة كونراد الثاني ولويز السابع وبودوين ، وجيش المسلمين الذي كان يضم من الاتراك والتركمان واحداث البلد والمطوعة والغزاة الجم الغفير ، وبعد وقعات حصلت بين الطرفين انكسر جيش الصليبيين في بساتين المزة ولحق فلهم بالساحل .

ثم حصر الساطان صلاح الدين عسقلان وتسلمها ، ثم فتح الرملة والداروم وغزة وبيت لحم وبينى وبيت جبريل وتبنين والنطرون ومشهد الخليل ولد وغيرها ثم نازل القدس وبه من الفرنج عدد لايحصى ، فطار الخبر الى القدس فطارت قلوب الفرنجة رعباً وضعفت أفئدتهم خوفاً من جهة صلاح الدين وطلبوا منه الامان فأجابهم صلاح الدين الى ذلك ودخل البلد ، وبعد ان قرر امور القدس أخذ يفتح المدن والحصون التي بيد الافرنج حتى استولى على جميع البلاد التي كانت بيدهم ، ولم يبق لهم الا يافا وصور وطرابلس .

وبينما صلاح الدين على عكا يغادي الفرنج القتال ويراوحهم ، جاءت الحملة الصليبية الثالثة ، وكانت هذه الحملة مؤلفة من ثلاثة ملوك فريدريك باربروس ملك المانيا ، وفيليب اوغست ملك فرنسا وريشاردس قلب الاسد .

وكان كل يوم تقع بين صلاح الدين والفرنج مناوشات لقيت من بأس صلاح الدين وشدته ، وكتب ملك الانكليز الى الملك العادل يسأله الدخول على السلطان بالصلح فلم يجب السلطان الى ذلك اولا ثم اتفق رأي الامراء على الصلح لضجر العسكر وكثرة نفقاتهم فأجاب السلطان الى ذلك ، واستقر امر الهدنة في البحر والبر

(١) خطط الشام ـ لمحمد كرد علي ج١ .

وجعلت مدتها ثلاث سنين وثلاثة اشهر على ان يستقر بيد الافرنج يافا وعملها وقيسارة وعملها وأرسوف وعملها وحيفا وعملها وعكا وعملها وان تكون عسقلان خراباً ، واشترط السلطان دخول بلاد الاسماعيلية في بلاد الهدنة ، واشترط الافرنج دخول صاحب انطاكية وطرابلس في عقد هدنتهم ، وان تكون لد والرملة مناصفة بينهم وبين المسلمين ، فاستقرت القاعدة على ذلك ، واتفقت وفاة السلطان بعد الصلح بيسير .

وبينا كانت داخلية البلاد مشتغلة بالنصب والعزل وتقاتل ابناء البيت الواحد على الملك والسلطان اجتمعت الفرنج من داخل البحر ووصلوا الى عكا في جمع عظيم وهذه هي الحملة الصليبية الخامسة ٦١٦ ــ ٦١٨ هـ ــ ١٢١٩ ــ ١٢٢١ م ، وكانت مؤلفة من المان ومجر ، واما الحملة الرابعة فكانت توقفت في طريقها الى الشام واستولت على الاستانة فانفسخت بذلك الهدنة بين المسلمين والفرنج ، فخرج العادل بعساكر مصر ونزل على نابلس فسارت الفرنج اليه ، ولم يكن معه من العساكر ما يقدر به على مقاتلتهم فاندفع قدامهم الى عقبة فيق فأغاروا على بلاد المسلمين ووصلت غاراتهم الى نوى من بلد السوادونهبوا ما بين بيسان ونابلس وبثوا سراياهم فقتلوا وغنموا من المسلمين ما يفوت الحصر وبلغوا خربة اللصوص والجولان ، ثم صعدوا الى الطور وقتل منهم ، ثم رجعوا الى عكا ، ووصلت حملة منهم قدرها خمسمائة من صيدا الى جزين قرب مشغرا فانهار عليهم الميادنة من الجبال فلم يفلت منهم سوى ثلاثة أشخاص .

وفي سنة ٦١٨ هـ ــ ١٢٢١ م ، قوي طمع الفرنج المتملكين دمياط في مدينة المنصورة التي بناها الكامل ، واشتد القتال بين الفريقين براً وبحراً ، وبينا الامر متردد في الصلح عبر جماعة من عسكر المسلمين في بحر المحلة الى الارض التي عليها الفرنج من بر دمياط ففجروا فجرة عظيمة من بحر النيل ، وكان ذلك في قوة زيادته ، فركب الماء تلك الارض وصار حائلا بين الافرنج وبين دمياط وانقطعت عنهم الميرة والمدد فبعثوا يطلبون الامان على ان ينزلوا عن جميع ما بذله المسلمون لهم ويسلموا دمياط ويعقدوا الصلح ، فنجت بلاد الشام بل بلاد مصر من الفرنج في هذه النوبة بفضل فرجة من النيل دهمتهم ، فخابت آمالهم وخذلتهم قوتهم وتحكم فيهم من

كانوا يستطيلون عليهم ويشتطون في مطالبتهم ، وكانت مدة اقامتهم في بلاد الاسلام ما بين الشام والديار المصرية اربعين شهرا واربعة عشر يوما .

وجاءت الحملة الصليبية السادسة ٦٢٥ ــ ٦٢٦ هـ ــ ١٢٢٨ ــ ١٢٢٩ م ، وكانت بزعامة الانبرور فردريك الثاني ، وكان سياسياً داهية فلم يدخل في حرب مع المسلمين بل فاوض الكامل وتسلم القدس وبيت لحم والناصرة لمدة عشر سنين .

ولما انتهت مدة المعاهدة التي عقدت بين فريدريك الثاني والملك العادل عادت القدس الى المسلمين ، وعندها عمد سان لوي ملك فرنسا ان يسترجعه منهم وكان هو السبب في تأليف الحملة الصليبية السابعة والثامنة ، جاء في الاولى الى دمياط وانهزم مع جيشه هزيمة فاضحة في المنصورة بمصر وأسر جميع من معه فاضطر ان يدفع فدية عظيمة عن نفسه وعن جماعته ، ثم عاد الى بلاده ، فزين له اخوه ان يذهب الى تونس ومنهـا يذهب ليفتح مصر والشام فهلك في تونس بالطاعون ٦٦٨ هـ ١٢٧٠ م ، وبذلك انتهت الحروب الصليبية .

انتهت الحروب الصليبية بعد ان انقطع المدد عنهم من البحر وولوا وجهتهم الى قتال العرب في الاندلس ، انتهت هذه الحروب بعد ان فقدت اوربا كثيراً من الانفس والاموال وان عادت عليها بالنفع العميم بما اكتسبته من الشرق من صناعات وغيرها .

ساعد الصليبيين على الاقامة طول هذه المدة الخلاف الذي شجر بين آل أيوب ، ولولا هذا الخلاف لضُرِبَ الصليبيون الضربة القاضية الاخيرة بعد مهلك صلاح الدين بسنين قلائل .

ومما أخر القضاء على بقايا الصليبيين في الساحل ظهور التتار في البلاد بعد قضائهم في منتصف القرن السابع على الخلافة العباسية ، فأصبحت الشام بين عدوين أتى الاول من الغرب فأقام وطال مقامه ، وجاءها الثاني من المشرق ، فكان يخرب بلادها ويغنم ويقتل ، ثم يذهب ، ثم يعاودها .

قال غوستاف لوبون : اذا نظرنا الى نتائج الحروب الصليبية التي ندب الصليبيون أنفسهم للاستيلاء على فلسطين نجد النتيجة التي قامت لاجها تلك الحرب نتيجـة

خاسرة بالرغم مما بذلت اوربا من الرجال والاموال خلال قرنين ، وظل المسلمون القابضين على تلك المقاطعات التي رغب النصارى ان يسلبوها من ايديهم [1] .

* * *

دول شبه جزيرة العرب ـ دول اليمن :

بسبب اختلال الامن في البلاد اليمنية ورسوخ التشيع فيها أراد المأمون ان يختار لولاية تهامتها من يأخذ على ايدي المفسدين فيها ، فأشار عليه الحسن بن سهل برجل من ولد زياد بن ابي سفيان وهو محمد بن ابراهيم الزيادي فولاه اياها سنة ٢٠٣ هـ ـ ٨١٨ م ، فتوجه فحج ثم ذهب الى اليمن ففتح تهامة واختط مدينة زبيد سنة ٢٠٤ هـ ـ ٨١٩ م ، وهي التي صارت حاضرة تهامة ، وقد عظم امر الزيادي بعد ذلك باليمن وصار كملك مستقل الا انه كان يخطب لبني العباس ويحمل اليهم الخراج والهدايا وطال ملكه الى سنة ٢٤٥ هـ ـ ٨٥٩ م ، ثم صار الملك في أبنائه ، ثم في مواليهم وموالي مواليهم الى سنة ٥٥٣هـ ـ ١١٥٨ م ، وتعرف هذه الدولة بالدولة الزيادية وهي اول الدول استقلالا باليمن .

وتنسب الدولة اليعفرية الى جدهم عبد الرحيم بن ابراهيم الحوالي ، وكان نائباً عن جعفر بن سليمان بن علي الهاشمي الذي كان والياً للمعتصم على نجد اليمن صنعاء وما اليها ، ولما توفي عبد الرحيم قام في الولاية مقامه ابنه يعفر بن عبد الرحيم وهو رأس الدولة ، ومبدأ استقلالها ، الا انه كان يهاب آل زياد ويدفع لهم خراجاً يحمل الى زبيد كأنه عامل لهم ونائب عنهم وكان ابتداء استقلال يعفر بن عبد الرحيم سنة ٢٤٧ هـ ـ ٨٥٧ م ، واستمر ملك صنعاء في أعقابه الى سنة ٣٨٧ هـ ـ ٩٩٧ م .

وقام امر الأئمة الرسية في صعدة سنة ٢٨٠ هـ ـ ٨٩٣ م ، وامتدت ايامهم الى سنة ٧٠٠ هـ ـ ١٣٠١ م ، تعاقب على كرسي الحكم خلال هذه المدة ١٧ ملكاً .

وابتدأت الدولة النجاحية بزبيد على أطلال الدولة الزيادية ، وكان ابتداؤها على يد المؤيد نجاح سنة ٤١٢ هـ ـ ١٩٢١ م ، وهو مولى موالي آل زياد واصله عبد

---

[1] حضارة العرب ـ لغوستاف لوبون

G. Le Bon - La civilisation des Arabes.

حبشي سمت به همته الى ان تولى ملك تهامة اليمن وما اليها وقد استمر ملكها فيه وفي أعقابه الى سنة ٥٥٤ هـ ـ ١١٥٩ م .

وقامت الدولة الصليحية بصنعاء سنة ٤٢٩ هـ ـ ١٠٣٨ م ، وعدد ملوكها ثلاثة وانقضت أيامها سنة ٤٩٥ هـ ـ ١١٠٢ م .

وحكمت في اليمن الدولة الزريعية سنة ٤٧٦ هـ ـ ١٠٨٣ م ، وكرسي ملكها عدن وتعاقب على كرسي الحكم ثمانية ملوك وانقضت ايامها سنة ٥٦٩ هـ ـ ١١٧٤ م.

وظهر بصنعاء ومهرة الامير حاتم بن غاشم الهمداني سنة ٤٩٢ هـ ـ ١٠٩٩ م ، واسس دولة دعيت بالهمدانية وتعاقب عليها ثمانية ملوك ، وانتهى امرها سنة ٥٦٩ هـ ١١٧٤ م .

وظهرت الدولة المهدية في زبيد سنة ٥٥٤ هـ ـ ١١٥٩ م ، وعدد ملوكها ثلاثة ، انتهى امرها سنة ٥٦٩ هـ ـ ١١٧٤ م .

وملكت في اليمن الدولة الرسولية سنة ٦٢٦ هـ ـ ١٢٢٩ م ، واستولى على عرش ملكها ١٧ ملكا وانقضت ايامها سنة ٨٥٨ هـ ـ ١٤٥٤ م .

ومن الدول التي قام امرها في اليمن الدولة الطاهرية ، قامت هذه الدولة سنة ٨٥٠هـ ـ ١٤٤٦ م وحكمها اربعة ملوك ، وانقضت ايام حكمها سنة ٩٢٣هـ ـ ١٥١٧م .

* * *

المملكة المتوكلية :

واخيرا قامت باليمن المملكة المتوكلية ، التي اسسها المتوكل على الله يحيى بن محمد حميد الدين ، فقد بايعه العلماء في ربيع الاول سنة ١٣٢٢ هـ ـ ١٩٠٤ م ، واجتمعت اليه الوفود من بلاد حاشد وحجور والاهنوم وشهارة وسفيان وغيرها ،وقد صاول حميد الدين الاتراك ، وحاصر صنعاء وغيرها من المراكز التي كانوا يحتلونها واستعرت نيران الحرب بين حميد الدين والاتراك ، وحاصر صنعاء وفتحها ، ثم خرج منها ودخلها الاتراك ، ثم زحف الاتراك على شهارة ووقعت بينهم وبين اصحاب حميد الدين معارك حامية الوطيس ، انهزم الاتراك ، واشتد ساعد القبائل اليمنية ، وخرجوا من الكهوف ، واخذوا في مطاردة الاتراك الذين فروا الى الاودية ، تاركين كثيرا من الاسلحة التي غنمها العرب ، وقد امتلات البقاع حول شهارة بجثث الاتراك وحاصر العرب قوات رضا باشا في غربان ، وحالوا بينه وبين الاتصال باحمد فيضي

باشا بعد هزيمته في شهارة ، وقضوا على تلك القوة التي كان فيضي باشا قد تركها لحماية ظهره .

وفي سنة ١٣٢٨ هـ ـ ١٩١٠ م ، عين واليا على اليمن محمد علي باشا ، واراد معاملة الناس بالقسوة ، فثمر حميد الدين واستعد لحربه ، وحاصر صنعاء ، واحتل بعض مراكز الاتراك عنوة .

وفي سنة ١٣٢٩ هـ ـ ١٩١١ م ، وصل اليمن الوالي احمد عزت باشا على رأس قوة كبيرة ، ففك الحصار عن صنعاء وسعى في عقد الصلح بين الامام والدولة العثمانية ، فتم ذلك ، وصلحت الامور .

وبعد ان هزمت الدولة العثمانية سنة ١٩١٨ م ، استصوب الوالي محمود نديم والقائد احمد توفيق ، دخول حميد الدين الى صنعاء عاصمة اليمن واستلام قصر غمدان ومافيه من المعدات ، فدخل الامام في صفر سنة ١٣٣٧ هـ ـ ١٩١٨ م ، صنعاء فاستقبله العلماء والاعيان ورجال الدولة ولما استقرت الامور ، مد يده الى اطراف اليمن وتهامة وغيرها وولى العمال والقضاة في البلاد ، وامن السبل ، واخمد الثورات التي قام بها رجال القبائل ، وقبض على البلاد بيد من حديد .

ولما تأسست الجامعة العربية انضمت المملكة المتوكلية اليها ثم قبلت اليمن في ١٣٦٧ هـ ـ ١٩٤٨ م ، عضوا في هيئة الامم المتحدة .

وفي ٧ ربيع الثاني ١٣٦٧ هـ ـ ١٩٤٨ م ، قتل حميد الدين في سواء حزيز جنوب مدينة صنعاء ، وعلى بعد ستة اميال منها ، ودعا عبد الله الوزير لنفسه وتلقب بالامام الناصر للدين ، وكان احمد ولي عهد المملكة واكبر انجال حميد الدين في مدينة تعز ، فخرج ومعه عدد من رجال الجيش وكثير من المال ، فسار الى الحديدة ، ثم واصل سيره حتى بلغ جبل حجة ، ومن هناك بعث رسله ورسائله الى القبائل اليمنية ورؤساء العشائر وامراء الجيش النظامي ، وطلب منهم الزحف على صنعاء واخذ الثأر للامام والده يحيى واعادة العرش الى اهله ، وفتح صنعاء وقبض على عبد الله الوزير ، ونفذ حكم الاعدام به وبرفاقه بالمؤامرة ، واعترفت دول الجامعة

العربية باحمد ملكا على اليمن ، ثم ابرم اتحاد بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة المتوكلية في ٢١ شعبان ١٣٧٧ هـ ـ ١٣ آذار ١٩٥٨ م .

دول حضرموت ـ الدولة الكثيرية :

ان اول من حول القبيلة الكثيرية الى دولة منظمة ، ونصب سلطانا على حضرموت هو علي بن عمر بن جعفر بن بدر بن محمد بن علي بن عمر بن كثير حوالى ٨١٦ هـ ١٤١٣ م ، ومن سلاطين هذه الدولة الذين اتسع سلطانهم ، وعظم امرهم عمر بن طويرق المتوفى ٩٧٧ هـ ـ ١٥٦٩ م ، فقد امتد سلطانه الى العوالق غربا وسيحوت شرقا ، والسواحل الجنوبية جنوبا ، والرمال شمالا .

وبجعفر بن عمر بن جعفر بن علي بن عبد الله بن عمر بن ابي طويرق ، انتهت الدولة الكثيرية الاولى .

وفي اوائل القرن الثاني عشر الهجري ، نجمت باعلى حضرموت محاولة عنيفة ، لاحياء دولة آل كثير من سلالة عمر بن جعفر ، وهرع الى نصرتها جماعة من آل العطاس وآل البار وآل الحبشي العلويين ، فتم لهم ما ارادوا ، وجاء جعفر بن علي بن عمر بن جعفر بن علي بن عبد الله بن عمر بن بدر بوطويرق ، الى حضر موت من هجرته الطويلة بجاوه والهند سنة ١٢١٨ هـ ـ ١٨٠٣ م ، واقام اولا بهينن ، وشرع يكاتب الشنافر ونهد واعيان السادة العلوية ويبث الدعاة ، لاحياء دولة آل كثير ، وزحزحة يافع عن البلاد ، واشار عليه بعضهم بشراء عبيد يجندهم للقتال ، فأقتنى منهم عددا غير قليل ، ثم هجم على شبام ، وبها يافع ، فاستولى عليها بعد دحرهم عنها ، ثم ارسل جعفر جيوشه غربا وشرقا فاستولى في الغرب على وادي عمد باسره وبعض دوعن وحورة ، والكسر ، واما في الشرق فاستولى على المواضع الشرقية من سيون ، وعلى بعض نقط من تريم .

ثم ولي عمر بن جعفر بن علي بن عمر بن جعفر بن علي بن عبد الله آخر سلاطين آل عمر بن جعفر وقد امتدت دولته الى سنة ١٢٤٠ هـ ـ ١٨٢٥ م .

ثم جاءت دويلة آل عمر بن بدر ، وذلك ان عمر بن جعفر بن عيسى بن عمر بن بدر بوطويرق ، قدم من جاوة ١٢٣٠ هـ ـ ١٨١٥ م ، واقبل عليه الشنافر ، واجمعوا على

توليته سلطاناً ، فأظهر الارتياح لذلك غير انه صارحهم بطلب العهد والميثاق ، على بذل مجهودهم في سبيل تعزيز هذه الدولة ، فلم يكن منهم الا الموافقة على ماطلب.

الدولة اليافعية :

تنتسب هذه الدولة ليافع وهي من اعظم قبائل حمير ، وقد استولت دولة يافع على عدن ولحج وابين وحكموها من ١٠٤٢ ــ ١٠٥٤ هـ ــ ١٦٣٢ ــ ١٦٤٤ م ، وحاربوا أئمة صنعاء الذين كانوا يرسلون جيوشهم للاستيلاء على البلاد اليافعية واستمرت الحروب بينهم وبين ولاة اليمن عشرات السنين ، من عهد صالح بن احمد هرهرة اليافعي الى عهد قحطان بن عمر هرهرة ، كان النصر في النهاية حليف يافع ، حيث طردوا الجنود اليمنية من حدود بلادهم العليا والسفلى وملحقاتها كأبين والشعيب وجبن ونعرة والربيعتين والظاهر وجبل حرير وحالمين ، ثم استمرت الحروب بعد ذلك بين الفريقين ، حتى نهاية ١٣٣٧ هـ ــ ١٩١٩ م ، حيث تدخل الانجليز بينهم ، وعقد بين المتخاصمين صلح ، وآخر سلاطين الدولة اليافعية ، عمر بن عوض القعيطي اليافعي [1] .

* * *

أئمة عمان :

ان الحوادث التي جرت في منتصف القرن الثامن الميلادي غيرت شكل الامبراطورية الاسلامية واضطرت ان تهمل املاكها البعيدة مما جعل العُمانيين ينتهزون الفرصة وينتخبون عليهم سلطاناً اسمه جولندي بن مسعود ، ولقب بامام عُمان ، وذلك سنة ١٣٥ هـ ــ ٧٥١ م .

ثم كان لعمان اسطول عربي بحري كبير يجول كثيراً من اقطار المعمورة ، وتسير تحت ظله معظم القوافل التجارية ، التي تصل الى البصرة من الهند والصين ، وتؤمن تجارتها وملاحتها ، بارشاد هذا الاسطول .

ثم هجم البرتغاليون على عمان في القرن التاسع الهجري ــ القرن الخامس عشر الميلادي وصار لهم بعض النفوذ على مسقط ومطرح وصحار والقريات ، ولكن الامير

(١) كان حياً ١٣٥٤ هـ ــ ١٩٣٥ م .

ناصرا في ٩٢١ هـ ــ ١٥١٥ م ، طرد بقايا الجنود البرتغاليين من رأس الخيمة ، واقصاهم عن بلاده ، ثم فرض عليهم الجزية .

وبعد وفاة ناصر ، خلفه سلطان بن يوسف فنسج على منوال سلفه في مطاردة البرتغاليين ، ولاحقهم الى الهند بعد ان اندحروا من الخليج العربي ، ثم وجه اسطوله الحربي العربي لغزوهم في ساحل كوجرات وجيو دومان ، واستولى على بعض المدن ، وعاد منتصراً ، مثقلا بالذخائر والغنائم الحربية .

ولما تولى ابنه يعرب ١٠٧٩ هـ ــ ١٦٦٨ م ، اخذ الشقاق يدب بينه وبين اخيه سيف ، وكثر التشاحن بينهما ، وانتهى الامر بان اصبحت دولة عمان الواسعةالاطراف امارات مجزأة صغيرة ، وتضاءل اسطولها شيئاً فشيئاً .

ثم قام البريطانيون باقصاء البقية الباقية من فلول البرتغاليين في الخليج العربي وبعض سواحل الهند ، وبذلك بسطوا نفوذهم على عمان .

ولما كان اسطول عمان من القوة بمكان فان الدولة العثمانية ١١٦٩ هـ ــ ١٧٥٦ م استعانت به على استرداد البصرة من الايرانيين ، فنقلت قطعه نحو عشرين الف مقاتل من عمان الى شط العرب في رحلة واحدة .

ويحكم ساحل عمان الآن ستة من المشايخ المستقلين كأمير قطر علي بن عبد الله آل ثاني والشيخ شخبوط حاكم ابو ظبي تربطهم معاهدات مع بريطانيا حتمت عليهم بان لايكون لهم اتصال او معاملات دبلوماسية مع اية دولة اجنبية غيرها ، وقد نالت بريطانيا ١٢١٥ هـ ــ ١٨٠٠ م ،حقاً بان تعين مقيماً سياسيا في مسقط .

وفي عهد فيصل بن تركي ١٣٠٥ هـ ــ ١٨٨٨ م ، عقدت معاهدة مع بريطانيا ، ولم تكن داخلية البلاد العمانية خاضعة لغير امرائها وتمادى فيصل في التدخل في بعض شؤون عمان الداخلية ، بتأييد حلفائه الانجليز وبدافع منهم ، فازاء ذلك سخط العمانيون على تصرفات فيصل ، فأعلنوا الثورة في جميع الارجاء وبايعوا سالم بن راشد الخروصي ١٣٣١ هـ ــ ١٩١٣ م ، ودانت له البلاد واخذ يهدد عاصمة السلطنة مسقط واقتربت قواته منها واوشكت ان تحتلها ، لولا تدخل البريطانيين ، ولم يحسم الخلاف ولا وضعت الحرب اوزارها ، واستقر الامر بين الامامة والسلطنة ، الا

بمعاهدة السيب ١٣٣٩ هـ ــ ١٩٢٠ م ، وقعها من قبل محمد بن عبد الله الخليلي ، عيسى بن صالح الحارثي امير الشرقية ووقعها من قبل تيمور بن فيصل ، وينكيت باليوز قنصل الدولة الانجليزية بمسقط وتضمنت هذه المعاهدة المواد التي تتعلق بامامة عمان وهي :

١ ــ مهما ان يكون وارد من عمان من جميع الاجناس الى مسقط ومطرح وحور وسائر بلدان الساحل ، لا يؤخذ منه زيادة عن المئة خمسة .

٢ ــ ان يكون لجميع العمانيين الامن والحرية في جميع بلدان الساحل .

٣ ــ جميع التحجيرات على الداخلين والخارجين من مسقط ومطرح وجميع بلدان الساحل ترفع .

٤ ــ ان لاتؤوي حكومة السلطان مذنباً يهرب من انصاف العمانيين ، وان ترجعه اذا طلبوه منها ، وان لاتتداخل في داخليته .

واما المواد التي تتعلق بسلطان مسقط فهي :

١ ــ كل المشايخ والقبائل يكونون بالامن والصلح مع حكومة السلطان ، وان لايهاجموا بلاد الساحل وان لا يتداخلوا في حكومته .

٢ ــ كل المسافرين الى عمان لمشاغلهم الجائزة والامور التجارية يكونون احرارا ولا تكون تحجيرات على التجارة ولهم الامن .

٣ ــ كل محدث ومذنب يهرب اليهم يطردونه ولا يؤونه .

٤ ــ ان تكون دعاوى التجارة وغيرها على العمانيين تسمع وتفصل على موجب ما هو الانصاف بالحكم الشرعي .

ولا يزال الصراع قائما بين المجاهدين العمانيين اصحاب علي بن عبد الله ، وبين سعيد بن تيمور والبريطانيين وقد استعمل البريطانيون في هذه المعارك الطاحنة انواع الاسلحة الفتاكة ، والمجاهدون العمانيون يتلقون ذلك بالصبر والثبات والشجاعة النادرة .

* * *

دولة زنجبار :

في ١٠٦٠ هـ ــ ١٦٥٠ م ، هب العمانيون بزعامة سلطان بن سيف يطردون الاجنبي من حماهم ، فأخرجوا البرتغال من مسقط ، وتابعوهم الى سواحل الهند ، حتى لحقوا بهم في افريقية الشرقية بمراكبهم وجيشهم ، فاشتبكوا معهم في معارك ، ادت الى اجلاء البرتغال نهائيا ١١١٠ هـ ــ ١٦٩٨ م ، ثم توغلوا في افريقية واصبحت زنجبار مركز تجمعهم .

وبعد ان تولى الحكم سعيد بن سلطان في مسقط ، نالت زنجبار جانبا عظيماً من عنايته ومجهوده ، فذهب بنفسه الى افريقية ١٢٤٨ هـ ــ ١٨٣٢ م ، واتخذ زنجبار مركزاً لنفوذه في افريقية ، واخذ منذ ذلك اليوم ، يتردد بين عاصمته هذه وعاصمته الاولى مسقط ، ثم عقد مع حكومة الهند الانكليزية معاهدة تنص على عدم التعرض للسفن التي تحمل علم السلطان سعيد ، كما انه عقد معاهدات تجارية مع امريكا وفرنسا وايطاليا والمانيا والروسيا ، تضمن لرعايا هذه الدول الحقوق التجارية والامان بزنجبار ، ثم حصل تنافس بين الانجليز والامريكيين والفرنسيين ، غير ان سعيد بن سلطان فضل صداقة الانجليز ، وبذلك تمكنت بريطانيا من تعيين وكيل سياسي لها وبينما كان سعيد بن سلطان عائداً من مسقط الى زنجبار ، ادركته المنية وخلف ولدين ماجد بن سعيد والي زنجبار ، وثويني بن سعيد ولي عهد السلطان ، فادعى الاول ان اباه قد قسم الملك بينه وبين اخيه ، فاعطاه افريقية ، واعطى اخاه عمان وما اليها ، وعلى أثر هذا الاختلاف ، هيأ ثويني اسطولا لمهاجمة اخيه ، فعرضت عليه بريطانيا التوسط بينه وبين اخيه من جهة ، وهددته باغراق سفنه اذا تحرك لمحاربة اخيه من جهة ثانية ، فاضطر الى قبول التوسط وعينت بريطانيا كاننج حاكم الهند ، فحكم بتقسيم مملكة ابيهما بين ماجد وثويني ، وبذلك تم القضاء على وحدة هذه المملكة وتولى ماجد الحكم ١٢٧٢ هـ ــ ١٨٥٦ م ، ولم يحدث في عهده الا ثورة اخيه برغش فانتصر عليه ونفاه الى الهند ، ويعد ماجد اول من ادخل سفينة البخار الى اسطوله .

وتولى بعده اخوه برغش ١٢٨٧ هـ ــ ١٨٧٠ م ، وقد اشتد نفوذ المانيا في زمنه ، واحدثت طرقاً داخلية ، وعقدت معاهدات مع الاهالي الذين هم في منطقة نفوذ

السلطان ، واسست شركة عرفت بشركة افريقية الشرقية ، وضمت اليها ستين الف كيلو متر مربع من املاك العرب ١٣٠٢ هـ ـ ١٨٨٥ م ، فجهز برغش حملة لمحاربة المانيا في داخل افريقية ، غير ان السفن الالمانية هددت قصف ميناء زنجبار ، ثم عقد مؤتمر ثلاثي من فرنسا وبريطانيا والمانيا ، عينت فيه المناطق التي تديرها حكومة زنجبار ، واقتسمت دول اوربا ادارة شؤون الباقي .

وتوفي برغش ١٣٠٥ هـ ـ ١٨٨٨ م ، وخلفه اخوه خليفة ، وتوفي هذا بعد سنتين فتولى الحكم اخوه علي بن سعيد ، وفي عهده اعلنت الحماية البريطانية على زنجبار .

وفي ١٣١١ هـ ـ ١٨٩٣ م ، تولى الحكم حمد بن ثويني وبعد وفاة حمد بن ثويني ١٣١٤ هـ ـ ١٨٩٦ م ، هجم خالد بن برغش على قصر السلطان واعلن نفسه سلطاناً فقصف الاسطول البريطاني القصر ، وولي حمود بن محمد بن سعيد وهرب خالد ثم قبض عليه ونفي الى جزيرة سانت هيلانة ، ثم الى سيشل ، ثم سمح له بالاقامة في ممباسة وتوفي حمود ١٣٢٠ هـ ـ ١٩٠٢ م ، فخلفه ابنه علي الذي تلقى دراسته في كلية هارو ، وفي عهده ، تم عتق العبيد نهائيا ، وبينما كان علي متجهاً الى لندن ليحضر حفلة تتويج الملك جورج الخامس ، اعلن وهو في باريس ، تنازله عن العرش ، فتولى الحكم بعده خليفة بن حارب ١٣٢٩ هـ ـ ١٩١١ م ، وفي ١٣١٣ هـ اول تموز ١٩١٣ م ، وضعت محمية زنجبار تحت اشراف وزارة المستعمرات البريطانية وتأسس مجلس استشارة برئاسة السلطان ، ونيابة المقيم .

وفي ١٣٤٥ هـ ـ ١٩٢٦ م ، شكل مجلسان : المجلس التقليدي يرأسه السلطان واعضاؤه من رؤساء الدوائر الحكومية ، ويضم اليهم ولي العهد عبد الله ، ومجلس تشريعي برئاسة المقيم البريطاني ، واعضاؤه من اعيان القطر .

* * *

امراء البحرين :

كان رئيس القرامطة بالبحرين ابو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي فقتل سنة ٣٠١ هـ ـ ٩١٤ م ، بعد ان استولى على هجر والاحساء والقطيف وسائر بلاد البحرين ، فولي بعده ابنه ابو طاهر سليمان الجنابي وكانت له غزوات متتابعة الى جهة البصرة يريد الاستيلاء عليها .

وسار ابو طاهر سنة ٣١٧ هـ ـ ٩٢٩ م ، بجنده الى مكة فوافاها ولم يرع حرمة البيت الحرام ، بل نهب هو وأصحابه أموال الحجاج وقتلوهم حتى في المسجد الحرام وفي البيت نفسه ، وقلع طاهر الحجر الاسود وأنفذه الى هجر ، وقلع باب البيت وطرح القتلى في بئر زمزم ودفن الباقين من القتلى في المسجد الحرام ، وأخذ كسوة البيت فقسمها بين أصحابه ونهب دور اهل مكة (١) .

واستولى سنة ١١٩٧ هـ ـ ١٧٨٣ م ، احمد بن محمد آل خليفة على البحرين ، ورتب امورها ، وعاد الى الزبارة ، بعد ان جعل على البحرين اميراً من قبله ، وتوفي احمد المذكور ١٢٠٩ هـ ـ ١٧٩٤ م ، وتولى مكانه ابنه سلمان ، وكان حازماً عادلا ، احبته الرعية ، ودانت له القبائل وفي ١٢١٢ هـ ـ ١٧٩٧ م ، نقل جميع عائلته وحواشيهم من الزبارة الى البحرين ، خشية عليهم من غارات سعود بن عبد العزيز الذي استفحل امره ثم تغلب حاكم مسقط على البحرين ، كما استولى عليها امير نجد .

وولي الامارة عبد الله بن احمد بعد وفاة اخيه سلمان ، ١٢٣٦ هـ ـ ١٨٢١ م ، ولكنه لم يصف له الحكم لكثرة ما حصل في زمانه من الفتن والثورات ، وخروج بعض الرعايا عليه .

ثم استتب لمحمد بن خليفة الامر بالبحرين ، بعد ان هزم عم ابيه في وقعة المحرق ١٢٥٨ هـ ـ ١٨٤٢ م ، وحصلت في عهده عدة مواقع حربية .

ثم قبض محمد بن عبد الله آل خليفة على زمام الحكم ١٢٨٦ هـ ـ ١٨٦٩ م ، وارسل الى قبائل قطر يحثها على مناوأة عيسى بن علي ومن اجتمع معه واخوانه وبني عمه فبقي آل سلمان أي عيسى وربعه في حالة سيئة ، تارة يهددهم قاسم بن ثاني وطورا يتوعدهم جبر بن مهنا المسلمي ، يفعلان ذلك تقرباً الى حاكم البحرين محمد بن عبد الله .

ثم قدم المعتمد الانجليزي بيلي المقيم في ابي شهر على بارجة الى البحرين ، وسأل عن محمد بن عبد الله عن الحاكم السابق محمد بن خليفة ، فأجابه بأنه قتل في المعركة ، فاستخبر المعتمد عن ذلك ، فأخبر بأنه مسجون في قلعة ابي ماهر ، فذهب

(١) راجع تاريخ الامم الاسلامية ـ الدولة العباسية ـ لمحمد الخضري .

اليها بالبارجة ، واحاطها بالجند ، واخرج محمد بن خليفة من السجن واركبه معه في البارجة ، ثم امر باخراج جيش آل عبد الله من البحرين ، ثم استشار رؤساء قبائل البحرين واعيان اهلها ، فيمن يختارونه حاكماً عليهم ، فاجمعوا على طلب عيسى بن علي فكتب المعتمد البريطاني اليه يستقدمه ، فأقبل من قطر بموكب على البحرين ، ثم اركب محمد بن عبد الله البارجة مع حاشيته وانزلهم في معتقل فلفلان وتولى عيسى الامارة في شعبان١٢٨٦ هـ ــ ١٨٦٩ م ، وعقدت الحكومةالبريطانية مع عيسى المذكور معاهدة حماية ، تنص على ان لايقبل أي وكيل سياسي غير انجليزي ، وان لايتعاقد او يتنازل عن قطعة من اراضيه لحكومة اجنبية ، ثم اعطىللوكيل السياسيفي البحرين حق الفصل في قضايا الاجانب ، ثم توسع هذا الحق حتى شمل القضايا التي فيها صالح الاجانب .

وكان للبحرين اسطول شراعي كبير مسلح استخدمه اهل البحرين لغزو قطر والقطيف ودبي وابو ظبي ، واشتبك معها في وقائع فخشي البريطانيون ان تسود الاضطرابات من جراء ذلك في البر ، وتشل حركة ملاحتهم ، وصادف اثناءها ان كاتب مدحت باشا والي بغداد والبصرة احد امراء البحرين ، يدعوه الى الاتفاق مع الدولة العثمانية وحليفتها المانيا ، ضد البريطانيين في ١٣٢٢ هـ ــ ١٩٠٣ م ، ووقع هذا الكتاب بيد البريطانيين ، فأدت هذه البادرة الى القضاء على الاسطول الحربي العربي للبحرين ، وابعد بعض الامراء الذين كانت لهم يد في هذا ، واقنعت بريطانيا حاكم البحرين بان تتولى هي الدفاع الخارجيعن البحرين لقاء الحد منقوة الاسطول المسلح .

ولقد طال حكم عيسى بن علي حتى جاوز الخمسين وفي عهده تقدمت البحرين في التجارة والثروة واستتب فيها السلم ، واخيراً اتفقت الحكومة البريطانية مع ابنائه على ان يختم والدهم حياته السياسية ، وينوب عنــه ابنه الاكبر حمد ١٣٤١ هـ ١٩٢٣ م ، فاحتج الوالد على هذا العمل الذي لايتفق مع روح الصداقة ، وقد ترك عزله من امارة البحرين اسوأ الاثر ، وقد اعقب هذا الانقلاب تغييرا في الادارة ، فوضع بجانب الشيخ مستشار انكليزي لمساعدته في الامور الهامة ، واقيم على

الجمارك مدير بريطاني واكتشفت شركة نفط البحرين الزيت بالبحرين ١٣٤٤ هـ ١٩٢٥ م ، وقد ارتفع انتاج الزيت فيها الى ٣٠٠٠٠ برميل يوميا .

ثم ولي الامارة سليمان بن حمد آل خليفة ١٣٦١ هـ ــ ١٩٤٢ م ، وفي عهده انشئت مدارس ابتدائية وثانوية وصناعية .

* * *

امارة الكويت :

ليس للكويت تاريخ قديم ، واما حكامها الحاليون ، فهم من آل صباح واول حاكم منهم ، صباح الاول ، ويقال انه توفي حوالى ١١٩٠ هـ ــ ١٧٧٦ م ، ثم ولي الحكم عبد الله بن صباح ، وطمحت كعب الى الكويت ، وجرت بين آل الصباح وكعب معركة ، كان النصر حليف الكويتيين ثم غزا ابراهيم بن عفيصان باهل الخرج والعارض واهل سدير الكويت ، فلم يفلحوا ، ثم غزا ابو رجلين من اهل الاحساء ولم ينجح .

ثم بويع لجابر بن عبد الله الصباح بالامارة ١٢٢٩ هـ ــ ١٨١٤ م ، وغزا ميناء الكويت ، ثم ان ثلة من الانجليز هبطوا الكويت ، وحاولوا اقناع جابر بحمل الراية الانكليزية ، فلم يقنع ، وقال ان الحكومة العثمانية جارتنا ، وجل ما نحتاجه يأتينا من بلدها البصرة التي لها فيها الامر والنهي .

وتولى الحكم صباح بن جابر بعد وفاة ابيه ١٢٧٦ هـ ــ ١٨٥٩ م ، ولم يحدث في ايامه حوادث تذكر .

ثم ولي الحكم عبد الله بن صباح عقب وفاة ابيه في رجب ١٢٨٣ هـ ــ ١٨٦٦ م ، وحاول سعود آل سعود غزو الكويت ولما علم باستعداد الكويتيين لقتاله رجع من حيث اتى وفي سنة ١٢٩٥ هـ ــ ١٨٧٨ م ، غزا محمد آل الرشيد الكويت ، وهجم على عربانها المقيمين في اطرافها .

وتولى الامارة محمد بن صباح بعد وفاة اخيه في ذي القعدة ١٣٠٩ هـ ١٨٩٢ م ، ثم قبض زمام الحكم مبارك بن صباح بعد ان قتل اخويه محمداً وجراحاً سنة ١٣١٣ هـ ــ ١٨٩٥ م وامتاز عهده بحوادث عظيمة ، منها : انه في مطلع ١٩٠٠ م ــ ١٣١٧ هـ

جاء القنصل الالماني ستمريخ من القسطنطينية على رأس بعثة مساحة لخط برلين ـ بغداد واراد مفاوضة مبارك بن صباح من اجل تحديد موقع نهاية الخط عند رأس كاظمة ، ولكن امير الكويت رده بحسب شروط المعاهدة . وفي ١٣١٧ هـ ـ ١٩٠٠ م ، اشتعلت نيران الحرب بين مبارك وآل رشيد ، واخذ مبارك يهاجم قوافلهم التي كانت تتوجه الى السماوة في العراق ، لنقل الطعام والثياب والسلاح ، منها الى حائل غير ان قوة كان يقودها عبد العزيز بن رشيد بنفسه ، قضت على جيش كان يقوده مبارك في معركة الصريف بنجد في ٢٥ ذي القعدة ١٣١٨ هـ ـ ١٧ آذار ١٩٠١ م ،

وعلى اثر هذه الهزيمة اراد ابن رشيد مهاجمة الكويت ، ولكنه اضطر الى العودة لقيام بعض القبائل عليه في الجنوب ، كما ان قوة تركية ارادت مساعدته في مهاجمة الكويت ، ولكنها اضطرت ايضاً الى الانسحاب بعد ان بعث الانجليز بارجة لحماية مبارك ، وانذروا الاتراك بوجوب سحب جنودهم .

وفي ١٣٣١ هـ ـ ١٩١٣ م ، اعترفت تركيا بالمعاهدات والاتفاقيات التي عقدت بين انجلترا وامير الكويت ، وبأن الكويت قضاء مستقل في اموره الداخلية ، وتابع للدولة العثمانية وتحت حماية انجلترا .

وفي عهد مبارك منحت الاتراك الالمان امتياز خط برلين ـ بغداد ، وبدأ هؤلاء يعملون بمد هذا الخط حتى ينتهي عند الكويت على الخليج العربي ، مما اقلق الانجليز ، وجعلهم يتدخلون في الامر ويضعون العراقيل في طريق هذا المشروع ، وذلك بمحاولة السيطرة على الكويت التي اراد الالمان ان ينتهي خطهم الحديدي عندها او بقربها ، فأوعز نائب الملك في الهند الى المقيم البريطاني في بوشهر مبد ليسارع بعقد معاهدة مع مبارك بن صباح ، وقد وقع مبارك هذه المعاهدة في ١٠ رمضان ١٣١٦ هـ ـ ٢٣ كانون الثاني ١٨٩٩ م ، لاسباب اهمها موقف الاتراك منه وخوفه من دسائس خصمه يوسف بن عبد الله آل ابراهيم ، وخشيته من مهاجمة ابن رشيد لبلاده ، وكان من أهم مواد المعاهدة ، ان امير الكويت يتعهد بان لايؤجر ولا يمنح أي جزء من منطقته او امارته لاية دولة الا لانجلترا ، او رعاياها ، وانه لايقبل ممثلين للدول الاجنبية ، الا بعد موافقتها ، ومقابل ذلك تقدم له انجلترا معونة

مالية ، وتحميه من هجمات اعدائه ، وتعتبر الكويت امارة مستقلة في شؤونها الداخلية وان يكون لبريطانية ممثل لدى امير الكويت ، وكذلك قبلت انجلترا بان يقوم الالمان بمد خط برلين ـ بغداد الى البصرة على ان تتولى شركة انجليزية مد فرع للخط من البصرة الى الكويت .

وفي ١٣٣٣ هـ ـ ١٩١٥ م ، عقدت معاهدة بين مبارك بن صباح وعبد العزيز ابن سعود نصت على اعتراف آل سعود بوضع الكويت الجديد وبحدودها .

ثم تولى الامارة جابر بن مبارك بعد وفاة والده في ١٢ المحرم ١٣٣٤ هـ ١٩١٥ م ، فكان باكورة اعماله اعفاءه الكويتيين من ضريبة الثلث على العقارات التي اثقل بها ابوه مبارك كواهلهم ، وارجاع بعض البيوت المغصوبة الى اربابها ، وكان حكمه على الكويتيين سعيداً وانهالت الارباح الطائلة عليهم ، وسيروا تجارتهم الى نجد والحجاز والشام والعراق والقسطنطينية الخ ..

ثم تولى الامارة سالم بن مبارك بعد وفاة اخيه جابر في ربيع الاول ١٣٣٥ هـ ١٩١٦ م ، وكان عفيفاً عدواً لدوداً للفسق والفجور ، فعمل على تطهير بلده منهما ، ووقعت معارك بين سالم وابن سعود ذهبت فيها ارواح عديدة .

وفي ١٤ رجب ١٣٣٩ هـ ـ ١٩٢١ م ، بعد قضاء جابر مهمة الصلح بين عمه وابن سعود ، وبعد رجوعه الى الكويت ، تقدم اليه الكويتيون فبايعوه بالامارة ، وبقي في الحكم ثلاثين عاماً ، نظم فيها كثيراً من مرافق البلاد ، وفي عهده ظهر النفط ، واعطى امتيازا لشركة انجليزية .

ثم تولى الامارة بعد وفاة احمد بن جابر ، عبد الله السالم الصباح ١٣٦٩ هـ ١٩٥٠ م ، وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، اخذت هذه الشركة تحفر الآبار ، حتى بلغ عددها ١٨٥ بئراً في ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٥ م ، يتدفق النفط من بعضها في انابيب ضخمة الى حاملات النفط الراسية في ميناء الاحمدي على بعد بضع كيلو مترات وقد بلغت كمية ما صدر من النفط في ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٥ م ، ٥٥ مليون طن ، ويعادل الاحتياطي الثابت من النفط في ارض الكويت ، نصف احتياطي نفط الولايات المتحدة الامريكية ، وبحسب الاتفاقية الجديدة بين شركة الزيت الكويتية وبين

حكومة الكويت ، تقدر حصة الكويت من ارباح النفط بنحو مئة مليون جنيه استرليني ، وهي نصف ارباح الشركة في الوقت الحاضر .

وفي عهد عبد الله السالم امير الكويت الحالي تقدمت امارة الكويت تقدماً ملحوظاً في العمران والتعليم والاقتصاد ، فهاجر اليها كثير من ابناء الدول العربية والاجنبية للرزق والعمل .

* * *

السعوديون :

أسس محمد بن سعود ١١٥٠ هـ ـ ١٧٣٧ م ، حكومة في نجد بعد ان تأثر بتعاليم عبد الوهاب الدينية ، فكان المحامي الحربي لعقائد عبد الوهاب الجديدة ، وكانت قوة محمد بن سعود في الابتداء صغيرة ثم قوي وتغلب على نجد وأغلب العشائر الكبيرة من العرب الذين يأتون كل سنة الى تلك الارضين في طلب المرعى ، وكان أقدم أعدائه وأشد كراهة له هو عرار شيخ الحسا فأرسل عليه اول جيش سنة ١١٧٠ هـ ـ ١٧٥٧ م ، فهزم محمد بن سعود هذا الجيش وبدد شمله .

وبعد وفاة محمد بن سعود ١١٧٩ هـ ـ ١٧٦٥ م ، قام ابنه عبد العزيز بالامر وقاد الجيش الوهابي الى اقصى أقاليم بلاد العرب فانتصر فيها نصراً مبيناً ، وتغلب الوهابيون على ارض الحجاز .

وبعد وفاة عبد العزيز ١٢١٨ هـ ـ ١٨٣٠ م ، انتخب الوهابيون سعوداً ابنه خليفة من بعده باتفاق الآراء ، فأغار سعود على جهات حضرموت وعُمان حتى طاعته ملوكها وانقادت لسلطته ، واتفقوا مع سعود على ان يدفعوا له خراجاً سنوياً ، غير انهم بعد مرور سنة نكثوا طاعتهم له ، فساق سعود الى تلك الجهات جيوشه فاحتلتها وأخضعتها ، وقويت شوكة الوهابيين في بلاد العرب فأوعزت الحكومة العثمانية الى محمد علي الكبير بالتجهز لحرب الوهابيين ، فصدع محمد علي بالامر ، وبدأت الحملات العسكرية من مصر سنة ١٢٢٦ هـ ـ ١٨١١ م ، فاحتلت ينبع في السنة نفسها ، وبالرغم من انكسار طوسون في الصفراء ، فان محمد علي اعاد الكرة مرة اخرى ، واخذ يستميل بالمال رؤساء الاعراب ، والشريف غالب يمهد له السبيل حتى تمكن من استرداد مكة والمدينة والطائف ١٢٢٨ هـ ـ ١٨١٣ م .

وتوفي سعود في ربيع الثاني ١٢٢٩ هـ ــ ١٨١٤ م ، بالدرعية فخلفه ولده عبدالله ابن سعود ، وكانت الحرب مستمرة بين نجد ومحمد علي باشا ، فلم يستطع ان يمسك زمام الامارة بيد من حديد ، كما لم يستطع ان يدير الحرب بمهارة كما كان يديرها ابوه ، وافتتح عهد امارته بخلافات عائلية بينه وبين عمه عبد الله ، وتغلب عبد الله على عمه ، غير ان التصدع قد بدأ ، وانحلال الامارة قد ظهر ، واخذ اعداء الامارة السعودية من النجديين يستفيدون من الفرصة ، فكاتبوا محمد علي سراً وارسل محمد علي جيشاً بقيادة ابنه ابراهيم ، فانهزم جيش عبد الله ، وسقطت امارة آل سعود على عهده ، ودخل ابراهيم باشا الدرعية ، وقبض على عبد الله ، وارسله الى القسطنطينية وتبع هذه الهزيمة استيلاء المصريين على القسم الجنوبي من الحجاز .

وحانت الفرصة لآل سعود مرة ثانية ، واختلف آل سعود فيما بينهم على الامارة كما طمع غيرهم بها ، فطمع محمد بن مُشارى بن معمر في الامارة فانتقل من العينية الى الدرعية ، واخذ يستميل الناس اليه ، فدانت له العارض والوشم وسدير ، غير ان امر ابن معمر لم يطل ، فان مشارى بن سعود وصل الى الدرعية في جمادى ١٢٣٥ هـ ــ ١٨٢٠ م ، وانتزع الامر من ابن معمر بلا مقاومة تذكر وبايع مشارى غير ان معمر قام ثانية فاسترد الامارة ، والقى القبض على مشارى ، ثم قام تركي بن عبد الله فثأر لابن مشارى وقبض على ابن معمر وولده وقتلهما ، ويعد تركي المنشيء للامارة الثانية لآل سعود .

وقد تمكن تركي بعد محاولات من استرداد الرياض التي جعلها مقراً له ، ومن اخضاع نجد كلها ، وفي آخر ١٢٤٩ هـ ــ ١٨٣٣ م ، دبر مشارى بن عبد الرحمن لتركي مؤامرة اغتيل بها ، واعلن نفسه اميرا على نجد ، وكان فيصل بن تركي في القطيف فلما سمع بخبر ابيه ، رجع الى الرياض وثأر لابيه ، فحاصر مشارى في قصره وقتله ومن ساعده في المؤامرة ، واعلن نفسه اماماً وحاكماً على نجد .

ولقد هال الاتراك ومحمد علي امر نجد مرة اخرى ، فارسلوا حملة عسكرية ومعها خالد بن سعود ، فأصبحت الحرب باهلية بين آل سعود ، وقد استمرت هذه الحرب بين خالد ومعه جنود محمد علي ومن تبعهم من النجديين ، وبين فيصل بن

تركي والنجديين الموالين له . وكانت الحرب سجالا بين الفريقين ثم اوفد خورشيد باشا الى نجد سنة ١٢٥٤ هـ ـ ١٨٣٨ م ، بحملة عسكرية للقضاء على فيصل بن تركي، وانضم اليه خالد بن سعود وساروا الى فيصل في الدِّلم من اقليم الخرج ، وبعد معارك دامية استسلم فيصل لخورشيد ، وارسل مع اخيه جلوى وولديه عبد الله ومحمد الى مصر .

ثم تمكن فيصل بن تركي من الفرار من مصر وبعد مدة قصيرة من استعادة امارته القديمة ما عدا الحجاز ، وقد ساعده على ذلك انسحاب الجيوش المصرية من شبه جزيرة العرب بموجب معاهدة لندن ١٢٥٦ هـ ـ ١٨٤٠ م .

وبوفاة فيصل ١٢٨٢ هـ ـ ١٨٦٦ م ، اوجد التنافس بين ولديه عبد الله وسعود سبيلا لاعدائهم ، فاستفادوا من مقاتلة الاخوين ، حتى انتهى الامر اخيراً بالقضاء على امارة آل سعود مرة اخرى .

المملكة العربية السعودية :

خرج عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود من الكويت ١٣١٩ هـ ـ ١٩٠١ م ، ومعه اربعون رجلا كلهم من آل سعود والموالين لهم ، وسار بجماعته ، وقد التف حولهم عشرون رجلا ، فوصل الى حدود الرياض اول الليل ، فترك من قومه هنالك عشرين رجلا على مسافة ساعتين من الرياض ، وتقدم بالاربعين الآخرين ، ولما وصل الشمسية خارج الرياض ، ترك من جماعته ثلاثين على رأسهم اخوه محمد بن عبد الرحمن ، ثم تسلق سور البلد ودخل عبد العزيز القصر باعجوبة ، وتبعه من رجاله خمسة عشر فقط وكمنوا في داخله ، وبعد دقائق خرج عجلان ، فصادفوه في الطريق فأدركه عبد العزيز بطلقة لم تدرك منه مقتلا ، فتبعه عبد العزيز ، وتصارع ابن سعود وعجلان ، واخذ رجال عجلان يطلقون النار من نوافذ الحصن المشرفة على السوق فقتلوا اثنين من رجال ابن سعود ، وجرحوا اربعة وتراجع المهاجمون ، وهنا دخل عبد الله بن جلوى ابن عم عبد العزيز وعدا وراء عجلان الذي افلت من عبد العزيز فرماه بطلقة اودت بحياته ، وبعد ساعة من تبادل رجال عبد العزيز وحرس القصر النار ، سلم حرس القصر على ان يتركوا احياء ظنا منهم ان عبد العزيز معه من الجند ما يكفي للقضاء عليهم ، وما كاد النهار لينتصف حتى اذن المؤذن ان الحكم لله ثم

لعبد العزيز بن عبد الرحمن ، وان عجلان عامل ابن الرشيد قد قتل ، فسمع الناس واطاعوا .

واخذ عبد العزيز بعد فتح الرياض يعمل لنقض امارة ابن الرشيد واسترداد ملك آبائه واجداده وقد تم له ما اراد ، وقد مكث اكثر من عشرين سنة يجالد ويغالب الخصوم من النجديين والاشراف والاتراك ، يضربهم حيناً ويلين حينما يرى السياسة واللين انجح من الخصام والقتال .

ثم ولى عبد العزيز وجهه شطر الحجاز ، حيث اخذت من سنة ١٣٤٠ هـ ـ ١٩٢٢ م علاقات حسين الاول الهاشمي تسوء مع المصريين ، كما ساءت بينه وبين الانجليز ، ولم ينتصف شهر المحرم من ١٣٤٣ هـ ـ ١٩٢٤ م ، حتى بدأ الاخوان بمناوشتهم مع بادية الحجاز ، ثم اخذوا يتقدمون فاستولوا على الطائف في ٥ صفر ، وجمع حسين مالديه من جنود وسيرهم الى الطائف لضرب الاخوان وطردهم منها ، وهنا كانت معركة الهدى التي هزمت فيها جنود حسين ، وتنازل حسين عن الملك لولده علي ، ثم دخل الاخوان مكة صلحاً ، وتولى الشريف خالد بن لؤي امارة مكة .

وقد مضت مدة والحرب دائرة بين الطرفين ، وكثير من الحكومات الاسلامية وغير الاسلامية قد توسطت فما نفعت الوساطة ، وظلت الحرب قائمة حتى استسلمت جدة آخر المدن الحجازية .

وبايع اهل الحجاز في ٢٢ جمادى الآخرة ١٣٤٤ هـ ـ كانون الثاني ١٩٢٦ م ، عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ملكا على الحجاز وغيرها من البلدان التي يحكمها عبد العزيز ، ثم اعلن ١٣٥١ هـ ـ ١٩٣٢ م ، توحيد نجد والحجاز والاقطار الخاضعة له وسميت المملكة العربية السعودية ، واشتركت في تأسيس الجامعة العربية كما انتخبت عضواً في هيئة الامم المتحدة في ٥ ربيع الاول ١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٣ م ، وبعد وفاة عبد العزيز آل سعود خلفه على عرش المملكة اكبر انجاله ولي العهد سعود بن عبد العزيز .

* * *

المملكة الهاشمية :

أعلن الشريف حسين الثورة بالحجاز في شعبان ١٣٣٤ هـ ـ حزيران ١٩١٦ م ، قبل ان يستعد العرب لها ، ويدخروا من السلاح والمعدات ما يضمن لهم الوقوف في وجه قوات الترك .

ومن حسن الحظ ان حامية جدة كانت اول حامية تركية ، استسلمت للعرب في الحجاز ، فقد رفعت راية التسليم في ١٦ حزيران ، ويبلغ عدد رجالها ١٣٤٦ جنديا بينهم ٢٠ ضابطاً ، وغنم العرب من جدة ١٠ مدافع ميدان ، و ٤ مدافع جبلية ، و ٤ رشاشات ، ومستودعا كبيراً للاسلحة والذخائر .

واستعان العرب بالمدافع التي غنموها في جدة على ضرب الحامية التركية ، وكانت متحصنة بقلعة جياد (مكة) ، فأقتحموها في رمضان ١٣٣٤ هـ ـ ٤ تموز ١٩١٦ م ، واسروا حاميتها وغنموا فيها ٣ مدافع جبلية ، ومدفعين من العيار الكبير ، وكمية كبيرة من الذخائر والعتاد ، ثم اقتحموا ثكنة جرول في ٩ تموز ، وبذلك تم للعرب التغلب على قوات الترك في مكة .

وفي شوال ١٣٣٤ هـ ـ ١٥ آب ١٩١٦ م ، استولى العرب على ثغر الليث على شاطيء البحر الاحمر ، وعلى ثغر املج ، ثم استسلمت الطائف على يد عبد الله بن الحسين في ٢٤ ذي القعدة ١٣٣٤ هـ ـ ٢٢ ايلول ١٩١٦ .

وهاجمت العرب بقيادة علي وفيصل ، قوات فخري باشا قائد قوات المدينة ، فلم تفلح العرب ، وشجع فخري باشا ما لقيه من فوز في المعركة الاولى ، فحمل بقوة كبيرة على جيش فيصل ، فاحتل العلاوة وبلغ بير الماشي ، وهي على بعد ٣٠ كيلو مترا من المدينة ، ولقي علي بن الحسين عناء في اوائل الثورة من حسين بن مبيرك شيخ رابغ ، فقد كان ميالا مع الترك ، ثم حمل فخري على جيش فيصل ، فدارت معركة دامية بين الفريقين ، انتهت بارتداد الترك ، ثم عاد فخري الى الهجوم ، فحمل على جيش فيصل ، فارتد امامه حتى ينبع البحر ، ثم ارتد فخري الى المدينة فجأة في الغداة ، فلحق به فيصل ثم استأنف فخري الخروج ، فهاجم بير عباس بقوات كبيرة واحتلها ، ولكن فيصلا اضطره الى اخلائها ، فارتد الى بير الرايق وخاف

الحسين من تكرار هذه المعارك وقد شاعت اخبار بان فخري ينوي الزحف على مكة بطريق رابغ ، وادرك ان الترك عازمون على ضرب الثورة العربية ضربة قاضية فأرسل الحسين يطلب من حلفائه الانكليز المدد والنجدات بواسطة مندوبه في مصر .

وحصل اخذ ورد بينه وبين الحلفاء بشأن ارسال القوى والمعدات الى رابغ ، وقد استمرت نحو أربعة اشهر ، قاسى الحسين في خلالها من مطل الانكليز وتسويفهم واختلاف قادتهم وذوي الشأن منهم الامرين ، مما جعل الحسين يعدل عن الاعتماد على الحلفاء عسكرياً ، وينظر في انشاء جيش نظامي يعول عليه في المهمات وفي مقابلة الخطوب ، ودارت مفاوضات بين الحسين وولاة الامور من الانكليز بمصر ، وتقرر ان يستعان على تحقيق هذه الامنية بالجنود والضباط العرب الذي اسرهم الانكليز في ميدان فلسطين وفي العراق ، على ان تقدم السلطة اليه ما يحتاجه من سلاح وعتاد ، ثم نظم ثلاثة جيوش : ١ ــ الجيش الشمالي بقيادة فيصل ، ومقره حوالى بير درويش غربي المدينة ، ومهمته الرئيسية اشغال جيش فخري باشا ومنعه من بلوغ ينبع .

٢ ــ الجيش الجنوبي بقيادة علي ، ومقره رابغ ، ومهمته منازلة الترك ومنعهم من الزحف الى مكة .

٣ ــ الجيش الشرقي بقيادة عبد الله ، ومقره في العيص ، ومهمته منازلة العدو وتخريب سكة الخط الحديدي بين الشام والمدينة .

وبعدما استقرت الحالة في الحجاز وزال الخطر عن الثورة العربية ، رأى رجال مكة انه لابد من انشاء حكومة ، تسوس البلاد وتدبر امورها ، فاجتمع اهل الحل والعقد في مكة في ٦ المحرم ١٣٣٥ هـ ــ ٣ كانون الاول ١٩١٦ م ، وبايعوا الحسين ملكاً على العرب وانشئت حكومة ، واذيع بلاغ بهذا الشأن على وزارات خارجية الحلفاء والمحايدين .

وفي ربيع الاول ١٣٣٥ هـ ــ ٢٤ كانون الثاني ١٩١٧ م ، اطلقت البوارج البريطانية قنابلها على الوجه ، وانزلت على مسافة ٣ اميال منها ٢٥٠ بحريا انكليزيا و ٥٠٠ جندي عربي ، حملتهم من ينبع ، فدارت بينهم وبين الترك معارك انتهت

بانسحاب الترك وسقطت مدينة الوجه ، ثم استولى العرب على المويلح ، واضطر الترك على اثر اتساع ميدان القتال ، وانتقاله من الحجاز الى بادية الشام ، وظهور العرب حول محطات سكة الحديد الممتدة في البادية ، الى اتخاذ تدابير جديدة على طول هذا الخط .

ثم احتل الجيش العربي العقبة والكويرة ، واعيد تنظيم القوى النظامية في العقبة على منوال جديد فصارت تتألف من أربعة ألوية : لواء العقبة ومقره العقبة ولواء الكويرة ، واللواء الهاشمي ، ولواء المدفعية .

وبعدما استقرت اقدام الجيش الشمالي في العقبة والمناطق المجاورة لها ، وحاز ما حازه من نصر وتوفيق ، رأى ان يوسع نطاق اعماله ، وينقل الميدان الى حوران وجبل الدروز والغوطة ، فكاتب قائد الجيش الشمالي فيصل ، الانكليز ، فتم الاتفاق على اعداد حملة كبيرة ، يقودها فيصل ، ويكون مقرها الازرق .

وبدأت الحملة الكبرى عملها في ذي الحجة ١٣٣٦ هـ ــ ٢١ ايلول ١٩١٨ م ، بمهاجمة محطة خربة الغزالة فدمرتها ، ونسفت قضبان الخط الحديدي الواقع بينها وبين درعا ، وعطلت الخطوط الحديدية بين درعا وحيفا ، وفي ٢٨ منه احتلت محطة درعا ، وفي ٢٩ منه زحفت الى دمشق على الخط الحديدي ، فوصلتها في ٣٠ منه ،ودخلتها بين هتاف الاهالي ، وترحيبهم ، ورفعت العلم العربي على ابراجها ، وبدىء بانشاء الحكومة العربية .

هذا بعض ما جرى في الشمال حتى دخول دمشق ، اما ما جرى في ميدان الحجاز بعد سفر الجيش الشمالي ، فخلاصته ان جيش الجنوب بقيادة علي ، وجيش الشرق بقيادة عبد الله ، اقاما على حصار المدينة ، وكان الامر لايخلو من مناوشات عسكرية تدور بين الفريقين ، ودام الحال على هذا المنوال حتى عقدت الهدنة بين الحلفاء والترك في ١٣٣٧ هـ ــ ٣٠ تشرين الاول ١٩١٨ م ، وبها تقرر وجوب سحب جميع قوى الترك من البلاد العربية وابلغ في اوائل تشرين الثاني ، القائد التركي فخري باشا نص معاهدة الهدنة ، ودعي الى التسليم ، فأبى وأصر بالرغم من جميع

المحاولات حتى ربيع الثاني ١٣٣٧ هـ ـ كانون الثاني ١٩١٩ م، حيث شددعليه الحصار وسرت روح التمرد بين صفوف جيشه فأذعن للامر الواقع ، وسلم نفسه لعلي بن الحسين في ١٦ كانون الثاني .

وما كاد العرب ينتهون من نضالهم مع الترك ، حتى رأوا انفسهم على ابواب نضال جديد مع حلفائهم الانكليز ، بسبب نكولهم للوعد الذي قطعوه للحسين ، بانشاء دولة عربية مستقلة في داخليتها وخارجيتها ، تكون حدودها شرقا بحر فارس وغرباً بحر القلزم والحدود المصرية والبحر الابيض ، وشمالا ولاية حلب والموصل ونهر الفرات مجتمعاً مع دجلة الى مصبها في بحر فارس ، ما عدا مستعمرة عدن ، وقد قبل هنري مكماهون هذه الحدود وأبدى تحفظاً عليها في كتابه المؤرخ في ذي الحجة ١٣٣٣ هـ ـ ٢٤ تشرين الاول ١٩١٥ م ، هذا نصه : لما كانت مقاطعات مرسين والاسكندرونة وبعض اجزاء سورية الواقعة الى الغرب من مقاطعات دمشق وحمص وحماة وحلب ، لايمكن تسميتها عربية محضة ، فانه يقتضي اخراجها من الحدود المبينة .

وكان الحسين يرجو بعدما عاهد الانكليز ، واتفق معهم ، واعلن الثورة في الحجاز ، ان يحل محل الدولة العثمانية في الجزيرة ويرثها ، فتنتقل اليه السيادة على هذه الامارات ويسيطر عليها .

على ان الظرف قد تحول في خلال السنة الاولى للحرب ، فانضم الادريسي الى الانكليز وعاقدهم واعترفوا بامارته وسلطانه ، وامدوه بالاموال والسلاح ، وفعل ابن سعود فعله ايضاً ، فعقد مع الانكليز في ٢٦ صفر ١٣٣٤ هـ ـ ٢٦ كانون الاول ١٩١٥ م ، معاهدة العقير ، فاعترفوا فيها بان نجداً والحسا والقطيف وجبيلا وتوابعها ، هي بلاد ابن سعود وآبائه من قبل ، كما اعترفوا بابن سعود حاكماً عليها

ورفض يحيى امام اليمن الدخول في مفاوضات مع الانكليز ، ورد رسلهم قانعاً بما ناله من الترك بمعاهدة دعان .

وانضم آل الرشيد الى الترك ، واقاموا على الولاء لهم في داخل الجزيرة يمدونهم بالابل ، ويأخذون منهم الاموال والسلاح ، وارتبط مصيرهم بمصير الترك .

واما العلاقات بين الحسين وابن سعود فكانت غير ودية ، قبل اعلان الحرب العامة الاولى ، وزادت سوءا بعد الحرب العالمية الثانية ، فانتهت الى معارك دامية ادت بفوز الجيش السعودي واحتلال الحجاز بكامله وضمه الى المملكة العربية السعودية كما بينا في بحثنا عن السعوديين .

الطولونيون

احمد بن طولون	٢٥٤ هـ ـ ٨٦٨ م
ابو الجيش خماوريه	٢٧٠ هـ ـ ٨٨٣ م
جيش بن خمارويه	٢٨٢ هـ ـ ٨٩٥ م
هارون بن خمارويه	٢٨٣ هـ ـ ٨٩٢ م
شيبان بن احمد	٢٩٢ هـ ـ ٩٠٤ م

الاخشيديون

محمد الاخشيدي	٣٢٣ هـ ـ ٩٣٥ م
ابو القاسم بن إخشيد	٣٣٤ ـ ٩٤٦
ابو الحسن علي إخشيد	٣٤٩ ـ ٩٦٠
ابو المسك كافور إخشيد	٣٥٥ ـ ٩٦٦
ابو الفوارس احمد بن علي إخشيد	٣٥٧ ـ ٣٥٨ هـ ـ ٩٦٨ ـ ٩٦٩ م

الفاطميون بمصر

ابو تميم المعز	٣٦١ هـ ـ ٩٥٢ م
العزيز ابو منصور	٣٦٥ ـ ٩٧٥
الحاكم بامر الله المنصور	٣٨٦ ـ ٩٩٦
الظاهر ابو الحسن علي	٤١١ ـ ١٠٢٠
المستنصر ابو تميم	٤٢٧ ـ ١٠٣٦
المستعلي ابو القاسم احمد	٤٨٧ ـ ١٠٩٤

الامير ابوعلي المنصور الآمر باحكام الله	٤٩٥ هـ	١١٠١ م
الحافظ ابو الميمون عبد المجيد	٥٢٤	١١٣٠
الظافر ابو منصور اسماعيل	٥٤٤	١١٤٩
الفايز ابو القاسم عيسى	٥٤٩	١١٥٤
عبد الله بن يوسف	٥٥٥–٥٦٧ هـ	١١٦٠ – ١١٧١م

الايوبيون بمصر

الملك صلاح الدين يوسف	٥٦٧ هـ	١١٦٩ م
الملك العزيز بن يوسف	٥٨٩	١١٩٣
الملك المنصور بن العزيز	٥٩٥	١١٩٨
الملك العادل بن ايوب	٥٩٦	١٢٠٠
الملك الكامل بن العادل	٦١٦	١٢١٨
الملك العادل بن الكامل	٦٣٥	١٢٣٨
الملك الصالح بن الكامل	٦٣٧	١٢٤٠
الملك المعظم بن الصالح	٦٤٧	١٢٤٩
الملك موسى الاشرف	٦٤٨–٦٥٠هـ	١٢٥٠–١٢٥٢

المماليك البحرية

شجرة الدر	٦٤٨ هـ	١٢٥٠ م
الملك المعز	٦٤٨	١٢٥٠
عز الدين ايبك	٦٤٨	١٢٥٠
الاشرف مظهر الدين موسى		
نور الدين علي بن ايبك	٦٥٥	١٢٥٧
الملك سيف الدين المظفر	٦٥٧	١٢٥٩
الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري	٦٥٨	١٢٦٠
الملك السعيد ناصر الدين بركة خان بن بيبرس	٦٧٦	١٢٧٧

الملك العادل بدر الدين سلامش بن بيبرس ٦٧٨ هـ — ١٢٧٩ م

الملك المنصور سيف الدين قلاوون ٦٧٨ — ١٢٧٩

الملك خليل الاشرف صلاح الدين بن قلاوون ٦٨٩ — ١٢٩٠

الملك محمد الناصر ناصر الدين ٦٩٣ — ١٢٩٣

الملك العادل زين الدين كتبغا ٦٩٤ — ١٢٩٤

الملك المنصور حسام الدين لاجين ٦٩٦ — ١٢٩٦

الملك محمد الناصر (مرة ثانية) ٦٩٨ — ١٢٩٨

الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاه شنكير ٧٠٨ — ١٣٠٨

الملك محمد الناصر (مرة ثالثة) ٧٠٩ — ١٣٠٩

الملك ابو بكر الناصر سيف الدين ٧٤١ — ١٣٤٠

الملك كجك الاشرف علاء الدين ٧٤٢ — ١٣٤١

الملك احمد الناصر شهاب الدين ٧٤٢ — ١٣٤٢

الملك اسماعيل الصالح عماد الدين ٧٤٣ — ١٣٤٢

الملك شعبان الكامل سيف الدين ٧٤٦ — ١٣٤٥

الملك حاجي المظفر زين الدين ٧٤٧ — ١٣٤٦

الملك حسن الناصر سيف الدين ٧٤٨ — ١٣٤٧

الملك صلاح الدين صالح ٧٥٢ — ١٣٥١

الملك حسن الناصر (مرة ثانية) ٧٥٥ — ١٣٥٦

الملك محمد المنصور صلاح الدين ٧٦٢ — ١٣٦١

الملك شعبان الاشرف زين الدين ٧٦٤ — ١٣٦٣

الملك علي المنصور علاء الدين ٧٧٨ — ١٣٧٦

الملك حاجي الصالح زين الدين ٧٨٣ — ١٣٨١

المماليك الشراكسة

الملك الظاهر سيف الدين برقوق ٧٨٤ هـ — ١٣٨٢ م

الملك فرج الناصر ابو السعادات ٨٠١ — ١٣٩٨

الملك عبد العزيز المنصور عز الدين ٨٠٨ — ١٤٠٥

الملك فرج الناصر (مرة ثانية) ٨٠٩ — ١٤٠٦

الملك العادل المستعين بالله العباسي ٨١٥ — ١٤١٢

الملك الشيخ المحمودي ٨١٥ — ١٤١٢

الملك احمد سيف الدين ططر ٨٢٤ — ١٤٢١

الملك محمد الصالح ناصر الدين ٨٢٤ — ١٤٢١

الملك الاشرف برس باي ٨٢٥ — ١٤٢٢

الملك يوسف العزيز جمال الدين ٨٤١ — ١٤٣٨

الملك الظاهر جقمق ٨٤٢ — ١٤٣٨

الملك عثمان المنصور فخر الدين ٨٥٧ — ١٤٥٣

الملك الاشرف اينال ٨٥٧ — ١٤٥٣

الملك احمد المؤيد شهاب الدين ٨٦٥ — ١٤٦٠

الملك الظاهر سيف الدين خوش قدم ٨٦٥ — ١٤٦١

الملك الظاهر سيف الدين بلباي ٨٧٢ — ١٤٦٧

الملك الظاهر تمربغا ٨٧٢ — ١٤٦٨

الملك الاشرف سيف الدين قايت باي ٨٧٣ — ١٤٦٨

الملك محمد الناصر ٩٠١ — ١٤٩٦

الملك الناصر قانسو ٩٠٤ — ١٤٩٨

الملك الاشرف جنبلاط ٩٠٥ — ١٥٠٠

الملك العادل طومان باي ٩٠٦ — ١٥٠١

الملك الاشرف قانسو الغوري ٩٠٦ — ١٥٠١

الملك الاشرف طومان باي ٩٢٢ — ١٥١٦

العائلة المحمدية العلوية بمصر

محمد علي	١٢٢٠ هـ	١٨٠٥ م
ابراهيم بن محمد علي	١٢٦٥	١٨٤٩
عباس بن طولون	١٢٦٦	١٨٤٩
سعيد بن محمد علي	١٢٧٠	١٨٥٤
اسماعيل بن ابراهيم	١٢٨٠	١٨٦٣
محمد توفيق بن اسماعيل	١٢٩٦	١٨٧٩
عباس حلمي	١٣٠٩	١٨٩٢
حسين كامل	١٣٣٣	١٩١٤
فؤاد الاول	١٣٣٥	١٩١٧
فاروق الاول	١٣٥٥–١٣٧١ هـ	١٩٣٦ – ١٩٥٢ م

الحمدانيون بحلب

سيف الدولة ابو الحسن علي	٣٣٣ هـ	٩٤٤ م
سعد الدولة بن حمدان	٣٥٦	٩٦٧
ابو الفضائل بن سعد الدولة	٣٨١	٩٩١
ابو الحسن علي الثاني	٣٩٢–٣٩٤ هـ	١٠٠١–١٠٠٣ م

الدولة المرداسية بحلب

صالح بن مرداس	٤١٤ هـ	١٠٢٣ م
شبل الدولة ابو كامل نصر	٤٢٠	١٠٢٩
الفاطميون	٤٢٩	١٠٣٨
معز الدولة ابو علوان بن صالح	٤٣٤	١٠٤٣
الفاطميون	٤٢٩	١٠٣٨
رشيد الدولة محمود بن شبل الدولة	٤٥٢	١٠٦٠
معز الدولة (مرة ثانية)	٤٥٣	١٠٦١

ابو ذؤابة عطية بن صالح ٤٥٤ هـ — ١٠٦٢ م
رشيد الدولة (مرة ثانية) ٤٥٤ — ١٠٦٢
جلال الدولة نصر بن رشيد الدولة ٤٦٨ — ١٠٧٥
ابو الفضل سابق بن رشيد الدولة ٤٦٨—٤٨٢هـ—١٠٧٥—١٠٨٩م

دولة آل سلجوق في الشام

تتش بن الب أرسلان ٤٧٨ هـ — ١٠٨٥ م
رضوان بن تتش ٤٨٨ — ١٠٩٥
تفاق بن تتش في دمشق ٥٠٧ — ١١١٣
الب أرسلان اخرس بن رضوان ٥٠٧ — ١١١٣
سلطانشاه بن رضوان ٥٠٨—٥١١هـ—١١١٤—١١١٧ م

الدولة الاتابكية في دمشق

سيف الاسلام ظهير الدين طغتكين ٤٩٧ هـ — ١١٠٤م
تاج الملوك بوري ٥٢٢ — ١١٢٨
شمس الملوك اسماعيل ٥٢٦ — ١١٣٢
شهاب الدين محمود ٥٢٩ — ١١٣٥
جمال الدين محمد ٥٣٣ — ١١٣٩
مجير الدين آبق ٥٣٤—٥٤٩ هـ—١١٤٠—١١٥٤ م

الاتابكية في الشام او الدولة النورية

٥٤١ — ٥٧٧ هـ — ١١٤٦ — ١١٨١ م

محمود نور الدين بن زنكي
الصالح اسماعيل بن محمود

الايوبيون بحمص

الملك محمد ٥٧٤ هـ ـ ١١٧٨ م
« المجاهد ٥٨١ ـ ١١٨٥
« ابراهيم المنصور ٦٣٧ ـ ١٢٣٩
« موسى الاشرف مظفر الدين ٦٠١ ـ ٦٤٤ هـ ـ ١٢٤٥ ـ ١٢٦٢ م

الايوبيون في حماة

الملك عمر المظفر الاول تقي الدين ٥٧٤ هـ ـ ١١٧٨ م
« محمد المنصور الاول ٥٨٧ ـ ١١٩١
« أرسلان الناصر ٦١٧ ـ ١٢٢٠
« محمود المظفر الثاني ٦٢٦ ـ ١٢٢٩
« محمود الثاني المنصور ٦٤٢ ـ ١٢٤٤
« محمد الثالث المظفر ٦٨٣ ـ ٦٩٨ هـ ـ ١٢٨٤ ـ ١٢٩٨ م
الملك اسماعيل ابو الفداء المؤيد ٧١٠ هـ ـ ١٣١٠ م
« محمد الافضل ٧٣٣ ـ ٧٤٢ هـ ـ ١٣٣٢ ـ ١٣٤١ م

الايوبيون بدمشق

الملك الافضل نور الدين علي ٥٨٢ هـ ـ ١١٨٦ م
« ابو بكر سيف الدين ٥٩٢ ـ ١١٩٦
« المعظم شريف الدين ٦١٥ ـ ١٢١٨
« داود ناصر الدين ٦٢٤ ـ ١٢٢٧
« موسى الاشرف ٦٢٦ ـ ١١٢٨
« اسماعيل الصالح ٦٣٥ ـ ١١٣٧
« الكامل العادل الصالح والمظفر ملك مصر ٦٣٥ هـ ـ ١٢٣٧ ـ ١٢٤٩ م
« الناصر صلاح الدين
يوسف ملك حلب ٦٤٨ ـ ٦٥٨ هـ ـ ١٢٥٠ ـ ١٢٦٠ م

الملك ظاهر الدين غازي	٥٨٢ هـ	١١٨٦ م
« عزيز الدين محمد	٦١٣	١٢١٦
« ناصر الدين يوسف	٦٣٤ ـ ٦٥٨ هـ	١٢٣٦ ـ ١٢٦٠ م

سلاطين الدولة الكثيرية بحضرموت

علي بن عمر	٨١٦ هـ	١٤١٣ م
عبد الله بن علي	٨٢٥	١٤٢١
بدر بن علي	حوالى ٨٣٣	١٤٣٠
محمد بن علي	حوالى ٨٣٥	١٤٣٢
محمد عبد الله	حوالى ٨٤٥	١٤٤١
بدر بن عبد الله	٨٥٥	١٤٥١
جعفر بن عبد الله قبل	٨٩٤	١٤٨٩
عبد الله بن جعفر	٨٩٤	١٤٨٩
بدر الدين بن محمد	٨٩٥	١٤٩٠
محمد بن عبد الله	٩١٠	١٥٠٤
بدر بوطويرق	٩٤٧	١٥٤٠
علي بن عمر		
عبد الله بن جعفر		
محمد بن علي المتوفى	٩٥٥	١٥٤٨
محمد بن بدر		
محمد بن عبد الله		
عبد الله بن بدر المتوفى	٩٩٠	١٥٨٢
عمر بن بدر		
عبد الله بن عمر	١٠١٢	١٦٠٣
بدر بن عمر	١٠٢٤	١٦١٥
بدر بن عبد الله	١٠٥٨	١٦٤٨

طالب بن عبد الله		
جعفر بن عبد الله		
علي بن عبد الله		
محمد المردوف		١٠٧٣ هـ — ١٦٦٣ م
عيسى بن بدر		١٠٨٠ — ١٦٦٩
علي بن بدر المتوفى		١١٠٧ — ١٦٩٦
حسن بن عبد الله حوالى		١٠٩٣ — ١٦٨٢
بدر الدين محمد المردوف		١١١٧ — ١٧٠٥
بدر بن علي		
عيسى بن بدر		
عمر بن جعفر		
جعفر بن عيسى		
محسن بن عمر	حوالى	١١٤٤ — ١٧٣١
علي بن جعفر		
جعفر بن عمر	حوالى	١١٤٤ — ١٧٣١
جعفر بن علي		١٢٢٢ — ١٨٠٧
عمر بن علي		١٢٢٣ — ١٨٠٨
بدر بن علي		١٢٢٣ — ١٨٠٨
علي بن بدر		١٢٢٤ — ١٨٠٩
عمر بن جعفر	قبل	١٢٣٩ — ١٨٢٤
عمر بن جعفر		١٢٣٩ — ١٨٢٤
منصور بن عمر		١٢٤٣ — ١٨٢٧
غالب بن محسن	المتوفى	١٢٨٧ — ١٨٧٠
علي بن منصور		
جعفر بن منصور		١٣٦٧ — ١٩٤٨ (١)

(١) كان حيا ١٩٤٨ م

الأئمة بعُمان

جولندى بن مسعود الازدي	١٣٥ هـ	٧٥٢ م
محمد بن ابي عفان الازدي	١٤٥	٧٦٢
الوارث بن كعب اليحمدي	١٨٥	٨٠١
غسان بن عبد الله	١٩٢	٨٠٨
عبد الملك بن حميد الازدي	٢٠٨	٨٢٣
مهنا بن جعفر اليحمدي	٢٢٦	٨٤١
الصلت بن مالك	٢٣٧	٨٥١
راشد بن النضر	٢٧٣	٨٨٦
عزان بن تميم	٢٧٧	٨٩٠
محمد بن الحسن	٢٨٤	٨٩٧
عزان بن الخضر	٢٨٥	٨٩٨
عبد الله بن محمد	٢٨٦	٨٩٩
الصلت بن القاسم	٢٨٧	٩٠٠
حسن بن محمد	٢٨٧	٩٠٠
الحواري بن مطرف	٢٩٢	٩٠٥
عمر بن محمد بن مطرف	٣٠٠	٩١٣
محمد بن يزيد الكندي		
الملا البحري		
سعيد بن عبد الله	توفي ٣٢٨	٩٤٠
راشد بن الوليد	٣٢٨	٩٤٠
يوسف بن وجيه	٣٣٤	٩٤٣
محمد بن يوسف بن وجيه	٣٣٥	٩٤٤
رضوان بن جعفر	حوالى ٣٤٠	٩٥١
الخليل بن شاذان الخروصي	٤٠٠	١٠٠٩

راشد بن سعيد توفى ٤٤٥ ـ ١٠٥٣

حفص بن راشد ٤٤٥ ـ ١٠٥٣

راشد بن علي توفي ٤٤٦ ـ ١٠٥٤

موسى بن موسى توفي ٥٧٩ ـ ١١٨٣

الفلاح بن المحسن النبهاني ٥٤٩ ـ ١١٥٤

عرار بن الفلاح

مخزوم بن الفلاح حتى ٨٠٩ ـ ١٤٠٦

مالك بن علي الحواري ٨٠٩ ـ ١٤٠٦

عبد الله بن خميس الازدي ٨٣٩ ـ ١٤٣٥

عمر بن خطاب اليحمدي ٨٥٥ ـ ١٤٥١

عمر الشريف ٨٩٦ ـ ١٤٩١

احمد بن محمد ٨٩٧ ـ ١٤٩٧

ابو الحسن بن عبد السلام ٩٠٥ ـ ١٤٩٩

محمد بن اسماعيل ٩٠٦ ـ ١٥٠٠

بركات بن محمد بن اسماعيل ٩٣٦ ـ ١٥٣٠

عبد الله بن محمد ٩٦٧ ـ ١٥٦٠

بركات (للمرة الثانية) ٩٦٨ ـ ١٥٦١

ناصر بن مرشد بن سلطان بن مالك بن ابي عرب ١٠٣٤ ـ ١٦٢٥

سلطان بن سيف بن مالك ١٠٥٩ ـ ١٦٤٩

بلعرب بن سلطان بن يوسف ١٠٧٩ ـ ١٦٦٨

سيف بن سلطان بن يوسف ١١٢٣ ـ ١٧١١

مهنا بن سلطان بن سيف ١١٣١ ـ ١٧١٩

يعرب بن بلعرب بن سلطان ١١٣٤ ـ ١٧٢١

سيف بن سلطان (للمرة الثانية) ١١٣٥ ـ ١٧٢٣

محمد بن ناصر بن غامر ١١٣٧ ـ ١٧٢٤

سيف بن سلطان (للمرة الثانية)	١١٤٠ هـ	١٧٢٧ م
سلطان بن مرشد	١١٥١	١٧٣٨
احمد بن سعيد بن احمد البوسعيدي	١١٥٤	١٧٤١
سعيد بن احمد	١١٨٨	١٧٧٤
عزان بن قيس بن عزان	١٢٨٥	١٨٦٨
سالم بن راشد الخروصي	١٣٣١	١٩١٣
محمد بن عبدالله بن سعيد الخليلي	١٣٣٨	١٩٢٠
غالب بن علي الهنائي	١٣٧٣	١٩٥٤

الاسياد بعُمان

حميد بن سعيد	١١٩٣ هـ	١٧٧٩ م
سلطان بن احمد	١٢٠٦	١٧٩٢
سليم بن سلطان	١٢١٩	١٨٠٤
سعيد بن سلطان	١٢١٩	١٨٠٤
طويني بن سعيد	١٢٨٣	١٨٦٧
سليم بن طويني	١٢٨٣	١٨٦٧
عزام بن قيس	١٢٨٥	١٨٦٩
تركي بن سعيد	١٢٩١	١٨٧٤
فيصل بن تركي	١٣٠٥	١٨٨٨
تيمور بن فيصل	قبل ١٣٤٧	١٩٢٨
سعيد بن تيمور	١٣٤٧	١٩٢٨

امراء آل خليفة

احمد بن محمد	١١٩٧ هـ	١٧٨٣ م
سلمان بن احمد	١٢٠٩	١٧٩٤
عبد الله بن احمد	١٢٣٦	١٨٢١

محمد بن خليفة	١٢٥٨ هـ — ١٨٤٢ م
محمد بن عبد الله	١٢٨٦ — ١٨٦٩
عيسى بن علي	١٢٨٦ — ١٨٧٠
حمد بن عيسى	١٣٤١ — ١٩٣٣
سليمان بن حمد	١٣٦١ — ١٩٤٢

امراء الكويت

صباح الاول	١١٩٠ هـ — ١٧٧٦ م
عبد الله بن صباح	
جابر بن عبد الله	١٢٢٩ — ١٨١٤
صباح بن جابر	١٢٧٦ — ١٨٥٩
عبد الله بن صباح	١٢٨٣ — ١٨٦٦
محمد بن صباح	١٣٠٩ — ١٨٩٢
مبارك بن صباح	١٣١٣ — ١٨٩٥
جابر بن مبارك	١٣٣٤ — ١٩١٥
سالم بن مبارك	١٣٣٥ — ١٩١٦
احمد بن جابر	١٣٣٩ — ١٩٢١
عبد الله السالم الصباح	١٣٦٩ — ١٩٥٠

الدولة اليعفرية في صنعاء

يعفر بن عبد الرحيم	٢٤٧ هـ — ٨٦١ م
محمد بن يعفر	٢٥٩ — ٨٧٣
عبد القادر بن احمد بن يعفر	٢٧٩ — ٨٩٢
ابراهيم بن محمد	٢٧٩ — ٨٩٢
اسعد بن ابراهيم	٢٨٥ — ٨٩٨
فترة لأئمة صنعاء والقرامطة	٢٨٨—٣٠٣هـ—٩٠٠—٩١٥ م

اسعد بن ابراهيم (مرة ثانية)	٣٠٣	ـ ٩١٥
عبد الله بن قحطان	٣٥٢ـ٣٨٧ هـ	ـ ٩٦٣ـ٩٩٧ م

الدولة النجاحية

المؤيد نجاح	٤١٢ هـ	ـ ١٠٢١ م
فترة علي الداعي الصليحي	٤٥٢	ـ ١٠٦٠
سعيد الاحول بن نجاح	٤٧٣	ـ ١٠٨٠
جياش بن نجاح	٤٨٢	ـ١٠٨٩
فاتك بن جياش	٤٩٨	ـ ١١٠٥
منصور بن فاتك	٥٠٣	ـ ١١٠٩
فاتك بن منصور	٥١٧	ـ ١١٢٣
فاتك بن محمد بن فاتك	٥٣١ـ٥٥٤ هـ	ـ١١٣٧ـ١١٥٩م

الايوبيون بجزيرة العرب

الملك طوران شاه بن ايوب	٥٦٩ هـ	ـ ١١٧٣ م
« سيف الاسلام بن ايوب	٥٧٧	ـ ١١٨١
« اسماعيل معز الدين	٥٩٣	ـ ١١٩٦
« الناصر الايوبي	٥٩٨	ـ ١٢٠١
« سليمان المظفر	٦١١	ـ ١٢١٤
« يوسف المسعود	٦١٢ـ٦٢٥ هـ	ـ ١٢١٥ـ١٢٢٨ م

السعوديون

محمد بن سعود	١١٥٠ هـ	ـ ١٧٣٧ م
عبد العزيز بن محمد	١١٧٩	ـ ١٧٦٥

سعود بن عبد العزيز	١٢١٨ هـ	١٨٠٣ م
عبد الله بن سعود	١٢٢٩	١٨١٤
مشارى بن سعود	١٢٣٥	١٨٢٠
تركي بن عبد الله	١٢٣٥	١٨٢٠
فيصل بن تركي	١٢٥٩	١٨٤٣
عبد العزيز بن عبد الرحمن	١٣١٩	١٩٠١
سعود بن عبد العزيز	١٣٧٣	١٩٥٣

الفصل السابع

الدول الاسلامية

– في –

العراق وفارس والهند وبلاد الافغان وارمينية وكردستان وغيرها

لما اضطربت الدولة العباسية في بغداد اخذ حكام الاقاليم يضيعون احترامها ويتأسفون على ما يؤدونه من الخراج ويطمعون عند عزل خليفة في الاستقلال ، فلا يدخلون تحت طاعة المتولي الا بشروط يأخذونها عليه ، ولم يزالوا كذلك حتى قويت شوكتهم ، وأسسوا ممالك او دولا في الاقاليم المشرقية .

* * *

الدولة الطاهرية :

كان لطاهر بن الحسين استقلال بحكم خراسان ، يؤدي الخراج عن عمله وعليه وال بريد يكتب الى المأمون باخباره ، وقد استمر ملك البيت الطاهري بخراسان من سنة ٢٠٥ هـ الى سنة ٢٥٩هـ ـ ٨٢٠ ـ ٨٧٣ م، حيث سقطت على يد يعقوب بن الليث الصفار ، وهي اول الدول الاسلامية استقلالا بالمشرق وأحسنها علاقة بدولة الخلافة ببغداد ، والسبب في هذا التحسن ان آل طاهر كان لهم مع خراسان ولاية الشرطة ببغداد ، ومن أجل ذلك كان الاتصال دائماً بين مرو وبغداد .

* * *

الدولة الزيدية بطبرستان :

خرج الحسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي ، بنواحي طبرستان ، ونجح الحسن في تكون دولة تعرف بالدولة الزيدية بطبرستان ، واقتطع من ملك بني العباس او آل طاهر طرفاً عظيماً تحميه جبال

طبرستان والديلم ، واستمرت هـذه الدولة نحو قرن كامـل ٢٥٠ ــ ٣٥٥ هـ ٨٦٤ ــ ٩٦٦ م .

ولم تكن هذه الدولة ذات نظام ملكي ولا مرتاحة من الاعداء ، فان بني سامان قتلوا محمد بن زيد واستولوا على طبرستان الى سنة ٣٠١ هـ ــ ٩١٤ م ، ثم ظهر الحسن الاطروش فاسترد طبرستان من آل سامان ، ولكنه قتل في بعض حروبه مع السامانية ، فقام بعده الحسن بن القاسم ونازعه اولاد الاطروش ، ولم يزل النزاع والخلاف بينهم حتى انتهى امرهم سنة ٣٥٥ هـ ــ ٩٦٦ م ، وانقضى الملك الزيدي من تلك الجبال .

* * *

الدولة الصفارية :

أوجد هذه الدولة بسجستان يعقوب بن الليث الصفار وأخوه عمرو ٢٥٤ هـ ــ ٨٦٨ م ، فقاد يعقوب الجنود لفتح البلاد وساس من تغلب عليهم سياسة سلطانية عالية .

وبعد موت يعقوب بايع الجند أخاه عمرو بن الليث فكان خيراً من أخيه في التدبير واحكام السياسة ، واستولت الدولة الصفارية على فارس وكرمان وسجستان وخراسان ، ولم يزل عمرو في حروب ووقائع لا قيمة لها حتى تعرض أخيراً لما كان بيد السامانيين من بلاد ما وراء النهر ، فولاه الخليفة اياها ، فكانت هذه الولاية خاتمة عزه ، وانقضت هذه الدولة ٢٩٠ هـ ــ ٩٠٣ م .

* * *

السامانيون :

تنسب الأسرة السامانية الى بهرام جور صاحب كسرى هرمز ، فهي أسرة عريقة المجد في الامة الفارسية ، كان في عهد المأمون من تلك الاسرة اولاد اسد بن سامان وكان المأمون يرعى حقوق الحرمة لذوي البيوتات فقربهم ورفع من أقدارهم ، وكانت بلاد ما وراء النهر مقسمة بينهم يلونها من جهة امير خراسان ، فكان نوح بن اسد في سمرقند واحمد بن اسد في فرغانة ويحيى بن اسد في الشاش واشروسنة والياس بن أسد في هراة وكان احمد بن اسد عفيف الطعمة مرضي السيرة لا يأخذ

رشوة ولا احد من أصحابه ، ولما توفي استخلف ابنه نصراً على أعماله بسمرقند وما وراءها فبقي عاملا بها الى آخر ايام الطاهرية ، وكان اسماعيل بن احمد يخدم أخاه نصراً فولاه بخارى وكان بين هذين الاخوين خطوب طويلة بسبب سعاة السوء حتى انه في سنة ٢٧٥ هـ ــ ٨٨٨ م ، تحارب نصر واسماعيل فقُهر نصر وحمل الى أخيه اسماعيل ، فلما رآه ترجل له وقبل يديه ورده من موضعه الى سمرقند وتصرف هو على النيابة عنه ببخارى .

واسماعيل هذا هو الذي انتهى على يده عز عمرو بن الليث وورث ما كان بيده من ملك خراسان وصارت له دولة عظيمة أورثها أهل بيته ، واستمرت دولتهم ١٧٠ سنة وستة أشهر ، ثم انتهت على يد آل سبكتكين من جهة والترك الخاقانية من جهة اخرى .

* * *

الدولة الزيارية :

أنشأ مرداويج بن زيار سنة ٣١٦ هـ ــ ٩٢٨ م ، دولة دعيت بالزيارية ، ودخلت في حوزته طبرستان وجرجان ، وذهب الى همذان واستولى عليها من يد جنود الخليفة وبذلك تم له الاستيلاء على بلاد الجبل كلها وبلغت عساكره الى نواحي حلوان وهي اول حدود العراق ، ثم ملك بعد ذلك اصبهان والاهواز ، وتعاقب على هذه الدولة ستة ملوك وانتهى أمرها سنة ٤٣٤ هـ ــ ١٠٤٣ م .

* * *

عائلة عمران ابن شاهين :

اضطر معز الدولة ان يقلد عمران بن شاهين البطائح فقوي عمران واستفحل أمره واستمر ملكه بالبطيحة من سنة ٣٢٩ الى ٣٦٩ هـ ــ ٩٤١ ــ ٩٧٩ م ، أي اربعين سنة كان فيها شجاً في حلق بني بويه لا يقدرون منه على شيء وانتقل الملك منه الى أعقابه ومواليهم الى سنة ٤٠٨ هـ ــ ١٠١٧ م .

* * *

بنو بويه :

وبعد ان عظم ملك علي بن بويه في فارس خطر بباله ان يمد سلطانه الى الاهواز

والعراق لما علمه من ضعف قوة الخليفة ببغداد ، كان من أهم مقاصد ابن بويه المسير الى العراق بعد الاستيلاء على واسط فصار احمد بن بويه يسير الى واسط ، ثم يعود عنها ، حتى كاتبه قواد بغداد يطلبون اليه المسير نحوهم للاستيلاء على بغداد فوصلها في ١١ جمادى الاولى ٣٣٤ هـ ـ ٩٤٥ م ، والخليفة بها هو المستكفي بالله فقابله واحتفى به وبايعه احمد وحلف كل منهما لصاحبه هذا بالخلافة وذاك بالسلطنة ، وفي هذا اليوم شرف الخليفة بني بويه بالالقاب ، فلقب علياً صاحب بلاد فارس عماد الدولة وهو اكبرهم ، ولقب الحسن صاحب الري والجبل ركن الدولة ، ولقب احمد صاحب العراق معز الدولة ، وأمر ان تضرب ألقابهم وكناهم على النقود .

* * *

الدولة السبكتكينية :

ظهرت الدولة السبكتكينية حوالى ٣٦٦ هـ ـ ٩٧٧ م ، كان مؤسس هذه الدولة غلاماً من غلمان اسحاق بن ابتكين صاحب جيش غزنة غزنين وهي ولاية من أعمال الدولة السامانية واسعة في طرف خراسان ، ولما ثارت الفتن والقلاقل بالبلاد الخراسانية وكل أمرها الى سبكتكين ليكسر الذين جاهروا بالعصيان ، فكان الظفر لسبكتكين واستقل بالامر .

ثم قاتل محمود ثالث ملوكهم آل سامان وغلبهم وأخذ اقليم خراسان واستقل بمملكته مستغنياً بما حاز من الغنائم ، فبعث اليه الخليفة العباسي تقليداً بحكومة خراسان وأمره ان لايتوجه الى بلاد بني بويه فلم يصغ لقوله ، ودهم بني بويه فأخذ منهم بلاد جرجان والعراق الفارسي ودخل مملكة هراة وبلوجستان تحت حكمه الساري من منابع نهري السند والكنج الى بحر الخزر ، وهو اول من تلقب من أصحاب الدول المشرقية بالسلطان ، اتخذ غزنة كرسي مملكته وأذاع في سائر الجهات الدين الاسلامي ، وأخذ الجزية مما فتحه في الهند .

نشر السلطان محمود عساكره في الهند وترك اقليم ما وراء النهر في قبضة قبائل تركستان المعروفة بمملكة التتار ، وأدخل الاتراك السلجوقية في خراسان حين أسلموا وسألوه ارضاً يسكنون وينتفعون بها .

وقصارى القول ان عهد محمود عهـد ارتفاع وقوة فوسع أملاك الـدولة السبكتكينية وبلغت في عهده اوج عزها ، وما زالت في الحكم حتى انقضت ايامها سنة ٥٨٢ هـ ــ ١١٨٦ م .

* * *

الدولة الصفوية :

مؤسس هذه الدولة شاه اسماعيل ، الذي يرجع بنسبه الى علي بن ابي طالب ، وقد فتح الشاه اسماعيل بلاد خراسان وطارد الازبكيين وسار اليه السلطان سليم الاول الفاتح العثماني ، فلم يقو على مقاومته ، فانهزم الجيش الايراني عند جالدران واحتلت الجنود العثمانية جميع ولايات ايران الغربية ، ولبثت تحت الحكم العثماني امداً طويلا .

وظلت الملوك الصفويون في عراك مع العثمانيين والازبك والتركمان والافغان حتى جاء الشاه عباس الكبير ، فكسر الازبك ، وطرد العثمانيين من بلاده ، واعاد تنظيم سير القوافل ، وكفل سلامة الطريق والمحافظة عليها ، واقام الجسور ، واعاد للتجارة ازدهارها ونشاطها ، وتوفي الشاه عباس ١٠٣٨ هـ ــ ١٦٢٩ م ، وبوفاته اخذ نجم الدولة الصفوية في الافول ، اذ تعاقب على عرش ايران ملوك ضعاف ، فعادت القبائل الرحل تعلن العصيان من جديد وانتشرت الفتن والثورات في داخلية البلاد حتى لم يعد للشاه من السلطة الا اسمها ، وغزا الافغان بلاد ايران في اوائل القرن الثامن عشر ، واستولت قبيلة غيلزاي بزعامة اميرهم محمود على مقـاليد السلطة في البلاد .

ثم تقدم نادر شاه ١١٤٣ هـ ــ ١٧٣٠ م ، الى شاه تاهمسب والد الشاه عباس الاكبر ، وعرض خدمته عليه ، فقاد الجيوش الايرانية في مطاردتها للافغان ، واسترد منهم خراسان ومشهد وحيرات ، واستغل نادر شاه هذا الظرف لاكراه الشاه على التنازل عن الملك الى ابنه عباس ، واقام نادر شاه نفسه وصياً على الشاه الطفل ، ومات عباس بن تاهمسب ، فنصب نادر شاه نفسه شاهاً على ايران ١١٤٩ هـ ــ ١٧٣٦م فقضى على جميع ثورات ايران الداخلية ، واخضع جميع قبائلها ، ثم سار بعد ذلك

الى ملاقاة العثمانيين ، فاستولى على بغداد وتفليس واجلاهم عن اراضي الجزيرة ، واستعاد كردستان وجورجيا ، وضمهما الى بلاد ايران ، ثم اغتاله احد رجال حرسه ١١٦٠ هـ ــ ١٧٤٧ م ٠

* * *

الدولة القاجارية بايران :

تنسب هذه الدولة الى قبيلة قاجار التي سكنت بلاد استراباد وشمالي ايران ، ومؤسسها آقا محمد خان بن امير ، من وجوه القاجارية ، وكان محمد خان في اول الامر صاحب الامر والنهي في شمالي ايران وقاعدته طهران ، ولطف علي خان صاحب ايران الجنوبية وقاعدته شيراز ، ثم غلب محمد خان لطف الله على بلاده ، ولما تم لمحمد الامر شرع في تنظيم بلاد ايران ، وقرب الاذكياء ، وشدد الوطأة على الاعداء والاشقياء ، ثم حارب قبائل التركمان المجاورة لاستراباد ، ثم اخضع بلاد الكرج ، ثم توج رسمياً سلطاناً على ايران ، وتوفي ١٢١٢ هـ ــ ١٧٩٧ م ٠

وتولى الملك بعده ابن اخيه فتح علي شاه ، وفي عهده دارت معارك بينه وبين الروس ، كانت الغلبة للروس ، فعقد صلح بينهما في ١٢٤٣ هـ ــ ٢٣ شباط ١٨٢٨ م وكان من جملة الشروط تخلي ايران عن خانيتي ايروان ونقجوان ، ودفع ثمانية ملايين روبل غرامة لروسيا ، وتخويلها ادخال سفنها الحربية في بحر الخزر ٠

ومن اعمال فتح علي شاه ، انتصاره على العثمانيين في وقائع عديدة ، وتوفى فتح علي شاه ١٢٥٠ هـ ــ ١٨٣٤ م ، وخلفه محمد ميرزا بن عباس ميرزا ، وفي عهده انشيء معمل لصب المدافع ، وسائر الادوات الحربية ، وتوفي ١٢٦٤ هـ ــ ١٨٤٨ م ٠

وتولى الملك بعد محمد شاه ناصر الدين بن محمد شاه ، وحارب حسن خان سالار وانقذ بلاد خراسان ، وشهر الحرب على امير خيون (خيوا) وامام مسقط واشترك في الثورة الهندية ، ودخلت الجنود الايرانية الى هراة ، فأسرعت بريطانيا بارسال المدرعات الحربية الى الخليج الفارسي ، واستولت على ميناء ابي شهر ، ومن مآثره : ارساله اربعين شاباً من اولاد الاعيان والامراء الى باريس للتخصص

ومنها ايضاً اصلاح الطرق والسبل العامة وتنظيم البريد ، وغيرها من المآثر ، وتوفي في ١٣١٣ هـ ــ ايار ١٨٩٦ م .

وولي مكانه مظفر الدين شاه ، واضطره سوء الحالة الاقتصادية الى عقد قرض من انجلترا ١٣١٦ هـ ــ ١٨٩٨ م ، وقرض من روسيا وفي عهده عمل الروس والانجليز على تثبيت نفوذهما بارغام الحكومة الايرانية على منحها امتيازات اقتصادية جديدة، واضطر الشاه المذكور الى منح البلاد الدستور في ١٣٢٤ هـ ــ ١٩٠٦ م ، وخلفه على عرش البلاد ، محمد علي شاه وعظم النفوذ الروسي في عهده ، حتى كان للروس في طهران فرقة من الجنود القوازق ، ثم اتفق الانجليز والروس بشأن المسألةالايرانية وكان هذا الاتفاق يرمي الى تقسيم بلاد ايران الى منطقتي نفوذ تجاري : المنطقة الشمالية ، وكانت من نصيب روسيا ، والمنطقة الجنوبية وكانت من نصيب انجلترا ، واتفق الطرفان على جعل المنطقة الغربية منطقة حياد . وخلف محمد علي شاه ، سنة ١٣٢٧ هـ ــ ١٩٠٩ م ، سلطان محمد شاه ، وفي عهده استبد الروس بولايات ايران الشمالية ، والانجليز بولاياتها الجنوبية ، ثم الاتراك بولاياتها الغربية ، ولم يبق للعاهل القاجاري في طهران من السلطة ألا اسمها فقط ، وجرت احداث يطول شرحها كانت سبباً لان يسير رضا خان بهلوي على رأس فرقته ، وكان قوامها الفينوخمسمائة رجل ، تعاهدوا على النصر أو الموت في سبيل انقاذ طهران ، وتم لرضا خان ما اراد واصبح حاكم المدينة المطلق ، والف سيد ضياء الدين الوزارة الجديدة ، وتقلد رضا خان منصب رئيس اركان حرب الجيش وسرداره ، ووضعت الحكومة الجديدة برنامجها الذي يتلخص في ناحية السياسةالخارجية فيرفض الاتفاق السري الانكليزي الذي جرى سنة ١٣٣٧ هـ ــ ١٩١٩ م ، وفي ناحية السياسة الداخلية في اصلاح الادارة والعدالة والقضاء ، ثم اكتشف رضا خان اتصال سيد ضياء الدين بالانجليز فعمل على اسقاط وزارته بعد ثلاثة اشهر ، واستدعى الشاه قوام السلطنة ، وعهد اليه بتأليف الوزارة الجديدة ، وحدث بعد ذلك ثورة في جيلان ، واخرى في اذربيجان غير ان رضا خان تمكن من القضاء على الفتن التي استعرت نيرانها في انحاء البلاد . وفي ١٣٤٣ هـ ــ تشرين الاول ١٩٢٤ م ، اكتشفت الشرطة مؤامرة لاغتيال رضا خان ، وكان الرأس المدبر لذلك الاغتيال قوام السلطنة ، فقبض عليه

وارغم رضا خان الشاه في ٢٨ تشرين الاول ، على ان يعهد اليه بتأليف الوزارة ، محتفظاً فيها لنفسه بمنصبي وزير الحربية وسردار الجيش ، وطلب من قوام السلطنة مغادرة البلاد ، واجرى رضا خان الانتخابات النيابية ، وسلم الشعب مقاليده اليه ، وغادر الشاه البلاد واعلن رضا خان برنامجه على الاسس الآتية :

١ ــ اقرار الامن والنظام واستتبابهما في انحاء البلاد .

٢ ــ العمل على نشر التعليم والثقافة والتوسع السريع في ذلك حتى تستغني البلاد عن الاساتذة الاجانب .

٣ ــ تنمية موارد البلاد الاقتصادية وترقية استثمار المناجم والاراضي للقضاء بذلك على المصاعب الاقتصادية ولتثبيت مركز البلاد الاقتصادي .

وحصلت عدة ثورات وفتن في انحاء مختلفة من ايران ، انتهت في ١٣٤٤ هـ ١٥ كانون الاول ١٩٢٥ م ، الى خلع الشاه احمد ، وتنصيب رضا بهلوي شاهاً على ايران ، واعلنت ولاية العهد لابنه الاكبر شاهبور محمد رضا ، وتم تتويجه في ١٣٤٤ هـ ــ ٢٥ نيسان ١٩٢٦ م .

وقام رضا شاه اثناء حكمه بأعمال جليلة ، منها : الغاء الامتيازات الاجنبية في ١٣٤٧ هـ ــ ١٩٢٨ م ، وانضمام ايران الى عصبة الامم في ١٣٤٩ هـ ــ ١٩٣٠ م ، وجاءت المعاهدات العديدة التي عقدتها ايران منذ اعتلاء رضا شاه العرش مع جيرانها كالروسيا وتركيا وافغانستان والعراق معززة لمركزيها السياسي والاقتصادي .

واعلنت الحرب العالمية الثانية ، فاكره رضا شاه بهلوي على مغادرة البلاد ، وخلفه على العرش ابنه شاهبور محمد رضا ، وبعد الحرب العالمية الثانية ، انبعثت حركة وطنية بزعامة مصدق ، اخذت على عاتقها تأميم النفط بايران ، وقد نجحت في مسعاها ، ثم قضي عليها واعتقل بعضهم واعدم آخرون .

* * *

الدولة الدورانية :

اول من قام بأمر هذه الدولة ، احمد شاه ، وقد كان اسر لما كان حياً من قبل قبيلة الغلزائي ، وارسل لقندهار ، فأنقذه نادر شاه من الاسر في ١١٥٠ هـ ــ ١٧٣٨ م ، ثم

عينه مقدم جماعة من الفرسان ، اكثرهم من قبيلة العبدلية ، ولما مات نادر شاه ١١٦٠هـ ١٧٤٧ م ، رجع الى افغانستان ، واخذ يحرض القبائل على طلب الاستقلال ، وتم له ما اراد ، ونصب ملكاً واميراً على افغانستان في ١١٦٠ هـ ــ تشرين الاول ١٧٤٧ م ، وقد رأى ان لا يتداخل كثيراً في الامور الداخلية الخاصة بالقبائل العديدة ، على ان يدفعوا له الخراج ، ويمدونه بالرجال للخدمة العسكرية ، ثم عبر نهر السند ١٧٤٨ م واحتل لاهور ، ثم امتد نفوذه على جميع جهات البنجاب ، وتم له ذلك ١١٦٤ هـ ١٧٥١ م ، وقد افتتح نيسابور ١١٦٣ هـ ــ ١٧٥٠ م ، واخضع في السنة التي تلتها جهات كشمير ، ودخل بجيشه مدينة دلهي ظافراً وتوفي احمد شاه ١١٨٥ هـ ــ ١٧٧١ م ، وقيل ١١٨٧ هـ ــ ١٧٧٣ بمرغاب في التلول القريبة من قندهار ، وقد تمكن ولده تيمور من اعتلاء العرش ، بعد ان تغلب على اخيه سليمان ، ثم ساق تيمور شاه الجيش الى هندستان وكشمير ولاهور واخضع من نبذ الطاعة من الافغان ، ثم نقل العاصمة من قندهار الى كابل .

وعقب وفاة تيمور شاه ١٢٠٧ هـ ــ ١٧٩٢ م ، تمكن ولده زمان شاه من اعتلاء العرش ، بعد ان تغلب على اخيه همايون ، ثم قام في وجهه اخوه الآخر محمود في هراة ووقعت بينهما الحرب ، وانهزم محمود ، وعادا فاصطلحا ، وما زالت الفتن قائمة بينهما ، واريقت بذلك دماء غزيرة ، حتى هزم محمود اخاه زمان شاه ، وتولى الملك ١٢١٥ هـ ــ ١٨٠٠ م ، ثم القي القبض على محمود ، وتولى زمان شاه العرش ثانية ، ثم استولى محمود ثانية ، ثم ناصرت انكلترا اخاهما شاه شجاع ، وحصلت معارك طاحنة ، ثم عمد الانجليز الى مصالحة دوست محمد خان ، على ان يحترم الانجليز حدود الافغان ، ولما مات دوست محمد خان اختلف اولاده فيما بينهم ، وتقاتلوا زمناً ، حتى تم الامر اخيراً لشير علي خان احد اولاد الامير السابق ، فاتفق الانجليز معه على الشروط الآتية :

١ ــ لايدخل عسكري انجليزي واحد بلاد الافغان لاجل اطفاء ثورة او تدويخ قبيلة عاصية .

٢ ــ لا يرسل ضابط انجليزي معتمدا الى مدينة من مدن الافغان .

٣ ــ ان لايكون للامير راتب معين من انكلترا مشاهرة ولا مسانهة .

ثم دخل الروس خيوه ١٢٨٩ هـ ــ ١٨٧٢ م ، فراع ذلك امير الافغان ، وارسل من قبله من يسبر غور حكومة الهند ، فيما لو وصل الروس ، واعتدوا على بلاده فأجيب بان الانجليز ينجدونه اذا اعتدوا عليه واشترطوا عليه اقامة مسيطرين من الانجليز في افغانستان ، ووضع حاميات انجليزية في بعض المواقع الافغانية ،وربما كان من ضمن هذه الشروط قبول الحماية البريطانية .

ولما بلغت هذه الشروط الى شير علي ساءت العلاقات بينه وبين الانجليز ، ثم بدأت الحرب بينهما ، فأرسلت انكلترا حملة قوية مؤلفة من الجنود المرتزقة وغيرهم من الهند ، ولما دخلت تلك الجيوش الاراضي الافغانية وتوغلت في بعض ارجائها ، لجأ شير علي الى الجهات الشمالية من بلاده ، وتوفي بمزار الشريف في ١٢٩٦ هـ شباط ١٨٧٩ م .

ثم بدأت المفاوضات بين الانجليز ويعقوب خان احد ابناء شير علي ، وعقدت بينهما معاهدة ، عرفت بمعاهدة غندابق ، وفيها تنازل يعقوب خان عن بعض الجهات الافغانية الواقعة قرب الحدود الانجليزية ، كما انه جعل كل مخابراته الخارجية بيد انجلترا وقبوله اقامة معتمد بريطاني في بلاده ، ومقابل ذلك ضمنت له بريطانيا كل اعتداء خارجي على بلاده .

وعلى اثر قتل المعتمد البريطاني ، ومن معه من اركان حربه ومساعديه في كابول ارسلت بريطانيا جيوشاً جديدة ، فدخلت كابول ، وارسل يعقوب خان الى الهند وبقيت تلك الجيوش حتى ١٢٩٧ هـ ــ كانون الاول ١٨٧٩ م ، فعاد عبد الرحمن ابن افضل خان بن دوست محمد خان من المنفى الى الجزء الشمالي من بلاد الافغان فرأى حاكم الهند ليتون ان يتصل به لعقد صلح ، واعترفت به انكلترا اميراً على افغانستان ، على ان يتخلى لها عن بلاد الافريدي ، وان تكون علاقاته الخارجية بواسطة الحكومة البريطانية .

وقد احسن عبد الرحمن المذكور الادارة ، واقام العدل ، وجد في عقاب المفسدين ، ووطد نفوذ الحكومة ، واسس معملا للسلاح ، وامر بتدريب الجيوش ،

واخذ في توسيع امارته من جهة الشرق واستولى على ولاية كافرستان ، فأسلم اهلها على يده واسماها نورستان .

ثم خلف على عرش الامارة ، حبيب الله ، بعد وفاة والده عبد الرحمن ١٣١٩ هـ ـ ١٩٠١ م ، وظلت علاقاته الخارجية كما كانت من قبل ، وظل على الحياد خلال الحرب العالمية الاولى ، بالرغم من المساعي التي بذلها الالمان والترك .

ولما قتل حبيب الله ١٣٣٧ هـ ـ ١٩١٩ م ، عهد بالامارة لاحد ابنائه امان الله ، بعد ان تنازل ولي العهد واخوته عن الملك .

وقد استطاع امان الله ان يقضي على ثورتي الالزاي في ١٣٤١ هـ ـ ١٩٢٣ م ، والمنكل ١٣٤٢ هـ ـ ١٩٢٤ ، كما قضى على ثورة الباتان الذين عاشت كثرتهم في الهند تحت الحكم البريطاني .

ثم بدأ امان الله يحرر بلاده من قيود كثيرة كانت تقيدها ، فأنشأ علاقات سياسية مع عدد من البلاد واعتمد له فيها سفراء ووزراء مفوضين ، ثم زار كثيراً من البلاد كالهند ومصر وايطاليا وفرنسا وانجلترا والمانيا والروسيا وتركيا وايران .

واراد ان يسير في سبيل اصلاح بلاده اسوة بأتاتورك ورضا بهلوي ، فقامت ثورة بزعامة باجا سقا ، الذي استخلص البيعة لنفسه ، وتلقب بحبيب الله الثاني ، فلم يستطع اما نالله اخماد هذه الثورة ، بل اضطر الى التخلي عن العرش ، ومغادرة البلاد .

ثم خلف امان الله ابن عمه نادر خان ، فقبض على زعيم الثوار الذي تمركز في كابل واعدمه ، وعلى الرغم من انه وضع حداً لجميع التدابير التي اتخذها امان الله والتي ادت الى الثورة ، فقد صرع نادر خان في قصره في ١٣٥٢ هـ ـ ٨ تشرين الثاني ١٩٣٣ م ، ونودي بابنه محمد ظاهر خان ملكاً على البلاد .

ثم عقدت معاهدة بين فارس وافغانستان ، اتبعت هذه المعاهدة بميثاق سعد آباد ومنذ ذلك الحين بدأت افغانستان تسلك سبل الاصلاح في حذر واحتياط .

* * *

دولة آل مروان :

في ديار بكر ظهرت دولة الاكراد من آل مروان على يد مؤسسها ابي علي الحسن ابن مروان ، قام بالامر سنة ٣٨٠ هـ ـ ٩٩٠ م ، وضبط ديار بكر أحسن ضبط واحسن الى أهلها والان جانبه لهم ، ثم تزوج ست الناس بنت سيف الدولة ، ولم يزل ملكاً الى ان قتل سنة ٣٨٧ هـ ـ ٩٩٧ م .

* * *

الدولة العقيلية :

أسست الدولة العقيلية بالموصل سنة ٣٨٦ هـ ـ ٩٩٦ م ، واستمرت فيها هذه الدولة العربية الى سنة ٤٨٩ هـ ـ ١٠٩٦ م ، وانتهت على يد السلاجقة .

* * *

آل سلجوق :

ان عشيرة السلاجقة من عشائر الغز الكبرى ، وتنسب الى مقدمها سلجوق ابن تقاق ، وكانت هذه العشيرة تقيم في بلاد تركستان تحت حكم ملك الترك المسمى بيغو ، وكان تقاق مقدم العشيرة ، الى قوله يرجعون وعن أمره يصدرون ، وولد له ابنه سلجوق ، فلما كبر ظهرت عليه امارات النجابة ومخايل التقدم قربه ملك الترك وجعله قائد الجند (شباسي) ، وكانت امرأة الملك تخوفه من سلجوق لما ترى من طاعة الناس له فأغرته بقتله ، وبلغ سلجوق ذلك الخبر فجمع عشيرته وهاجر الى ديار الاسلام ودان بالاسلام ، وأقام بنواحي جَند (على طرف سيحون من حدود الترك) وصار يشن الغارة على بلاد الترك .

وفي تلك الاوقات قام النزاع بين احد ملوك السامانية وهارون بن ايلك خان ، وقد استولى هارون على بعض بلاده فرأى ان يضرب الحديد بالحديد فاستنجد سلجوق فأنجده بابنه أرسلان في جمع من اصحابه ، فقوي بهم الساماني واسترد من خصمه ما أخذ ، وهذه اول صلة بين عشيرة السلاجقة والسامانية .

ولم يزل سلجوق بجند حتى توفي ، وكان له ثلاثة من الاولاد وهم أرسلان وميكائيل وموسى .

فاما ميكائيل فغزا غزوة في بلاد الترك فاستشهد وبقيت اولاده وهم بيغو وطغرلبك محمد وجغري بك داود فأطاعتهم عشيرتهم ، فلما أقاموا بخراسان تقربوا الى عميدها ابي سهل احمد بن الحسن الحمدوني ، فعين لهم مروج دندانقان فقروا بها وبما قاربها ، وتواصلت مع مسعود بن محمود بن سبكتكين حروبهم وهزموه في سنة ٤٣٠ هـ ــ ١٠٣٩ م ، واشتدت منعتهم وقويت شوكتهم واستولوا على خراسان وتجاوزوها الى العراق .

وامتد طغرلبك الى الري فملكها ، ثم سار الى قزوين فملكها صلحاً وملك أيضاً همذان ، ووصلت طلائع جنوده الى البلاد العراقية .

كانت أحوال بغداد في ذلك الوقت سيئة فان آل بويه قد تفرقت كلمتهم وزالت من القلوب هيبتهم فلم يمكنهم ان يحفظوا بغداد لامن عدو طارىء ولا من لصوصها.

وصل طغرلبك الى بغداد ونزل على دجلة وقد ضاقت الارض بجنوده ، واتفق من ببغداد من الرؤساء والامراء على مكاتبة طغرلبك يبذلون له الطاعة والخطبة ، وفعلا تقدم الخليفة الى الخطباء بالخطبة لطغرلبك بجوامع بغداد فخطب له ، وقبض على آخر سلاطين بني بويه وهو الملك الرحيم ابو النصر الديلمي وسيره الى الري .

وانقسمت العشيرة السلجوقية الى خمسة بيوت :

١ ــ دولة السلاجقة الكبرى ، وهي التي كانت تملك خراسان والري والجبال والعراق والجزيرة وفارس والاهواز ، وانقضت دولتهم على ايدي شاهات خوارزم ، ومدتها ٩٣ سنة ٤٢٩ ــ ٥٢٢ هـ ١٠٣٩ ــ ١١٥٧ م .

٢ ــ دولة سلاجقة كرمان وانقرضت دولتهم على أيدي الغز التركمان ومدتها ١٥٠ سنة ٤٣٣ ــ ٥٨٣ هـ ــ ١٠٤١ ــ ١١٨٨ م .

٣ ــ دولة سلاجقة العراق ، وانقرضت على أيدي شاهات خوارزم ، ومدتها ٧٩ سنة ٥١١ ــ ٥٩٠ هـ ــ ١١١٧ ــ ١١٩٤ م .

٤ ــ دولة سلاجقة الشام ، وانتهت على ايدي الدولتين البورية والارتقية ، وحياتها ٢٤ سنة ٤٧٧ ــ ٥٠١ هـ ــ ١٠٩٤ ــ ١١١٧ م وقد سبق ذكرها .

٥ ــ دولة سلاجقة الروم ، وانتهت على أيدي الاتراك العثمانيين والمغول ، ومدتها ٢٣٠ سنة ٤٧٠ ــ ٧٠٠ هـ ــ ١٠٧٧ ــ ١٣٠٠ م .

* * *

الدولة الارتقية :

تنسب هذه الدولة الى ارتق بن اكسب التركماني ، وهو مملوك من مماليك السلطان ملكشاه السلجوقي وقائد من قواده .

واول من أسس هذا البيت معين الدولة سقمان بن أرتق ، استولى على حصن كيفا سنة ٤٩٥ هـ ــ ١١٠٢ م ، من يد الامير موسى التركماني في عهد السلطان بركياروق بن ملكشاه ، ثم ضم اليها ماردين .

وفي سنة ٥٠٢ هـ ــ ١١٠٩ م ، انقسمت هذه المملكة الصغيرة الى مملكتين احداهما بالحصن والثانية بماردين ، فأما مملكة الحصن فاستمرت الى سنة ٦٢٠ هـ ١٢٢٣ م ، وانتهت على أيدي الايوبيين ، واما مملكة ماردين فاستمرت الى سنة ٨١١ هـ ١٤٠٨ م ، أي بعد ظهور آل عثمان بمائة واحدى عشرة سنة وانتهت على يد قره قيونلي .

* * *

الاتابكية :

من الدول التركية التي زاحمت دولة آل سلجوق الاتابكية ، وتختلف بيوت الاتابكية ولا تنتهي الى نسب واحد الا انها يجمعها الاتصال بالبيت السلجوقي ، واتابك كلمة تركية معناها مربى الملك ، فكان آل سلجوق اذا امتاز احد قوادهم بهذا الامتياز اطلقوا عليه هذا اللقب واستحق به أعلى درجات التكريم والاحترام .

وقد وصل بعض هؤلاء الاتابكية الى درجة الملك في بعض الاقاليم الاسلامية وأورثوا أبناءهم ملكهم ، ويطلق على هؤلاء الاسر الاتابكية :

١ ــ أتابكية دمشق وقد مر ذكرهم

٢ ــ « الموصل

٣ ــ « الشام وقد مر ذكرهم

٤ ــ اتابكية سنجار
٥ ــ « الجزيرة
٦ ــ « اربل
٧ ــ « اذربيجان
٨ ــ « فارس (الدولة السلغرية)
٩ ــ « لورستان (الدولة الهزارسبية)

* * *

شاهات خوارزم :

ينسبون الى محمد بن انوشتكين ، وكان ابوه انوشتكين مملوكا لامير من أمراء السلجوقيين اسمه بلكباك اشتراه من رجل من غرشستان فقيل له انوشتكين غرشمه فكبر وعلا امره وكان حسن الطريقة كامل الاوصاف ، وكان مقدماً مرجوعاً اليه ، وله ولد سماه محمداً وهو باني هذا البيت ، علمه ابوه وخرجه وأحسن تأديبه وتقدم بنفسه ، فولاه الامير يرحبشي قائد بركياروق خوارزم ولقبه خوارزمشاه ، فقصر اوقاته على معدلة ينشرها ومكرمة يفعلها ، وقرب اهل العلم والدين فازداد ذكره حسناً ومحله علواً .

ولما ملك السلطان سنجر خراسان أقر محمد خوارزمشاه على خوارزم واعمالها فظهرت كفايته وشهامته فعظم سنجر مكانته وقدره ، ولم يزل على جلالة القدر والكفاية الى ان توفي سنة ٥٢١ هـ ــ ١١٢٧ م ، فولي بعده ابنه اتسز فقربه السلطان سنجر وعظمه واعتضد به واستصحبه معه في أسفاره وحروبه فظهرت منه الكفاية والشهامة فزاده تقدماً وعلواً ، ورسخت أقدام هذا البيت في الملك وقد استمر الى سنة ٦٢٨ هـ ــ ١٢٣١ م ، حيث زال على ايدي التتار الذين هاجموا البلاد الاسلامية بزعامة جنكيز خان .

* * *

الدولة الغورية :

قامت هذه الدولة على أطلال الدولة السبكتكينية سنة ٥٤٣ هـ ــ ١١٤٨ م ،

وتنسب الى مكان نشأتها وهو الغور وهو جبال وولاية بين هراة وغزنة ، امتد ملك الدولة الغورية على معظم بلاد خراسان ومعظم بلاد الهند والافغان وتيسر لها فتح الكثير منها وتدويخ ملوكها ، والدولة الغورية تعد ثاني مملكة هندية بعد الدولة السبكتكينية وانقضت ايامها سنة ٦١٢ هـ ــ ١٢١٥ م .

* * *

شاهات ارمينية :

ابتدأت دولة شاهات ارمينية سنة ٥٨٣ هـ ــ ١١٨٧ م ، ومؤسسها هو الامير سقمان القطبي بمدينة خلاط وكان مملوكاً لقطب الدين اسماعيل السلجوقي صاحب مدينة اذربيجان ، ومن ثم قيل له القطبي ، نشأ شهماً ، وكانت خلاط لبني مروان وقد ظلموا فيها ، واشتهر عدل سقمان ، فاتفق اهل خلاط وكاتبوه ، فجاء وفتحوها له وسلموها اليه ، وانتهت دولتهم على أيدي الايوبيين سنة ٦٠٤ هـ ــ ١٢٠٧ م .

* * *

بقية الدول التي حكمت في المشرق :

نرى ان نكتفي بقائمة نبين فيها أسماء بقية الدول الاسلامية التي حكمت في المشرق ذاكرين عواصمها وعدد ملوك كل منها وسني حكمهم :

اسم الدولة	كرسي ملكها	عدد ملوكها	سنة انقضائها	سنة انقضائها
المزيديه	الحلة	٨	٤٠٣ هـ ١٠١٢ م	٥٤٥ هـ ١١٥٠م
الدلفية	كردستان	٥	٢١٠ هـ ٨٢٥ م	٢٨٥ هـ ٨٩٨ م
الساجية	اذربيجان	٤	٢٦٦ هـ ٨٨٠ م	٣١٨ هـ ٩٣٠ م
خانات ايلاك	تركستان	٢٤	٣٢٠ هـ ٩٣٢ م	٥٦٠ هـ ١١٦٥م
الحسنويهية	كردستان	٣	٣٤٨ هـ ٩٥٩ م	٤٠٦ هـ ١٠١٥م
الكاكويهية	″	٢	٣٩٨ هـ ١٠٠٨م	٤٤٣ هـ ١٠٥١م
الدانشمندية	سيواس وغيرها	٥	٤٩٠ هـ ١٠٩٧م	٥٦٠ هـ ١١٦٥م
الخانات القتغلية	كرمان	٨	٦١٩ هـ ١٢٢٢م	٧٠٣ هـ ١٣٠٤م
خانات المغول	زنقارية وغيرها	٣٤	٦٠٣ هـ ١٢٠٧م	١٠٤٣هـ ١٦٣٣م

اسم الدولة	كرسي ملكها	عدد ملوكها	سنة نشأتها	سنة انقضائها
مغول الفرس	فارس	١٧	٦٥٤ هـ ١٢٥٦م	٧٥٠ هـ ١٣٤٩م
خانات العشائر الذهبية	فاراخيتاي	٤٠	٦٢١ هـ ١٢٢٤م	٩٠٧ هـ ١٥٠١م
خانات القرم	القرم	٤٦	٨٢٣ هـ ١٤٢٠م	١١٩٧هـ ١٧٨٣م
خانات جاغتاي	تركستان	٢٦	٦٢٤ هـ ١٢٢٧م	٧٦٠ هـ ١٣٥٩م
الجيلاريون	العراق وغيره	٦	٧٣٦ هـ ١٣٣٦م	٨١٤ هـ ١٤١١م
المظفريون	فارس وكردستان	٦	٧١٣ هـ ١٣١٣م	٧٩٥ هـ ١٣٩٣م
السربداريون	خراسان	١٢	٧٣٧ هـ ١٣٣٧م	٧٨٣ هـ ١٣٨١م
الكرتيون	هراة	٨	٦٤٣ هـ ١٢٤٥م	٧٩١ هـ ١٣٨٩م
القراقيونليون	اذربيجان وغيرها	٥	٧٨٠ هـ ١٣٧٨م	٨٧٤ هـ ١٤٦٩م
اق قيونليون	اذربيجان	١٢	٧٨٠ هـ ١٣٧٨م	٩٠٨ هـ ١٥٠٢م
شاهات الفرس	ايران وغيرها	٣١	٩٠٧ هـ ١٥٠١م	١٣٤٤هـ ١٩٢٥م
التيموريون	تركستان والتتار	١١	٧٧١ هـ ١٣٧٠م	٩٠٦ هـ ١٥٠٠م
الشيبانيون	〃	١٩	٩٠٦ هـ ١٥٠٠م	١٠٠٧هـ ١٥٠١م
المنجيون	〃	٦	١٢٠٠هـ ١٧٨٦م	١٢٨٤هـ ١٨٦٧م
خانات خيوا	〃	٣٥	٩٢١ هـ ١٥١٥م	١٢٨٩هـ ١٨٧٢م
خانات خوقند	〃	١٧	١١١٢هـ ١٧٠٠م	١٢٩٣هـ ١٨٧٦م
الجانيون	استراخان	١١	١٠٠٧م ١٥٩٩م	١٢٠٠هـ ١٧٨٦م
سلاطين دهلي	الهند	٣٨	٦٠٢ هـ ١٢٠٦م	٩٦٢ هـ ١٥٥٥م
ملوك البنغال وحكامها	البنغال (الهند)	٥٥	٥٩٩ هـ ١٦٠٣م	٩٨٤ هـ ١٥٧٦م
〃 جانبور الشرقيون	جانبور 〃	٦	٧٩٦ هـ ١٣٩٤م	٩٠٥ هـ ١٥٠٠م
ملوك مالوا	مالوا 〃	٧	٨٠٤ هـ ١٤٠٢م	٩٣٧ هـ ١٥٣١م
〃 كجرات	كجرات 〃	١٤	٧٩٩ هـ ١٣٩٧م	٩٨٠ هـ ١٥٧٢م
〃 خانديش	خانديش 〃	١٢	٨٠١ هـ ١٣٩٩م	١٠٠٨هـ ١٥٩٩م
البهمنية	الدكن 〃	١٨	٧٤٨ هـ ١٣٤٧م	٩٣٣ هـ ١٥٢٧

اسم الدولة	كرسي ملكها	عدد ملوكها	سنة نشأتها	سنة انقضائها
الشاهات العمادية	برار 〃	٥	٨٩٠ هـ ١٤٨٥م	٩٨٠ هـ ١٥٧٢م
〃 النظامية	احمد نجر 〃	١٠	٨٩٦ هـ ١٤٩١م	١٠٠٨هـ ١٥٩٦م
〃 شاهات بريد	بيدر 〃	٧	٨٩٧ هـ ١٤٩٢م	١٠١٨هـ ١٦٠٩م
〃 العادلية	بيجابور 〃	٨	٨٩٥ هـ ١٤٩٠م	١٠٩٧هـ ١٦٨٦م
〃 القطبية	كولكندا 〃	٧	٩١٨ هـ ١٥١٢م	١٠٩٨هـ ١٦٨٧م
امبارطورو المغول	الهنـــد	٢٦	٩٣٢ هـ ١٥٢٦م	١٢٧٥هـ ١٨٥٩م

* * *

الدولة الزيدية بطبرستان

الحسن بن زيد الداعي	٢٥٠ هـ ــ ٨٦٤ م
محمد بن زيد القائم بالحق	٢٧٠ ــ ٨٨٣
الدولة السامانية	٢٧٩ ــ ٨٩٢
الحسن الاطروش	٣٠١ ــ ٩١٤
الحسن بن القاسم	٣٠٤ــ٣٥٥هـ ــ ٩١٦ــ٩٦٦م

السامانيون

نصر بن احمد بن سامان	٢٦١ هـ ــ ٨٧٥ م
اسماعيل بن احمد	٢٧٩ ــ ٨٩٢
احمد بن اسماعيل	٢٩٥ ــ ٩٠٨
نصر بن احمد	٣٠١ ــ ٩١٤
نوح بن نصر	٣٣١ ــ ٩٤٣
عبد الملك بن نوح	٣٤٣ ــ ٩٥٤
منصور بن نوح	٣٥٠ ــ ٩٦١
نوح بن منصور	٣٦٦ ــ ٩٧٧
منصور بن نوح	٣٨٧ ــ ٩٩٧
عبد الملك بن نوح	٣٨٩ ــ ٩٩٩

الحمدانيون بالموصل

ناصر الدولة ابو محمد الحسن ٣١٧ هـ ـ ٩٢٩ م

عضد الدولة ٣٥٨ـ٣٦٩ هـ ـ ٩٣٨ـ٩٧٩ م

ابو طاهر ابراهيم ٣٧١ـ٣٨٠ هـ ـ ٩٨١ـ٩٩١ م

بنو بويه في العراق

معز الدولة	٣٢٠ هـ	٩٣٢ م
عز الدولة	٣٥٦	٩٦٧
عضد الدولة	٣٦٧	٩٧٧
شرف الدولة	٣٧٢	٩٨٢
بهاء الدولة	٣٧٩	٩٨٩
سلطان الدولة	٤٠٣	١٠١٢
مشرف الدولة	٤١٦	١٠٢٥
عماد الدين	٤٣٥	١٠٤٣
انو نصر الرحيم	٤٤٠ـ٤٤٧ هـ ـ ١٠٤٨ـ١٠٥٥ م	

عائلة عمران بن شاهين

عمران بن شاهين	٣٢٩ هـ	٩٤١ م
الحسن بن عمران	٣٦٩	٩٧٩
ابو الفرج بن عمران	٣٧٢	٩٨٢
المظفر بن علي وزير عمران وابنه الحسن بالتغلب	٣٧٣	٩٨٣
مهذب الدولة ابو الحسن علي بن نصر بن اخت المظفر	٣٧٦	٩٨٦
ابو الحسين بن مهذب الدولة	٤٠٨	١٠١٧
عبد الله بن نسى بالتغلب	٤٠٨	١٠١٧

الدولة السبكتكينية

سبكتكين	٣٦٦ هـ ـ ٩٧٧ م
اسماعيل بن سبكتكين	٣٨٧ ـ ٩٩٧
يمين الدولة محمود بن سبكتكين	٣٨٨ ـ ٩٩٨
جلال الدولة محمد بن محمود	٤٢١ ـ ١٠٣٠
شهاب الدين مودود بن مسعود	٤٣٢ ـ ١٠٤١
بهاءالدين ابوالحسن علي بن مسعود بن محمود	٤٤٠ ـ ١٠٤٨
عزالدولة عبد الرشيد بن محمود	٤٤٠ ـ ١٠٤٨
جمال الدولة فرخزاد بن مسعود بن محمود	٤٤٤ ـ ١٠٥٢
ظهير الدولة ابراهيم بن عبد الرشيد	٤٥١ ـ ١٠٥٩
علاء الدولة مسعود بن ابراهيم	٤٩٢ ـ ١٠٩٩
كمال الدولة شيرزاد بن مسعود	٥٠٨ ـ ١١١٤
سلطان الدولة أرسلان بن مسعود	٥٠٩ ـ ١١١٥
يمين الدولة بهرام شاه بن مسعود	٥١٢ ـ ١١١٨
معز الدولة خسرو شاه بن بهرام شاه	٥٤٧ ـ ١١٥٢
تاج الدولة خسرو ملك بن خسرو شاه	٥٥٥ـ٥٨٢ هـ ـ ١١٦٠ـ١١٨٦م

الدولة المروانية

ابو علي الحسن بن مروان	٣٨٠ هـ ـ ٩٩٠ م
ممهد الدولة ابو منصور بن مروان	٣٨٧ ـ ٩٩٧
ابو نصر نصر الدولة احمد بن مروان	٤٠٢ ـ ١٠١١
نظام الدولة نصر	٤٥٣ ـ ١٠٦١
منصور بن نصر	٤٧٢ـ٤٨٩ هـ ـ ١٠٧٩ـ١٠٩٦ م

الدولة العقيلية بالموصل

حسام الدولة المقلد بن المسيب	٣٨٦ هـ ـ ٩٩٦ م

معتمد الدولة قرواش بن المقلد	٣٩١ هـ ـ ١٠٠١ م
زعيم الدولة ابو كامل بركة بن المقلد	٤٤٢ ـ ١٠٥٠
علم الدولة ابو المعالي قرواش بن بدران بن المقلد	٤٤٣ ـ ١٠٥١
شرف الدولة ابو المكارم مسلم بن قرواش	٤٥٣ ـ ١٠٦١
ابراهيم بن قرواش	٤٧٨ ـ ١٠٨٥
علي بن مسلم بن قرواش	٤٨٦ـ٤٨٩ هـ ـ ١٠٩٣ـ١٠٩٦ م

دولة آل سلجوق الكبرى

ركن الدين ابو طالب طغرلبك	٤٢٩ هـ ـ ١٠٣٨ م
عضد الدولة ابو شجاع الب أرسلان	٤٥٥ ـ ١٠٦٣
جلال الدين ابو الفتح ملكشاه	٤٦٥ ـ ١٠٧٣
ناصر الدين محمود	٤٨٥ ـ ١٠٩٢
ركن لدين ابو المظفر بركياروق	٤٨٧ ـ ١٠٩٤
ركن الدين ملكشاه الثاني	٤٩٨ ـ ١١٠٥
غياث الدين ابو شجاع محمد	٤٩٨ ـ ١١٠٥
معز الدين ابو الحارث سنجر	٥١١ـ٥٥٢ هـ ـ ١١١٧ـ١١٥٧ م

دولة سلاجقة كرمان

عماد الدين قرا أرسلان قاورت بك	٤٣٣ هـ ـ ١٠٤١ م
كرمانشاه	٤٥٦ ـ ١٠٦٤
حسين	٤٦٧ ـ ١٠٧٥
ركن الدين سلطانشاه	٤٦٧ ـ ١٠٧٥
تورانشاه	٤٧٧ ـ ١٠٨٥
ارانشاه	٤٩٠ ـ ١٠٩٧
أرسلانشاه	٤٩٤ ـ ١١٠١
مغيث الدين محمد الاول	٥٣٦ ـ ١١٤٢

محيي الدين طربل شاه بهرامشاه	٥٥١ هـ ـ ١١٥٦ م
أرسلانشاه الثاني	
طرخانشاه	
محمد الثاني	٥٦٣ ـ ١١٦٨

سلاجقة الروم

سليمان بن قطلمش	٤٧٠ هـ ـ ١٠٧٧ م
قليج أرسلان داود بن سليمان	٤٨٥ ـ ١٠٩٢
ملكشاه بن قليج أرسلان	٥٠٠ ـ ١١٠٦
مسعود بن قليج أرسلان	٥١٠ ـ ١١١٦
عز الدين قليج أرسلان ملكشاه	٥٥١ ـ ١١٥٦
قطب الدين ملكشاه بن قليج أرسلان	٥٨٤ ـ ١١٨٨
غياث الدين كيخسرو بن قليج أرسلان	٥٨٨ ـ ١١٩٢
ركن الدين سليمان بن قليج ارسلان	٥٩٨ ـ ١٢٠٢
قليج أرسلان بن سليمان	٦٠٠ ـ ١٢٠٤
غياث الدين كيخسرو (مرة ثانية)	٦٠١ ـ ١٢٠٥
عز الدين كيقاوس بن ملكشاه	٦٠٧ ـ ١٢١٠
علاء الدين كيقباذ بن ملكشاه	٦١٦ ـ ١٢١٩
غياث الدين كيخسرو بن كيقباذ	٦٣٤ ـ ١٢٣٧
عز الدين كيقاوس بن كيخسرو	٦٤٣ ـ ١٢٤٥
ركن الدين قليج أرسلان بن كيخسرو	٦٥٥ ـ ١٢٥٧
غياث الدين كيخسرو بن قليج ارسلان	٦٦٦ ـ ١٢٦٨
غياث الدين مسعود بن كيقاوس	٦٨٢ ـ ١٢٨٣
علاء الدين كيقباذ	٦٩١ـ٧٠٠ هـ ـ١٢٩٢ـ١٣٠١ م

دولة آل سلجوق في العراق

مغيث الدين محمود	٥١١ هـ ـ ١١١٧ م

غياث الدين داود	٥٢٥ هـ — ١١٣١ م
طغرلبك الاول	٥٢٦ — ١١٣٢
غياث الدين مسعود	٥٢٧ — ١١٣٣
معين الدين ملكشاه	٥٤٧ — ١١٥٢
محمد	٥٤٨ — ١١٥٣
سليمانشاه	٥٥٤ — ١١٥٩
أرسلانشاه	٥٥٦ — ١١٦١
طغرلبك الثاني	٥٧٣—٥٩٠ هـ —١١٧٧—١١٩٤ م

ملوك الخوارز مشاهية

انوشتكين	٤٧٠—٤٩٠ هـ —١٠٧٧—١٠٩٧ م
قطب الدين محمد بن انوشتكين	٥٢١ — ١١٢٧
اتسز بن محمد	٥٥١ — ١١٥٦
أرسلان بن اتسز	٥٦٨ — ١١٧٣
سلطانشاه محمد بن أرسلان	٥٦٨ — ١١٧٣
تكش بن ارسلان	٥٩٦ — ١٢٠٠
علاء الدين محمد بن تكش	٦١٧ — ١٢٢٠
جلال الدين منكبرتي بن محمد	٦٢٨ — ١٢٣١

الدولة الارتقية (ملوك الحصن)

معين الدين سقمان بن أرتق	٤٩٥—٤٩٨ هـ —١١٠٢—١١٠٥ م
ابراهيم بن سقمان	٥٠٢ — ١١٠٩
ركن الدين داود بن سقمان	٥٤٣ — ١١٤٨
قمر الدين قره أرسلان بن داود	٥٧٠ — ١١٧٤
نور الدين محمد بن أرسلان	٥٨١ — ١١٨٥
قطب الدين سقمان بن محمد	٥٩٧ — ١٢٠١

ناصر الدين محمد بن محمد	٦١٩ هـ — ١٢٢٢ م
ركن الدين مودود بن محمود	٦٢٠ — ١٢٢٣

الدولة الارتقية (ملوك ماردين)

نجم الدين غازي بن أرتق	٥٠٢—٥١٦ هـ —١١٠٩—١١٢٢ م
حسام الدين تيمور تاش بن غازي	٥٤٧ — ١١٥٢
نجم الدين البى بن تيمور تاش	٥٧٢ — ١١٧٦
قطب الدين غازي بن البي	٥٨٠ — ١١٨٤
حسام الدين يولق بن ارسلان بن غازي	٥٩٧ — ١٢٠١
ناصر الدين أرتق أرسلان بن غازي	٦٣٧ — ١٢٣٩
نجم الدين غازي بن أرتق أرسلان	٦٥٨ — ١٢٦٠
قره أرسلان بن غازي	٦٦١ — ١٢٦٣
شمس الدين داود بن قره ارسلان	٦٩٣ — ١٢٩٤
نجم الدين غازي بن قره أرسلان	٧١٢ — ١٣١٢
شمس الدين صالح بن غازي	٧٦٥ — ١٣٦٤
المنصور احمد بن صالح	٧٦٩ — ١٣٦٨
الصالح محمود بن احمد	٧٦٩ — ١٣٦٨
المظفر داود بن صالح	٧٧٨ — ١٣٧٦
الظاهر مجد الدين عيسى بن داود	٨٠٩ — ١٤٠٦
صالح بن داود	٨١١ — ١٤٠٨

شاهات ارمينية

سقمان القطبي	٤٩٣ هـ — ١١٠٠ م
ظهير الدين ابراهيم شاه ارمن	٥٠٦ — ١١١٢
احمد	٥٢١ — ١١٢٧
ناصر الدين سقمان	٥٢٢ — ١١٢٨

سيف الدين بكتيمور	٥٧٩ هـ ـ ١١٨٣ م
بدر الدين آق سنقر	٥٨٩ ـ ١١٩٣
المنصور محمد بكتيمور	٥٩٤ ـ ١١٩٨
عز الدين بلبان	٦٠٣ـ٦٠٤ هـ ـ ١٢٠٧ـ١٢٠٨ م

الاتابكية في الموصل

أتابك عماد الدين زنكي	٥٢١ هـ ـ ١١٢٧ م
سيف الدين غازي بن زنكي	٥٤١ ـ ١١٤٦
قطب الدين مودود بن زنكي	٥٤٤ ـ ١١٤٩
سيف الدين غازي بن مودود	٥٦٥ ـ ١١٧٠
عز الدين مسعود بن مودود	٥٧٦ ـ ١١٨٠
نور الدين ارسلانشاه بن مسعود	٥٨٩ ـ ١١٩٣
عز الدين مسعود بن ارسلانشاه	٦٠٧ ـ ١٢١٠
نور الدين أرسلانشاه بن مسعود	٦١٥ ـ ١٢١٨
نصير الدين محمود بن مسعود	٦١٦ ـ ١٢١٩
بدر الدين لؤلؤ (١)	٦٣١ ـ ١٢٣٤
اسماعيل بن لؤلؤ	٦٥٧ ـ ١٢٥٩

أتابكية لورستان (الهزارسبية)

ابو طاهر بن محمد	٥٤٣ـ٦٠٠ هـ ـ ١١٤٨ـ١٢٠٤ م
نصرة الدين هزارسب بن ابي طاهر	٦٥٠ ـ ١٢٥٢
دكلا بن هزارسب	٦٥٧ ـ ١٢٥٩
شمس الدين الب ارغو بن هزارسب	٦٧٣ ـ ١٢٧٤
يوسف شاه الاول بن الب ارغو	٦٨٧ ـ ١٢٨٨

(١) وبدر الدين لؤلؤ ليس من هذا البيت بل هو مولاهم استقل بامر الملك بعد سيده نصير الدين محمود .

افراسياب الاول بن يوسف	٦٩٦ هـ	١٢٩٧ م
نصرة الدين احمد بن الب ارغو	٧٣٣	١٣٣٣
ركن الدين يوسف شاه الثاني بن احمد	٧٤٠	١٣٣٩
مظفر الدين افراسياب الثاني يوسف شاه	٧٥٦	١٣٥٥
شمس الدين هوشانج بن افراسياب الثاني	٧٨٠	١٣٧٨
احمد	٨١٥	١٤١٢
ابو سعيد	٨٢٠	١٤١٧
حسين	٨٢٧	١٤٢٤
غياث الدين		

الاتابكية في سنجار

عماد الدين زنكي بن مودود	٥٦٦ هـ	١١٧١ م
قطب الدين محمد بن زنكي	٥٩٤	١١٩٨
عماد الدين شاهنشاه	٦١٦	١٢١٩
عمر	٦١٦–٦١٧ هـ	١٢١٩–١٢٢٠ م

الاتابكية في اذربيجان

شمس الدين ايلدكز	٥٣١ هـ	١١٣٧ م
محمد البهلوان جهان بن ايلدكز	٥٦٨	١١٧٣
قزيل أرسلان عثمان بن ايلدكز	٥٨١	١١٨٥
ابو بكر بن محمد	٥٨٧	١١٩١
مظفر الدين أزبك بن محمد	٦٠٧–٦٢٢ هـ	١٢١٠–١٢٢٥ م

الاتابكية في فارس (الدولة السلغرية)

سنقر بن مودود بن سلغر	٥٤٣ هـ	١١٤٨ م
زنكي بن سنقر	٥٥٧	١١٦٢

دكلا بن زنكي	٥٨١ هـ — ١١٨٥ م
سعد بن زنكي	٥٩١ — ١١٩٥
ابو بكر بن سعد	٦٢٣ — ١٢٢٦
محمد بن سعد	٦٦٠ — ١٢٦٢
محمد شاه بن محمد	٦٦٠ — ١٢٦٢
سلجوقشاه بن سلغر بن سعد	٦٦٠ — ١٢٦٢
ابيش بن سعد بن ابي بكر	٦٨٦ — ١٢٨٧

الايوبيون بالعراق

الملك نجمُ الدين الايوبي	٥٩٧ هـ — ١٢٠٠ م
الملك الاشرف مظفر الدين	٦٠٧ — ١٢١٠
الملك المظفر الغازي	٦٢٨—٦٤٣ هـ —١٢٣٠—١٢٤٤ م

الدولة الغورية

ايبك قطب الدين	٦٠٢—٦٠٨ هـ —١٢٠٦—١٢١١ م
ارم شاه	
التمش شمس الدين	٦٣٣ — ١٢٣٦
فيروز شاه الاول ركن الدين	٦٣٤ — ١٢٣٧
رضيا	٦٣٨ — ١٢٤١
بهرام شاه معز الدين	٦٣٩ — ١٢٤٢
مسعود شاه علاء الدين	٦٤٤ — ١٢٤٧
محمود شاه الاول نصر الدين	٦٦٤ — ١٢٦٦
بلين غياث الدين	٦٨٦ — ١٢٨٧
كيقباذ معز الدين	٦٨٦ — ١٢٨٧

الدولة القاجارية

محمد بن امير	١٢١٢ هـ ــ ١٧٩٧ م [1]
فتح علي	١٢١٢ ــ ١٧٩٧
محمد ناصر الدين	١٢٦٤ ــ ١٨٤٨
مظفر الدين	١٣١٣ ــ ١٨٩٦
محمد علي	١٣٢٤ ــ ١٩٠٦
سلطان محمد	١٣٢٧ ــ ١٩٠٩
احمد	

رضا بهلوي	١٣٤٤ هـ ــ ١٩٢٦ م

شاهبور محمد رضا الامبراطور الحالي

(١) توفي سنة ١٢١٢ هـ .

الفصل الثامن
الدولة العثمانيـــة

تنسب الدولة العثمانية الى سلطانها الاول عثمان بن ساوجي بن ارطغرل بن سليمان شاه بن فيا ألب رئيس قبيلة قابي بآسيا الوسطى والى هذا ينتهي النسب الصحيح ، وما بعده مختلف فيه .

ولما ظهر التتار من أقصى آسيا واستولوا على البلاد الاسلامية ، عاثوا في ديارها فقتلوا وسلبوا ، هاجر سليمان شاه من وطنه ماهان بقبيلته العظيمة وعددها الف فارس الى الاناضول في القرن السابع من الهجرة فأقام بمدينة اخلاط ، ولما انتشر التتار وقربوا من تلك المدينة هاجر منها الى اذربيجان ، ثم أراد الرجوع الى وطنه الاصلي فسار مع قبيلته الى قلعة جعبر من أعمال ولاية اورفة ، وعند عبورهم نهر الفرات وقع فيه سليمان شاه ، ومات غريقاً ، ودفن تحت القلعة المذكورة ، وخلف اربعة أولاد هم : سنقورتكين وكون طوغدي وهذان عادا الى وطنهما ، وارطغرل ودندان وهذان سارا بالقبيلة الى ارضروم بالاناضول ، وصار ارطغرل رئيساً على القبيلة ، وارسل ابنه ساوجي الى السلطان علاء الدين السلجوقي يلتمس منه مسكناً له ولقبيلته ومرعى لمواشيهم فأجاب له الطلب ، وتوفي ساوجي وهو عائد الى ابيه . وبينا هم في هذه الحال صادفوا جيشين يقتتلان قتالا عنيفاً وكان احدهما قليل العدد والعُدد ، وكان هذا الجيش الضعيف جيش السلطان علاء الدين السلجوقي ، والثاني من المغول الذين هم اعداء للترك ، فمال الامير ارطغرل بقومه الى معاونة جيش علاء الدين ، وانضم اليه فاشتد القتال ، وما زالوا يقاتلون حتى دارت الدائرة على المغول وتم النصر للسلاجقة .

ولما علم علاء الدين بالخبر فرح واستدعى اليه أرطغرل وأحسن لقاءه وأدناه من

مجلسه وخلع عليه وأقطعه عدة أقاليم ومدن وصار لايعتمد في حروبه مع مجاوريه الا عليه وعلى رجاله ، وكان عقب كل انتصار يقطعه ارضاً جديدة ويمنحه أموالا جزيلة ، ثم لقب قبيلته بمقدمة السلطان لوجودها دائماً بمقدمة الجيوش وتمام النصر على يديها .

ولما توفي أرطغرل سنة ٦٨٧ هـ ـ ١٢٨٨ م ، عين الملك علاء الدين عثمان اكبر اولاده مكان أبيه .

* * *

عثمان الاول :

ما لبث عثمان يجوز امتيازات جديدة حتى لقبه علاء الدين لقب بك ، واقتطعه بلاداً وأجاز له ضرب العملة ، وان يذكر اسمه في خطبة الجمعة وبذلك صار عثمان بك ملكاً بالفعل لا ينقصه الا التتويج .

وفي سنة ٦٩٩ هـ ـ ١٣٠٠ م ، أغارت جموع التتار على بلاد آسيا الصغرى وقد توفي في السنة المذكورة علاء الدين مما فتح المجال لعثمان فاستأثر بجميع الارضين المقطعة له ولقب نفسه (پادشاه آل عثمان) وجعل مقر ملكه مدينة يكي‌شهر وأخذ في تحصينها وتحسينها وفي توسيع دائرة املاكه ، واشتغل في تنظيم البلاد حتى اذا أمن اضطرابها وتجهز للقتال فأرسل الى جميع امراء الروم ببلاد آسيا الصغرى يخيرهم بين ثلاثة امور : الاسلام أوالجزية أو الحرب ، فأسلم بعضهم وانضم اليه ، وقبل بعضهم دفع الخراج ، واستعان الباقون على السلطان عثمان بالتتار واستدعوهم لنجدتهم ، لكن السلطان لم يعبأ بهم ، بل هيأ لمحاربتهم جيشاً تحت امرة ابنه اورخان فسار اليهم وشتت شمل التتار ، وعاد مسرعا لمحاصرة بورصة فحاصرها سنة ٧١٧ هـ ـ ١٣١٧ م ، ودخلها بعد ان فتح ما حولها من القلاع .

* * *

اورخان الاول :

تولى اورخان السلطنة سنة ٧٢٦ هـ ـ ١٣٢٦ م ، وكانت عاصمته اولا يكي شهر ثم بروسة ، واتخذ أخاه علاء الدين وزيرا وفوض له الامور الادارية ، وهو اول وزير في الدولة العثمانية ، وفي عهده أنشئت طائفة يكيجاري أي الجيش الجديد .

وفي عام ٧٢٨ هـ ــ ١٣٢٨ م ، فتح السلطان بنفسه مدينة ازميد وغيرها ، وفي سنة ٧٣١ هـ ــ ١٣٣١ م ، حصلت مناوشات بين الروم والمسلمين نتج منها فتح ازنيق ، وفي سنة ٧٥٦ هـ ــ ١٣٥٥ م ، عبر العثمانيون البحر الابيض واستولوا على كليبولي ، ثم فتحوا تكفورطاغي وما حولها .

* * *

مراد الاول :

جلس مراد على سرير الملك سنة ٧٦١ هـ ــ ١٣٦٠ م ، فكانت فاتحة اعماله احتلال مدينة انقره ، وفي سنة ٧٦٢ هـ ــ ١٣٦١ م ، سلمت ادرنة للعثمانيين بعد قتال قليل ، ولاهمية موقع ادرنة الجغرافي نقل اليها السلطان تخت المملكة العثمانية واستمرت عاصمة لها الى ان فتحت القسطنطينية سنة ٨٥٧ هـ ــ ١٤٥٣ م ، ثم فتح العثمانيون فيلبه عاصمة الروملي الشرقية وردار وكملجنة ، وبذلك صارت القسطنطينية محاطة من جهة اوربا باملاك آل عثمان ، وفصلت عن باقي الامارات المسيحية الصغيرة التي كانت شبه جزيرة البلقان مجزأة بينها وصارت الدولة العلية متاخمة لامارات الصرب والبلغار والبانيا ، فاضطرب لذلك الملوك المسيحيون المجاورون للدولة العثمانية وطلبوا من البابا اوربانوس الخامس انيتوسط لدى ملوك اوربا الغربيين ليساعدوهم على محاربة المسلمين واخراجهم من اوربا خوفاً من امتداد فتوحاتهم الى ماوراء جبال البلقان اذ لو اجتازوها بدون معارضة ومقاومة في مضايقها لم يقو احد بعد ذلك على ايقاف تيار فتوحاتهم ويخشى بعدها على جميع ممالك اوربا من العثمانيين ، فلبى البابا استغاثتهم وكتب لجميع الملوك بالتأهب لمحاربة المسلمين وحرضهم على محاربتهم محاربة دينية حفظاً للدين المسيحي من الفتوحات الاسلامية .

لم ينتظر اوروك الخامس ملك الصرب وصول المدد اليه من اوربا ، بل استعان بامراء بوسنة والفلاخ وبعدد عظيم من فرسان المجر وسار بهم لمهاجمة ادرنة ، فلما وصل خبر تقدمهم الى آذان العثمانيين قابلوهم على شاطيء نهر ماريتزا وفاجأوهم في ليلة مظلمة بقوة عظيمة ألقت الرعب في قلوبهم ولم يلبثوا الا قليلا حتى ولوا الادبار ، واما السلطان مراد فكان في هذه الاثناء مشتغلا بالقتال في بلاد آسيا الصغرى حيث فتح عدة مدن .

وفي سنة ٧٨١ هـ ــ ١٣٧٩ م ، اتحد لازر جربلينا ملك الصرب مع سيسمان امير البلغار على محاربة العثمانيين ، لكنهما بعد عدة مناوشات تحققا في خلالها عجزهما عن مكافحة عساكر العثمانيين ، وابرما الصلح مع السلطان .

وفي سنة ٧٨٣ هـ ــ ١٣٨١ م ، اخذت الفتوحات سيرها الاول ، فحارب ديمورطاش الصرب والبلغار لتأخيرهما في دفع الخراج المتفق عليه ، وفتح مدائن مناستر وپرلبه واستيب ، ووقعت صوفيا في قبضة العثمانيين بعد محاصرة استمرت ثلاث سنين ، وعقب ذلك فتح الصدر الاعظم خير الدين باشا سلانيك ، والخلاصة فقد زال استقلال الصرب كما فقدت البلغار والروملي والاناضول استقلالها ، وتم النصر والغلبة للعثمانيين .

وبينا السلطان مراد يمر بين القتلى اذ قام من بينهم جندي من الصرب وطعن السلطان طعنة كانت هي القاضية عليه .

* * *

بايزيد الاول :

ويلقب بيلدرم وسبب تلقيبه بذلك سرعة حركاته الحربية وشدته على الاعداء جلس على سرير الملك عقب مقتل أبيه سنة ٧٩١ هـ ــ ١٣٨٩ م ، ابتدأ السلطان أعماله بان ولى الامير اسطفن بن لازر ملك الصرب حاكما عليها وأجازه بان يحكم بلاده على حسب قوانينهم بشرط دفع جزية معينة وتقديم عدد معين من الجنود ينضمون الى الجيوش العثمانية وقت الحرب .

ولما ساد الامن في اوربا قصد بلاد آسيا وفتح مدينة فيلادلفيا ٧٩٣ هـ ــ ١٣٩١ م ، وهي آخر مدينة بقيت للروم في آسيا ، ثم عاد السلطان الى اوربا وحارب امانويل پاليولوج ملك الروم وحاصره في القسطنطينية ، وبعد ان ضيق عليها الحصار ترك حولها جيشاً جراراً سافر لغزو بلاد الفلاخ فقهر اميرها دوك مانيس وأكرهه على التوقيع على معاهدة يعترف بها بسيادة الدولة العثمانية على بلاده ويتعهد لها بدفع جزية سنوية مع بقاء بلاده له يحكمها وذلك سنة ٧٩٥ هـ ــ ١٣٩٣ م .

وبينا السلطان يشتغل بمحاربة الفلاخ أراد علاء الدين امير القرمان ان يسترد

ما تنازل عنه للدولة العثمانية فجهز جيشاً وسار بخيله ورجله قاصداً مهاجمة انقره بعد ان فاز على ديمورطاش في احدى الوقائع واخذه اسيراً ، فلما بلغ خبره الى مسامع السلطان قام بنفسه الى بلادالاناضول وجدّ في طلب علاء الدين فهزمه السلطان واسره وضم ما بقي من املاكه اليه ، وبذلك انمحت سلطنة القرمان وصارت ولاية عثمانية ، ثم فتحت الدولة سيواس وتوقات ، وكان آخرها أمرائها الغازي برهان الدين .

وبذا لم يبق من الامارات التي قامت على أطلال دولة آل سلجوق الا امارة قسطموني خارجة عن أملاك الدولة العثمانية ، وكان اميرها بايزيد ، واحتمى ببلاده كثير من اولاد الامراء الذين فتحت بلادهم وكان احتماء الامراء بالامير بايزيد سبب غزو بلاده ، وذلك ان السلطان أرسل اليه يطلب منه تسليم هؤلاء الامراء فامتنع ، فسار اليه السلطان وأغار على بلاده وفتح مدائن سامسون وجانك وعثمانجق ، وبذلك انقرضت جميع الامارات الصغيرة القائمة ببلاد الاناضول وصار العلم العثماني يخفق منصوراً فوق صروحها .

وفي سنة ٧٩٥ هـ ـ ١٣٩٣ م ، استنجد سجسمون ملك المجر البابا فساعده البابا وأعلن الحرب الدينية في اوربا ، فأجابت الدعوة وحشدت الجيوش وعلى رأسها فرنسا والمانيا ، واجتاز هذا الجيش العظيم نهر الدانوب وعسكر حول مدينة نيكوبلي لمحاصرتها ، فسار اليهم السلطان بايزيد وقاتلهم قتالا عنيفاً انتصر فيه على اعدائه وردهم على أعقابهم ، واخذ عقب ذلك يشدد الحصار على مدينة القسطنطينية ، ولولا اغارة المغول على بلاد آسيا الصغرى لتمكن من فتحها فاكتفى بابرام الصلح مع ملكها .

أغار تيمورلنك على الدولة العثمانية ، وسبب تلك الغارة ان امير العراق احمد جلاير التجأ الى السلطان بايزيد حين هاجمه المغول في بلاده ، فأرسل تيمورلنك بطلبه فأبى تسليمه اليه فأغار تيمورلنك بجيوشه على آسيا الصغرى وافتتح سواس وأخذ ابن السلطان بايزيد ارطغرل أسيراً وقطع رأسه مما جعل السلطان يجمع جموعه ويقاتل تيمور الاعرج في سهل أنقرة ، وبفرار فرق آيدين ومنتشا وصاروخان وكرميان وانضمامها الى جيوش تيمور لوجود أمرائهم الاصليين في معسكر التتار

انهزم جيش العثمانيين وسقط السلطان بايزيد في قبضة تيمور فسجنه حتى مات سنة ٨٠٦ هـ ــ ١٤٠٣ م .

وبعد وفاة السلطان بايزيد حصل الاختلال في الممالك العثمانية وتزاحم أولاده على السلطنة ، وتجزأت الدولة العثمانية الى عدة امارات صغيرة لان تيمورلنك أعاد أملاك أمراء قسطموني وغيرهم ، واستقل في هذه الفترة كل من البلغار والصرب والفلاخ ولم يبق تابعاً للراية العثمانية الا قليل من البلدان .

* * *

محمد چلبي :

تولى محمد الملك سنة ٨١٧ هـ ــ ١٤١٤ م ، وكانت مدة حكم هذا السلطان كلها حروباً داخلية لإرجاع الامارات التي استقلت في مدة الفوضى التي أعقبت موت السلطان بايزيد .

* * *

مراد الثاني :

تولى مراد السلطنة سنة ٨٢٤ هـ ــ ١٤٢١ م ، بعد وفاة ابيه محمد ، وافتتح أعماله بابرام الصلح مع امير القرمان والاتفاق مع ملك المجر على هدنة خمس سنوات حتى يتفرغ لارجاع من شق عصا الطاعة .

أعاد مراد الثاني الى املاك الدولة ولايات آيدين وصاروخان ومنتشا وغيرها من الامارات التي أعاد تيمورلنك استقلالها اليها ، وكذلك استرد بلاد القرمان .

وفي عام ٨٣١ هـ ــ ١٤٢٨ م ، توفي امير كرميان وأوصى ببلاده الى السلطان مراد ، وبذلك استرد هذا السلطان جميع مافصله تيمورلنك عن الدولة العثمانية من البلاد وصار في إمكانه التفرغ لاعادة فتح ما استقل من البلاد باوربا بعد موت بايزيد الاول .

حارب السلطان ملك المجر ففتح كولباز الواقعة على شاطىء الدانوب الايمن ، والزمه بالتوقيع على معاهدة تقضي على ملك المجر بالتخلي عن البلاد التي على شاطيء الدانوب الايمن بحيث يكون هذا النهر حداً فاصلا بين أملاك الدولة العثمانية والمجر .

ولما رأى امير الصرب جورج برنكوفيتش انه لايقوى على مقاومة الدولة قبل ان يدفع جزية سنوية ، ويقدم للسلطان فرقة من جنوده للمساعدة وقت الحرب ، وان يقطع علاقاته مع ملك المجر ، وان يتنازل ايضا للدولة العثمانية عن بلدة كروشيفاتس، وأعاد السلطان فتح سلانيك التي كان تنازل عنها ملك الروم الى اهالي البندقية .

وأراد السلطان ان يفتح ما بقي من بلاد الصرب والبانيا والفلاخ قبل ان يعيد الكرة على القسطنطينية حتى لا يكون لها من هذه الولايات نصير ، فوجه اهتمامه اولا الى بلاد البانيا فأطاعه أغلب سكانها بدون كبير عناء مشترطين عدم التعرض لهم في دينهم ولا عوائدهم .

وفي عام ٨٣٦ هـ ـ ١٤٣٣ م ، اعترف امير الفلاخ بسيادة الدولة العثمانية تخلصاً من الحرب ، لكنه ما لبث ان ثار هو وامير الصرب بناء على تحريض ملك المجر لهما فحاربهما السلطان وقهرهما ، ثم سار الى بلاد المجر وخرب كثيراً من بلادها .

وفي السنة التالية عصى جورج امير الصرب ، وكانت عاقبة عصيانه ان فتح السلطان سمندرية بالقرب من بلغراد ، وحارب قائد المجر هونياد السلطان مراد وتغلب عليه وانتصر على العثمانيين في عدة وقعات أدت الى تنازل السلطان عن سيادته على بلاد الفلاخ ورد الى الامير مدائن سمندرية وغيرها ، ثم انتصر السلطان على هونياد المجري عام ٨٥١ هـ ـ ١٤٤٧ م .

* * *

محمد الثاني :

بايع اهل الحل والعقد في الدولة السلطان محمد الثاني عام ٨٥٥ هـ ـ ١٤٥١ م ، ولما تولى الملك لم يكن بآسيا الصغرى خارجاً عن سلطانه الا جزء من بلاد القرمان ومدينة سينوب وطرابزون الرومية ، فأخذ هذا السلطان يتمم فتح ما بقي من بلاد البلقان حتى تكون جميع املاكه متصلة لا يتخللها عدو مهاجم او صديق منافق .

ثم حاصر السلطان في أوائل نيسان عام ٨٥٧ هـ ـ ١٤٥٣ م القسطنطينية من جهة البر بجيش يبلغ ٢٥٠ الف جندي ، ومن جهة البحر بعمارة مؤلفة من ٢٨٠ قطعة

بحرية ، واقام حول المدينة ١٤ بطارية وضع بها مدافع جسيمة صنعها صانع مجري اسمه اوبان .

ولما شاهد قسطنطين آخر ملوك الروم هذه الاستعدادات استنجد باوربا النصرانية ، ولكن ويالاسف كانت جسماً بلا روح وامرها فوضى بلا حاكم حازم والبابا الرئيس الديني الاكبر رجل متعصب تعصباً ذميما ، وعلى كل فقد لبى طلبه اهل جنوه وأرسلوا عمارة بحرية تحت امرة جوستنيان ودخلت الميناء بعد حرب جرت بينهم وبين العثمانيين .

وخطر ببال السلطان ان ينقل المراكب على البر ليجتازوا السلاسل الموضوعة لمنعه ، وتم هذا الامر ونقل اكثر من سبعين سفينة ، ولما حل الاجل المعهود هجم عساكر العثمانيين على الاسوار هجمة الاسود ، فلقيهم الروم بقلوب مطمئنة واشتبك القتال وحمي الوطيس ، وكان قسطنطين قائماً بين النارين ينادي الروم بالتجلد والثبات وأعمال السيف في اعناق الاعداء ، وهو يقاتل قتال الابطال ، والمسلمون يندفعون على الاسوار من كل فج عميق ، فلما أيس قسطنطين من الظفر وأيقن بالغلبة وسقوط المدينة في ايدي المسلمين ، نزع عنه أسلحته المذهبة والقى بنفسه بين صفوف العثمانيين فقطعوه بحد السيف ولم يعلموا من هو ، فلما شاع خبر موت قسطنطين فشلوا فظفر بهم العثمانيون وتغلبوا على الاسوار واخذوها ، ثم اقتحموا المدينة وأعملوا في أهلها السيف ودخلوا كنيسة القديسة صوفيا .

ورأى السلطان محمد من ابنية القسطنطينية ومراسمها ومنتزهاتها ما حبب اليه نقل كرسي مملكته اليها ، فنزح الروم عنها فراراً من الترك وكادت تخلو من السكان ، فأصدر السلطان أوامره بانه لا يعارض في إقامة شعائر ديانة المسيحيين ، بل انه يضمن لهم حرية دينهم وحفظ أملاكهم فرجع بعضهم ، وأعطاهم السلطان نصف الكنائس وجعل النصف الآخر جوامع للمسلمين ، وأقام للروم بطريركاً ليجتمعوا حوله وسلم له عصا البطريركية وخاتمها .

وبعد فتح القسطنطينية أتم السلطان عام ٨٦٢ ــ ٨٦٤ هـ ــ ١٤٥٨ ــ ١٤٦٠ م ، فتح بلاد الصرب وفقدت الصرب استقلالها نهائياً بعد ان أعيت الدولة العثمانية اكثر

من مرة ، وفتح السلطان عام ٨٦٠ هـ ـ ١٤٥٦ م ، ولاية اثينا بعد حروب هائلة وضمها الى أملاكه ، وأتم السلطان عام ٨٦٤ هـ ـ ١٤٦٠ م ، فتح بلاد موره ، ثم حوّل السلطان أنظاره الى آسيا الصغرى ليفتح ما بقي منها ففتح طرابزون وغيرها ، وفي عام ٨٦٨ هـ ـ ١٤٦٤ م ، جعلت بوسنه ولاية كباقي الولايات العثمانية وسلبت الامتيازات التي كانت تتمتع بها .

وصارت جميع شواطيء القرم تابعة للدولة العثمانية ، وفتحت العمارة العثمانية مينا آق كرمان ، وفي عام ٨٨٢ هـ ـ ١٤٧٧ م ، أغار السلطان على بلاد البنادقة واحتل السلطان كرويا واشقودره ، وفي عام ٨٨٥ هـ ـ ١٤٨٠ م ، فتح العثمانيون جزائر اليونان الواقعة بين بلاد اليونان وايطاليا وفتحت اوترانت بايطاليا .

* * *

بايزيد الثاني :

جلس بايزيد على سرير الملك عام ٨٨٦ هـ ـ ١٤٨١ م ، وكان هذا السلطان ميالا للسلم اكثر منه الى الحرب ، ديناً حتى سمي بايزيد الصوفي ، لكن دعته سياسة الدولة الى الاشتغال بحروب داخلية ، وتكدر صفاء حياة هذا الملك في سني حكمه الاخيرة بعصيان اولاده عليه واضرامهم نار الحروب الداخلية حتى ألجأته الى التنازل عن الملك لابنه سليم الاول ٩١٨ هـ ـ ١٥١٢ م ، ولم تزد املاك الدولة العثمانية في زمن بايزيد الثاني الا قليلا لحبه السلم وحقن الدماء ، فكانت حروبه اضطرارية للمدافعة عن الحدود .

* * *

سليم الاول :

عقب جلوسه سافر السلطان سليم بجيوشه الى بلاد آسيا لمحاربة إخوته واولاد إخوته ليكون هاديء البال في داخلية مملكته ، ولم يبق له منازع في الملك ، ولما اطمأن خاطر سليم من جهة داخلية المملكةعاد الى مدينة ادرنة حيث كان بانتظاره سفراء المجر من قبل البندقية والموسكو وسلطنة مصر ، فأبرم مع جميعهم هدنة ، لان كانت مطامعه متجهة الى بلاد الفرس التي اخذت في النمو والارتقاء في عصر ملكها شاه

اسماعيل الشيعي ، فأعلن السلطان سليم الشاه اسماعيل بالحرب وسافر بجيوشه من أدرنة ٩٢٠ هـ ـ ١٥١٤ م ، قاصداً تبريز ، فوقع القتال بين الجيشين فانتصرت الجيوش العثمانية نصراً مبيناً وفر الشاه بمن بقي من جيوشه ووقع كثير من قواده في الاسر ، واستولى السلطان على خزائن الشاه وارسلها الى القسطنطينية .

وبعد ان استراح ثمانية ايام قام بجيوشه مقتفياً اثر الشاه حتى وصل الى شاطيء نهر الرس وعندها امتنع الانكشارية عن التقدم لاشتداد البرد فقفل راجعاً الى آسيا الصغرى للاستراحة ، ولما اقبل الربيع رجع السلطان الى بلاد الفرس ففتح قلعة كوماش وامارة ذي القدرية عام ٩٢١ هـ ـ ١٥١٥ م ، ثم رجع الى القسطنطينية تاركاً قواده لاتمام فتح الولايات الفارسية الشرقية ، ولما وصل الى القسطنطينية أمر بقتل عدد عظيم من ضباط الانكشاريةالذين كانوا سبب الامتناع عن التقدم في بلادفارس، وبعد عودة السلطان الى القسطنطينية فتحت الجيوش العثمانية ماردين واورفة والرقة والموصل وإقليم ديار بكر وأطاعت عامة قبائل الكرد بدون كبير عناء بشرط بقائهم تحت حكم رؤساء قبائلهم .

وقد مر بنا سابقاً ان السلطان سليم الاول حارب دولة المماليك الجراكسة وانتصر عليهم واستولى على املاكهم وعلى يده تم انقراض دولتهم ومن ذلك الوقت صارت الشام ومصر في قبضة العثمانيين .

وفتح خير الدين باشا المشهور ببربروس الجزائر وصارت ولاية عثمانية يدعى في خطبة الجمعة باسم السلطان سليم وتضرب النقود باسمه ، وعين السلطان خير الدين باشا على اقليم الجزائر .

وقصارى القول ان السلطان سليم قضى معظم مدة حكمه في الحرب ، وكان ميالا لسفك الدماء يقتل أعظم الناس وأعزهم لاسباب واهية لا توجب القتل .

* * *

سليمان الاول :

تولى سليمان الملك عام ٩٢٦ هـ ـ ١٥٢٠ م ، وفي عهده بلغت الدولة العثمانية اوج عزها ، واتسعت املاكها حتى بلغت أقصى البلاد ، وفي عام ٩٢٧ هـ ـ ١٥٢١ م ،

تداخل ملك المجر في امور بلاد بوسنه فأرسل اليه السلطان سفيراً عالياً يطلب منه دفع الجزية او الحرب ، فما كان من ملك المجر الا ان قتل السفير ، فغضب السلطان وامر بتجهز الجيوش فسارت ففتحت بلغراد .

وبعد ذلك اخذ السلطان في الاستعداد براً وبحراً لفتح جزيرة رودس وشددوا الحصار عليها حتى اضطر رهبانها ان يطلبوا من السلطان ابعاد الجيوش العثمانية عن الجزيرة ريثما يتم اخلاؤها في مدة لا تزيد عن اثني عشر يوماً فقبل السلطان ذلك ، ولكن بالرغم من اوامر السلطان احتلوا الجزيرة وارتكبوا أنواع الفظائع ، فغضب السلطان وأمر بمراعاة شروط التسليم وعاقب المفسدين .

وفي عام ٩٢٩ هـ ـ ١٥٢٣ م ، حصلت بعض فتن داخلية في بلاد القرم كانت نتيجتها زيادة تداخل الدولة العثمانية فيها حتى في تعيين أمرائها ، وصارت بذلك ولاية عثمانية تقريباً .

وفي عام ٩٣٠ هـ ـ ١٥٢٤ م ، أراد السلطان ان يجعل إقليم الفلاخ ولاية عثمانية ولم يكن للدولة اذ ذاك الا السيادة ، والجزية فسير اليها جيشاً استولى على عاصمتها وعلى اميرها فأرسلوه الى الاستانة ، فثار الاعيان وعينوا خلفاً له ، فقبل السلطان تعيينهم هذا في مقابلة زيادة الجزية .

وفي عام ٩٣١ هـ ـ ١٥٢٥ م ، اخذت المخابرات بين ملك فرنسا والدولة العثمانية ، فسعى فرنسيس الاول في التحالف مع آل عثمان والاتحاد معهم على محاربة شارلكان ملك النمسا ، وكان في آن واحد ملكاً لاسبانيا وبلاد القاع (هولاندا) وامبراطوراً لالمانيا وحاكماً لجزء عظيم من ايطاليا الجنوبية ، الى ما هنالك من جمهوريات وجزر في اوربا كانت تابعة له أو طوع امره .

ويظهر من سعي فرنسا في استمالة الدولة العثمانية وبذل الجهد في محالفتها ، مع كون فرنسا معتبرة لدى البابا اول الدول الكاثوليكية وأهمها محافظة على عدم تقدم الاسلام في اوربا ، ان الدولة العثمانية بلغت في ذلك الوقت شأناً عظيماً لم تبلغه من قبل وصار وجودها ضرورياً لحفظ التوازن السياسي في اوربا .

ارسلت الملكة لويز زوجة فرنسيس الاول الى السلطان سليمان تطلب منه بكل

تواضع ان يهاجم ملك المجر احد حلفاء شارلكان حتى يمنعه من مساعدته لتتمكن فرنسا بذلك ان تنتصر على شارلكان وتسترد ما سلب منها في وقعة باڤيا ، فقابل السلطان سليمان ذلك الطلب بارتياح ووعد بمحاربة المجر .

سافر السلطان عام ٩٣٢ هـ ــ ١٥٢٦ م ، من القسطنطينية لمحاربة المجر ، سار الجيش العثماني الى بلاد المجر من طريق الصرب ماراً بقلعة بلغراد ، وبعد ان فتح الجيش عدة قلاع ذات أهمية حربية على نهر الطونة ، التقى الجيشان العثماني والمجري في وادي موهاكس انتصر العثمانيون في هذه الواقعة نصراً مبيناً وقتل ملك المجر ، وسلم اهل مدينة بود عاصمة المجر مفاتيح المدينة الى السلطان فاستلمها ودخل المدينة عام ٩٣٢ هـ ــ ١٥٢٦ م ، وانتشرت الجنود العثمانية في البلاد المجرية تنهب وتقتل وترتكب كل الفظائع ، وعين السلطان جان زابولي اميرترنسلفانيا ملكاً على بلاد المجر .

وفي أواخر عام ٩٣٤ هـ ــ ١٥٢٧ م ، ادعى فرديناند ملك النمسا ان يكون ملكاً على بلاد المجر بسبب قرابته مع ملك المجر لويز ، وسار بجنوده لمحاربة جان زابولي ملك المجر الجديد ، أرسل جان زابولي الى السلطان سليمان يستنجده على منازعه في الملك ، فوعده السلطان بمساعدته وأصدر الاوامر الى جميع الجهات بالاستعداد للحرب وجمع الجيوش ، سار الجيش العثماني الى بود وكان فرديناند ملك النمسا محتلا لها ، فحاصرها حتى تركها فرديناند هارباً من بود قاصداً الى ويانه عاصمة النمسا فدخل الجيش العثماني بود واعاد زابولي الى عرش ملك بلاد المجر .

ثم سار السلطان بجيوشه الى ويانه وحاصرها وكاد يفتحها لولا نفاذ الذخيرة واقبال الشتاء بشدة برده وثلوجه المعهودة ، فأصدر اوامره بالرجوع عن ويانه هذه السنة واعداد الجيوش لمعاودة الكرة عليها في أقرب وقت .

وفي ربيع عام ٩٣٧ هـ ــ ١٥٣١ م ، أرسل ملك النمسا جيشاً لمحاصرة بود واستخلاصها من قبضة زابولي ، فصد هذا الجيش عنها بقوة الحامية الاسلامية المعسكرة فيها .

وفي عام ٩٣٨ هـ ــ ١٥٣٢ م ، سار السلطان سليمان قاصداً ويانه لفتحها ومحو ما لحقه من الفشل في المرة الاولى ، وفي مسيره فتح عدة قلاع وحصون ، غير انه لما

بلغ السلطان من استعداد شارلكان للدفاع عن ويانه وجمع الجيوش فيها ، وأضف الى ذلك عدم وجود مدافع حصار مع السلطـان واقتراب فصل الشتاء ، عاد الى القسطنطينية .

هذا وقد حصل في اثناء محاربة السلطان النمسا بعض اضطرابات على حدود بلاد الفرس ، فسار السلطان اليها وأخضع الشاه طهماسب وافتتح تبريز وبغداد .

وتحالفت الدولة العثمانية مع فرنسا عام ٩٤١ هـ ـ ١٥٣٤ م ، على ان تجعل الدولة العثمانية وجهة حروبها نابولي وصقلية واسبانيا عوضاً عن مهاجمة النمسا والمانيا ، وان تدخل جيوش فرنسا من ايطاليا .

واحتل خير الدين باشا تونس عام ٩٤٢ هـ ـ ١٥٣٥ م ، بدون كبير عناء باسم السلطان سليمان ، ولما بلغ شارلكان هذا الفتح جهز اسطولا عظيماً قاده بنفسه وحاصر تونس مدة شهر وفتحها .

ثم جمع السلطان ببلاد الارناؤد جيشاً عظيماً لشن الغارة على ايطاليا ، ونزل خير الدين باشا بميناء اوتراتته بجنوب ايطاليا استعدادا لمهاجمتها من الجنوب بينـا يهاجمها السلطان من الشرق وملك فرنسا من الغرب ، لكن إحجام ملك فرنسا عن التقدم اطاعة للرأي العام النصراني الذي نقم عليه اتحاده مع دولة اسلامية سبب عدم نجاح هذا المشروع الذي لو تم لكانت نتيجته غالباً دخول ايطاليا في ظل الدولة العثمانية ، وانتهى الامر بان تهادن ملك فرنسا مع شارلكان وامضيا مهادنة نيس ، واما من جهة البندقية فاستمرت الحرب بينها وبين العثمانيين سجالا وانتهت بالصلح .

وابتدأت الحروب ثانية وانتهت بانهزام جيش الماني مرسل من قبل شارلكان .

ودخل السلطان عام ٩٤٨ هـ ـ ١٥٤١ م ، بود وافتتحها بعد اتفاق ملكها زابولي مع فرديناند على اقتسام بلاد المجر وجعلها ولاية عثمانية .

وطلب فرنسوا الاول من السلطان مساعدته على محاربة شارلكان ، فسافر السلطان عام ٩٥٠ هـ ـ ١٥٤٣ م ، الى بلاد المجر لاستئناف الحرب ، وأقلع خير الدين باشا من مياه الاستانة بمراكبه قاصداً مرسيليا ، فوصلها بعد ان غزا في طريقه سواحل صقلية ، ثم حاصر نيس وفتحها عنوة من جهة البحر ، ولم يتم احتلالها لوقوع الشحناء

بين العسكرين العثماني والفرنسي ، واما جهة النمسا فاستمر القتال بين العثمانيين وأعدائهم مدة من الزمن كان النصر غالباً حليفهم الى ان عقد بين الطرفين صلح مرضي لكل منهما عام ٩٥٤ هـ ــ ١٥٤٧ م .

وأرسل السلطان الى سليمان باشا والي مصر بتجهز عمارة بحرية لمحاربة البرتغاليين وفتح عدن وبلاد اليمن ، ففتح عدن وأغلب الحصون التي أقامها البرتغاليون .

وسار السلطان بجيوشه قاصداً تبريز عام ٩٥٥ هـ ــ ١٥٤٨ م ، فدخلها وفتح في طريقه الجزء التابع للفرس من بلاد الكرد وقلعة وان وعاد يحف به النصر الى القسطنطينية .

والخلاصة فقد تقدمت الفتوحات في ايام السلطان سليمان الاول تقدماً عظيماً وبلغت الدولة اوج قوتها ، واخذت بعده في الوقوف تارة والتقهقر اخرى .

* * *

سليم الثاني :

تولى سليم الثاني بعد موت ابيه سليمان عام ٩٧٤ هـ ــ ١٥٦٦ م ، لم يكن هذا السلطان متصفاً بما يؤهله للقيام بحفظ فتوحات أبيه وأجداده فضلا عن اضافة شيء اليها ، ولولا وجود الوزير محمد باشاصقاللي المدرب على الاعمال الحربية والسياسية للحق الدولة الفشل .

أرسل محمد باشا جيشاً الى اليمن عام ٩٧٦ هـ ــ ١٥٦٨ م ، تحت قيادة عثمان باشا الذي عين عاملا عليها لقمع ثورة أهاليها الذين عصوا الدولة ، فانتصر عثمان باشا عليهم بمساعدة سنان باشا والي مصر ودخل صنعاء بعد ان فتحت جميع القلاع .

ومن أعمال محمد باشا فتح جزيرة قبرس التي كانت تابعة للبندقية فأرسل اليها المراكب الحربية عام ٩٧٨ هـ ــ ١٥٧٠ م ، تحت إمرة بيالي باشا يقودها لاله مصطفى باشا وتم فتحها عام ٩٧٩ هـ ــ ١٥٧١ م ، وصارت تابعة للدولة العثمانية .

* * *

مراد الثالث :

جلس مراد على أريكة الملك عام ٩٨٢ هـ ــ ١٥٧٤ م ، كانت فاتحة أعماله انه أصدر امراً بعدم شرب الخمر ، فثار الانكشارية لذلك واضطروه لاباحته ، وأمر بقتل اخوته وكانوا خمسة ليأمن على الملك من المنازعة [١] .

وحصلت في عهد هذا السلطان على حدود النمسا عدة مناوشات سال فيها الدماء بين الطرفين بدون اشهار حرب .

وأرسلت في عهد هذا السلطان الجيوش العثمانية لمحاربة الفرس ، فسار لاله مصطفى باشا قائد هذه الجيوش قاصداً إقليم الكرج وكانت تابعة لحكومة الفرس ثم حصلت وقعات بين الدولتين العثمانية والفارسية كانت نتائجها ان تنازلت الفرس للدولة العثمانية عن إقليم الكرج وشروان ولورستان وجزء من اذربيجان وتبريز .

ولما هدأت الاحوال وانقطعت الحروب تقريباً على سائر حدود المملكة العثمانية ، ثارت الانكشارية الذين كانوا يفضلون استمرار الحروب للنهب والسلب وارتكاب مالا خير فيه فكانت اذا انقطعت الحرب تمردوا وارتكبوا هذه القبائح في بلاد الدولة المعسكرين بها حتى في نفس القسطنطينية ، فلما بلغهم ان الحرب كادت تنطفىء نيرانها ثاروا في القسطنطينية وبود والقاهرة وتبريز ولم تهدأ الانكشارية حتى أشار سنان باشا عام ٩٩٧ هـ ــ ١٥٨٩ م ، باشغالهم بمحاربة المجريين فأوعز سنان باشا الى حسن باشا ان يجتاز حدود المجر اعلاناً للحرب ، فكانت حروب الدولة مع المجر سجالا وأخيراً قتل حسن باشا والي الهرسك وانهزم والي بود ، وفتحت جيوش النمسا التي انحازت الى المجر عدة قلاع عثمانية .

ومما زاد أحوال المملكة العثمانية ارتباكاً إشهار الفلاخ والبغدان وترنسلفانيا العصيان بالاتحاد وتحالفهم مع رودولف الثاني ملك النمسا وامبراطور المانيا على محاربة الدولة العثمانية والحصول على الاستقلال ، فسار اليهم الصدر الاعظم سنان باشا عام ١٠٠٣ هـ ــ ١٥٩٥ م ، ودخل مدينة بوخارست عاصمة الفلاخ عنوة

(١) تاريخ الدولة العلية العثمانية ــ لمحمد فريد .

ثم انتصر عليه ميخائيل امير الفلاخ فأخذ العثمانيون في الانسحاب والتقهقر خلف نهر الدانوب ، واستولى ميخائيل على عدة مدن أهمها نيكوبولي .

* * *

محمد الثالث :

تولى محمد الثالث الملك عام ١٠٠٤ هـ ـ ١٥٩٦ م ، فكانت فاتحة أعماله ان امر بخنق اخوته وعددهم تسعة عشر أخا دفنوا مع ابيهم معاً [١] ، تعاقب في عهد هـذا السلطان انهزام الجيوش العثمانية أمام ميخائيل الفلاخي فضم لسلطانه بمساعدة الجيوش النمسوية اقليم البغدان وجزءاً عظيماً من ترنسلفانيا ، ثم خرج السلطان بنفسه عام ١٠٠٤ هـ ـ ١٥٩٦ م، ففتح قلعة ارلو .

وفي ابتداء القرن السابع عشر للميلاد حصلت في بلاد الاناضول ثورة داخلية كادت تكون وخيمة العاقبة على الدولة لولا اشغال مثيري هذه الفتنة وهم فرقة من الجيوش المؤجرة في الحروب حتى هلكت في المناوشات المستمرة بينها وبين عساكر المجر والنمسا واستراحت الدولة من شرها .

وأعقبت هذه الثورة ثورة أخرى في نفس القسطنطينية كاد شرها يتعدى الى نفس الخليفة الاعظم ، فاستعانت عليها بجنود الانكشارية وأدخلت مثيريها في طاعة الدولة بعد سفك الدماء ، ولو اتحدت الانكشارية معهم وساعدوهم على مطالبهم لخيف على حياة الدولة من الداخل والخارج .

* * *

احمد الاول :

جلس احمد الاول على سرير الملك عام ١٠١٢ هـ ـ ١٦٠٣ م ، تولى هـذا السلطان وأحوال الدولة غير مستقرة في آسيا واوربا حيث نيران الحرب مستعرة على حدود فارس شرقاً والنمسا غرباً .

انتهز الشاه عباس اشتغال الدولة في قمع الفتن فاحتل تبريز ووان وغيرهما ، ثم تراسلت الدولتان العثمانية والفارسية بشأن الصلح وتم الامر بينهما عام ١٠٢١ هـ

(١) تاريخ الدولة العلية العثمانية ـ لمحمد فريد .

١٦١٢ م ، على أن تترك الدولة العثمانية لمملكة فارس جميع الاقاليم والبلدان والقلاع والحصون التي فتحها العثمانيون من عهد السلطان سليمان الاول بما فيها مدينة بغداد ، وهذه اول معاهدة تركت فيها الدولة بعض فتوحاتها .

* * *

مصطفى الاول :

جلس مصطفى الاول على عرش الخلافة عام ١٠٢٦ هـ ـ ١٦١٧ م ، بوصية من أخيه السلطان احمد لصغر سن اولاده وهو اول من جلس بالاخوة من السلاطين كان ضعيف الرأي وزد على ذلك ظهور الفتن ، فاتفق العلماء والوزراء على خلعه وحبسه .

* * *

عثمان الثاني :

جلس عثمان الثاني على سرير الملك عام ١٠٢٧ هـ ـ ١٦١٨ هـ عزم السلطان عثمان على إبادة الانكشارية واخذ يعد لذلك عدته فأمر بحشد جيوش جديدة في ولايات آسيا الصغرى وتنظيمها وتدريبها على القتال حتى اذا كملت عداً وعدداً استعان بها على إبادة تلك الفئة الباغية ، ولما شرع في تطبيق هذا المشروع أحست الانكشارية به فهاجوا وماجوا واتفقوا على خلع السلطان فخلعوه شر خلع ، وبعد ان أوسعوه شتماً وسباً قتلوه عام ١٠٣١ هـ ـ ١٦٢٢ م ، وأعادوا مكانه السلطان مصطفى الاول ثم خلع عام ١٠٣٢ هـ ـ ١٦٢٣ م .

* * *

مراد الرابع :

جلس مراد الرابع على اريكة الخلافة عام ١٠٣٢ هـ ـ ١٦٢٣ م ، ولاه الانكشارية بعد خلع عمه السلطان مصطفى الاول وهو حديث السن كي لايكون معارضاً لهم في أعمالهم الاستبدادية ولا مضعفاً لنفوذهم الذي احرزوه بقتل سلطان وعزل غيره ، واستمروا مدة عشر سنين من حكمه في غيهم وطغيانهم .

ولما بلغ السلطان أشده أظهر عزماً شديداً وثباتاً قوياً في مجازاة رؤوس الانكشارية

وغيرهم ممن كان يهيج الخواطر ويقلق الراحة العمومية ، وشرع يأمر بقتل كل من ثبت عليه أقل اشتراك في الحركات غير المرضية وبذلك داخلهم الرعب ووقعت مهابته في قلوبهم وخشيه الكبير والصغير والامير والصعلوك ، وسار كل في طريقه مكباً على عمله وسادت السكينة في انحاء المملكة العثمانية .

ثم سار السلطان بنفسه الى بلاد الفرس لاسترجاع فتوحات السلطان سليمان الاول ففتح اريوان عام ١٠٤٥ هـ ــ ١٦٣٥ م ، ثم فتح تبريز عنوة ، وفتح بغداد وارجعها الى المملكة العثمانية عام ١٠٤٨ هـ ــ ١٦٣٨ م .

وقصارى القول ان مراد الرابع كان يؤمل ان يضارع سليمان القانوني في الفتوحات وبعد الصيت ، ولكن المنية لم تمهله فقصفت عود حياته وهو في مقتبل الشباب .

* * *

ابراهيم الاول :

ملك ابراهيم الاول عام ١٠٥٢ هـ ــ ١٦٤٢ م ، فافتتح ابراهيم عام ١٦٤٢ م ، حروبه الخارجية بارسال جيش جرار الى بلاد القرم لمحاربة القوزاق الذين احتلوا ازاق ، فحاربهم العثمانيون وأبلوا فيهم بلاء حسناً ، واستردوا المدينة منهم بعد ان أحرقوها .

وفتح في عهده عام ١٠٥٦ هـ ــ ١٦٤٦ م ، أغلب جزيرة كريد وكانت تابعة لجمهورية البندقية ، ووضع الحصار امام مدينة كنديا عاصمة الجزيرة ، لكن حال دون اتمام فتحها عصيان الجنود في القسطنطينية .

وأراد السلطان ان يفتك برؤوس الانكشارية لتذمرهم وانتقادهم على أعماله ورغبتهم في التدخل في شؤون الدولة ، فعلموا بمقصد السلطان وتآمروا على عزله ثم قتلوه خنقاً .

* * *

محمد الرابع :

تولى هذا السلطان الملك عام ١٠٥٨ هـ ــ ١٦٤٨ م ، وهو صغير ، فوقعت المملكة

العثمانية من جراء صغر سنه في الفوضى ، وصارت الجنود لاترحم صغيراً ولا توقر كبيراً وعاثوا وظلموا .

وظلت الحالة تعسة حتى تولى منصب الصدارة عام ١٠٦٧ هـ ـ ١٦٥٧ م ، محمد باشا كوبريلي ، فعامل الانكشارية معاملة من يريد ان يطاع اطاعة عمياء ، وقتل منهم خلقاً كثيراً ، وألزمهم العود الى السكينة ، وأطفأ نيران الفتن التي كانت مستعرة في الداخل والخارج .

ثم خلفه ابنه احمد باشا كوبريلي فكان خير خلف لخير سلف ، كان متصفاً بالشجاعة والاقدام وصواب الرأي وأصالة التدبير ، فاستمر على خطة ابيه من عدم التساهل مع الجندية ومحاربة اعداء الدولة بدون فتور .

حارب هذا الوزير النمسا وانتصر عليها في عدة وقعات ، وحاصر الصدر قره مصطفى باشا ويانه وكاد يدخلها لولا إلحاح البابا واستنهاض أمم الفرنج لمحاربة العثمانيين ، فانهزم العثمانيون ، وتألبت كل من النمسا وبولونيا والبندقية ورهبنة مالطة والبابا ومملكة الروسيا على محاربة العثمانيين لمحوها من العالم السياسي .

واحتلت سفن البنادقة عام ١٠٩٧ هـ ـ ١٦٨٦ م ، أغلب مدن اليونان ، وغارت جيوش النمسا على بلاد المجر واحتلت بودا واقليم ترنسلفانيا وعدة قلاع ، واخيراً قرر قره مصطفى باشا باتحاد مع العلماء عزل السلطان محمد الرابع فعزلوه .

* * *

سليمان الثاني :

جلس السلطان سليمان الثاني على اريكة الخلافة عام ١٠٩٩ هـ ـ ١٦٨٨ م ، واستمرت ثورة الانكشارية في عهد هذا السلطان ، فقتلت قوادها ، وحاصرت الصدر الجديد سياوس باشا وقتلوه ، وبكلمة اخرى كانت المملكة في فوضى واضطراب جعل كل ذلك أعداء الدولة ينتهزون الفرصة ويحتلون كثيراً من المدن والقلاع : احتل النمسويون قلاع ارلو ولبا وغيرهما ، واحتلت البنادقة ليبه من بلاد اليونان وسواحل دلماسيا عام ١٠٩٨ هـ ـ ١٦٨٧ م ، وفي العام التالي سقطت سمندرية وقلومباز

وبلغراد في ايدي النمسويين ، ثم فقدت الدولة العثمانية عام ١١٠٠ هـ ــ ١٦٨٩ م ، نيش وودين من بلاد الصرب .

ولما رأى السلطان توالي المصائب عزل الصدر مصطفى باشا ، وعين مكانه مصطفى باشا كوبريلي ، فنظم الجيش وطهره من الادران ، وأمن الحالة في داخل البلاد ، ثم خرج بنفسه لمحاربة الاعداء فاسترد في قليل من الزمن نيش وودين وسمندرية وبلغراد عام ١٦٩٠ م .

* * *

احمد الثاني :

تولى الملك احمد الثاني عام ١١٠٢ هـ ــ ١٦٩١ م ، وفي بدء خلافته مات مصطفى باشا كوبريلي فكان موته ضربة على الدولة لعدم كفاءة عربه‌جي علي باشا الذي خلفه في منصب الصدارة ، ولم تحصل امور ذات بال في ايام هذا السلطان ، بل اقتصرت الحرب على بعض مناوشات ليس لها شأن يذكر غير ان البنادقة احتلت عام ١١٠٥ هـ ١٦٩٤ م ، جزيرة ساقز .

* * *

مصطفى الثاني :

جلس مصطفى الثاني على عرش الخلافة عام ١١٠٦ هـ ــ ١٦٩٥ م ، كان متصفاً بالشجاعة وثبات الجأش ، فأعلن بعد توليته رعيته انه سيقود الجيوش بنفسه فحارب بولونيا والجيش النمسوي والروسيا وغيرها ، ثم أمضيت معاهدة كارلوفتس عام ١١١١ هـ ــ ١٦٩٩ م ، بين الدولة العثمانية والنمسا والروسيا والبندقية وبولونيا ، وتقضي هذه المعاهدة ان تترك الدولة العثمانية بلاد المجر باجمعها وإقليم ترنسلفانيا لدولة النمسا ، وتنازلت عن ازاق للروسيا ، وردت لمملكة بولونيا كامينك وپودوليا واوكروين ، وتنازلت للبندقية عن جزيرة موره الى نهر هكساميلون واقليم دلماسيا على البحر الادرياتيكي ، وبهذه المعاهدة فقدت الدولة جزءاً ليس بقليل من أملاكها وكانت هذه المعاهدة أوخم عاقبة على الدولة ، وأخيرا ثارت الانكشارية كعادتها وخلعت السلطان مصطفى الثاني .

احمد الثالث :

جلس احمد الثالث على أريكة الملك عام ١١١٥ هـ ـ ١٧٠٣ م ، بناء على طلب أخيه مصطفى ، ولما قرت الاحوال وعادت السكينة اقتص من رؤوس الانكشارية فقتل منهم عدداً ليس بقليل وعزل الصدر الاعظم نشانجي احمد باشا الذي انتخبته الانكشارية وقت ثورتهم .

ولم تدرك الدولة كنه سياسة بطرس الاكبر الخارجية القاضية باضعاف الاقوياء من مجاوريه أي السويد وبولونيا والدولة العثمانية .

ولما تولى بلطهجي محمد باشا مال لإثارة الحرب على الروسيا فأعلن الحرب عليها وقاد الجيوش بنفسه ، وبعد مناوشات حصرت الجيوش العثمانية قيصر الروسيا وخليلته كاترينا ، ولو استمر هذا الوزير على حصارهم قليلا لاخذ القيصر أسيراً هو ومن معه ، وذلك ان كاترينا استمالت بلطهجي محمد باشا اليها وأعطته ما كان معها من الجواهر وغيرها ، فخان الدولة ورفع الحصار عن القيصر وجيشه مكتفياً بامضاء القيصر لمعاهدة فلكزن المؤرخة ٢٥ تموز ١١٢٣ هـ ـ ١٧١١ م ، وقضت هذه المعاهدة ان يخلي الوزير ازاق وتعهد فيها بعدم التدخل في شؤون القوزاق مطلقاً .

ثم تولى بعد هذا الوزير يوسف باشا فكان محبا للسلم ، فأمضى مع الروسيا معاهدة جديدة تقضي بعدم اعلان الحرب مدة ٢٥ سنة ، لكن لم تمض على هذه المعاهدة بضعة أشهر حتى قامت الحرب ثانية بين الدولتين بسبب عدم قيام بطرس الاكبر باحد شروط معاهدة فلكزن القاضي بتخريب فرضة تجانرك الواقعة على بحر ازاق فتداخلت انكلترة وهولاندة في منع الحرب لاضراره بتجارتهما ، وبعد مخابرات طويلة أمضيت بينهما معاهدة جديدة سميت بمعاهدة ادرنة في رجب ١١٢٥ هـ ١٨ تموز ١٧١٣ م ، تنازلت الروسيا بمقتضاها عما لها من الارضين على البحر الاسود .

ولما تولى علي باشا الصدارة أعلن على جمهورية البندقية الحرب ، وفي قليل من الزمن استرد البلاد التي كانت البنادقة في بلاد اليونان ولم يبق لهم الا جزيرة كورفو ، فاستنجدت البنادقة بشارل الثالث امبراطور النمسا وأعلن الحرب بسبب البنادقة بين العثمانيين والنمسويين ، وكتب النصر للنمسويين ، ثم تم الصلح بينهما

في رمضان ١١٣٠ هـ ـ ٢١ تموز ١٧١٨م ، على ان تأخذ النمسا ولاية تمسوار وبلغراد وجزءا عظيماً من بلاد الصرب من بلاد الفلاخ ، وان تبقى جمهورية البندقية محتلة ثغور شواطيء دلماسيا ، واما بلاد موره فسترجع الى الدولة العثمانية .

وأسرع الصدر ابراهيم باشا باحتلال ارمينية وبلاد الكرج ، وسبقه ايضاً بطرس الاكبر واجتاز جبال القوقاز واحتل اقليم داغستان مع سواحل بحر الخزر الغربية ، ووفق بين الطرفين بان يملك كل منهما ما احتله من البلاد ، وقبلت الدولتان بهذا التقسيم الذي أضاع جزءاً كبيرا من بلاد الفرس .

وأخيراً ثارت الانكشارية وخلعت السلطان احمد الثالث .

* * *

محمود الاول :

تولى هذا السلطان الملك عام ١١٤٣ هـ ـ ١٧٣١ م ، ولم يكن له الا الاسم فقط ، فاستأنفت الدولة الحرب مع مملكة الفرس ، وتغلبت الجيوش العثمانية على جنود الشاه طهماسب في عدة وقعات أهرقت فيها الدماء كثيراً ، فطلب الشاه الصلح ، وتم بين الدولتين الامر عام ١١٤٤ هـ ـ ١٧٣٢ م ، على ان تترك مملكة الفرس للدولة العثمانية كل ما فتحته ماعدا مدائن تبريز واردهان وهمذان وباقي اقليم لورستان ، لكن نادر خان اكبر ولاة دولة فارس سار بجيوشه الى اصفهان وعزل الشاه طهماسب وولي مكانه ابنه القاصر عباساً ، ثم حارب الجنود العثمانية وانتصر عليها ، ونودي به ملكا على فارس وطلب العثمانيون من الفرس الصلح ١١٤٩ هـ ـ ١٧٣٦ م ، على ان ترد الدولة الى الفرس كل ما اخذته منها .

وأوقف الصدر الاعظم الحاج محمد باشا تقدم الروس الذين كانوا قد احتلوا اقليم البغدان ، وانتصرت الجيوش العثمانية على جيوش النمسا التي أغارت على بلاد البوسنة والصرب والفلاخ ، فكان هذا الفوز الاخير اكبر مساعد للوصول الى الصلح الذي تم بين الدولة العثمانية والنمسا والروسيا على ان تتنازل النمسا للدولة العثمانية عن بلغراد وما أعطي لها من بلاد الصرب والفلاخ بمقتضى معاهدة پساروفتس واما الروسيا فتعهدت بهدم قلاع ميناء ازاق وعدم تجديدها في المستقبل وبعدم

انشاء سفن حربية او تجارية بالبحر الاسود او ببحر ازاق ، بل تكون تجارتها على مراكب اجنبية ، وبان ترد للدولة كل مافتحته من الاقاليم والبلدان وسميت هذه المعاهدة معاهدة بلغراد ، وبذلك انتهت هذه الحرب باسترداد جزء عظيم مما فقدته الدولة من ممالكها بمقتضى معاهدة كارلوفتس .

* * *

عثمان الثالث :

جلس هذا السلطان على سرير الملك عام ١١٦٨ هـ ـ ١٧٥٤ م ، فأبقى عامة المعاهدات والمصالحات على حالها ، ثم اشتغل ببعض اصلاحات داخلية فأبطل الخمارات بالقسطنطينية وغيرها مما يخالف آداب الشرع الاسلامي .

* * *

مصطفى الثالث :

تولى مصطفى الثالث الملكعام ١١٧١ هـ ـ ١٧٥٧ م ، نشبت في عهدهذا السلطان الحرب بين الدولة والروسيا فانهزم الروس وانتصر العثمانيون ، وكاد علي بك الملقب بشيخ البلد يستقل تقريباً بشؤون مصر وفاوض قائد الاسطول الروسي بالبحر الابيض طالباً منه المدد فساعده القائد رغبة في وجود الحروب الداخلية في الدولة وبذلك أمكن علي بك فتح غزة ونابلس والقدس ويافا ودمشق واخذ يستعد للمسير الى حدود بلاد الاناضول ، فقابلهم ابو الذهب عند الصالحية بالشرقية وفاز عليهم بالنصر وأسر علي بك فقطع رأسه وأرسله الى الوالي العثماني خليل باشا .

* * *

عبد الحميد الاول :

جلس هذا السلطان على سرير الملك عام ١١٨٧ هـ ـ ١٧٧٣ م ، كانت الروسيا تستعد استعداداً عظيماً لرد مافقدته من الاسم والشرف في اواخر مصطفى الثالث ، فاشتعلت نيران الحرب بين الروس والعثمانيين انتهت بعقد معاهدة قينارجه أهمها استقلال تتار الروم وبسارابيا وقوبان مع حفظ السيادة الدينية للدولة العثمانية ، وتسليم البلاد التي احتلها الروس الى خان القرم ما خلا قلعتي كريش ويكي قلعة ،

ورد ما أخذ من املاك الدولة بالفلاخ والبغدان وبلاد الكرج ومنكريل وجزائر الروم ما عدا قبرطه الصغيرة والكبيرة وازاق وقلبورن ، وان يكون للمراكب الروسية حرية الملاحة في البحر الاسود والبحر المتوسط ، وان تبني الروسيا كنيسة بالقسطنطينية وان يكون لها حق حماية جميع النصارى التابعين للمذهب الارثوذكسي من رعايا الدولة ، وان تكون جميع المعاهدات السابقة لاغية .

وبعد ذلك شرعت الدولة العثمانية في اصلاح بعض الشؤون الداخلية ، واما الروس فأخذوا يبثون رجالهم في بلاد القرم لايجاد الاضطراب الداخلي بها ثم لابتلاعها وضمها الى أملاكها ، وتم لهم ما أرادوا من استقلال بلاد القرم واحتلوها .

وقبل وفاة السلطان بقليل أعلنت النمسا الحرب على الدولة مساعدة للروس وحاول امبراطورها يوسف الثاني الاستيلاء على بلغراد ، فعاد بالخيبة وانتصر الجيش العثماني عليه نصراً مبيناً .

* * *

سليم الثالث :

تولى السلطان سليم الملك عام ١٢٠٣ هـ ــ ١٧٨٨ م ، وجو السياسة مكفهر ورحى الحرب دائرة بلا انقطاع ، فبذل جهده في تقوية الجيوش لكن اليأس قد استولى على الجنود وغادر كثير منهم مراكزهم .

اتحد في هذه السنة الجيشان الروسي والنمسوي ، وكان عاقبة ذلك الاتحاد ان انهزم العثمانيون ، واستولى الروس على بندر الحصينة واحتلوا معظم بلاد الفلاخ والبغدان وبسارابيا ، ودخل النمسويون بلغراد وفتحوا بلاد الصرب ، وخلاصة القول ان الدولة العثمانية أصبحت في خطر عظيم ولو استمر اتحاد النمسا والروسيا لفقدت أغلب املاكها ، ثم عقدت بين الدولة العثمانية وامبراطورية النمسا معاهدة ستووا القاضية برد بلاد الصرب وجميع فتوحاتها أخيراً .

وسار بونابرت عام ١٢١٣ هـ ــ ١٧٩٨ م ، الى مصر لفتحها بدون اعلان حرب على الدولة العثمانية ، وفي اليوم الاول من شهر تموز وصلت العمارة الفرنسية الى مياه الاسكندرية عند مطلع الفجر ، وتكون الجيش الزاحف على الاسكندرية في

الساعة الثالثة من صباح يوم الاحد ٢ تموز من ثلاث فرق فقط (منو) على الجناح الايسر (وكليبر) في القلب (وبون) في الجناح الايمن ، وما زال بونابرت سائراً برجاله حتى أشرفوا على الاسكندرية التي لم تكن محصنة ، ولم يكن لها جيش كاف للدفاع لا من جانب الدولة ولا من جانب المماليك ، فلم يأت ظهر ذلك اليوم حتى كان نابليون قد دخل المدينة ونزل في دار القنصل الفرنسي ، ونادى بالامان في البلد ورفع اعلامه عليها ، ولما استقرت قدم نابليون بالاسكندرية شرع اولا في وضع نظام لحكومتها وأصدر امرا الى القواد يقضي باحترام الدين وحقوق الاهالي وأملاكهم .

وبعد ان أقام نابليون في الاسكندرية سبعة ايام سار قاصدا القاهرة فدخلها في ٢٥ تموز ، وأصدر منشوراً حث فيه العرب على الاخلاد الى السكينة وان لايحرجوا صدور الفرنسيس بقتالهم اياهم ، وبشر المصريين بعهد سلام ورفاهية ورقي واصلاح واكثر من الوعود والاماني .

واما الدولة العثمانية فأخذت في الاستعداد لمحاربة الفرنسيس في مصر ، وكانت مطمئنة البال من جهة النمسا والروسيا اللتين كانتا مشتغلتين بمحاربة الفرنسيس خوفاً من امتداد مباديهم الحرة الى بلادهما فتقل عرشهما ، واما الانكليز فعرضوا على الدولة مساعدتهم على إخراج الفرنسويين من مصر خوفا على طريق الهند من ان تكون في قبضة دولة قوية ، فقبلت الدولة مساعدة الانكليز وانضمت العمارة الروسية الى العمارة العثمانية والانكليزية ، واعلنت الحرب على فرنسا .

ولما شعر بونابرت باجتماع تلك الدول لمحاربته عزم على فتح الشام عام ١٢١٤ هـ ١٧٩٩ م ، من طريق العريش ، فدخل غزة ووصل الرملة ويافا ، ثم حاصر عكا ولم يتمكن من فتحها لوصول المدد اليها تباعاً من طريق البحر واستيلاء الاميرال الانكليزي سدني سميث على مدافع الحصار التي أرسلها من مصر لاطلاقها على الاسوار ، ولتيقظ احمد باشا الجزار قائد حاميتها بافساد الالغام التي ينشئها الفرنسيون لنسفها وبعد مناوشات جرت بين الفرنسيس والعثمانيين عاد بونابرت الى القاهرة .

وفي ٢٢ آب سافر بونابرت من الاسكندرية قاصداً فرنسا ليسعى في نيل رياسة الجمهورية الفرنسية ، وبقي الجيش الفرنسي بمصر بدون مراكب تحميه من نزول

الانكليز والعثمانيين الى الثغور ، او تأتي اليه بالمدد او مجرى الاخبار من فرنسا ، ونقص عدده بعد من مات ببر الشام بالطاعون والحرب ، وبكلمة أخرى أصبح عدد الجيش الفرنسي غير كاف لحماية السواحل والمحافظة على الامن في الداخل ، وبعد مناوشات حصلت بين كليبر القائد الفرنسي ويوسف باشا الوزير العثماني ، واتحاد الانكليز والعثمانيين على إخراج الفرنسيس من القطر المصري ، تم إخراجهم بعد ان وقعت في جمادى الاولى ١٢١٦ هـ ـ ٢ ايلول عام ١٨٠١ م ، بين القائد الفرنسي منو وبين العثمانيين والانكليز وقعة عظيمة قتل فيها كثير من الطرفين ، وخرج القائد المذكور مع من بقي معه من الاسكندرية وسافر الى بلاده على مراكب الانكليز وبخروجه انتهت الحرب .

ثم دارت المخابرات بين فرنسا وانكلترا في امر الصلح وتم الاتفاق عام ١٢١٧ هـ ١٨٠٢ م ، على ان ترجع مصر الى الدولة العثمانية مع ماكان لها من الحقوق ، وان يقام في جزائر اليونان جمهورية مستقلة تحت حماية الباب العالي ، وتعهدت الدولة العثمانية برد ما صودر مع املاك الفرنسويين ببلادها ومنح فرنسا جميع الامتيازات السابقة المضمونة لها بمعاهدة عام ١١٥٣ هـ ـ ١٧٤٠ م ، وان يكون لمراكبها التجارية حق الملاحة في البحر الاسود أسوة بمراكب الروس ، وبعد ذلك أجلت انكلترا جيوشها عن مصر والاسكندرية عام ١٢١٨ هـ ـ ١٨٠٣ م .

وفي عهد هذا السلطان حصلت اضطرابات داخلية في بلاد الصرب والارناؤد ، وفتن الانكشارية بسبب شروع السلطان في تنظيم الجيوش على النظام الجديد .

ونشب القتال عام ١٢٢١ هـ ـ ١٨٠٦ م ، بين الدولة العثمانية والدولة الروسية وانضمت انكلترا الى الروسيا وطلبتا من الدولة التنازل عن ولايتي الافلاخ والبغدان الى الروسيا واعلان الحرب على فرنسا ، والا تكن انكلترا مضطرة لاجتياز مضيق الدردنيل واطلاق مدافعها على القسطنطينية ، فلم تقبل الدولة هذه المطاليب واجتاز الاميرال دوك وورث الدردنيل .

ولم لم يمانع الفرنسيون في القسطنطينيةفي تأييد طلب الانكليز لاذعن العثمانيون له ، ولما رأى الاميرال الانكليزي استحالة دخوله البوسفور ، قفل راجعاً الى البحر

الابيض وقصد الاسكندرية ١٢٢٢ هـ ـ ١٨٠٧ م ، فاحتلها ، ثم سير فرقة الى رشيد فانهزمت واخيراً رحلوا عن الديار المصرية رجب ١٢٢٢ هـ ـ ٤ ايلول ١٨٠٧ م .

ثم عصت الانكشارية كعادتها وقتلوا جميع المعضدين لمشروع النظام العسكري من الوزراء والاعيان ، ولما بلغ السلطان خبر هذه الثورة أصدر امرا بالغاء النظام العسكري الجديد وصرف العساكر النظامية ، لكن لم يكتف الثائرون بذلك ، بل قرروا عزل السلطان خوفاً من ان يعود لتنفيذ مشروعه وساعدهم على ذلك المفتي فأفتى بان كل سلطان يدخل نظامات الفرنج وعوائدهم ويجبر الرعية على اتباعها لايكون صالحا للملك ، واستمرت هذه الثورة يومين وانتهت بعزل السلطان سليم الثالث .

* * *

مصطفى الرابع :

جلس هذا السلطان على سرير الملك عام ١٢٢٢ هـ ـ ١٨٠٧ م ، بعد ان وقعت الفتن الداخلية مما انهك كيان الدولة ، واما الوقائع الخارجية فان بونابرت غير سياسته مع الدولة وعرض على الروسيا والنمسا تقسيم بلاد الدولة ، فجعل لفرنسا بلاد بوسنه والبانيا ومقدونيا وبلاد اليونان وايبروس ، وللنمسا بلاد الصرب ، وللروسيا البغدان والافلاق والبلغار على ان تطبق هذه المعاهدة السرية اذا لم تقبل الدولة العثمانية توسط فرنسا في الصلح بين الدولة العثمانية والروسية ، وفعلا تم الصلح بينهما .

وفي عام ١٢٢٣ هـ ـ ١٨٠٨ م ، ثار الثائرون وطلبوا اعادة السلطان سليم الثالث وعزل السلطان مصطفى الرابع ، فأمر مصطفى بقتل سليم والقاء جثته الى الثائرين كي يكفوا عن الثورة ، لكن الامر اتى على عكس ماكان يؤمل فقد زاد الثائرون هياجاً ونادوا على الفور بعزل السلطان مصطفى الرابع .

* * *

محمود الثاني :

تقلد هذا السلطان الخلافة عام ١٢٢٣ هـ ـ ١٨٠٨ م ، اهتم محمود الثاني باصلاح

الشؤون الداخلية والاستعداد لاهلاك طائفة الانكشارية ، وللتفرغ لذلك عقد الصلح مع الانكليز في ذي القعدة ١٢٢٣ هـ ـ ٦ كانون الثاني ١٨٠٩ م ، وافتتح المفاوضات مع الروسيا بدون ان يتوصل الى اتفاق مرضي للطرفين فاستؤنفت الحركات العدوانية ودارت رحى الحرب بين الجيشين ، وانتهت بعقد معاهدة بين الطرفين عرفت بمعاهدة بخارست أمضيت في ١٢٢٧ هـ ـ ٢٨ أيار عام ١٨١٢ م ، وأهم شروطها ابقاء ولايتي الافلاق والبغدان تابعتين للدولة ورجوع الصرب مع بعض امتيازات الى حوزتها ، وحفظت الروسيا لنفسها اقليم بسارابيا واحد مصاب الدانوب .

وثارت اليونان وطلبت استقلالها ، واشتعلت نيران الحرب بينهم وبين العثمانيين عام ١٢٣٧هـ ـ ١٨٢٢م ، ولما رأى السلطان محمود ما ألمّ بجيوشه من الخسائر وثبات اليونانيين أمامها واعتصامهم بالجبال أحال أمر محاربتهم على محمد علي باشا والي مصر ليشغله عما كان ينويه من طلب الاستقلال ، وقد أذعن محمد علي وأرسل الجيوش المصرية بقيادة ولده ابراهيم باشا الى بلاد اليونان كما مر سابقاً .

واخيراً اجتمع مندوبو انكلترا وفرنسا والروسيا وعقدوا مؤتمرا في لندن لتقرير أحوال اليونان ، وبعد المداولة اتفقوا على استقلال موره وجزائر سكلاده وتأليف حكومة مستقلة لها يحكمها أمير مسيحي تنتخبه الدول ويكون تحت حمايتها ، وعلى ان تدفع الحكومة اليونانية للباب العالي جزية سنوية قدرها ٥٠٠ الف قرش .

واما الدولة العثمانية فلم تقبل هذا القرار وعكفت على محاربة الروس الذين أعلنوا الحرب عليها ، واجتازت الجيوش الروسيا نهر بروث واحتلت ياش عاصمة البغدان ، ثم حاصرت بخارست عاصمة الافلاق ، ثم حاصرت وارنه وشومله ، واحتلت اسكي استانبول ، واحتل الروس من جهة عدة قلاع وحصون أهمها قلعة قارص الشهيرة ، ثم توقف القتال بسبب اشتداد البرد وتراكم الثلوج .

ثم استؤنف القتال في ربيع عام ١٢٤٤ هـ ـ ١٨٢٩ م ، واجتازت الجيوش الروسية نهر الطونة واخترقت جبال البلقان ، ووصلت الى مدينة ادرنة واحتلتها عنوة ، ولم يبق أمامها عائق يوقفها عن التقدم الى القسطنطينية الا عدم رغبة الدول في سقوطها في أيدي الروس ، لانها اتفقت على اضعافها الى حد لم يمكنها التقدم مع بقائها

عقبة في سبيل الروس وحاجزاً بينهم وبين البحر المتوسط ، فدارت المخابرات بين هذه الدول والروس وتم الصلح وأمضيت به معاهدة أدرنة في ربيع الثاني ١٢٤٥ هـ ١٤ ايلول سنة ١٨٢٩ م ، أهم ما حوت ارجاع البلاد الآتية الى الدولة العثمانية : إمارة البغدان وإمارة الافلاق ومقاطعة قرەجه ادوه والبلغار واقليم دوبرجه من الدانوب لغاية البحر مع مدائن سيلستربه وحرصو وماجين وايزاكنجه وتولتنا وبابا طاغ وبازارجق ووارنه وبراقودي وجميع المدن والضياع والقرى التابعة لها وجميع بلاد البلقان من امينه بورنو الى قزار والاقليم الممتد من بلاد البان الى البحر الاسود مع مدائن سليمنا وتشامبولي وايداو وكرنيات وميسيمبزيا واوكهيولى ويورچاس وسيزيپولي وفرق قلدس وادرنه ولوله بورجاس وجميع الامكنة التي احتلتها جنود الروس من بلاد الروملي .

وفي أواسط سنة ١٢٤٦ هـ ــ ١٨٣٠ م ، نفذت فرنسا ما كانت تنويه من مدة في ولاية الجزائر بدعوى منع تعدي قرصان البحر المسلمين على مراكبها التجارية ، والحقيقة ليكون لها مركز حربي بشمالي افريقيةحتى لا تكونانكلترة صاحبة السيادة على البحر الابيض المتوسط باحتلالها معاقل جبل طارق وجزيرة مالطة .

وقرر مجلس الوزراء المنعقد برياسة الملك نفسه في رمضان ١٢٤٥ هـ ــ ٧ شباط سنة ١٨٣٠ م ، وجوب الاستيلاء على الجزائر ، وفعلا أرسل اليها جيشاً وعمارة بحرية ، وفي ١٣ حزيران نزلت عساكر فرنسا بالقرب من مدينة الجزائر ونشب القتال بين الفريقين في ١٩ منه ، ففاز الفرنسيس ودخلت مدينة الجزائر ، ثم شرعوا يرسلون الجيوش تباعاً الى الجزائر لفتحها ، وما برح اهلها يقاومونها تحت إمرة البطل الكبير السيد عبد القادر الحسني الذي دافع عن بلاده مدة سبع عشرة سنة حتى احتلتها جميعاً وأصبحت في عداد أملاكها [1] .

---

(١) وثارت الجزائر بعد احتلالها من قبل الفرنسيين ثورات اعظمها : الثورة الجزائرية التي شبت نيرانها في صفر ١٣٧٤ هـ ــ تشرين الاول ١٩٥٤ م ، فوقعت حوادث مختلفة في عدة انحاء من البلاد ، ولا سيما بجبال اوراس ، وشرقي منطقة قسطنطينة .

وما كان يقبل شهر ايار حتى امتدت موجة الاغتيالات الى منطقة قسطنطينة والارهاب والتخريب ينتشران في مدينة الجزائر ونواحيها ، والدوريات تصطدم في

ولما تحقق السلطان محمود أفضلية النظامات العسكرية المتخذة في الجيوش الاوربية وسمع ما أتته الجنود المصرية المنظمة من الاعمال الباهرة في محاربة موره ، زاد تعلقه باصلاح الجندية العثمانية والغاء الطائفة الانكشارية ، فجمع أعيان المملكة وكبار ضباط الانكشارية في بيت المفتي في عام ١٢٤١ هـ ـ ١٨٢٦ م ، وأقنعهم

جهات مختلفة ، فقررت الحكومة الفرنسية اثر ذلك زيادة قوات الجيش والشرطة ، الى حد كبير ، واشراك بعض قطع الاسطول الحربي في العمليات الدائرة بالقرب من الشواطيء وارسال عدد اضافي من طائرات القتال و (الهليكوبتر) فورا الى الجزائر .

واعلان حالة الطواريء في منطقة قسطنطينة كلها ، وفي بعض مراكز المقاطعات المحيطة بمدينة الجزائر ومدينة وهران وبعض المناطق الجنوبية .

وفي صفر ١٣٧٥ هـ ـ ٣٠ ايلول ١٩٥٥ م ، اقرت الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة ادراج القضية الجزائرية في جدول اعمالها واوصت بحلها .

واعلنت جبهة التحرير الوطني بيانا قالت فيه :

ان جيش التحرير الوطني لايستطيع ان يسلم سلاحه الا لحكومة جزائرية ، وتمهيدا لقيام هذه الحكومة ، يجوز له فقط ان يقبل وقف اطلاق النار شروط محدودة وهي :

١ ـ وقف كل العمليات العسكرية وحملات الردع والقمع .

٢ ـ الافراج عن المعتقلين السياسيين جميعا وتقدر جبهة التحرير عددهم بين ١٥ ـ ٢٠ الف شخص .

٣ ـ عدول الحكومة الفرنسية صراحة عن زعمها القائل : ان الجزائر جزء من فرنسا .

٤ ـ اعتراف صريح من الحكومة الفرنسية بمبدأ حق الشعب الجزائري في الحرية والاستقلال .

٥ ـ تنظيم انتخابات حرة بعد اشهر قلائل من العودة الى السكينة والهدوء لتكوين جمعية تأسيسية ، تمهد لقيام حكومة جزائرية .

٦ ـ تجري مفاوضات بين هذه الحكومة الجزائرية والحكومة الفرنسية للاتفاق على النظم السياسية الخاصة بمستقبل الجزائر .

وازدادت جبهة التحرير تصلبا في موقفها فيما بعد ، على اثر التصريحات التي ادلى بها رئيس وزراء فرنسا الاشتراكي جي موليه في أثناء زيارته للجزائر ، حين أعلن ان الجزائر فرنسية وستظل فرنسية ، واستبدلت جبهة التحرير (استقلال الجزائر فعلا) بمبدأ حقها في الاستقلال ، كما اشترطت تكوين حكومة جزائرية قبل الشروع في تنظيم اية انتخابات .

وتألف في المحرم ١٣٧٦ هـ ـ ٢٠ آب ١٩٥٦ م ، مجلس وطني يتولى الاشراف على الثورة الجزائرية وعرضت القضية الجزائرية ثانية في ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٧ م ، على الجمعية العمومية لهيئة الامم المتحدة واوصت الاطراف المعنية بحلها ولا تزال الثورة الجزائرية تشتد يوما عن يوم قوة ونضالا ، والفرنسيون يضاعفون قواهم سواء بالرجال والعتاد .

بضرورة اصلاح الجندية ، ولما ابتديء في تعليم الضباط بمعرفة من تعين من ضباط الفرنج بصفة معلمين تنبه الانكشارية الى عواقب الامر وعلموا انه لو تم هذا النظام كان سبباً في ضياع امتيازاتهم كافة ، فشرعوا يستعدون للثورة والعصيان ليوقفوا تنفيذه ، ولما علم السلطان محمود بثورتهم سلط عليهم جنود المدفعية وهؤلاء سلطوا مدافعهم على الانكشارية فدمرتهم ، واعلن السلطان ابطال طائفتهم .

* * *

عبد الحميد الاول :

تولى هذا السلطان الملك عام ١٢٥٥ هـ ـ ١٨٣٩ م ، وسار على خطة والـده السلطان محمود الثاني في الاصلاحات الداخلية .

وفي عام ١٢٦٤ هـ ـ ١٨٤٨ م ، طمحت أنظار اهالي الافلاق والبغدان للاستقلال والانضمام الى سكان ترنسلفانيا وبكوفين لتكوين مملكة رومانية جديدة فثارتا على اميريهما واضطرتهما الى الفرار ، فأرسلت الدولة العثمانية جيوشها الى بلاد البغدان، وكذلك احتلت الروس الافلاق ، وكاد من أجل ذلك تقع بين الروس والعثمانيين حرب لولا المخابرات التي دارت بينهما وانتهت بابقاء حق تعيين أمرائهما للدولة ، وان يحتل البلاد جيش مؤلف من جنود تركية وروسية .

ولما رفضت الدولة العثمانية تجديد شروط معـاهدة (خونكار اسكلهسى) القاضية بان يكون للروس حماية جميع المسيحيين المقيمين ببلاد الدولة اجتازت عساكر الروس نهر البروث الفاصل بين أملاك الدولتين في شوال ١٢٦٩ هـ ـ تموز عام ١٨٥٣ م ، واحتلت ولايتي البغدان والافلاق .

واما الدولة العثمانية فأوعزت الى عمر باشا ان يجتاز نهر الطونة ، وبعد وقعة هائلة وقعت بين الجيشين الروسي والعثماني انتصر الجيش العثماني انتصارا عظيما ، ثم وقفت الحرب بينهما بسبب الشتاء .

وفي هذه الاثناء تقدمت السفن الفرنسية والانكليزية الى مضيق البوسفور برضاء الباب العـالي لتكون هذه السفن أقرب الى البحر الاسود والى حمـاية القسطنطينية اذا حاول الروس الهجوم عليها بحراً .

ثم أرسل نابليون الثالث امبراطور فرنسا يعرض على نقولا امبراطور الروسيا عقد مؤتمر للنظر في الصلح بشرط خروج العساكر الروسية من الافلاق والبغدان ، وتعهد له بسحب مراكبه ومراكب انكلترا من البحر الاسود ، فأجاب امبراطور الروس بالسلب ، وأعلنت فرنسا وانكلترا الحرب على الروسيا عام ١٢٧٠ هـ ــ ١٨٥٤ م ، وبعد وقعات احتلت الجيوش الروسية ولايتي البغدان والافلاق ، واحتلتهما الجيوش النمسوية ، ومنعت هذه الجيوش عمر باشا من اتباع عساكر الروس حتى اجتازت نهر البروث واملاك الروسيا بسلام .

ثم تقرر بين الدول المتحاربة ان ينعقد مؤتمر في باريز لتقرير السلم نهائيا ، وفي رجب ١٢٧٢ هـ ــ ٣٠ آذار عام ١٨٥٦ م ، أمضيت معاهدة باريز التي أوصلت نابليون الثالث الى اوج فخاره وأعادت لفرنسا سابق مجدها ، اذ انها لم تشترك في مثل هذه الحرب من عهد نابليون الاول ، وحفظت هذه المعاهدة ايضا أملاك الدولة العثمانية من غوائل الروس .

وفي سنة ١٢٧٤ هـ ــ ١٨٥٨ م ، قام بعض المسلمين في جدة وقتلوا بعض المسيحيين وأصابوا قنصل دولة فرنسا وكاتبه إصابة شديدة وقتلوا زوجته [1] ، وطلبت فرنسا وانكلترا معاقبة الجانين فأجابت الدولة العثمانية طلبيهما وشرعت في محاكمة الجانين ، وفي غضون محاكمتهم وصلت الى مياه جدة سفينة حربية انكليزية وطلب ربانها تنفيذ الحكم فورا من نامق باشا والي مكة وأمهله اربعاً وعشرين ساعة ، واذا لم يعدم الجناة فانه يطلق مدافعه على المدينة ، ولما أجابه نامق باشا بعدم امكان إجابة طلبه سلط مدافعه على هذه المدينة واستمر اطلاقها نحو عشرين ساعة ولولا وصول السفينة المقلة اسماعيل باشا المندوب العثماني لدمرت المدينة عن آخرها ، فلما وصل هذا المندوب أوقف الضرب ونزل ومعه العساكر العثمانية والانكليزية وامر بشنق المحكوم عليهم بالاعدام فشنقوا ، وانتهت هذه المسألة ورجعت العساكر الانكليزية الى سفينتهم بدون ان يجدوا سبباً للبقاء .

وفي ١٢٧٦ هـ ــ سنة ١٨٥٩ م ، تقاتل المارونيون والدروز في الشام ، ثم امتدت

(١) راجع تاريخ الدولة العلية العثمانية ــ لمحمد فريد .

الفتنة الى جميع انحاء الشام وكثر القتل والنهب وحصلت عدة مذابح في طرابلس وصيدا واللاذقية وزحلة ودير القمر ومنها الى دمشق ، فأرسلت جميع الدول الى الباب العالي تهدده بالتدخل ان لم يضع حدا لهذه الفتن ، فسافر فؤاد باشا على جناح السرعة ووصل بيروت في ذي الحجة ١٢٧٦ هـ ــ ١٧ تموز ١٨٦٠ م ، ومنها قصد دمشق في خمسة آلاف جندي وشكل مجلسا حربيا واعدم عددا من الشخصيات وبذل همته في اعادة الامن الى البلاد .

وفي غضون هذه المدة اتفقت الدول على ان ترسل فرنسا الى الشام ستة آلاف مقاتل لمساعدة الجيش العثماني على إعادة الامن . وفي صفر ١٢٧٧ هـ ــ ١٠ آب ١٨٦٠ م ، نزلت الجنود الفرنسية الى بيروت فوجدت السكينة ضاربة أطنابها في ربوع الشام ولم تجد سبيلا لعمل أي حركة عسكرية ، واستمر الاحتلال الفرنسي الى ذي الحجة ١٢٧٧ هـ ــ حزيران ١٨٦١ م .

وفي اثناء ذلك انعقدت ببيروت لجنة اوربية مؤلفة من مندوبين من قبل الدول الموقعة على معاهدة باريز ، وبعد مداولات طويلة اتفقوا مع فؤاد باشا على ان يعطوا للمسيحيين الذين حرقت دورهم مبلغ ٧٥ مليون قرش تعويضا ، وان يمنح اهالي جبل لبنان حكومة مستقلة تحت سيادة الدولة العثمانية وان يكون حاكمها مسيحي المذهب ، وان تكون للباب العالي حامية من ٣٠٠ جندي تقيم في حصن على الطريق الموصل من دمشق الى بيروت .

* * *

عبد العزيز :

جلس السلطان عبد العزيز على أريكة الملك سنة ١٢٧٧ هـ ــ ١٨٦١ م ، وزار هذا السلطان مصر وباريز وأجرى في مملكته بعض الاصلاحات الداخلية .

وفي سنة ١٢٧٩ هـ ــ ١٨٦٢ م ، عصت أهالي الجبل الاسود فأرسل لهم عمر باشا السردار ، فحاربهم وكسر شوكتهم واستأمن اهله فانسحبت الجيوش العثمانية .

وحوالي ١٢٩٢ هـ ــ ١٨٧٥ م ، طلب اهالي بوسنة المسيحيين امتيازات بدسائس

اجنبية وعصوا ، فأرسلت الدولة العثمانية اليهم فرقة من العساكر ولكن مساعدةاليد الاجنبية للصرب والجبل الاسود زاد في عصيانهم وقوى عزيمتهم .

وفي جمادى الاولى ١٢٩٣ هـ ـ ١٨٧٦ م ، خلع السلطان عبد العزيز بموجب فتوى ، وأعقب ذلك ورود الاخبار بان عصيان بوسنه وهرسك امتد الى الصرب والجبل الاسود والبلغار والافلاق وبغدان ، فشهروا كلهم السلاح في وجه عساكر الدولة العثمانية جهاراً .

* * *

مراد الخامس :

تولى السلطان مراد الخامس منصب الخلافة في ٧ جمادى الاولى سنة ١٢٩٣ هـ ١٨٧٦ م ، وكان متعلما مهذبا ميالا للاصلاح ، وفي ١٠ شعبان سنة ١٢٩٣ هـ ـ ٣٠ آب سنة ١٨٧٦ م ، اجتمع أرباب الحل والعقد في الدولة وقرروا خلع السلطان مراد الخامس ووجوب المبايعة لعبدالحميد الثاني ناسبينإليه الجنون ، وهاك نص الفتوى:

(اذا جنّ امام المسلمين جنونا مطبقا ففات المقصود من الامامة فهل يصح حل الامامة من عهدته ؟ (الجواب) يصح والله أعلم [1] .)

كتبه الفقير

حسن خير الله عفي عنه

* * *

عبد الحميد الثاني :

جلس السلطان عبد الحميد الثاني والدولة العثمانية محفوفة بالارتباكات الشديدة والاضطرابات العديدة والثورات الكثيرة المنتشرة بولاياتها بالروم ايلي فأصدر السلطان الجنود الى حدود الصرب والجبل الاسود وبوسنه وهرسك ، فانتصرت الجيوش العثمانية في غالب الوقائع ، وخاف ميلان امير الصرب عاقبة هذا

(١) تاريخ الدولة العلية العثمانية ـ لمحمد فريد .

النصر فطلب من الدول الاوربية التوسط في الصلح فتداخلت الدول لما أيقنت بعجز الثائرين فتوسطت في طلب المهادنة وتمت بعد أخذ ورد .

وأعلنت الروسيا الحرب على الدولة سنة ١٢٩٤ هـ ـ ١٨٧٧ م ، فتقدمت بجيوشها وتجاوزت الحدود العثمانية بعد ان تعاهدت مع رومانيا سراً على ان تجعل رومانيا جميع مخازنها ومؤنها وذخائرها الحربية وجيشها تحت تصرف الروس ، وأصدرت الدولة العثمانية الاوامر الى جميع قواد جيوشها بمقابلة العدو ، وكتبت الى دول اوربا نشرة تعترض فيها على ما فعلته رومانيا مع الروس وانها لاحق لها في عقد معاهدة مع دولة معادية للدولة لانها لا تزال بلادا خاضعة للسيادة العثمانية كما قررت الدول ، واما الدول فلم تلتفت الى هذا الاحتجاج الشرعي ، وأعلنت رومانيا استقلالها في جمادى الاولى ١٢٩٤ هـ ـ ١٤ أيار ١٨٧٧ م .

وفي جمادى الثانية ١٢٩٥ هـ ـ ٤ حزيران ١٨٧٨ م ، تم الاتفاق بين الانكليز والدولة العثمانية على ان تسمح الدولة لانكلترا باحتلال جزيرة قبرس وادارة شؤونها لتكون على مقربة من حدود الروس ، ويتسنى لها صد هجماتها اذا مست الحاجة وتعدت الجيوش الروسية الحدود التي ستحدد لها في مؤتمر برلين المزمع انعقاده قريباً ، وفعلا فقد أقر الباب العالي تسليم انكلترا جزيرة قبرس .

وبعد وقعات يطول شرحها جرت بين الجيشين الروسي والعثماني ، ابرق بسمارك في جمادى الثانية ١٢٩٥ هـ ـ ١٣ حزيران سنة ١٨٧٨ م ، الى الدول العظمى يدعوها الى عقد مؤتمر في برلين ، فاجتمع المؤتمر وبعد مناقشات ومداولات بين مندوبي الدول وقعوا على المعاهدة المعروفة بمعاهدة برلين ، وأهم مشتملات هذه المعاهدة تقسيم إمارة البلغار الى قسمين : يكون القسم الشمالي منها بلاد البلغار الممتازة والقسم الجنوبي بلاد الروم ايلي ، وان تستقل رومانيا استقلالا سياسياً ويضاف الى بلادها مقاطعة دوبروجه في مقابلة استيلاء الروس على بلاد بساربيا ، وان يضم الى بلاد الصرب التي أصبحت مستقلة تماماً اقليم نيش ، وان تضم الروس الى أملاكها بآسيا مدن قارص وأردهان وباطوم ، وان تترك للدولة العثمانية بايزيد ووادي الشغراد .

وقرر أيضا ان تستولي حكومة فارس على اقليم قطور ، والنمسا على فرضة اسبيزا ، وان تحتل جيوشها بوسنه وهرسك الى زمن غير محدد ، والخلاصة ان مؤتمر برلين نزع من يد الباب العالي جميع الامارات التي كان له عليها حق السيادة وأخذت منه ما يقرب من نصف أملاكه باوربا .

ثم اخذت الدولة في عهد عبد الحميد الثاني تخمد نيران الفتن في حوران وارمينية والكرك فبعثت الجنود اليها ليطفئوا تلك الفتن التي كانت من العوامل الفعالة في انهاك قوى الدولة .

وأخيراً أهاج الاتحاديون النفوس في الروم ايلي وأرادوا ان يقلبوا الاوضاع في القسطنطينية فقامت بعض ولاياتها على ساق وقدم تطلب التطوع في الجندية للدفاع عن الدستور الذي منحه عبد الحميد سنة ١٣٢٦ هـ ـ ١٩٠٨ م ، للبلاد ، ثم ندم السلطان على ما وهب وأحب ان يقوم بعمل ارتجاعي يعيد به الناس الى الضغط الاول ، فهب جند الفيلقين الثاني والثالث في ادرنة وسلانيك ، وزحفا على الاستانة بقيادة محمود شوكت باشا البغدادي فاستوليا على المواقع الحربية في العاصمة في اسبوع ، ثم خلعوا عبد الحميد بفتوى من شيخ الاسلام سنة ١٣٢٧ هـ ـ ١٩٠٩ م ، وبايعوا باتفاق مجلسي النواب والاعيان لولي عهده رشاد افندي باسم السلطان محمد الخامس .

* * *

محمد الخامس :

تولى السلطان محمد رشاد الملك بعد السلطان عبد الحميد الثاني وهو ضعيف المدارك لان اخاه ضيق عليه مدة حكمه الطويل حتى تبلد عقله ، وزد على ذلك تسلط الاتحاديين .

وثارت اليمن في زمن محمد الخامس سنة ١٣٢٩ هـ ـ ١٩١١ م ، فأرسلت الدولة جيشا عظيما على صنعاء والعسير قتل في حربها كثير ، ثم عقد الصلح بين امام اليمن يحيى بن محمد حميد الدين وبين قائد الحملة اليمانية عزت باشا ، وبهذا العقد لم يبق للدولة هناك غير سلطان قليل في صنعاء وتعز وما اليهما من البلاد والجبال ، وانتقلت جل الاحكام الى الامام .

وظهرت أيضا فتن اخرى في كردستان وبلاد الالبان واذنة ، فلم ترتح البلاد سوى أشهر معدودة بعد اعلان القانون الاساسي .

ثم وقعت حرب طرابلس بين الدولة العثمانية والايطالية ، وجاءت ايطاليا باسطولها الى سواحل طرابلس وبرقة بدون مسوغ وضرب اسطولها سفينتين عثمانيتين كانتا راسيتين في ميناء بيروت فهلك من اهل المدينة والجند زهاء مائتي نسمة .

وأعلنت دول البلقان المتحدة (بلغاريا والصرب والجبل الاسود واليونان) الحرب على الدولة العثمانية فغلبتها ، ولم يبق للدولة في قارة اوربا غير ولاية أدرنة وما اليها من ضواحي الاستانة ، وانسلخت عنها في هذه الحروب ولايات قوصوة واشقودرة ويانيا ومناستر وسلانيك .

وخرجت الدولة من حرب طرابلس والبلقان واليمن وكردستان وغيرها من البلدان مجردة من قوتها من المال والرجال ، ولم تفكر في جمع اشتاتها حتى قتل ولي عهد النمسا في مدينة سراجيفو من بلاد الصرب ، وأعلنت الحرب العالمية ، فكان نصيب الدولة العثمانية ان تسير مع المانيا والنمسا والمجر محالفة لهن على بريطانيا العظمى وروسيا وفرنسا وغيرهن من الدول ، وكان ذلك بتزيين الاتحاديين ، وفي مقدمتهم طلعت باشا وانور باشا وجمال باشا .

وفي ٩ شعبان ١٣٣٤ هـ ـ حزيران ١٩١٦ م ، أعلن الشريف حسين بن علي امير مكة استقلاله بملك الحجاز ، وثار العرب على الترك في مكة وقتلوا الحامية التركية وأسروا اكثرها ، وكذلك ثار ابنه علي في عرب المدينة الموالين لابيه على الحامية التركية غداة ثورة مكة فلم يستطيعوا اخذها لان فخري باشا قائد حاميتها التركي كان حصنها تحصيناً عظيماً .

* * *

محمد السادس :

وفي سنة ١٣٣٦ هـ ـ ١٩١٨ م ، قبيل انتهاء الحرب العالمية توفي السلطان محمد الخامس وولي مكانه وحيد الدين باسم السلطان محمد السادس .

ولما صدر الامر بالهجوم العام لضرب الجيش التركي الالماني الضربة القاضية فاوض البريطانيون الامير فيصلا ان يجهز حملة تسير من ابي الاسل الى جسر تل شهاب في حوران لتقطع خط الرجعة على الجيوش التركية ، وذلك بعد ان تقدم الانكليز الى فلسطين واحتلوا اكثر بلدانها ، ثم قطع الجيش العربي الخط الحديدي على عشر كيلو مترات من شمالي درعا بمعاونة الطيارات الانكليزية ، وكذلك خط درعا ــ حيفا وخط عمان ــ درعا .

ثم احتلت جيوش الحلفاء بمساعدة العرب سائر مدن الشام كما احتلت العراق . وبكلمة اخرى وقعت الدولة العثمانية في قبضة الحلفاء فدخلوا عاصمتها ، وأصبحت تحت رحمة أساطيلهم .

واكره رجال السلطان على تعيين وزارة ترضيهم ففعل السلطان ذلك وعين الداماد فريد باشا رئيسا للحكومة في ١٣٣٧ هـ ٤ آذار ١٩١٩ م ، وفي ١٥ ايار احتل اليونان ازمير بالاتفاق مع الحلفاء ، ولم يلق احتجاج الداماد فريد على ذلك اذناً واعية في مؤتمر الصلح المنعقد بباريس في حزيران وأوفدت الدولة وفدا اختير اعضاؤه اختيارا الى مؤتمر سان ريمو في فرنسا حيث وقعوا بالرضى والتسليم المعاهدة التي أعدها الحلفاء ، وأهمها ان تبقى الاستانة لتركيا لان احتلالها يسبب مشاكل دولية ، واما في آسيا فقد سلبوا منها جميع المقاطعات الغنية الى ما هنالك من البنود التي تقضي عليها القضاء الاخير .

وعبثاً حاولت الجمعيات الوطنية في القسطنطينية ان تعمل على انقاذ البلاد .

ثم تألفت عصابات تركية بالاناضول ، ثارت ضد اليونان ، ثم لحقت بهذه العصابات قوات نظامية رأسها ضباط من هيئة اركان الحرب ، وبذلك تمكن الثوار من ان يشغلوا اعداءهم في حرب عصابات صعبة المراس .

وفي ٣ أيار انطلق اللواء كاظم قره بكير الى شرقي الاناضول ، حيث وفق الى ارجاء تسليم السلاح الى لجنة المراقبة البريطانية ، ثم ان الوطنيين في ارضروم يقودهم النائب السابق ، رؤوف قرروا الدعوة الى مؤتمر ينعقد في ايار للدفاع عن البلاد .

الجمهورية التركية :

وعلى أثر ذلك طلبت الدول الحليفة الى الحكومة التركية ، اقرار النظام في الاناضول ، ولو اقتضى ذلك اللجوء الى السلاح ، ولم تجد الحكومة من تؤهله كفاياته للنهوض بهذه المهمة ، غير مصطفى كمال ، فأرسلته الى الاناضول في ١٥ ايار وتولى قيادة الحركة الوطنية ، واصدر المؤتمر الاول قرارا بالمحافظة على سلامة الاناضول التركي ، وبدعوة القوات الوطنية للدفاع عنه .

ثم بسط مصطفى كمال نفوذه في ارجاء الاناضول ، ثم دعا الى عقد الجمعية الوطنية الكبرى في انقره في ١٣٣٨ هـ ـ ٢٣ نيسان ١٩٢٠ م ، وانتخبت هذه الجمعية مصطفى كمال رئيساً لها وللجنتها التنفيذية ومجلسها الوزاري .

وفي ١٣٣٩ هـ ـ ٢٤ آب ١٩٢١ م ، هاجم اليونان قوات مصطفى كمال ، وبعد قتال شديد اضطر اليونانيون الى التراجع ، وقد احتفلت الجمعية العمومية بهذا النصر ، وخلعت على مصطفى كمال لقب الغازي .

ثم استؤنفت الاعمال الحربية فاستولى الاتراك في ١٣٤٠ هـ ـ ٢٦ آب ١٩٢٢ م، على افيون‌قره حصار التي حسب اليونان انهم حصنوها حتى ليستحيل سقوطها في يد العدو ، ثم ولى اليونان الادبار مضرمين النار في جميع المواطن المأهولة التي اجتازوها ، وفي ٩ ايلول استطاع الاتراك ان يحتلوا مدينة ازمير .

وفي ٢٤ تموز ١٩٢٣ م ، عقدت معاهدة صلح بلوزان ، بسطت تركيا بموجبها سلطانها من جديد على آسيا الصغرى كلها ، وعلى القسطنطينية وتراقية الشرقية ، وتعين على سكان آسيا الصغرى اليونانيين ان ينقلبوا الى وطنهم الاول ، ورجع الاتراك الذين كانوا لايزالون في دول البلقان الى الاناضول .

وفي ١٣٤٢ هـ ـ ٢٩ تشرين الاول ١٩٢٣ م ، قرر المجلس الوطني الكبير اعلان الجمهورية وانتخاب مصطفى كمال رئيساً لها ، ثم دعي لاداء اليمين ، وبعد ادائه‌القى الكلمة التالية :

ان هذا المقام مقام رئاسة الجمهورية تتمثل فيه فضيلة الشعب واستقامته وصوابه واني لمدرك كل ذلك بقلبي ووجداني ، ملم تمام الالمام بما تتطلبه هذه الرئاسة من

الواجبات الصعبة العظيمة وبيد اني سأبذل الجهد لان اقابل هذه الثقة التي تدل على ان الشعب المجيد يقدر مساعينا المتواضعة الخالصة بكل سخاء وكل كرم ، بان اسعى لخدمته خدما كثيرة .

ان الجمهورية القائمة على الاستقلال والقومية والانتصار قد برهنت باصلاحاتها وتطوراتها على مقدار قوتها ، كما برهنت على انها الادارة الحقيقية التي ينشدها الشعب التركي .

ستمتاز سياسة الجمهورية في الداخل والخارج، خلال الاعوام القادمة ، بكرامتها وقوتها واستقامتها وتقويتها وتكثيفها جميع قوات الشعب التركي في سبيل رفاهيته ورقيه ، وستكون غاية الحركة الجديدة ، العناية بحياة الجمهورية وقوتها والدفاع عن منافع الشعب ازاء كل خطر داخلي أو خارجي مع تقوية روابط الصداقة وتأييد سياسة السلام ، وخدمة الشعب في الداخل لتوطيد رقيه وسط السلام والامان .

وفي ١٣٤٢ هـ ــ ٣ آذار ١٩٢٤ اتخذت الجمعية الوطنية قرارا بالغاء الخلافة واخراج الخليفة عبد المجيد الثاني آخر خلفاء بني عثمان من البلاد وبدء السير بالدولة التي انشئت في طريق الحضارة الاوربية ، ومن ثم اعلنت صيغة جديدة للدستور التركي في ٣٠ نيسان .

وفي ١٣٤٤ هـ ــ ١٣ شباط ١٩٢٥ م ، رفع سعيد شيخ الطريقة النقشبندية التي كانت تتمتع بسلطة عظيمة عند الاكراد ، راية العصيان على الاتراك ، وما هي الا فترة يسيرة حتى عمت الثورة الولايات الشرقية الثلاث ، حيث يؤلف الاكراد اغلبية السكان ، ولقد طالب الثائرون بتنصيب سليم بن عبد الحميد خليفة وسلطاناً ، وشن الاكراد بادىء الامر هجوماً على ديار بكر ، فسقطت المدينة في ايديهم في ٧ آذار ثم تلاشت الثورة ، واعدم زعيمها بانقرة .

وفي ١٣٤٨ هـ ــ ١٩٢٩ م ، نشبت ثورة كردية اخرى في اقليم آراراط وبحيرة ، فسيرت الحكومة التركية قوات ضخمة فأخمدتها ، ثم لجأت الحكومة الى ابعاد السكان عن مواطنهم الاصلية لكي تحول دون نشوب ثورة جديدة .

وفي ١٣٥٧ هـ ــ ١٠ تشرين الثاني ١٩٣٨ م ، توفي اتاتورك في استانبول وخلفه في رئاسة الجمهورية عصمت اينونو ، ثم انتخب رئيس الجمهورية الحالي جلال بايار .

الفصل التاسع

الدول الاسلامية والعربية

التي أسست بعد الحرب العالمية الاولى

الجمهورية السورية :

من الاقطار التي انفصلت عن الدولة العثمانية بعد الحرب العالمية الاولى سورية، وذلك ان فيصل بن الحسين بلغ ضاحية دمشق في ١٣٣٦ هـ ٢ تشرين الاول ١٩١٨م، فخرج اعيان سورية وعلماؤها لاستقباله ، فركب جوادا وسار في موكب حافل يحيط به ١٥٠٠ فارس من رجاله وحاشيته ، فاخترق دمشق من الجنوب حتى الشمال ، ونثرت الزهور والرياحين على موكبه ، ثم انصرف على الفور الى انشاء الحكومة الجديدة ، فأذاع في ٢٧ ذي الحجة ١٣٣٦ هـ ٥ تشرين الاول ١٩١٨ م ، البلاغ الرسمي الآتي :

١ ــ تشكلت في سورية حكومة دستورية عربية مستقلة استقلالا مطلقاً لا شائبة فيه باسم مولانا السلطان حسين شاملة جميع البلاد السورية .

٢ ــ قد عهدت الى السيد رضا باشا الركابي بالقيادة العامة للحكومة المذكورة نظراً لثقتي باقتداره ولياقته .

٣ ــ تتألف ادارة عرفية لرؤية المواد التي يحيلها القائد اليها ... وليعلم جميع الناس ان حكومتنا العربية ، قد تأسست على قاعدة العدالة والمساواة ، فهي تنظر الى جميع الناطقين بالضاد ، على اختلاف مذاهبهم واديانهم ، نظرا واحدا ، لاتفرق في الحقوق بين المسلم والمسيحي والموسوي ، فهي تسعى بكل ما لديها من الوسائل لتحكيم دعائم هذه الدولة ، التي قامت باسم العرب ، وتستهدف اعلاء شأنهم ، وتأسيس مركز سياسي لهم بين الامم الراقية .

ثم تابع الجيش العربي زحفه لتحرير الاجزاء الباقية من سورية الشمالية ، فدخل حمص ، ثم حماة ، ثم حلب .

ثم قسمت القيادة العليا للحملة المصرية بلاد الشام الى ثلاث مناطق ، واطلقت عليها اسم بلاد العدو المحتلة ، وهي :

١ ــ المنطقة الجنوبية ، وتشمل فلسطين من الحدود المصرية جنوبا حتى الناقورة غربا ، فنهر الاردن شرقا ، وتضم لواء القدس القديم ، ولوائي نابلس وعكا من ولاية بيروت القديمة ، وتولت السلطات الانكليزية ادارتها مباشرة ، وعين بولز حاكما عليها .

٢ ــ المنطقة الشرقية ، وتشمل ولاية سورية القديمة ، من معان جنوبا حتى حدود تركيا شمالا ، مع أقضية ادلب وجسر الشغور والباب غربا والفرات شرقا ، وجعلت هذه المنطقة عربية ، وتولى ادارتها فيصل بن الحسين .

٣ ــ المنطقة الغربية ، وتضم لواء جبل لبنان ولواء بيروت ولوائي طرابلس الشام واللاذقية من ولاية بيروت القديمة وقضائي انطاكية واسكندرونة من ولاية حلب ، ووضعت هذه المنطقة تحت النفوذ الفرنسي مباشرة وعين بيابا حاكما لها .

ثم سافر فيصل الى فرنسا ، ومثل الحكومة العربية في حفلة افتتاح مؤتمر الصلح في ١٣٣٨ هـ ــ ١٨ كانون الثاني ١٩١٩ م ، بالرغم من المعارضة التي لقيها .

وفي ٣٠ كانون الثاني صدر قرار في المؤتمر يقضي بفصل ارمينية وبلاد العرب عن تركيا ، واستفتاء سكانها في تقرير مصيرها ، وفي اختيار وصي لها ، ثم قرر المؤتمر ارسال لجنة دولية للتحقيق ، ثم رجع فيصل الى سورية فوصل بيروت ، فاستقبلته وفود البلاد السورية ، ورد على خطب الخطباء فقال : الاستقلال يؤخذ ولا يعطى ، لقد اعطانا العالم الاستقلال ، فعلينا ان نأخذه وان نطلبه تاماً خالياً من كل شائبة ، وكل من يطلب انكلترا او اميركا او فرنسا او ايطاليا فهو ليس منا ، نحن لاننكر اننا محتاجون الى المعاونة ، وسنتفق عليها مع من نريد بحسب ما يوافقنا وهذا لايكون الا بعد ان نأخذ الاستقلال التام المطلق .

ثم نشطت الاحزاب السياسية وساهمت في الحركة الوطنية وهي :

١ ــ حزب العربية الفتاة

٢ ــ حزب الاستقلال العربي

٣ ــ حزب العهد السوري

٤ ــ حزب الاتحاد السوري

٥ ــ الحزب الوطني السوري

٦ ــ الجمعية العربية الفلسطينية

٧ ــ الحزب السوري المعتدل بمصر

ونشأت على أثر قيام الحكومة العربية أندية وطنية تضم الشباب ، وتعمل على اذكاء الروح الوطنية في صدره ، وتنظم حركته .

وطافت لجنة الاستفتاء بلاد الشام في ٤٢ يوما ، فقضت في المنطقة الجنوبية التي يتولى ادارتها بريطانيون ١٥ يوما ، وفي المنطقة الشرقية التي يديرها العرب ١٥ يوما و ١٠ ايام في المنطقة الغربية التي يديرها الفرنسيون ، ويومين في المنطقة الشمالية المدارة من قبل الفرنسيين ايضا .

وادرك الفرنسيون من نتيجة الاستفتاء ، ان املهم باستمالة الشعب السوري قد خاب ، وان امام خططهم الاستعمارية عقبات لاتذلل فولوا وجههم شطر لندن ، ودبروا حملة في صحافتهم على الانكليز مطالبين بتنفيذ العهود المعقودة بينهما بشأن سورية مما جعل الانكليز لايقبلون الانتداب على سورية ، وعمل رجال السياسة من الانكليز والفرنسيين للوصول الى تفاهم بينهما ، وأعلن اللنبي الامور الآتية :

١ ــ تعلن بريطانيا انها ترفض الانتداب على سورية بأي شكل كان .

٢ ــ تؤيد بريطانيا فكرة انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين .

٣ ــ تقاوم بريطانيا فكرة انشاء حكومة تخالف رغبات الشعب السوري .

٤ ــ لما كان المارشال اللنبي هو المسؤول عن امن البلاد امام المجلس الاعلى ، فهو عازم على اعادة الامن الى نصابه عند حدوث اضطراب أو قلاقل .

ثم نشر في ١٣٣٧ هـ ــ ١٧ ايلول ١٩١٩ م ، البلاغ الرسمي الآتي :

تقرر في الاتفاق الذي عقد بشأن الحلول محل الجنود البريطانية في سورية وكيليكية ان تترك من الآن المدن الاربع ، وهي : دمشق وحمص وحماة وحلب خارج منطقة الاحتلال العسكري الفعلي .

ثم عين في ١٢ تشرين الاول غورو قائداً عاماً للجيش الفرنسي في الشرق ومندوباً ساميا لفرنسا في سورية وكيليكية ، فوصل بيروت في ١٨ تشرين الثاني ومعه عدد كبير من الضباط ، ثم بدأ الجيش الانكليزي بالجلاء عن حلب ودمشق ، وانتهى جلاؤه في آخر تشرين الثاني ، ولم يبق سوى الجنود المرابطين في حوران وشرق الاردن .

ثم فاوض فيصل الفرنسيين بباريس ، وغادر باريس في ١٣٣٨ هـ ـ ٦ كانون الثاني ١٩٢٠ م ، عائدا الى سورية حاملا معه مشروع اتفاق بين فيصل وكلمنصو ليعرضه على الشعب ، واخذ رأيه فيه ويتضمن هذا الاتفاق تعهد الحكومة الفرنسية بان تمنح معونتها لسورية ، وان تضمن استقلالها ضد كل تجاوز ضمن الحدود التي سيعترف لها بها مؤتمر الصلح ، ويتعهد فيصل بان يطلب من الجمهورية الفرنسية وحدها المستشارين والمدربين والموظفين الفنيين اللازمين لتنظيم الادارتين المدنية والعسكرية ، وان يطبق نظام دستوري في سورية ، وان يشترك المستشار المالي في اعداد ميزانية النفقات والواردات ، وان تكون الخطوط الحديدية تحت اشراف مستشار الاشغال العامة ، مع احترام النظام الخاص لسكة حديد الحجاز ، وان تمنح الحكومة الفرنسية معونتها لتنظيم الدرك والشرطة والجيش ، وان يكون للحكومة الفرنسية حق الاولوية بالتعهدات والقروض ، مالم يتقدم وطنيون ويطلبون هذه المشروعات لحسابهم ، وان تمثل الدولة السورية في باريس لدى الحكومة الفرنسية بمندوب سياسي ، وان تعهد الدولة السورية الى ممثلي فرنسا السياسيين في الخارج بتمثيل مصالح سورية الخاصة ، وان يعترف فيصل باستقلال وسلامة لبنان تحت الانتداب الفرنسي ، وان اللغة العربية معترف بها كلغة رسمية ، وان تدرس اللغة الفرنسية بصورة اجبارية وممتازة ، وان تكون دمشق العاصمة ومحل اقامة رئيس الدولة ، غير ان هذا المشروع لم يحز القبول من قبل الهيئات السياسية والعاملين في الحقل الوطني .

ثم أعلن المؤتمر السوري العام في ١٦ جمادى الثانية ١٣٣٨ هـ ـ ٨ آذار ١٩٢٠ م، الاستقلال ، ثم نادى بفيصل بن الحسين ملكا دستوريا على سورية ، ولم تعترف بذلك بريطانيا وفرنسا .

وتألفت على أثر ذلك ، وزارة برئاسة هاشم الاتاسي ، واعلنت خطتها على لسان وزير خارجيتها عبد الرحمن الشهبندر بما يأتي :

١ ـ تأييد الاستقلال التام الناجز ، المتضمن في جملة ما يتضمنه حق التمثيل الخارجي .

٢ ـ المطالبة بوحدة سورية بحدودها الطبيعية مع رد طلب الصهيونيين بجعل القسم الجنوبي منها وهو فلسطين وطناً قومياً لليهود .

٣ ـ رفض كل مداخلة اجنبية تمس سلطاننا القومي .

وفي ١٣٣٨ هـ ـ ١١ تموز ١٩٢٠ م ، وجه انذار فرنسي الى الحكومة السورية يطلب فيه الامور الآتية :

١ ـ قبول الانتداب الفرنسي بدون قيد ولا شرط .

٢ ـ ارجاع الجيش السوري الى الحالة التي كان عليها في شهر شباط .

٣ ـ التعامل بورق النقد السوري .

٤ ـ احتلال محطات سكة حديد رياق ـ حلب وبعلبك وحمص وحماة احتلالا عسكريا واحتلال مدينة حلب نفسها .

وفي ١٢ تموز دخلت قوة عسكرية فرنسية المعلقة ورياق ، فاحتلتهما احتلالا عسكريا بدون انذار .

ثم أرسل غورو الى فيصل انذارا طلب فيه ما يأتي :

١ ـ التصرف بسكة رياق حلب

٢ ـ قبول الانتداب الفرنسي

٣ ـ قبول الورق السوري

٤ ـ تأديب المجرمين

فوجئت الوزارة السورية بانذار غورو ، وانقسمت على نفسها ، ففريق قال : بقبوله وفريق قال : بالتريث والانتظار .

وكان اول تدابير الوزارة اعلانها الادارة العرفية في ١٣ تموز ، ثم قررت في جلسة عقدتها في ١٧ تموز ، ان تشير على فيصل بقبول الانذار لعدم امكان المقاومة ماديا ، فأرسل فيصل في ١٨ كتابا الى غورو ، بواسطة طولا ، يعلن فيه قبوله شروط الانذار ، بالرغم من المعارضة الشديدة من قبل المؤتمر السوري ، وبدأت الوزارة في مساء الاثنين ١٩ تموز بتنفيذ احكام الانذار ، فسرحت الجيش ، كما قررت تأجيل المؤتمر السوري ، ووقع فيصل جواب الانذار ، وارسل الى غورو .

اما غورو فتذرع بتأخير وصول جواب انذاره ، فأصدر امره الى جيشه بالزحف فتحرك الى دمشق .

وظلت القوى الفرنسية تتقدم بدون مقاومة ، حتى اشرفت على منطقة ميسلون مساء الجمعة في ٢٣ تموز ، وعند شروق فجر السبت في ٢٤ تموز ، اخذت المدفعية الفرنسية تطلق نيرانها بشدة على اماكن المتطوعين ، وكانت المدفعية السورية تجيبها بمقدار لقلة العتاد ، وكانت الطائرات ترافق الجيش الفرنسي في زحفه ، وعدد كبير من الدبابات يمهد له ، وفي الساعة ١٠ صباحاً بدأ مشاتهم بالزحف الى الامام فصمد لهم المتطوعون واصلوهم نارا حامية ، ووقف يوسف العظمة في الساعةالحادية عشرة على احد التلول وبيده منظار يراقب حركة القتال ، فحاول مرافقه ان يحمله على التراجع وعدم تعريض جسمه رصاص الاعداء ، فأبى ، فأصابته رصاصة من رشاش في صدره وتلتها رصاصات اخرى ، فوقع مضرجا بدمه .

واستمر القتال بين الفريقين حتى الظهر ، فاسكتت المدفعية الفرنسية المدفعية السورية ، وانسحب المتطوعون والضباط العرب من ميسلون في الساعة الواحدة بعد الظهر ، وارتد المشاة الى سهول الديماس ، ثم الى دمشق .

ثم سار الجيش الفرنسي من ميسلون بحذر وبطء ، فبلغ المزة ، وفي الساعة الرابعة بعد ظهر الاحد في ٢٥ تموز ، بدأ الجيش الفرنسي يدخل دمشق ، وكانت مقفلة الاسواق ، عابسة مقطبة تندب شهداءها ورجالها وآمالها .

ثم ابلغ غوابيه قائد الحملة الفرنسية الحكومة السورية التي الفت برئاسة علاء الدين الدروبي بالمطالب الآتية :

١ ــ دفع عشرة ملايين فرنك غرامة حربية باسم تعويض .

٢ ــ نزع سلاح الجيش السوري وتحويله الى قوة شرطة وتسليم اسلحته ومعداته ومدافعه الى الجيش الفرنسي غنيمة حربية .

٣ ــ تسليم كبار المذنبين ليحاكموا امام المحاكم العسكرية .

٤ ــ انتهاء حكم الملك فيصل .

٥ ــ نزع سلاح الاهالي وذلك بتقديم عشرة آلاف بندقية للجيش الفرنسي فقبلت الوزارة هذه الطلبات وتعهدت بتنفيذ احكامها .

ثم غادر فيصل دمشق في الساعة الخامسة من صباح ٢٨ تموز الى درعا ، ثم غادرها قاصدا حيفا ، فبور سعيد ، حيث ركب الباخرة الى ايطاليا .

واما في سورية فبعد ان استتب الامر للفرنسيين في دمشق ، وبعد ان فرضوا الغرامات المالية على المدن السورية وجمعوها ، التفتوا الى مطاردة رجال العهد الفيصلي ، وحكموا على كثير منهم بالاعدام وبمصادرة املاكهم ، وعلى بعضهم بالنفي ، وكان معظم هؤلاء المحكومين قد لجأوا الى خارج البلاد .

ثم عقد اتفاق في ١٣٣٩ هـ ــ ٢٣ كانون الاول ١٩٢٠ م ، بين انكلترا وفرنسا لتحديد الحدود النهائية بين الارضين المشمولة بالانتداب الفرنسي وهي سورية ولبنان ، وبين الارضين المشمولة بالانتداب الانكليزي وهي فلسطين وشرق الاردن والعراق .

ثم قسم الفرنسيون منطقة انتدابهم الى الدويلات الآتية :

١ ــ دولة لبنان الكبير

٢ ــ دولة حلب

٣ ــ دولة العلويين

٤ ــ دولة دمشق

٥ ــ دولة جبل الدروز

٦ ــ لواء الاسكندرون

ثم رأى المفوض السامي غورو ان يعدل مشروع التجزئة ، فأصدر في ١٣٤٠ هـ ٢٢ حزيران ١٩٢٢ م ، قراراً بانشاء اتحاد بين دول دمشق وحلب والعلويين .

ثم أقر مجلس عصبة الامم في اجتماعه بلندن في ١٣٤٠ هـ ــ ٢٤ تموز ١٩٢٢ م ، صك الانتداب الذي وضعته الحكومة الفرنسية لسورية ولبنان .

وعقب عملية التجزئة للبلاد السورية ، انشأ الفرنسيون مجالس تمثيلية لهذه الدويلات فأنشيء لكل من دول دمشق وحلب والعلويين ، مجلس تمثيلي ، تكون صلاحيته محدودة بالنظر في الميزانية والضرائب والتشريع والادارة ، وتعيين ممثلي الدولة في المجلس الاتحادي ، وفي طرح الاسئلة على الحاكم وابداء الرغبات ، ثم الغي الاتحاد السوري ، في ١٣٤٣ هـ ــ ٥ كانون الاول ١٩٢٤ م ، وانشئت الدولة السورية التي الفت من دولتي دمشق وحلب ، وجعل عاصمتها دمشق .

وحاول الفرنسيون بهذه التجزئة واساليب العنف والتهديد انهم يستطيعون ان يخمدوا الحركة الوطنية ، فخاب ظنهم واشتعلت نيران الثورة في كثير من البقاع السورية ، فكانت ثورة حوران فجرد الفرنسيون حملة للقضاء عليها ، فقد وصلت في ١٣٣٩ هـ ــ اول تشرين الاول ١٩٢٠ م ، الى درعا ، وقد قطعت المسافة التي بينها وبين دمشق في شهر وبضعة ايام ، اشتبكت فيها مع الحورانيين في معارك عديدة ، حتى اعلنت حوران خضوعها للسلطة الفرنسية ، وقبلت الشروط المفروضة عليها وهي :

١ ــ اعادة المنهوبات الى نهبت من القطار في ١٣٣٩ هـ ــ ٢٠ آب ١٩٢٠ م ،

٢ ــ دفع دية الوزراء السوريين المقتولين وغيرهم .

٣ ــ اعطاء الضمانات الكافية بعدم ارتكاب اعتداءات جديدة .

٤ ــ دفع مئة الف ليرة عثمانية ذهبا غرامة .

ثم نشطت العصابات التي كانت تعمل في شمالي سورية لمحاربة الفرنسيين على

أثر سقوط الدولة الفيصلية ، فانتشرت في جهات انطاكية وحارم والعمق وادلب والمعرة وجسر الشغور بقيادة ابراهيم هنانو ، واتخذت جبل الزاوية قاعدة لاعمالها ، وهزمت الفرنسيين في معارك عديدة ، وكانت على اتصال بعصابات صالح العلي التي كانت تقاتل الفرنسيين في منطقة اللاذقية ، وقد بسطت نفوذها على صهيون ومعظم القرى ، وهددت مدينة اللاذقية نفسها .

وجهزت السلطة العسكرية الفرنسية قوات كبيرة ، لمطاردة العصابات في الشمال ودارت بينها وبين هذه القوات معارك ، انتهت باخماد هذه الثورة في ١٣٣٩ هـ تموز ١٩٢١ م .

ثم ظهرت عصابات في الفرات ، استولت على دير الزور ، فسير الفرنسيون حملة قوية من حلب ، فدخلت دير الزور في ١٣٤٠ هـ ـ ٦ تشرين الثاني ١٩٢١ م ، بعد قتال شديد ، واكرهت الثوار على التقهقر عبر الفرات .

ثم اسس حزب سياسي في ١٣٤٢ هـ ـ تموز ١٩٢٤ م ، في سورية ، لقيادة الحركة الوطنية وتنظيمها برئاسة عبد الرحمن الشهبندر ، وانشىء لهذا الحزب فرع في حلب ، وآخر في حمص ، وثالث في حماة ، واتصل باللجنة التنفيذية في مصر ، وبالوفد السوري في اوربا ، كما اتصل برجال سورية في الساحل ، وبزعماء جبل الدروز .

واشتعلت الثورة السورية في ١٣٤٤ هـ ـ تموز ١٩٢٥ م ، فبدأ سلطان الاطرش يطوف القرى الدرزية لجمع الجموع واضرام الحماسة في الصدور ، فزار ام الرمان فامتان فملح ، ثم قصد قرية عرمان ، فانضم اليه ابناؤها ، وساروا تحت لوائه ، فقرر الزحف على صلخد لحرق دار البعثة الفرنسية فيها ، فنفذ القرار واحرقت الدار .

وعلم وهو في صلخد ان الجنود زحفت في طلبه ، وانها ارتدت الى قرية الكفر وعسكرت فيها ، فأسرع بمن معه الى لقائها ، وهاجمها برجاله ، فقضوا عليها بسرعة ولم يفلت منها سوى افراد ، وصلوا الى السويداء فقصوا على القائد الفرنسي تومي مارتان ما وقع ، فلجأ الى قلعة السويداء بمن عنده من الموظفين الفرنسيين ونسائهم ودخل سلطان السويداء ، وضرب الحصار على القلعة .

واضطرب المفوض السامي سرايل لما ابلغ اليه نبأ الكارثة التي حلت بحملة نورمان وبحصار السويداء ، فأمر بتعبئة حملة عسكرية كبيرة في ازرع من اعمال حوران ، للزحف على الجبل والقضاء على الحركة الجديدة ، وعهد بالقيادة العامة للحملة الى الجنرال ميشو ، وجهزها بالطيارات والدبابات والمدفعية القوية فصدم فرسان الدروز الحملة صدمة شديدة ، فذعر رجالها واشتد القتال ، وانهزموا تاركين اسلحتهم ومعداتهم ، وعادوا الى ازرع ، بعد ان خسروا الف وخمسمائة قتيل تقريباً وغنم الدروز سلاحهم وذخائرهم ومعداتهم .

وكان بين زعماء دمشق وزعماء جبل الدروز ، عقود ومواثيق ، تقضي بتعاونهما في العمل لانقاذ البلاد وتحريرها ، فانتدب حزب الشعب بدمشق ثلاثة من رجاله للسفر الى الجبل والاتصال بزعمائه وابلاغهم ان دمشق مستعدة لتأييدهم في ثورتهم طبقا للاتفاق القديم .

ثم وقعت معكرة السفيرة فقد انقض فرسان الدروز على الجنود الفرنسيين ، فأجلوهم عن مواقعهم ، واحتلوا القسم الشرقي منها .

وفي ١٣٤٤ هـ ــ ٢٣ ايلول ١٩٢٥ م ، سار الجنرال غاملان بجيشه من ازرع قاصدا السويداء فرأى قادة الثورة ان يستدرجوه ، فدخلها في ٢٤ ، وأنقذ حاميتها فقطع الثوار الماء عن السويداء ، فغادر غاملان السويداء خلسة ومعه الحامية تاركا العتاد الثقيل وسلاحاً كثيرا ، وخيم في المسيفرة ، واتخذها قاعدة لاعماله العسكرية ثم زحف في ٢ تشرين الاول بقوة تتألف من بضعة آلاف مقاتل ، تعززها الدبابات والطيارات والمدفعية ، الى قرية عرى ، ودارت معارك بين الدروز والفرنسيين ادت الى الانسحاب الى حوران ، وكان في مقدمة العوامل التي اضطرته الى التراجع عن جبل الدروز هو ثورة حماة .

وابتدأت ثورة حماة في ١٣٤٤ هـ ــ ٤ تشرين الاول ١٩٢٥ م ، بدخول قوة من الثوار على رأسها فوزي القاوقجي الى حماة وهاجمت مخافر الشرطة والدرك ، فاستسلمت ، ثم سارت الى دار الحكومة ، حيث ترابط قوة من الجيش المختلط مع الدرك والشرطة ، فاستولت عليها ، ثم دارت معارك بين الثوار وجنود الثكنات ، ولما

اشتدت المعارك عزز الفرنسيون قواهم بالطائرات التي اخذت تلقي قنابلها على المدينة فاسقط الثوار طيارتين ، وجاءت نجدات ، فأنقذت المحصورين بالثكنات ، ثم انسحب الثوار من حماة ، وهاجموا الفرنسيين المتحصنين في قضاء المعرة ، فاشتبكوا معهم بمعارك ، وانزلوا بهم خسائر في الارواح والمعدات ، ودمرت السلطات الفرنسية بعض القرى ، وضربت خيام البدو ، وقتلت منهم كثيراً .

واشتعلت نيران الثورة بغوطة دمشق ، فاشتبك الثوار بقوة من الدرك السوري انتهت بهزيمتها ، ثم خرج الفرنسيون بقوات كبيرة انتهت باندحارها ، وتتابعت بعد ذلك المعارك في الغوطة ، واتسع نطاقها اتساعا أقلق بال الفرنسيين ، فنقلوا جانبا من قواهم الكبرى من حوران الى دمشق، واقاموا الابراج حول المدينة للدفاع عنها .

ودارت معارك عنيفة بين الثوار والجند ، احرق الفرنسيون في خلالها كثيرا من القرى .

وصل الجنرال سرايل المفوض السامي دمشق ، وعلم الثوار بوصوله ، فقرروا ان يقبضوا عليه حياً ، ولما كان من عادته ان يزور قصر العظم بها ، دخلت جماعة من الثوار دمشق ، واشتبكوا مع حامية القصر ، ومن حسن حظ سرايل انه ذهب الى مركز القيادة الفرنسية فلم يصب بأذى .

واشتد القتال في اسواق دمشق ، ولما ادرك الفرنسيون انه لاقبل لهم باخراج الثوار حرباً من دمشق ، اخذوا يطلقون القنابل على الامكنة التي ظنوا أو اخبروا بان الثوار فيها فغادرها الثوار خوفا على مدينتهم من ان يحل بجميع اجزائها الخراب والتدمير ، وبالرغم من ذلك فقد حل بدمشق خسائر جسيمة .

وعلى أثر ذلك استدعي الجنرال سرايل ، وعين مكانه دي جوفنيل في ١٣٤٤ هـ ٨ تشرين الثاني ١٩٢٥ م ، وبعد ان فشل في مفاوضات مع اللجنة التنفيذية بمصر ، ومع وفد دمشق ، وبعد فشله لانشاء حكومة وطنية واجراء انتخابات ، كتب الى وزارة الحربية الفرنسية طالباً ارسال ٥٠ الف جندي على جناح السرعة ، لاخماد الثورة ، فلبت طلبه ، وبدأت ترسل النجدات تدريجاً .

ولما تم للدروز اجلاء حملة الجنرال غملان عن جبلهم في ١٣٤٤ هـ ـ ايلول ١٩٢٥م وساعد ذلك الجلاء انشغال الفرنسيين في هذه الفترة بحوادث دمشق والغوطة وحماة والنبك ، قررت القيادة العليا للثورة ، تسيير حملة الى اقليم البلان ووادي التيم فسارت الحملة فاحتلت اقليم البلان ، واتخذت قرية مجدل شمس مقراً لها ، ثم اتجه قسم من الحملة الى وادي التيم ، فاحتل حاصبيا ثم سيرت القيادة قوة لاحتلال راشيا وكانت ترمي القيادة من عملها هذا الى التقدم نحو سهل البقاع واحتلال راشيا خط الاتصال بين دمشق وبيروت بواسطة الخط الحديدي ، وبدأ الثوار هجومهم على راشيا في ٢٢ تشرين الثاني ، وانقسموا الى ثلاث فرق ، واخذت حامية راشيا تمطرهم وابلا من الرصاص والقنابل اليدوية ، وعزز مركز تلك الحامية وصول نجدات كثيرة اليها ، فاشتبكت مع الثوار ، وادت الى انسحابهم .

ثم اخذت النجدات الفرنسية ترد الى سورية بكثرة ، ومسلحة بأحدث الاسلحة من دبابات وطيارات ومدافع الخ ... وألفت كتائب من الجراكسة والارمن والاسماعيلية والنصيرية والموارنة .

واخذت هذه القوات تنتشر في دمشق والغوطة ووادي التيم واقليم البلان وجبل قلمون وحمص وحماة وحوران ، وتقاتل الثوار .

اما الثوار فقد استقرت اقدامهم في الغوطة خلال فصلي الخريف والشتاء ، وسيطروا عليها ، واخذوا يشنون الغارة على دمشق من جميع الاطراف ، ويدخلون اسواقها ويخرجون منها ، وتوحدت جهود الثوار بالغوطة والقلمون على خطة واحدة

ووطد الثوار اقدامهم في منطقتي وادي التيم واقليم البلان ، فاستولوا على قضائي وادي العجم والقنيطرة ، وانبثوا في قرى وادي التيم ، واما جبل الدروز فقد كان بأجمعه خاضعاً للثوار وكان للفرنسيين بعض مراكز ، حصنوها في حوران على طول الخط الحديدي بين درعا ودمشق .

وما كاد الربيع يقبل ، حتى نهض الفرنسيون للعمل ، فألفوا حملات كبيرة لمقاتلة الثوار واجلائهم عن المناطق التي يحتلونها .

جهزوا حملة كبيرة على منطقة القلمون بقيادة الجنرال مارتي ، وتتألف من أربعة آلاف جندي مشاة مع قوة كبيرة من الفرسان وبطاريتين ومصفحات وبها رشاشة ، وتولى الدفاع عن النبك القائدان سعيد العاص وفوزي القاوقجي وبعد معارك دامية انسحب المجاهدون ، واستولى الفرنسيون على النبك ، وواصلت الحملة سيرها حتى وصلت القطيفة ، وفيها التقت بحملة الكولونيل ماسيت وقد خرجت من دمشق ، فزحفت الى جيرود ومنها الى دمشق بعد ان اشتبكتا مع المجاهدين في سلسلةمن المعارك .

ثم اعدت القيادة الفرنسية حملتين كبيرتين الى اقليم البلان ووادي التيم ، فسارتا من دمشق في ٣ نيسان ، الاولى بقيادة الجنرال مارتي ، والثانية بقيادة الكولونيل ماسيت الى خان سعسع ـ مجدل شمس للاتصال بحملة الكولونيل ليمان جرانكور وقد اتمت تعبئتها في صيدا قاصدة مجدل شمس عاصمة المجاهدين في وادي التيم واقليم البلان ، وقد ادركت هذه الحملات اغراضها ، فدخلت في ١٣٤٤ هـ ـ ١٣ نيسان ١٩٢٦ م ، مجدل شمس بعد معارك عنيفةدارت بينها وبين المجاهدين ، وبعدما دمرت الطائرات الفرنسية هذه القرية وجعلتها قاعا صفصفاً ، وانشأت فيها قاعدة عسكرية كبيرة ، كما انشأت قاعدة اخرى في القنيطرة ومرجعيون وحاصبيا .

وبعدما انهى الفرنسيون اعمالهم العسكرية في القلمون واقليم البلان ، اتجهوا نحو جبل الدروز ، فأعدوا قوات كبيرة في المسيفرة واذرع وبصرى اسكي شام للزحف على الجبل من ثلاث جهات في وقت واحد ، وانشأوا قواعدعسكرية في هذه المراكز نصبوا فيها مدافع ضخمة لضرب القرى الدرزية .

ثم بدأ الفرنسيون الزحف على السويداء في ١٣٤٤ هـ ـ ٢٣ نيسان ١٩٢٦ م ، وتولى قيادة الحملة الجنرال اندريا ، فمهدت الطائرات الفرنسية لهذه الحملة فأغارت على قرى الجبل فأمطرتها وابلا من قنابلها ، وصبت المدافع الضخمة بحوران حمما من نيرانهـا .

وانقسمت الحملة الى قسمين : قسم تحرك من اذرع ، فبلغ قرية الغازية ودخلها وتحرك القسم الثاني من السيفرة فاتجه الى قرية ام ولد فدخلها ، ثم مشى القسمان

الى السويداء ، وبدأ الفرنسيون اعمالهم الحربية فضربوها بالطائرات والمدفعية ، ثم دخلها الجيش الفرنسي بعد ان اشتبك مع المجاهدين .

ثم التفت الفرنسيون الى الغوطة بعدما احتلوا السويداء ووطدوا اقدامهم في جبل الدروز ، فأخذوا يعدون العدة للقضاء على المجاهدين بالغوطة ، وقرروا مهاجمتها من الغرب والشرق والشمال والجنوب في وقت واحد . فبدأت القوى الفرنسية بالزحف في ١٣٤٥ هـ ــ ١٩ تموز ١٩٢٦ م ، فجاءت حملة من جبل الدروز ، ومشت اخرى من حوران ، وخرجت حملة ثالثة من دمشق ، فارتقت جبل قاسيون ، ثم انحدرت بطريق برزة ، ومشت حملة رابعة من دمشق سالكة الطريق السلطاني الى الغوطة ، وجاءت الخامسة من النبك والقطيفة ، فأطبقوا على الغوطة من جميع الجهات ، ودارت معارك دامية بين هذه القوات والمجاهدين أدت الى عدول المجاهدين عن خوض الحرب المنظمة وعودتهم الى حرب العصابات ، حتى كانت آخر حملة شنت على الغوطة في ١٣٤٥ هـ ــ ١٠ ايار ١٩٢٧ م ، وبعد هذه الحملات الكبيرة التي جهزها الفرنسيون للقضاء على الثورة ، بدأ المجاهدون يشنون الحملات في كثير من البقاع السورية كالقلمون وبعلبك ووادي التيم واقليم البلان والضنية وعكار والمقارن الشمالي والجنوبي والشرقي واللجاه والصفا .

ثم بلغ بونسو المفوض السامي الجديد بيروت في ١٣٤٥ ــ ١١ تشرين الاول ١٩٢٦ م قادما من باريس ، فأذاع على اثر وصوله انه سيعنى بدرس الحالة عن كثب وانه لن يقوم بعمل من الاعمال قبل ان يتم دراسته ، ويحيط بالموقف احاطة تامة ، وغادر بيروت الى دمشق ، ثم قصد جبل الدروز ، ومنه عاد الى حلب ، فدير الزور ، فبيروت ، وعاد الى دمشق ثانية ، وسلمه الدمشقيون رغباتهم وهي :

١ ــ اسدال ستار على الماضي والتعامل على اساس روح معاهدة لوكارنو .

٢ ــ دعوة جمعية تأسيسية تسن الدستور على اساس السيادة القومية .

٣ ــ تحويل الانتداب الى معاهدة تعقد بين الحكومة الوطنية والدولة المنتدبة لمدة ثلاثين سنة .

٤ ــ تحقيق الوحدة السورية .

٥ ــ توحيد النظام القضائي على قاعدة السيادة القومية .

٦ تأليف جيش وطني .

٧ ــ ادخال سورية في جمعية الامم وتخويلها حق التمثيل الخارجي .

٨ ــ اعلان عفو عام .

٩ ــ ايجاد طريقة للتعويض على المنكوبين .

ووضع اهالي حماة ايضا مطالب بمثل ما تقدم ، وحذا حذوهم أهل حمص واهل دير الزور ، وسلمت اليه في دمشق ، ولما زار حلب سلمه اهلها طلبات ، تتفق في معناها مع طلبات المدن الاخرى ، فقال لوفدهم : ان المعاهدة التي ستعقد بين سورية وفرنسا ستكون شبيهة بالمعاهدة العراقية ، ومر باللاذقية ، فقابله وفد يمثل مسلميها ، وقدم له نفس الطلبات التي قدمتها المدن السورية الاخرى .

واما المفوض السامي بونسو ، فقد عمل على تخدير اعصاب الامة وقتل الروح الوطنية بالتسويف والمماطلة واخيرا بعد مفاوضات سرية طويلة بينه ، وبين هاشم الاتاسي وابراهيم هنانو من جهة ، وبينه وبين تاج الدين الحسني من جهة اخرى ، وافق على احداث تغيير في الوضع الحكومي ، فحمل احمد نامي رئيس الحكومة السورية على الاستقالة ، فاستقال في ١٣٤٦ هـ ــ ٨ شباط ١٩٢٨ م ، وفي ١٢ منه عهد الى تاج الدين الحسني بانشاء حكومة مؤقتة تتولى ادارة البلاد في هذه المرحلة.

وفي ١٣٤٦ هـ ــ ٢٤ نيسان ١٩٢٨ م ، جرت انتخابات الجمعية التأسيسية ، فاشترك فيها الوطنيون ، وفي ١٣٤٧ هـ ــ ٩ حزيران ١٩٢٨ م ، افتتحت الجمعية التأسيسية ، بعد تردد طويل من بونسو وقلقه من نجاح الوطنيين وفوزهم في الانتخابات ، واتمت الجمعية وضع دستور لم توافق عليه السلطة المنتدبة .

ثم اعلن في ١٣٤٨ هـ ــ ٢٢ ايار ١٩٣٠ م ، دستور سورية الجديد بقرار اصدره المفوض السامي في ١٤ ايار ١٩٣٠ م ، ويقع هذا الدستور الجديد في ١١٥ مادة فاحتج الوطنيون على الدستور الجديد ، ثم جرت انتخابات في سورية ، وانتخب محمد علي العابد رئيسا للجمهورية السورية .

ثم عين دي مارتيل مفوضاً ساميا فوصل بيروت في ١٣٥٢ هـ ــ ١٤ تشرين الاول

١٩٣٣ م ، وعرض مشروع معاهدة على الجمهورية السورية، فحاربها الشعب السوري ولم يكتب لهذه المعاهدة الفوز والنجاح .

وفي ١٣٥٤ هـ ــ ١٩ كانون الثاني ١٩٣٦ م ، اضربت دمشق وغيرها من المدن السورية ، احتجاجا على السياسة الفرنسية وحاولت السلطة المنتدبة في سورية بكل مالديها من قوة وحيلة لاثناء الشعب السوري عن غايته العليا ، وفي المطالبة بالاستقلال فلم تفلح ، واخيراً استجابت الحكومة الفرنسية للمفاوضة مع وفد برئاسة هاشم الاتاسي زعيم الكتلة الوطنية .

فسافر الوفد في ١٣٥٥ هـ ــ ٢٥ آذار ١٩٣٦ م ، الى باريس ، وعاد الى سورية وقد وقع معاهدة مع الفرنسيين .

ثم جرت انتخابات فاز بها الوطنيون ، وانتخب هاشم الاتاسي رئيسا للجمهورية السورية .

ثم عرضت المعاهدة السورية الفرنسية على المجلس النيابي السوري وصادق عليها ، ثم اخذت الحكومة السورية تبذل جهدها في باريس للتصديق عليها فظلت الحكومة الفرنسية تماطل ، وتعتذر حتى ١٣٥٧ هـ ــ اواخر ١٩٣٨ م ، واخيراً عرضت المعاهدة على لجنة الشؤون الخارجية لمجلس النواب الفرنسي ، وصدر قرار في ١٣٥٨ هـ ــ اوائل ١٩٣٩ م ، من لجنة الشؤون الخارجية برفض عرضها على المجلس بشكلها الراهن ، وصدر قرار فرنسا بلزوم اعادة النظر من جديد ، ووضع نصوص معاهدة جيدة ، ثم اعلن ممارسة سلطة المفوض السامي الانتدابية الى ان تعقد المعاهدة الجديدة ، واخذ الانتداب الفرنسي يتدخل في شؤون سورية على اساس هذه السلطة .

ثم عين الفرنسيون ١٣٦١ هـ ــ ١٩٤٢ م ، تاج الدين الحسني رئيساً للجمهورية السورية ، واقيمت حفلة باسم حفلة الاستقلال خطب فيها كاترو مندوب فرنسا وتاج الدين الحسني ، فقال الاول ان فرنسا الحرة قد حققت ما وعدت به من منح سورية استقلالها ، وانه سيباشر قريباً امر عقد المعاهدة التي تنظم الصلات بينهما ، وان هذا الاستقلال مقيد بهما للحرب من ضرورات مبرمة ، وان سورية مدعوة لتهيئة قوى

وطنية توضع تحت قيادة الحلفاء للدفاع عن القضية المشتركة ، وانه مع الاعتراف بوحدة سورية السياسية والجغرافية يجب ان تراعى رغبات بعض المناطق في تمتعها باستقلالها المحلي والاداري يعني جبل الدروز ومنطقة العلويين ، فشكر تاج الدين الحسني في خطابه فرنسا الحرة ووفائها ومساعدتها على اقامة كيان سورية المستقلة .

وبعد وفاة تاج الدين الحسني ١٣٦٢ هـ ـ ١٩٤٣ م ، جرت انتخابات وفاز الوطنيون وانتخب شكري القوتلي رئيساً للجمهورية السورية ، ثم بدأت مشاورات الوحدة العربية في اواخر صيف ١٣٦٢ هـ ـ ١٩٤٣ م ، التي انتهت بتأسيس الجامعة العربية ، فاندمجت فيها الجمهورية السورية .

ثم دعا مندوب فرنسا بمذكرة في ١٨ ايار الحكومة السورية الى المفاوضة على اساس ضمان مصالح فرنسا الجوهرية ، وهي ثلاثة أنواع : ثقافية واقتصادية واستراتيجية ، ثم اختتم مذكرته عندما يتم التفاهم على هذه النقاط توافق الحكومة الفرنسية على نقل كتائب الجيوش السورية الى الدولة السورية مع الاحتفاظ بابقائها تحت القيادة الفرنسية ، ما دامت الظروف لاتسمح بممارسة القيادة الوطنية ممارسة تامة ، ورفضت الحكومة السورية مطالب الفرنسيين ، وتأزمت الحالة في سورية ولا سيما بدمشق .

وفي ١٣٦٤ هـ ـ ٢٩ ايار ١٩٤٥ م ، بوغتت دمشق بقنابل المدفعية الفرنسية تقصفها بوابل من النار من اماكن متعددة ، ذهب ضحيتها عدد كبير من القتلى والجرحى ودمر كثير من بيوتها ومتاجرها بعد نهبها من قبل الجيش الفرنسي .

ولما بلغ الموقف ذروته واشتدت المجزرة ، ناشدت الحكومة السورية بريطانيا بالتدخل ، فسارعت هذه الى اصدار امرها الى قواتها بالتدخل واعادة النظام وارجاع الفرنسيين الى ثكناتهم ، فانسحبت القوى الفرنسية الى ثكناتها وهدأت الحالة .

وفي ١٦ جمادى الاولى ١٣٦٥ هـ ـ ١٧ نيسان ١٩٤٦ م ، جلت الجيوش الاجنبية عن سورية ، واصبح ذلك اليوم عيداً وطنياً .

وفي الساعة الثانية من صباح الاربعاء غرة جمادى الآخرة ١٣٦٧ هـ ـ ٣٠ آذار ١٩٤٩ م ، قام الجيش السوري بقيادة الزعيم حسني الزعيم بالاستيلاء على زمام الامر

واعتقال رجال الحكم ، بينهم رئيس الجمهورية السورية ، ورئيس الوزراء ، ونشر البلاغ الآتي :

مدفوعين بغيرتنا الوطنية ، ومتألمين مما آل اليه وضع البلاد من جراء افتراءات وتعسف من يدعون حكامنا المخلصين ، لجأنا مضطرين الى استلام زمام الحكم موقتاً في البلاد التي نحرص على المحافظة على استقلالها كل الحرص ، وسنقوم بكل ما يترتب علينا نحو وطننا العزيز غير طامحين باستلام الحكم ، بل القصد من عملنا هو تهيئة حكم ديموقراطي صحيح يحل محل الحكم الحالي المزيف ، واننا لنرجو من الشعب الكريم ان يلجأ الى الهدوء والسكينة مقدماً لنا كل المعونة والمساعدة للسماح لنا باتمام مهمتنا التحريرية وان كل محاولة تخل بالامن والتي قد يمكن ان تظهر عن بعض العناصر الهدامة الاستشمارية تقمع فوراً دون شفقة او رحمة .

ثم فض الزعيم المجلس النيابي ، وبين في كتاب ارسله الى رئيس المجلس اسباب الحل قال فيه : ان المجلس لا يمثل في اكثريته الساحقة رغبة الناخبين وارادتهم ، وانما جرى في انتخابه تحت ضغط الفئة الحاكمة الى ...

ثم اجرى استفتاء نصب الزعيم به رئيساً للجمهورية ، ولقب بالمشير .

وفي ١٣٦٨ هـ ــ ١٤ آب ١٩٤٩ م ، قام الجيش السوري بثورة ثانية بقيادة الزعيم سامي الحناوي والعقيد بهيج الكلاس وزمرة من الضباط ، فطوقت مدينة دمشق في الساعة الثالثة صباحاً ، وقبض على حسني الزعيم رئيس الجمهورية ، وعلى رئيس وزرائه محسن البرازي ، ونفذ بهما الاعدام بالرصاص ، واذاع الزعيم سامي الحناوي البلاغ الآتي :

ايها السوريون : لقد قام جيشكم الباسل بانقلاب يوم الثلاثين من آذار الماضي لينقذ البلاد من الحالة السيئة التي وصلت اليها من قبل ، وقد استقبلتم ذلك العمل بالفرح والتقدير ، لما وعد به زعيم ذلك الانقلاب من انقاذ البلاد من فوضاها واعادتها الى عزتها وكرامتها في بياناته الاولى ، ولكنه ما لبث حين استتبت له الامور ان اخذ يتطاول هو وحاشيته ، الى اموال الامة فيبذرونها بالاثم والباطل ، والى كرامة البلاد ومقدساتها فيدوسونها ويلوثونها ويعبثون بقوانين الامة وحريات الافراد .

هذا عدا ما صحب ذلك من سوء الادارة والفوضى والتدهور ، بحيث اخذ الناس يسخرون من الجيش ورجاله ، لما صارت اليه البلاد من حالة افظع بكثير مما كانت عليه من قبل ، واذا اضفنا الى هذه الفوضى الداخلية تلك الفوضى التي صارت سياستنا الخارجية رأينا أي مصير سيء قد بلغته البلاد .

ولهذا وبعد الاعتماد على الله القوي العزيز عزم جيشكم الباسل الذي لايريد الا الخير للبلاد ان يخلصها من الطاغية الذي استبد وعتا هو ورجال حكومته المسخرة وقد أتم الله للجيش ما أراد ، فأنقذ شرف البلاد من ظلمهم وعتوهم ، وقد آل على نفسه ان يسلم زمام الامر الى الاحرار المخلصين .

هذا وان الجيش وقواده ، ليعاهدوكم امام الله والتاريخ ، انهم لايبغون من حركتهم الاخيرة للبلاد ، الا ان تعيش عزيزة الجانب حرة مستقلة ، وسيترك الجيش لزعماء البلاد انفسهم قيادة البلاد .

فعلى كل سوري ان ينصرف الى عمله هادئاً واثقاً من ان قادة الجيش سيعودون الى ثكناتهم لتنظيم الجيش وترك امور السياسة الى رجالاتها والسلام .

ثم جرد الجيش السوري بعض فصائله بقيادة العقيد اديب الشيشكلي في ١٣٦٩ هـ ـ ١٨ كانون الاول ١٩٤٩ م ، وقبض على اللواء سامي الحناوي وبعض الضباط ، ثم اطلق سراحهم فلجأوا الى لبنان ، ثم اغتيل اللواء الحناوي ببيروت ونشر الجيش بلاغا على الشعب السوري ، جاء فيه : انه ثبت لدى الجيش ان رئيس الاركان العامة اللواء سامي الحناوي كان وبعض ممتهني السياسة يتآمرون على سلامة الجيش وكيان البلاد ونظام الجمهورية مع بعض الجهات الاجنبية ، وان ضباط الجيش كانوا يعلمون هذا الامر من بدايته ، وحاولوا بشتى الطرق بالاقناع تارة والتهديد الضمني تارة اخرى ، ان يحولوا دون قيام المؤامرة ، وان يقنعوا المتآمرين بالرجوع عن غيهم فلم يفلحوا ، فاضطر رجال الجيش حرصاً على سلامته وسلامة البلاد وللمحافظة على النظام الجمهوري ، ان يقبضوا على المتآمرين وعلى رأسهم اللواء سامي الحناوي وبعض الضباط .

ثم جرى انتخاب اعضاء المجلس التأسيسي السوري ١٣٦٩ هـ ـ ١٩٥٠ م ،

وبعد وضع القانون الاساسي ، انقلب الى مجلس نيابي ، وانتخاب هاشم الاتاسي رئيساً للجمهورية السورية .

ثم استقال هاشم الاتاسي ، وحل المجلس النيابي ، وعين فوزي سلو رئيساً للدولة .

وفي ١٣٧٢ هـ ــ ١١ حزيران ١٩٥٣ م ، اعلن الدستور المؤلف من ١٢٨ مادة ، ثم اجري استفتاء في ١٣٧٢ هـ ــ ١٠ تموز ١٩٥٣ م ، في مشروع الدستور المذكور ، وانتخاب رئيس الجمهورية ، وبذلك تولى محمد اديب الشيشكلي رئاسة الجمهورية في ٣٠ شوال ١٣٧٢ هـ ــ ١١ تموز ١٩٥٣ م .

وفي ١٣٧٣ هـ ــ اوائل ١٩٥٤ م ، ثار الجيش السوري ، وهدد بالزحف على دمشق ، ان لم يسلم اديب الشيشكلي ، فأذعن الشيشكلي للامر الواقع ، وغادر البلاد ثم اكمل هاشم الاتاسي مدته في رئاسة الجمهورية ودعي اعضاء المجلس النيابي لانهاء مدة انتخابهم .

وفي ١٣٧٤ هـ ــ ١٨ آب ١٩٥٥ م ، انتخب شكري القوتلي رئيساً للجمهورية خلفاً لهاشم الاتاسي ، وفي عهده تألفت دولة باسم الجمهورية العربية المتحدة .

* * *

الجمهورية العربية المتحدة :

بدأ تبادل الرأي بين المسؤولين في جمهوريتي مصر وسورية حول توحيد البلدين في ١٣٧٥ هـ ــ شتاء ١٩٥٦ م .

ووقع العدوان الثلاثي على مصر في ٢٩ ايار من هذه السنة فأسرعت سورية الى الوقوف بجانب شقيقتها مصر ، تؤيدها في جميع الميادين ، فقطعت علاقاتها بفرنسا وانجلترا ، ووضعت امكانياتها المالية والتجارية والعسكرية تحت تصرف مصر ، وبادر الشعب السوري بموافقة حكومته الى قطع انابيب النفط المارة في الاراضي السورية كيلا يصل الى الساحل وينتفع به اعداء مصر .

* * *

وفي خلال ١٣٧٦ هـ ــ ١٩٥٧ م ، استؤنفت محادثات الوحدة بين مصر وسورية وفي ١٨ تشرين الثاني من السنة المذكورة أوصى مجلس النواب السوري ، ومجلس الامة المصري الحكومتين المصرية والسورية على توحيدالجمهوريتين في دولة واحدة.

ثم انتقل رجال الجمهورية السورية الى مصر يتقدمهم رئيس الجمهورية شكري القوتلي وبعد محادثات جرت بين وفدي مصر وسورية اعلن في ١٣٧٧ هـ ــ ١ شباط ١٩٥٨ م ، البيان الآتي :

في جلسة تاريخية عقدت في قصر القبة في القاهرة في ١٢ من رجب سنة ١٣٧٧ هـ الموافق اول فبراير سنة ١٩٥٨ ، اجتمع فخامةالرئيس شكري القوتليرئيس الجمهورية السورية وسيادة الرئيس جمال عبد الناصر رئيس جمهورية مصر ، بممثلي جمهوريتي سورية ومصر ، صبري العسلي ، عبد اللطيف البغدادي ، خالد العظم ، زكريا محيي الدين ، حامد الخوجة ، انور السادات ، فاخر الكيالي ، مأمون الكزبري ، حسين الشافعي ، اسعد هارون ، عبد الحكيم عامر ، صلاح الدين البيطار ، كمال الدين حسين ، خليل الكلاس ، نور الدين طراف ، صالح عقيل ، فتحي رضوان ، عفيف البزري ، محمود فوزي ، كمال رمزي استينو ، علي صبري ، عبد الرحمن العظم ، محمود رياض .

وكانت غاية هذا الاجتماع ان يتداولوا في الاجراءات النهائية لتحقيق ارادة الشعب العربي ولتنفيذ مانص عليه دستورا الجمهوريتين ، من ان شعب كل منهما جزء من الامة العربية ، لذلك تذاكروا ما قرره كل من مجلس الامة المصري ، ومجلس النواب السوري ، من الموافقة الاجماعية ، على قيام الوحدة بين البلدين ، كخطوة اولى ، نحو تحقيق الوحدة العربية الشاملة ، كما تذاكروا ما توالى في السنين الاخيرة من الدلائل القاطعة على ان القومية العربية ، كانت روحا لتاريخ طويل ، ساد العرب في مختلف اقطارهم ، ولحاضر مشترك بينهم ، ومستقبل مأمول من كل فرد .

وانتهوا الى ان هذه الوحدة التي هي ثمرة القومية العربية هي طريق العرب الى الحرية والسيادة ، وسبيل من سبل الانسانية للتعاون والسلام ، ولذلك فان

واجبهم ان يخرجوا بهذه الوحدة ، من نطاق الاماني ، الى حيز التنفيذ ، في عزم ثابت واصرار قوي ، ثم خلص المجتمعون من هذا كله الى ان عناصر قيام الوحدة بين الجمهوريتين السورية والمصرية ، واسباب نجاحها ، قد توافرت بعد ان جمع بينهما في الحقبة الاخيرة كفاح مشترك زاد معنى القومية وضوحا ، وأكد انها حركة بناء وتحرير وعقيدة تعاون وسلام .

لذلك يعلن المجتمعون اتفاقهم التام ، وايمانهم الكامل ، وثقتهم العميقة ، في وجوب توحيد سورية ومصر ، في دولة واحدة ، اسمها الجمهورية العربية المتحدة

كما يعلنون اتفاقهم الاجماعي على ان يكون نظام الحكم في الجمهورية العربية ديمقراطيا رئاسيا يتولى فيه السلطة التنفيذية رئيس الدولة ، يعاونه وزراء يعينهم ويكونون مسئولين امامه ، كما يتولى السلطة التشريعية مجلس تشريعي واحد . يكون لهذه الجمهورية علم واحد ، يظل شعبا واحدا ، وجيشا واحدا ، في وحدة يتساوى فيها ابناؤها في الحقوق والواجبات ، ويدعون جميعا لحمايتها بالانفس والمهج والارواح . ويتسابقون لتثبيت عزتها وتأكيد منعتها ، وسيتقدم كل من فخامة الرئيسين شكري القوتلي وجمال عبد الناصر ببيان الى الشعب يلقى امام مجلس النواب السوري ومجلس الامة المصري ، في يوم الاربعاء ١٦ من رجب سنة ١٣٧٧ الموافق ٥ من فبراير سنة ١٩٥٨ ، يبسطان فيه ما انتهى اليه هذا الاجتماع من قرارات .

كما سيدعى الشعب في مصر وسورية الى استفتاء خلال ثلاثين يوما على اسس الوحدة وشخص رئيس الجمهورية .

والمجتمعون اذ يعلنون قراراتهم هذه ، يحسون باعمق السعادة واجمل الوان الفخر ، اذ شاركوا في الخطوة الايجابية ، في طريق وحدة العرب حقبة بعد حقبة وجيلا بعد جيل ، والمجتمعون اذ يقررون وحدة البلدين يعلنون ان وحدتهم تتوخى جمع شمل العرب ، ويؤكدون ان باب الوحدة مفتوح لكل بلد عربي يريد ان يشترك معها في وحدة او اتحاد يدفع عن العرب الاذى والسوء ويعزز سيادة العروبة ويحفظ

كيانها ، والله نسأل ان يكلأ هذه الخطوة ، وما يتلوها من خطوات بعين رعايته الساهرة ، وبفضل عنايته السابغة ، وان يكتب للعرب في ظل الوحدة ، العزة والسلام .

ثم تلى جمال عبد الناصر بمجلس الامة المصري في ٥ شباط البيان الآتي :

ايها المواطنون اعضاء مجلس الامة في حياة الشعوب اجيال يواعدها القدر ، ويختصها دون غيرها بان تشهد نقط التحول الحاسمة في التاريخ .

انه يتيح لها ان تشهد المراحل الفاصلة في تطور الحياة الخالدة ، تلك المراحل التي تشبه مهرجان الشروق ، حين يحدث الانتقال العظيم ساعة الفجر ، من ظلام الليل الى ضوء النهار .

ان هذه الاجيال الموعودة تعيش لحظات رائعة ..

انها تشهد لحظات انتصار عظيم لم تصنعه وحدها ، ولم تتحمل تضحياته بمفردها وانما هي تشهد النتيجة المجيدة ، لتفاعل عوامل اخرى كثيرة ، واصلت حركتها في ظلام الليل ووحشته وعملت وسهرت ، وظلت تدفع الثواني بعد الثواني ، الى الانتقال العظيم ساعة الفجر .

أيها المواطنون اعضاء مجلس الامة ان هذا الجيل من شعب مصر من تلك الاجيال التي واعدها القدر لتعيش لحظات الانتقال العظيمة التي تشبه مهرجان الشروق .

لقد عشنا ساعة الفجر ورأينا انتصار النور الطالع على ظلمات الليل الطويل .

لقد عشنا فجر الاستقلال .

وعشنا فجر الحرية .

وعشنا فجر العزة والكرامة .

وعشنا فجر القوة .

وعشنا فجر الامل في بناء مجتمع سعيد

واليوم نعيش فجرا جديدا رائعا .

لقد بدأ مشرق الوحدة .

أيها المواطنون اعضاء مجلس الامة :

لقد سبق كل فجر شهدنا مطلعه ليل طويل .

لقد سبقت فجر الاستقلال ، وفجر الحرية وفجر العزة والكرامة وفجر القوة وفجر الامل ليال طويلة امتدت مئات السنين في صراع مستمر مع ظلام الاستعمار ، والاستبداد والظلم والضعف .

ليال طويلة عاشتها اجيال قبلنا وقاست أهوالها وتحملت مصاعبها لكي تقرب منا اللحظات الرائعة للانتقال العظيم .

وكذلك هذا الفجر الذي نشهد اللحظة مطلعه .

ان الليل الذي سبق فجر الوحدة هو دون شك أطول ليالي كفاح أمتنا العربية ذلك ان الامل الذي يتحقق لنا اليوم هو اقدم آمالنا .

ان تاريخ الوحدة في عمر امتنا هو نفس عمر تاريخ امتنا .

لقد بدأ معها منذ بدأت ، نشأ على الارض نفسها وعاش الحوادث نفسها واندفع الى الاهداف نفسها فلما استطاعت امتنا ان ترسي قواعد وجودها في هذه المنطقة وتثبت دعائم هذه القواعد كان مؤكدا ان الوحدة قادمة وان موعدها بات قريبا .

ايها المواطنون اعضاء مجلس الامة :

لقد كان الكفاح من أجل الوحدة هو بنفسه الكفاح من أجل القوة من اجل الحياة . ولقد كان التلازم بين القوة والوحدة ابرز معالم تاريخ امتنا .

فما من مرة تحققت الوحدة الا تبعتها القوة ، وما من مرة توفرت القوة الا وكانت الوحدة نتيجة طبيعية لها .

وليس محض صدفة ان اشاعة الفرقة واقامة الحدود والحواجز كان اول مايفعله كل من يريد ان يتمكن في المنطقة ويسيطر عليها .

وكذلك لم يكن محض صدفة ان محاولات الوحدة في المنطقة لم تتوقف منذ اربعة آلاف سنة طلبا للقوة ، بل طلبا ــ كما قلت ــ للحياة .

ولقد كان اسلوب السعي الى الوحدة يتشكل بالعصر الذي تعيش فيه كل

محاولة لتحقيقها ، ولكن الهدف ظل دائما لايتغير وبقيت الغاية في كل وقت ، هي اللحظات التي نعيشها الآن ..

لقد اتحدت المنطقة بحكم السلاح يوم كان السلاح هو وسيلة التعبير في الطفولة الاولى للبشرية .

واتحدت المنطقة بيقين النبوات حين بدأت رسالات السماء تنزل الى الارض لتهدي النـــاس .

واتحدت المنطقة بسلطان العقيدة حين اندفعت رايات الاسلام تحمل رسالة السماء الجديدة وتؤكد ما سبقها من رسالات ، وتقول كلمة الله الاخيرة في دعوة عباده الى الحق .

واتحدت المنطقة بتفاعل عناصر مختلفة في أمة عربية واحدة .

واتحدت المنطقة باللغة يوم جرت العربية وحدها على كل لسان .

واتحدت المنطقة تحت دافع السلامة المشتركة يوم واجهت استعمار اوروبا يتقدم منها محاولا ان يرفع الصليب ليستر مطامعه وراء قناع من المسيحية ، وكان معنى الوحدة قاطعا في دلالتهحين اشتركت المسيحيةفي المشرق العربي في مقاومةالصليبيين جنبا الى جنب مع جحافل الاسلام حتى النصر .

واتحدت المنطقة بالمشاركة في العذاب يوم حلت عليها غارات الغزو العثماني واسدلت من حولها استار الجهل تعوق تقدمها وتمنعها من الوصول الى عصر النهضة في الوقت نفسه الذي بدأ فيه عصر النهضة في اوروبا .

بل ان المنطقة اتحدت فيما تعرضت له في كل نواحيها من سيطرة الاستعمار عليها ثم كان اتحادها في الثورة على هذا الاستعمار بكل اشكاله ومقـــاومته في تعدد صوره .

ومع الوحدة في الثورة كانت الوحدة في التضحيات فان المشانق التي نصبها جمال باشا في دمشق عاصمة سورية لم تكن تختلف كثيرا عن المشانق التي نصبها اللورد كرومر في دنشواي هنا في مصر .

أيها المواطنون اعضاء مجلس الامة :

هكذا ترون الوحدة حقيقة ، حقيقية يسعى اليها او حقيقة قائمة بالفعل .

وهكذا ترون ان الصراع من أجل القوة ، من اجل الحياة ، يتم ويتحقق بالوحدة ، أو ترون الوحدة لاتتم ولا تتحقق الا بالقوة ، بالحياة .

هكذا ترون ان تاريخ القاهرة في خطوطه العريضة ، هو بنفسه تاريخ دمشق في خطوطه العريضة .

ولقد تختلف التفاصيل ، ولكن المعالم البارزة هي نفس المعالم .

نفس الدول ، نفس الغزاة نفس الملوك ، نفس الابطال ، ونفس الشهداء .

بل انه لما بدا في بعض الاحيان ان مصر ابتعدت عن الفكرة العربية ، وقطعت ما بينها وبين المنطقة من صلات ، وذلك بعد الحملة الفرنسية على مصر ، ثم تحت حكم اسرة محمد علي ، لم يكن الامر في باطنه بمثل ما يبدو في ظاهره .

لم يكن البعد الا سطحيا ، ولم تكن القطيعة الا باللسان .

أما الشواهد الحقيقية ، وأما الادلة الاصيلة ، فكانت تؤكد بأن ما قربه الله لايمكن ان يبتعد ، وما وصلته الطبيعية لا يمكن ان ينقطع .

من بين الشواهد والادلة ان جيش الفلاحين الذي سار تحت قيادة ابراهيم باشا ، ليحرر سورية من الظلم العثماني كان يسمي نفسه : الجيش العربي .

ومن بين الشواهد والادلة ، ان القاهرة التي سارعت في النصف الاخير من القرن التاسع عشر ، الى فتح النوافذ لتيارات النهضة ، تحولت الى قلعة للفكر الحر في الشرق العربي ، وما لبث رواد الحرية في المنطقة العربية كلها ، ان وفدوا اليها ، يتحصنون باسوارها المنيعة ، ويبعثون منها اشعاعات الفكر ، لتعبىء وتلهم ، بل ان القاهرة تحولت في مطلع القرن العشرين ، فأصبحت هي ودمشق المركز الرئيسي للجمعيات السرية ، التي راحت تناضل ــ جبروت سلاطين استانبول ــ من اجل تحرير الامة العربية ، بكل ما يملكه الشباب من روح البذل والفداء .

هكذا كان واضحا انه اذا تركت المنطقة تستوحي طبيعتها وتستلهم مشاعرها وتستمع الى دقات قلبها فان اتجاهها الى الوحدة يصبح لا ريب فيه ولا مناص منه .

وهذا هو ماحدث .

أيها المواطنون أعضاء مجلس الامة :

حين حصلت سورية على استقلالها الكامل تطلعت الى مصر .

وحين حصلت مصر على استقلالها الكامل تطلعت الى سورية .

ولقد كان التقارب ، بل التوافق والتماثل كاملا حتى قبل ان يوقع ميثاق جامعة الدول العربية وحتى بعد ان تم توقيعه وارادت له بعض القوى ان يبقى حبرا على ورق .

لقد كان في سورية رد فعل لكل حركة في مصر كما كانت أصداء الذي يحدث في دمشق تتجاوب في القاهرة .

في مصر وسورية ذلك الفوران الذي أعقب الحرب العالمية الثانية وبدأت على أثره حركات التحرر الهائلة في افريقية وآسيا .

في سورية ومصر هذه الهزات العنيفة وراءها جميعا محاولات تغيير الاوضاع تطلعا الى الافضل والاحسن .

في مصر وسورية ذلك الاندفاع الى حرب فلسطين بالفروسية والايمان من غير سلاح ثم كانت في القاهرة ودمشق تلك الآثار التي ترتبت على حرب فلسطين والتي كان اولها تلك اليقظة التي تشبه انتفاضة من لسعته النار فاستفاق .

ثم في سورية ومصر نفس المعارك ولو قصرنا الحساب على الشهور الاخيرة فقط لكان مدهشا ان المعارك التي خاضتها دمشق هي نفس المعارك التي خاضتها القاهرة معركة الاحلاف العسكرية ، معركة السلاح ، معركة عدم الانحياز ، معركة المؤامرات معركة التحرر الاقتصادي .

بل ان سورية خاضت معركة قناة السويس بالعنف نفسه وبالقوة نفسها التي

خاضت بها بور سعيد معركة قناة السويس .. وكذلك حاربت مصر معركة التهديدات الموجهة الى سورية واعصابها كلها في دمشق وامام اعصابها قطعة من جيشها احتل جنودها مراكزهم جنبا الى جنب مع اخوانهم جنود سورية .

ولقد كان ذلك كله مدهشاً ولكنه لم يكن من صنع الصدف .

لقد مهدت عوامل كثيرة نبيلة وعميقة لهـذا الذي ربط بين مصر وسورية . مهدت الطبيعة ومهد التاريخ ومهد الدم ومهدت اللغة ومهدت الاديان ومهدت العقائد ومهدت السلامة المشتركة ومهدت الحرية .

كذلك اشتركت في التمهيد له تجارب من الالم والعذاب صنعها فرسان الطغيان الثلاثة السجن والمنفى والمشنقة .

ولكن ذلك كله كان يمهد لهذا الفجر الذي نشهد اليوم مطلعه بعد ليل طويل .

أيها المواطنون أعضاء مجلس الامة :

ولقد كان المبشر بالفجر هو ذلك القرار الذي اتخذه مجلس النواب السوري واتخذه مجلسكم بالعمل فورا لتحقيق الوحدة بين مصر وسورية .

كان قراركم هذا تعبيرا عن واقع هائل لايمكن تجاهله ، وصدى مستجيبا لنداء قدسي لا نستطيع ان نغلق آذاننا دونه . ولم يكن هذا الواقع موجوداً في دمشق والقاهرة وحدهما ، كذلك لم يكن ذلك النداء القدسي في هذا النطـاق وحده لايتجاوزه ، وانما كان الواقع موجودا في كل أرجاء الوطن العربي .

وكان النداء هو هدير التيار المتلاطم بالموج ، ذلك التيار الذي شقت القومية العربية كلها مجراه وحددت له خط سيره .

وهكذا بدأت القاهرة محادثات نهائية لرسم الشكل الخارجي للحقيقة الواقعة .

ولقد كانت هذه المحادثات في القاهرة تجربة جديدة في التاريخ .

انها لم تكن اجتماعا يتم بناء على رغبة ساسة او حكام .

وانما كانت اجتماعات تمت بناء على ضغط والحاح، وارادة عنيدة مصممة صادرة من قلوب الشعوب .

ولقد كان خيرا على أي حال اننا تركنا الامور تصل الى هذا المدى .

فلقد كان ينبغي للشعوب ان تأخذ فرصتها كاملة حتى تتثبت من يقينها وحتى يترسب ايمانها مع الايام الى اعماق الاعماق وحتى تؤكد لها الحوادث والتطورات ان طريق الوحدة هو طريق القوة ، طريق الحياة .

أيها المواطنون أعضاء مجلس الامة :

كان معنى محادثاتنا في القاهرة ووصول رائد الوحدة وبطلها ورافع رايتها المجاهد شكري القوتلي الى مصر مع وفد من رفاقه في الجهاد كان معناه ان الاوان قد آن وان الساعة التي تطلع اليها اجدادنا وعمل من اجلها آباؤنا قد دقت اجراسها .

وانه قد كتب لجيلنا بعد ليل طويل ان يشهد مطلع صبحها .

كان معناه ان الذي تخيلوه في المنى قد اصبح واقعا وان الذي ذاقوا من اجله الموت قد اصبح هو الحياة نفسها .

كان معناه ان الذي نصبت المشانق لتحول دونه قد أصبحت له وحده قوة القانون وقدرته .

كان معناه ان الذي اصطنعت الفرقة بينه ، قد عاد الى طبيعته التي اودعها الله فيه ، كلا متجانسا متحدا .

كان معناه ان السلاسل تكسرت ، ان السدود انهارت ، ان الحواجز سقطت ، وان الشظايا المتناثرة ، والاجزاء المتفرقة توشك ان تعود الى بعضها ، بل الى كلها .

كان معناه ان سورية ومصر ، قد قررتا تحمل المسؤولية التاريخية التي تهيأتا لها بوصفهما بلدين عربيين خلص زمام الامر فيهما لابنائهما ، وتحققت لهما أراضيهما سيادة حقيقية واستقلال كامل .

كان ذلك هو معنى محادثات القاهرة .

أيها المواطنون أعضاء مجلس الامة :

ولقد انتهت محادثاتنا ، الى اعلان الوحدة رسميا وتوقيع هذا الاعلان ، في يوم

السبت الاول من شباط سنة ١٩٥٨ وقد اودع هذا الاعلان التاريخي ، في مكتب مجلسكم ، وكانت النتيجة الكبرى له هي توحيد مصر وسورية في دولة واحدة ، اسمها الجمهورية العربية المتحدة ، يكون نظام الحكم فيها ديمقراطيا رياسيا ، يتولى فيه السلطة التنفيذية ، رئيس الدولة ، يعاونه وزراء يعينهم ويكونون مسؤولين امامه ، كما يتولى السلطة التشريعية مجلس تشريعي واحد ، ويكون لها علم واحد يظل شعبا واحدا وجيشا واحدا ، في وحدة يتساوى فيهـا ابناؤها في الحقوق والواجبـات .

ثم كان اتفاقنا بعد ذلك على المبادىء التالية لتقوم عليها الجمهورية في فترة الانتقال :

١ ــ الدولة العربية المتحدة ، جمهورية ديمقراطية مستقلة ذات سيادة ، وشعبها جزء من الامة العربية .

٢ ــ الحريات مكفولة في حدود القانون .

٣ ــ الانتخاب العام حق للمواطنين على النحو المبين بالقانون ، ومساهمتهم في الحياة العامة واجب وطني عليهم .

٤ ــ يتولى السلطة التشريعية ، مجلس يسمى مجلس الامة ، يحدد اعضاؤه ، ويتم اختيارهم بقرار من رئيس الجمهورية ، ويشترط ان يكون نصف الاعضاء على الاقل من بين اعضاء مجلس النواب السوري ومجلس الامة المصري .

٥ ــ يتولى رئيس الجمهورية السلطة التنفيذية .

٦ ــ الملكية الخاصة مصونة ، وينظم القانون اداء وظيفتها الاجتماعية ، ولا تنزع الملكية الا للمنفعة العامة ومقابل تعويض عادل ، وفقا للقانون .

٧ ــ انشاء الضرائب العامة او تعديلها او الغاؤها لايكون الا بقانون ولا يعفى احد من ادائها في غير الاحوال المبينة في القانون .

٨ ــ القضاة مستقلون لا سلطان عليهم في قضائهم لغير القانون .

٩ ــ كل ما قررته التشريعات المعمول بها في سورية وفي مصر يبقى ساري المفعول

في النطاق الاقليمي المقرر له عند اصداره ، ويجوز الغاء هذه التشريعات او تعديلها .

١٠ ــ تتكون الجمهورية العربية المتحدة من اقليمين هما : سورية ومصر .

١١ ــ يشكل في كل اقليم مجلس تنفيذي يرأسه رئيس يعين بقرار من رئيس الجمهورية ، ويعاونه وزراء يعينهم رئيس الجمهورية بناء على اقتراح رئيس المجلس التنفيذي .

١٢ ــ تحدد اختصاصات المجلس التنفيذي بقرار من رئيس الجمهورية .

١٣ ــ تبقى احكام المعاهدات والاتفاقيات المبرمة بين كل من سورية ومصر وبين الدول الاخرى ، وتظل هذه المعاهدات والاتفاقيات سارية المفعول في النطاق الاقليمي المقرر لها عند ابرامها ، ووفقا لقواعد القانون الدولي .

١٤ ــ تبقى المصالح العامة والنظم الادارية القائمة معمولا بها في كل من سورية ومصر ، الى ان يعاد تنظيمها وتوحيدها بقرارات من رئيس الجمهورية .

١٥ ــ يكون المواطنون اتحادا قوميا للعمل على تحقيق الاهداف القومية ولحث الجهود لبناء الامة بناء سليما من النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وتبين طريقة تكوين هذا الاتحاد بقرار من رئيس الجمهورية .

١٦ ــ تتخذ الاجراءات لوضع الدستور الدائم للجمهورية العربية المتحدة .

١٧ ــ يجري الاستفتاء على الوحدة وعلى رئيس الجمهورية العربية المتحدة في يوم الجمعة ٢١ شباط .

أيها المواطنون أعضاء مجلس الامة :

هنا لابد لي من وقفة أتحدث فيها عن دستور ١٦ يناير ، الذي كان مجلسكم أعظم نتائجه .

ان هذا الدستور خالد ، ولم يكن معقولا ان الثورة التي وضعته واعلنت قيامه منبثقا من صميم ارادة الشعب وخلاصة تجاربه ، ترضى لهذا الدستور ان يسقط او يضيع . ولكن الدستور كما قلت لحضراتكم ، يوم كان لي شرف الحديث اليكم هنا في يوم ١٦ يناير الماضي ، ليس مجرد النصوص الجامدة .. وانما هو الحركة

الدائمة اليقظة في اتجاه المستقبل الذي نسعى اليه ، وهو الاطار الذي ينظم هذه الحركة ويجمع صفوفها .

ولقد وقعت حركة هائلة ، جمعت شعبين من أمة واحدة في جمهورية متحدة وكان لا بد ان يتسع الاطار لكي يستطيع ان يضم النطاق الجديد المتسع .

لذلك كان لا بد لدستور ١٦ يناير من ان يدخل في تجربة حياة أفسح وأرحب وكذلك كان لابد لمجلسكم الذي كان اعظم نتائج دستور ١٦ يناير من ان يدخل التجربة نفسها .

أيها المواطنون أعضاء مجلس الامة :

قلت لحضراتكم مرة : اننا نعتبركم مجلس الثورة الجديد ، باعتبار ان الثورة مستمرة ، وانه لمما يدعو الى الامل ان تجربة الشهور القليلة التي مضت ، منذ بدأ مجلسكم يمارس عمله ، كانت تبشر بتعاون كامل يستهدف صيانة مصالح الشعب ويسعى الى بناء المجتمع الجديد .

وانه لحق علينا ان نقول لحضراتكم ، في هذه اللحظات الفاصلة في تاريخ شعبنا، انكم كنتم على خير ما كنا نؤمل ونتمنى ، وان مشاركتكم لنا في المسؤوليات كانت خير عون لنا فيما مضينا لتحقيقه من الامور .

وانه لمما يسعدني ، ان التطور العظيم الذي نعيشه لن ينهي صحبتنا على الطريق وانما هو على العكس سيقوي الاواصر بيننا ، ويشد الصلات ، ويجعلنا في ما نحن مقبلون عليه اكثر اندفاعا ، واكثر صلابة ،وأعز وحدة وتضامنا .

أيها المواطنون أعضاء مجلس الامة :

على انني ارى انه من واجبي في هذه اللحظات ان اصارحكم ، وشعب الجمهورية العربية المتحدة كله معكم ، بان الطريق الذي نقبل عليه طويل وشاق .

ان رحلتنا عليه ليست نزهة نروح بها عن النفس .

وانما رحلتنا عليه مشاق ومتاعب ، وكفاح وجهاد .

ولكن هذه كلها هي الثمن العادل للامل الكبير الذي نسعى اليه .

ولسوف يضاعف من مصاعب ما سوف نلقاه امامنا على الطريق ، ان الذين لاتروقهم وحدة سوريةمع مصر، ولا توافق اغراضهم ، لن يتقبلوها بالرضا والسكوت وانما ستكو نالمساعي ، وستكون المحاولات ، وستكون المناورات .

لهذا أقول لكم من الآن : اننا في سعينا على طريق املنا ، يجب ان نظل مفتوحي الاعين ، متنبهي الحس والوجدان .

أيها المواطنون أعضاء مجلس الامة :

اننا نعيش فترة رائعة .. ولكن علينا ان ندرك ان لهذه الفترة الرائعة اخطارها ايضا . وربما كانت شهوات انفسنا هي أكبر الاخطار التي يتعين علينا مواجهتها لقد مرت علينا قرون من الزمان وأحلامنا وامانينا ورغباتنا واهدافنا حبيسة وراء الحواجز والسدود ، التي صنعها الاستعمار ولقد تهاوت الحواجز والسدود لما زال الاستعمار من بلادنا ، وهكذا بدأت الاحلام والاماني والرغبات والاهداف ، تنطلق من عقالها وتتدافع بسرعة الكبت الطويل في مثل تدفق الفيضان .

ولقد كان هذا هو التفسير الحقيقي لسرعة الحوادث في جيلنا ، وهو أمر طبيعي ، بعد أجيال عديدة مكبوتة .. ولكن هذا ايضا تحذير كما هو تفسير .

انه تحذير بان من اول واجباتنا ان نقيم من الحكمة خزانات على امانينا . ثم نفتح عيونها ليمر التيـــار على شكل الفيضان المنظم .. ولا يقفز فوق رؤوسنا كالطوفان العالي الشديد .

ايها المواطنون اعضاء مجلس الامة :

انني واثق ان التجربة التي نواجهها اليوم ، ستحقق كل ما يرجوه لها هؤلاء الذين عملوا لمشرق فجرها طوال الليل الموحش المظلم .

وانه لما يؤكد ثقتي ان الله تعالت قدرته قد جمع قلبنا بقلب خير رفيق على طريق خير سند في معركة ، خير قريب ، خير أخ ، خير حبيب ...

لقد أكد شعب سورية بتجارب الايام ، تجربة بعد تجربة ، انه طليعة القومية العربية ، وانه رأس الحربة في اندفاعها ، وانه الحارس الامين لتراثها المجيد .

أيها المواطنون أعضاء مجلس الامة :

لقد بزغ أمل جديد على افق هذا الشرق .

ان دولة جديدة تنبعث في قلبه . لقد قامت دولة كبرى في هذا الشرق ، ليست دخيلة فيه ولا غاصبة ، ليست عادية عليه ولا مستعدية .

دولة تحمي ولا تهدد ، تصون ولا تبدد ، تقوي ولا تضعف ، توحد ولا تفرق ، تسالم ولا تفرط ، تشد ازر الصديق ، ترد كيد العـدو ، لاتتحزب ولا تتعصب ، لا تنحرف ولا تنحاز ، تؤكد العدل ، تدعم السلام ، توفر الرخاء لها ، لمن حولها ، للبشر جميعا .. بقدر ما تتحمل وتطيق .

أيها المواطنون أعضاء مجلس الامة :

وفقكم الله ، وبارك لكم وحدتكم وحمى جمهوريتكم العربية المتحدة .

ثم أقر مجلس الامة المصري القرار الآتي :

يعلن مجلس الامة تأييده الكامل للسياسة التي رسمها السيد الرئيس جمال عبد الناصر في البيان التاريخي الذي القاه بجلسة اليوم (الاربعاء ١٦ من رجب سنة ١٣٧٧ الموافق ٥ من فبراير سنة ١٩٥٨) لتحقيق قيام الدولة العربية المتحدة ، تنفيذا لارادة الشعب العربي في سورية ومصر .

ويرى في هذه السياسة استجابة كاملة لما قرره مجلس النواب السوري ومجلس الامة المصري بالاجماع من قيام الوحدة بين البلدين ، كخطوة اولى نحو تحقيق الوحدة العربية الشاملة .

ويحيي المجلس ـ في هذه اللحظات الخالدة في تاريخ الامة العربية ـ جهاد البطلين العظيمين شكري القوتلي وجمال عبد الناصر ، هذا الجهاد الذي حقق لأمة العرب أعظم نصر تاريخي ، ترجم أحلام اجيال الى واقع ملموس باقامة الدولة العربية المتحدة ، النواة الاولى لاعادة التحام الكيان العربي الواحد الذي مزقه الاستعمار وفرق بينه أعداء القومية العربية .

ويشيد بالروح الوطنية العالية ، وبالمشاعر القومية النبيلة والتسابق في الايثار

والتضحية وانكار الذات ، التي سادت جميع من أسهموا في اقامة هذا الصرح القومي الخالد ، مما يبشر بمتانة الاساس وقوة البناء وتحقيق الخير لكل فرد من أفراد الامة العربية .

ويذكر مجلس الامة ، وقد تحقق للامة العربية هذا النصر المؤزر ، الشهداء العرب الابرار ، الذين سقطوا على مر الاجيال دفاعا عن حرية العرب واستقلالهم ومجدهم وقوميتهم ، فكانوا المشاعل التي أضاءت الطريق ، حتى أشرق فجر الحرية والعزة والوحدة .

وان مجلس الامة ليرى في اقامة الدولة العربية المتحدة ايذانا بفجر جديد ، تتضافر فيه كل الجهود والقوى في سورية ومصر في سبيل واحد ، ونحو هدف واحد ، بايمان مشترك لتحقيق مجد العروبة .

ثم قرر مجلس الامة المصري تأييد ترشيح جمال عبد الناصر رئيساً للجمهورية العربية المتحدة .

استمع اعضاء مجلس الامة الى الرسالة الكريمة التي وجهها فخامة الرئيس شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية الى مجلس الامة والتي تفيض بانبل المشاعر واصدق الاحاسيس وتعبر عن روح قومية وعقيدة مخلصة اشربت حب الوطن العربي والرفعة المؤمنة الصادقة في البذل والتضحية من اجل وحدة الامة العربية وان مجلس الامة ليتجه بالتهنئة الى فخامة الرئيس شكري القوتلي الذي استحق بجهاده المتصل وتضحياته الكريمة تقدير الامة العربية ان وفقه الله الى تحقيق ماجاهد من اجله منذ فجر حياته .

ان الموقف الوطني الرائع الذي يقفه فخامة الرئيس شكري القوتلي في هذه اللحظات الخالدة في تاريخ الامة العربية بترشيحه السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية العربية المتحدة لهو الرمز الخالد والمثل الحي لروح باذلة مضحية مؤمنة مدركة ، وان مجلس الامة اذ يعرب عن صادق شكره وعظيم امتنانه للروح التي املت هذا الترشيح ، ليعلن عن تأييده الكامل لترشيح القائد الوطني المخلص

جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية العربية المتحدة ، ويؤمن ايماناً عميقاً بانه سيحمل الامانة ويتم الرسالة ويحقق هدف الامة العربية في الوحدة والعزة والكرامة .

والقى شكري القوتلي بمجلس النواب السوري في ١٢ رجب ١٣٧٧ هـ ـ ٥ شباط ١٩٥٨ م ، البيان التالي :

أيها النواب المحترمون :

افتتح كلمتي اليكم اليوم في هذه الجلسة التاريخية التي يعقدها مجلسكم الكريم بحمد الله حمداً كبيرا على ما افاض علينا من نعمته وما احاطنا به من سابغ عنايته ، فوجه خطانا في طريق الصواب والهمنا الخير والرشاد واخذ بيدنا اخذا عزيزا في سبيل مرضاته وابتغاء وجهه ووجه الحق حتى رأينا باعيننا ما كنا نراه في احلامنا وامانينا وتفتحت لنا في هذه الدنيا آفاق واسعة وآمال جسام .

في هذه الجلسة الكبرى التي يعقدها مجلسكم ونحن في منطلق تحول جديد في تاريخ هذا الجزء السوري من الوطن العربي ، اريد ان اذكركم لتذكروا ابدا ان نضالنا في سبيل حريتنا كان يمشي جنبا الى جنب مع نضالنا في سبيل الوحدة القومية فمنذ ان فتحنا على الحكم العثماني ثم على الاحتلال الفرنسي نار الجهاد اعلنا جهادنا على الملأ باسم الله وباسم العروبة وكانت كل حركة سورية تقوم بها ضد الاغتصاب والاحتلال متصلة الجذور بكل وسط عربي يهزه مثلما يهزنا شعور العزة والكرامة وتدفعه مثلما تدفعنا العزة والكرامة ، والايمان والتاريخ المشترك والمصير المشترك .

لقد اردنا الثورة العربية ، خلال الحرب الكونية الاولى وفي اعقابها ، ثورة في سبيل الحرية والوحدة فنصبت لنا اعواد المشانق وتهافت عليها الاحرار وهم ينشدون اناشيد الحرية والنصر ، وكان نداء هذه الارض العربية المطهرة بدماء الرواد الاول ايذانا بتفجير الثورة على ٤٠٠ عام من حكم الارهاب والافناء .

ولقد هال الدول الكبرى من بعد ان يستيقظ العملاق العربي ويدق ابواب الحرية والوحدة وكانت قد قررت مصيره في الخفاء بينما كنا لانزال في مهب جهاد التحرير وراحت تفرض سياسة السيادة الاستعمارية بالتجزئة وتقطيع الاوصال

فاخترعت نظام الانتداب ورمت الوثبة العربية في شراك الصداقات الكاذبةوالخلافات الخادعـة .

وكان هذا الجزء السوري من الوطن العربي اول من دوت في الآفاق صيحته وتخضبت بالدماء الزكية ثورته ، ومضى تاريخنا من موقعة ميسلون عام ١٩٢٠ حتى موقعة هذا المجلس النيابي ١٩٤٥ خطا مستقيما من المضاء والعزيمة والنضال تنير جوانبه مشاعل البطولة ، محترقة بدماء الشهداء حتى رأينا العدو الباغي ينكس راياته فوق هذه السهول الحبيبة ويغمد سيفه في قلب غروره ويخرج من هذه البلاد ذليلا مدحورا .

كانت حركة النضال السوري ايها النواب المحترمون على اتصال وثيق جهارا وسرا بشتى عناصر المقاومة في كل ارض عربية وكنا نعمل ابدا على ان تتواصل حركات المقاومة والجهاد في كل بلد عربي فرضت عليه التجزئة والانتداب او قيود المعاهدات ، وكثيرا ما التقت التيارات السورية بالروافد العربية هنا وهناك لاعلان النقمة والثورة على سلطات الاحتلال والاغتصاب .

وكنا نوجه النضال المحلي توجيها قوميا شاملا قناعة منا بأن النجاح معقود على تعاقد الايدي وتلاقي القوى وليس من سبيل للاعراب عن وحدة الارض ووحدة المصير ووحدة الهدف الا بوحدة النضال والعمل القومي المشترك .

وعندما ظفرنا بالحرية والاستقلال وجلت جيوش الاحتلال جلاء ابديا عن ارضنا وبلادنا كنا نرى استقلالنا المنيع العزيز منطلقا الى حرية عربية امنع والى عمل قومي اوسع نطاقا وابعد املا وطموحا بل قد تعالت بحريتنا بشائر التحرير العربي واخذت ابواق الاستعمار منذ عام ١٩٤٥ تقرع نذير الخطر المقبل من العالم العربي متلاقية على هدف واحد في قمع حركة الانطلاق ووضع السدود في طريق الركب المتصاعد .

أيها النواب المحترمون :

في خلال العامين الاخيرين من هذا التاريخ الحافل تم لقاؤنا القومي من جديد مع مصر الثورة فكان لقاء اخويا صادقا على صعيد المبادىء القومية السامية وعلى

اسس صريحة من سياسة دولية مستوحاة من مصلحتنا القومية العليا ومن حرصنا الشديد على صيانة معنى السيادة بكل جماله وجلاله .

باسم الله والشعب العربي :

وانتهينا الى تلك الجلسة المشتركة التي عقدت في قصر القبة في اليوم الاول من شباط عام ١٩٥٨ والثاني عشر من رجب عام ١٣٧٧ بحضور كامل اعضاء الحكومتين المصرية والسورية ، واعلنا باسم الله والشعب العربي في كل من الجزئين الغاليين مولد الجمهورية العربية المتحدة مؤكدين في البيان التاريخي ان عناصر الوحدة بين الجمهوريتين السورية والمصرية واسباب نجاحها قد توافرت بعد ان جمع بينهما في الحقبة الاخيرة كفاح مشترك زاد معنى القومية وضوحا واكد أنها حركة تحرير وتعمير ، وعقيدة تعاون وسلام ، كما انها في الوقت نفسه خطوة ايجابية في طريق وحدة العرب وتضامنهم ، ودعوة اليهم للالتقاء معها باي شكل مناسب من اشكال الوحدة والاتحاد .

فالى العرب في مواطنهم ومهاجرهم ، اعلن من فوق هذا المنبر كما اعلنت في القاهرة اليوم الاول من شباط هذا الميثاق القومي الجديد فتحا من الله ونصرا عزيزا ، ففي مدى الالف عام التي مضت لم يكن اعظم منه شأنا ولا ابعد أثرا في حياة الامة العربية بل في تاريخ هذا الشرق الكبير .

وانني لارى منذ الآن رؤية العين وحدتنا القومية مؤتلفة مع بقية الاجزاء العربية باسباب الوحدة او الاتحاد على المبادىء التي نعمل من اجلها ، ونسعى ابدا لتوطيدها وهي مبادىء الحرية والعدل والحياد الايجابي وعدم الانحياز ، مبادىء غدت ترمز اليوم الى ممارستنا حقنا الكامل في السيادة القومية . ثم اعلن مبادىء الوحدة [1] .

هذه هي المبادىء والاسس التي تقوم عليها الجمهورية العربية المتحدة تلوتها عليكم وما هي بالواقع الا من وحي شعوركم وضميركم ومن صميم ارادة هذا الشعب الابي المناضل الذي انتخبكم وائتمنكم فاعربتم عن ارادته في شتى المناسبات والظروف حق الاعراب ، واستحق كل منكم شكر بلاده وامته .

(١) قد ذكرت في بيان جمال عبد الناصر .

أيها النواب الافاضل :

في هذا اليوم الخامس من شباط عام ١٩٥٨ يكون قد مر على انتخابي رئيسا للجمهورية السورية خلال عهد طوقتم به عنقي بثقتكم الغالية سنتان ونصف السنة ومثلما اتيح لي خلال عهد الرئاسة الاول بين عام ١٩٤٣ وعام ١٩٤٦ شرف اعلان الاستقلال وجلاء الاجنبي عن هذا الجزء العربي العزيز ، كذلك اتيح لي شرف ارفع وادعى للاعتزاز باعلان مولد الجمهورية العربية المتحدة خلال عهد رئاستي هذه بين عام ١٩٥٥ وعام ١٩٥٨ .

وكم ارجو ايها الاخوان الاعزاء ان اكون باعتباركم وباعتبار هذا الشعب العربي العظيم الذي يشرفني ان انتسب اليه مواطنا عاديا ، كما ارجو ان اكون باعتباركم واعتباره قد اديت واجبي نحو بلادي وامتي وكنت جديرا بالثقة التي اوليتموني اياها خلال هذه الحقبة من الزمن العصيب ، فان قصرت فعذري انني عملت بصبر وايمان وهدف واخلاص ، وان اخطأت فعذري انني انسان وليس الانسان بمعصوم وان فاتني شرف الاستشهاد ولم اكن بجوار الخالدين من احرار هذه الامة فامام الله اشهد انني لم اجنب نفسي خطرا ولم اوفرها عن شهادة وقد اراد الله ان التقي باجيال الشباب تتقدم الموكب العربي الطالع وبجباهها وعود المستقبل العظيم فطيبت نفسي واثلجت صدري وغمرت كياني بسعادة الطمأنينة والثقة ، وانني اذ ارفع بيدي تلك الشعلة المقدسة اسلمها في اوج اشتعالها الى يد الاجيال الشابة القادمة في أوج فتوتها وشبابها وابارك اليد التي تحمل والساعد الذي يرتفع والشعلة التي تضيء والجيل الذي يصعد والروح التي تتدفق والمستقبل الذي تبلج فجره وهلت للملأ رايته .

انني اذ اسلم الامانة الغالية طيب النفس قرير العين واثقا مطمئنا ، ارشح لرئاسة الجمهورية العربية المتحدة امام مجلسكم الكريم في هذه الجلسة القومية التاريخية الرجل المؤمن والقائد العربي الملهم الرئيس جمال عبد الناصر ، وسأكون غدا في يوم الاستفتاء يوم الواحد والعشرين من شباط عام ١٩٥٨ اول من يقوم بواجبه كمواطن لانتخاب الرئيس القائد الذي وضع ثورة مصر في خدمة القومية العربية ، كما وضع نفسه في خدمة امته ليعمل في سبيل حريتها ومجدها ورخائها .

في هذا اليوم الخامس من شباط عام ١٩٥٨ وجهت الى سيادة رئيس مجلس الامة بمصر الرسالة التالية واني اعتبرها موجهة اليكم بالوقت نفسه والى كل مواطن عربي في ارض الجمهورية العربية المتحدة .

ثم ارسل الى رئيس مجلس الامة المصري الرسالة الآتية :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ، انني اذ اعلن لمجلس النواب السوري مولد الجمهورية العربية المتحدة والميثاق الذي تم الاتفاق عليه بين حكومتي جمهورية مصر والجمهورية السورية في اجتماعات القاهرة من يوم الجمعة اول شباط الى يوم الاحد الثالث منه عام ١٩٥٨ الموافق الثاني عشر من رجب الى الرابع عشر منه عام ١٣٧٧ سيصبح حلم الاجيال العربية حقيقة واقعة تنفيذا لارادة شعب الجزئين الغاليين، ارى من واجبي ونحن قادمون على الاستفتاء الشعبي المقرر لانتخاب رئيس الجمهورية العربية المتحدة يوم الجمعة ٢١ شباط ١٩٥٨ ان اكون المواطن الاول في الدولة الجديدة الذي يرشح سيادة الرئيس جمال عبد الناصر رئيسا لها ، شعورا مني بالواجب تجاه امتي وبلادي ، وثقة مني باخلاص الرجل العربي المؤمن الذي تعقد عليه الامة اكبر الآمال وتقديرا لما يتمتع به من صفات النزاهة والجرأة والاقدام وعلى رأسها تفانيه في خدمة امته وقوميته العربية .

انني اذ ارشح سيادة الرئيس جمال عبد الناصر لتسلم هذه الامانة الغالية اعلن ثقتي واطمئناني الى ان سيادته سيعمل على اعلاء شأن الجمهورية الفتية بكل تجرد وصدق لما فيه عزها ورخاؤها وسعادة مواطنيها وما فيه خير العرب في جميع ديارهم ومساكنهم والله ولي التوفيق .

الاربعاء الخامس من شباط ١٩٥٨

شكري القوتلي

وختم شكري القوتلي خطابه قائلا : بهذا ايها النواب الكرام ، اتمم واجبي واكون قد اديت الامانة الغالية التي حملتموني اياها تكريما وتشريفا وانا على اشد ما يكون المواطن مغمورا بشعور الرضى ، رضى الله وضميري وامتي .

ثم تلي امين سر مجلس النواب القرار الآتي :

ان مجلس النواب بعد ان استمع الى البيان التاريخي الذي تفضل فخامة رئيس الجمهورية بالقائه في جلسة يوم الاربعاء الموافق ١٦ رجب ١٣٧٧ و ٥ شباط ١٩٥٨ شارحا اسس الوحدة بين الاقليمين العربيين مصر وسورية يبارك الخطوات التي قام بها الرئيسان والحكومتان لتحقيق هذه الامنية القومية العزيزة على قلب كل عربي ، ويؤيد المبادىء الدستورية التي اتفق عليها ووردت في البيان للعمل بها خلال الفترة الانتقالية .

وان مجلس النواب يرى من واجبه في هذه اللحظة المباركة ان يسجل بالفخر والاعتزاز الموقف المشرف للرئيسين المؤمنين العظيمين شكري القوتلي وجمال عبد الناصر وجهدهما الميمون الذي حقق للامة العربية امنية قدمت في سبيلها تضحيات ودماء ، وكانت آخر رؤيا اطبقت عليها اعين الشهداء .

ان مثل الرائع الذي ضربه فخامة السيد شكري القوتلي بصدق جهاده وعميق ايمانه وعظيم ايثاره ، سيظل الهدي الذي تهتدي به اجيال الامة العربية .

ان اعضاء مجلس النواب بموافقتهم وتأييدهم لما تم انما يعبرون عن ارادة الشعب العربي في الاقليم السوري ويؤدون الامانة ويوفون بالعهد حين اقسموا اليمين الدستورية على العمل لتحقيق وحدة الاقطار العربية .

ومجلس النواب يرى في ترشيح سيادة الرئيس جمال عبد الناصر لرياسة الجمهورية العربية المتحدة الضمانة الاكيدة للسير بالدولة العربية الفتية نحو تحقيق اهداف القومية العربية وتوطيد العدالة والخير والسلام للعرب والانسانية .

وبقلوب مؤمنة تتجه الى الله العلي القدير ان يرعى دولتنا الفتية وان يجعلها فاتحة جمع شمل امتنا العربية في دولة واحدة .

دمشق في ١٦ رجب ١٣٧٧ و ٥ شباط ١٩٥٨

ثم اجري الاستفتاء في الاقليمين المصري والسوري على وحدة سورية ومصر في الجمهورية العربية المتحدة وعلى الرياسة لهذه الجمهورية فكان نتيجة الاستفتاء

في ٣ شعبان ١٣٧٧ هـ ـ ٢٢ شباط ١٩٥٨ م ، على وحدة سورية ومصر وانتخاب جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية العربية المتحدة .

ثم اعلن عبد الناصر في ١٦ شعبان ١٣٧٧ هـ ـ ٦ آذار ١٩٥٨ م ، الدستور الموقت للجمهورية العربية المتحدة المؤلف من ٧٣ مادة وهي :

الباب الاول ـ الدولة العربية المتحدة

مادة ١ ـ الدولة العربية المتحدة جمهورية ديمقراطية مستقلة ذات سيادة وشعبها جزء من الامة العربية .

مادة ٢ ـ الجنسية في الدولة العربية المتحدة يحددها القانون . ويتمتع بجنسية الدولة العربية المتحدة كل من يحمل الجنسية السورية او المصرية او يستحق ايا منهما بموجب القوانين والاحكام السارية في سورية ومصر عند العمل بهذا الدستور .

الباب الثاني ـ المقومات الاساسية للمجتمع

مادة ٣ ـ التضامن الاجتماعي اساس للمجتمع .

مادة ٤ ـ ينظم الاقتصاد القومي وفقا لخطط مرسومة تراعى فيها مبادىء العدالة الاجتماعية وتهدف الى تنمية الانتاج ورفع مستوى المعيشة .

مادة ٥ ـ الملكية الخاصة مصونة وينظم القانون اداء وظيفتها الاجتماعية ولا تنزع الملكية الا للمنفعة العامة ومقابل تعويض عادل وفقا للقانون .

مادة ٦ ـ العدالة الاجتماعية اساس الضرائب والتكاليف العامة .

الباب الثالث ـ الحقوق والواجبات العامة

المواطنون لدى القانون سواء وهم متساوون في الحقوق والواجبات العامة لا تمييز بينهم في ذلك بسبب الجنس او الاصل او اللغة او الدين او العقيدة .

مادة ٨ ـ لا جريمة ولا عقوبة الا بناء على قانون .
ولا عقاب الا على الافعال اللاحقة لصدور القانون الذي ينص عليها .

مادة ٩ ـ تسليم اللاجئين السياسيين محظور .
مادة ١٠ ـ الحريات العامة مكفولة في حدود القانون .

مادة ١١ ــ الدفاع عن الوطن واجب مقدس واداء الخدمة العسكرية شرف للمواطنين والتجنيد اجباري وفقا للقانون .

الباب الرابع ــ نظام الحكم
الفصل الاول ــ رئيس الدولة

مادة ١٢ ــ رئيس الدولة هو رئيس الجمهورية ويباشر اختصاصاته على الوجه المبين في هذا الدستور .

الفصل الثاني ــ السلطة التشريعية

مادة ١٣ ــ يتولى السلطة التشريعية مجلس يسمى مجلس الامة يحدد عدد اعضائه ويتم اختيارهم بقرار من رئيس الجمهورية ويشترط ان يكون نصفهم على الاقل من بين اعضاء مجلس النواب السوري ومجلس الامة المصري .

مادة ١٤ ــ يتولى مجلس الامة مراقبة اعمال السلطة التنفيذية على الوجه المبين في هذا الدستور .

مادة ١٥ ــ يجب الا تقل سن عضو مجلس الامة عن ثلاثين سنة ميلادية .

مادة ١٦ ــ مقر مجلس الامة مدينة القاهرة ، ويجوز دعوته للانعقاد في جهة اخرى بناء على طلب رئيس الجمهورية .

مادة ١٧ ــ يدعو رئيس الجمهورية مجلس الامة للانعقاد ويفض دورته .

مادة ١٨ ــ لايجوز ان يجتمع مجلس الامة ، دون دعوة ، في غير دور الانعقاد والا كان اجتماعه باطلا وبطلت بحكم القانون القرارات التي تصدر منه .

مادة ١٩ ــ يقسم عضو مجلس الامة امام المجلس في جلسة علنية ، قبل ان يتولى عمله ، اليمين الآتية :

(اقسم بالله العظيم ان احافظ مخلصا على الجمهورية العربية المتحدة ونظامها ، وان ارعى مصالح الشعب وسلامة الوطن ، وان احترم الدستور والقانون) .

مادة ٢٠ ــ ينتخب مجلس الامة في اول اجتماع عادي له رئيسا ووكيلين .

مادة ٢١ ــ جلسات مجلس الامة علنية .

ويجوز انعقاده في جلسة سرية بناء على طلب رئيس الجمهورية او عشرين من اعضائه ، ثم يقرر المجلس ما اذا كانت المناقشة في الموضوع المطروح امامه تجري في جلسة علنية او سرية .

مادة ٢٢ ــ لا يصدر قانون الا اذا قرره مجلس الامة . ولا يجوز تقرير مشروع قانون الا بعد اخذ الرأي فيه مادة مادة .

مادة ٢٣ ــ يضع مجلس الامة لائحته الداخلية لتنظيم كيفية ادائه لاعماله .

مادة ٢٤ ــ لكل عضو من اعضاء مجلس الامة ان يوجه الى الوزراء اسئلة او استجوابات . وتجري المناقشة في الاستجواب بعد سبعة ايام على الاقل من يوم تقديمه ، وذلك في غير حالة الاستعجال وموافقة الوزير .

مادة ٢٥ ــ يجوز لعشرين من اعضاء مجلس الامة ان يطلبوا طرح موضوع عام للمناقشة لاستيضاح سياسة الحكومة في شأنه وتبادل الرأي فيه .

مادة ٢٦ ــ لمجلس الامة ابداء رغبات او اقتراحات للحكومة في المسائل العامة .

مادة ٢٧ ــ انشاء الضرائب العامة او تعديلها او الغاؤها لايكون الا بقانون .

ولا يعفى احد من ادائها في غير الاحوال المبينة في القانون .

ولا يجوز تكليف احد اداء غير ذلك من الضرائب او الرسوم الا في حدود القانون

مادة ٢٨ ــ ينظم القانون القواعد الاساسية لجباية الاموال العامة واجراءات صرفها .

مادة ٢٩ ــ لايجوز للحكومة عقد قرض او الارتباط بمشروع يترتب عليه انفاق مبالغ من خزانة الدولة في سنة او سنوات مقبلة الا بموافقة مجلس الامة .

مادة ٣٠ ــ لايجوز منح احتكار الا بقانون والى زمن محدود .

مادة ٣١ ــ يعين القانون طريقة اعداد الميزانية وعرضها على مجلس الامة . كما يحدد السنة المالية .

مادة ٣٢ ــ يجب عرض مشروع الميزانية العامة للدولة على مجلس الامة قبل انتهاء السنة المالية بثلاثة اشهر على الاقل لبحثه واعتماده . وتقر الميزانية باباً باباً .

ولا يجوز لمجلس الامة اجراء أي تعديل في المشروع الا بموافقة الحكومة .

مادة ٣٣ ــ تجب موافقة مجلس الامة على نقل أي مبلغ من باب الى آخر من ابواب الميزانية وكذلك على كل مصروف غير وارد بها او زائد على تقديراتها .

مادة ٣٤ ــ الميزانية المستقلة والملحقة تجري عليها الاحكام الخاصة بالميزانية العامة

مادة ٣٥ ــ ينظم القانون الاحكام الخاصة بميزانيات الهيئات العامة الاخرى .

مادة ٣٦ ــ لايجوز في اثناء دورة انعقاد مجلس الامة وفي غير حالة التلبس بالجريمة ان تتخذ ضد أي عضو من اعضائه اية اجراءات جنائية الا باذن المجلس .

وفي حالة اتخاذ أي من هذه الاجراءات في غيبة المجلس يجب اخطاره بها .

مادة ٣٧ ــ لا يجوز اسقاط عضوية احد من اعضاء مجلس الامة الا بقرار من المجلس باغلبية ثلثي اعضائه بناء على اقتراح عشرين من الاعضاء ، وذلك اذا فقد الثقة والاعتبار .

مادة ٣٨ ــ لرئيس الجمهورية حق حل مجلس الامة ، فاذا حل المجلس وجب تشكيل المجلس الجديد ودعوته للانعقاد خلال ستين يوما من تاريخ الحل .

مادة ٣٩ ــ اذا قرر مجلس الامة عدم الثقة باحد الوزراء وجب عليه اعتزال الوزارة

ولا يجوز طلب عدم الثقة بالوزير الا بعد استجواب موجه اليه .

ويكون الطلب بناء على اقتراح عشرين عضوا من اعضاء المجلس . ولا يجوز للمجلس ان يصدر قراره في الطلب قبل ثلاثة ايام على الاقل من تقديمه .

ويكون سحب الثقة من الوزير باغلبية اعضاء المجلس .

مادة ٤٠ ــ لايجوز الجمع بين عضوية مجلس الامة وتولي الوظائف العامة . ويحدد القانون احوال عدم الجمع الاخرى .

مادة ٤١ ــ لايجوز لاي عضو من اعضاء مجلس الامة ان يعين في مجلس ادارة شركة في اثناء مدة عضويته الا في الاحوال التي يحددها القانون .

مادة ٤٢ ــ لايجوز لاي عضو من اعضاء مجلس الامة في أثناء مدة عضويته ان

يشتري ويستأجر من اموال الدولة او يؤجرها أو يبيعها شيئاً من امواله وان يقايضها عليـــه .

مادة ٤٣ ــ يتقاضى اعضاء مجلس الامة مكافأة يحددها القانون .

الفصل الثالث ــ السلطة التنفيذية

مادة ٤٤ ــ يتولى رئيس الجمهورية السلطة التنفيذية ويمارسها على الوجه المبين في الدستور .

مادة ٤٥ ــ لايجوز لرئيس الجمهورية ، في اثناء مدة رياسته ، ان يزاول مهنة حرة او عملا تجاريا او ماليا او صناعيا او ان يشتري او يستأجر شيئا من اموال الدولة او ان يؤجرها او يبيعها شيئا من امواله او ان يقايضها عليه .

مادة ٤٦ ــ لرئيس الجمهورية ان يعين نائبا لرئيس الجمهورية او اكثر ويعفيهم من مناصبهم .

مادة ٤٧ ــ يعين رئيس الجمهورية الوزراء ويعفيهم من مناصبهم ويجوز تعيين وزراء دولة ونواب للوزراء ويتولى كل وزير الاشراف على شؤون وزارته ويقوم بتنفيذ السياسة العامة التي يضعها رئيس الجمهورية .

مادة ٤٨ ــ لايجوز لنائب رئيس الجمهورية او للوزير ، في اثناء مدة توليه منصبه ، ان يزاول مهنة حرة او عملا تجاريا أو ماليا أو صناعيا أو ان يشتري أو يستأجر شيئا من امـــوال الدولة او ان يؤجرها او يبيعها شيئا من امـــواله أو ان يقايضها عليه .

مادة ٤٩ ــ لرئيس الجمهورية ولمجلس الامة حق احالة الوزير الى المحاكمة عما يقع منه من جرائم في تأديته اعمال وظيفته .

ويكون قرار مجلس الامة باتهام الوزير بناء على اقتراح مقدم من خمس اعضائه على الاقل . ولا يصدر قرار الاتهام الا باغلبية ثلثي اعضاء المجلس .

مادة ٥٠ ــ لرئيس الجمهورية حق اقتراح القوانين والاعتراض عليها واصدارها.

مادة ٥١ ــ اذا اعترض رئيس الجمهورية على مشروع قانون رده الى مجلس

الامة في مدى ثلاثين يوما من تاريخ ابلاغ المجلس اياه . فاذا لم يرد مشروع القانون في هذا الميعاد اعتبر قانونا واصدر .

مادة ٥٢ ــ اذا رد مشروع القانون في الميعاد المتقدم الى المجلس واقره ثانية بموافقة ثلثي اعضائه اعتبر قانونا واصدر .

مادة ٥٣ ــ لرئيس الجمهورية ان يصدر أي تشريع او قرار مما يدخل اصلا في اختصاص مجلس الامة اذا دعت الضرورة الى اتخاذه في غياب المجلس على ان يعرض عليه فور انعقاده .

فاذا اعترض المجلس على ما اصدره رئيس الجمهورية باغلبية ثلثي اعضائه سقط ماله من اثر من تاريخ الاعتراض .

مادة ٥٤ يصدر رئيس الجمهورية القرارات اللازمة لترتيب المصالح العامة ويشرف على ادارتها .

مادة ٥٥ ــ رئيس الجمهورية هو القائد الاعلى للقوات المسلحة .

مادة ٥٦ ــ رئيس الجمهورية يبرم المعاهدات ويبلغها مجلس الامة ، وتكون لها قوة القانون بعد ابرامها والتصديق عليها ونشرها وفقا للاوضاع المقررة .

على ان معاهدات الصلح والتحالف والتجارة والملاحة وجميع المعاهدات التي يترتب عليها تعديل في اراضي الدولة أو التي تتعلق بحقوق السيادة أو التي تحمل خزانة الدولة شيئا من النفقات غير الواردة في الميزانية لاتكون نافذة الا اذا وافق عليها مجلس الامة .

مادة ٥٧ ــ لرئيس الجمهورية حق اعلان حالة الطوارىء .

مادة ٥٨ ــ تتكون الجمهورية العربية المتحدة من اقليمين هما مصر وسورية ، ويشكل لكل منهما مجلس تنفيذي يعين بقرار من رئيس الجمهورية ويختص بدراسة وبحث الموضوعات التي تتعلق بتنفيذ السياسة العامة في الاقليم .

الفصل الرابع ــ القضاء

مادة ٥٩ ــ القضاة مستقلون لا سلطان عليهم ، في قضائهم لغير القانون ، ولا يجوز لاية سلطة التدخل في القضايا او في شؤون العدالة .

مادة ٦٠ ــ القضاة غير قابلين للعزل على الوجه المبين بالقانون .

مادة ٦١ ــ يرتب القانون جهات القضاء ويعين اختصاصاتها .

مادة ٦٢ ــ جلسات المحاكم علنية ، الا اذا قررت المحكمة جعلها سرية مراعاة للنظام العام او الاداب .

مادة ٦٣ ــ تصدر الاحكام وتنفذ باسم الامة .

الباب الرابع ــ احكام عامة

مادة ٦٤ ــ مدينة القاهرة عاصمة الجمهورية العربية المتحدة .

مادة ٦٥ ــ يبين القانون العلم الوطني والاحكام الخاصة به .

مادة ٦٦ ــ لاتسري احكام القانون الا على ما يقع من تاريخ العمل بها ولا يترتب عليها اثر فيما وقع قبلها ومع ذلك يجوز في غير المواد الجنائية النص في القانون على خلاف ذلك بموافقة اغلبية اعضاء مجلس الامة .

مادة ٦٧ ــ تنشر القوانين في الجريدة الرسمية خلال اسبوعين من يوم اصدارها ويعمل بها بعد عشرة ايام من تاريخ نشرها ويجوز مد هذا الميعاد او تقصيره بنص خاص في القانون .

الباب الخامس ــ احكام انتقالية وختامية

مادة ٦٨ ــ كل ما قررته التشريعات المعمول بها في كل من اقليمي مصر وسورية عند العمل بهذا الدستور تبقى سارية المفعول في النطاق الاقليمي المقرر لها عند اصدارها . ويجوز الغاء هذه التشريعات او تعديلها وفقا للنظام المقرر بهذا الدستور .

مادة ٦٩ ــ لايترتب على العمل بهذا الدستور الاخلال باحكام المعاهدات والاتفاقيات الدولية المبرمة بين كل من سورية ومصر وبين الدول الاجنبية وتظل هذه المعاهدات والاتفاقيات سارية المفعول في النطاق الاقليمي المقرر لها عند ابرامها ووفقا لقواعد القانون الدولي .

مادة ٧٠ ــ الى ان يتم تنفيذ الخطوات النهائية لوضع ميزانية واحدة تصدر الى جانب ميزانية الدولة ميزانية خاصة يعمل بها في كل من النطاق الاقليمي الحالي لكل من سورية ومصر .

مادة ٧١ ــ يستمر ترتيب المصالح العامة والنظم الادارية القائمة عند العمل بهذا الدستور معمولا بها في كل من سورية ومصر الى ان يعاد تنظيمها وتوحيدها بقرارات من رئيس الجمهورية .

مادة ٧٢ ــ يكون المواطنون اتحادا قوميا للعمل على تحقيق الاهداف القومية ولحث الجهود لبناء الامة بناء سليما من النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وتبين طريقة تكوين هذا الاتحاد بقرار من رئيس الجمهورية .

مادة ٧٣ ــ يعمل بهذا الدستور المؤقت الى حين اعلان موافقة الشعب على الدستور النهائي للجمهورية العربية المتحدة .

صدر في ١٣ شعبان سنة ١٣٧٧ الموافق ٥ مارس (آذار) سنة ١٩٥٨

جمال عبد الناصر

ثم اصدر عبد الناصر في ١٦ شعبان ١٣٧٧ هـ ــ ٦ آذار ١٩٥٨ م ، قرارا بتعيين الوزراء للاقليمين السوري والمصري هذا نصه :

تقرر تعيين السادة عبد اللطيف البغدادي نائبا لرئيس الجمهورية ، المشير عبد الحكيم عامر نائبا لرئيس الجمهورية ووزيرا للحربية ، اكرم حوراني نائبا لرئيس الجمهورية ، صبري العسلي نائبا لرئيس الجمهورية ، زكريا محيي الدين وزيرا للداخلية في الاقليم المصري، عبد الحميد السراج وزيرا للداخلية في الاقليم السوري، حسين الشافعي وزيرا للتخطيط والشؤون الاجتماعية في الاقليم المصري ، حسن جبارة وزيرا للتخطيط في الاقليم السوري ، مصطفى حمدون وزيرا للشؤون الاجتماعية في سورية، كمال الدين حسين وزيرا للتربية والتعليم ، نور الدين طراف وزيرا للصحة في الاقليم المصري ، شوكة القنواتي وزيرا للصحة في الاقليم السوري ، احمد حسني وزيرا للعدلية في الاقليم المصري ، عبد الوهاب حومد وزيرا للعدلية في الاقليم السوري فتحي رضوان وزيرا للارشاد القومي ، محمود فوزي وزيرا للخارجية ، صلاح الدين البيطار وزيرا للدولة ، احمد حسن الباقوري وزيرا للاوقاف ، احمد الشرباصي وزيرا للاشغال في الاقليم المصري ، نور الدين كحالة وزيرا للاشغال في الاقليم السوري ، محمد ابو نصير وزيرا للشؤون البلدية والقروية في الاقليم المصري ، احمد عبد الكريم

وزيرا للشؤون البلدية والقروية في الاقليم السوري ، عبد المنعم القيسوني وزيرا للاقتصاد والتجارة في الاقليم المصري ، خليل كلاس وزيرا للاقتصاد والتجارة في الاقليم السوري ، كمال استينو وزيرا للتموين في الاقليم المصري ، سيد مرعي وزيرا للزراعة في الاقليم المصري ، احمد الحاج يونس وزيرا للزراعة في الاقليم السوري ، فاخر الكيالي وزيرا للخزانة في الاقليم السوري ، حسين عباس وزيرا للخزانة في الاقليم المصري ، علي صبري وزيرا للدولة لشؤون رئاسة الجمهورية ، عزيز صدقي وزيرا للصناعة ، مصطفى خليل وزيرا للمواصلات في الاقليم المصري ، امين النفوري وزيرا للمواصلات في الاقليم السوري ، فتحي رزق نائبا لوزير الحربية .

* * *

اتحاد الجمهورية العربية المتحدة مع المملكة المتوكلية اليمنية :

في ٨ شعبان ١٣٧٧ هـ ـ ٨ آذار ١٩٥٨ م ، تم الاتفاق بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة المتوكلية اليمنية هذا نصه :

الباب الاول ـ الاتحاد

مادة اولى ـ ينشأ اتحاد يسمى الدول العربية المتحدة يتكون من الجمهورية العربية المتحدة والمملكة المتوكلية اليمنية والدول العربية التي تقبل الانضمام الى هذا الاتحاد .

مادة ٢ ـ تحتفظ كل دولة بشخصيتها الدولية وبنظام الحكم الخاص بها .

مادة ٣ ـ مواطنو الاتحاد متساوون في الحقوق والواجبات العامة .

مادة ٤ ـ لكل مواطن في الاتحاد حق العمل وتولي الوظائف العامة في البلاد المتحدة دون تفرقة وفي حدود القانون .

مادة ٥ ـ حرية التنقل في الاتحاد مكفولة في حدود القانون .

مادة ٦ ـ تتبع الدول الاعضاء السياسة الخارجية الموحدة التي يضعها الاتحاد .

مادة ٧ ـ يتولى التمثيل السياسي والقنصلي للاتحاد في الخارج هيئة واحدة في الاحوال التي يقرر فيها الاتحاد ذلك .

مادة ٨ ــ يكون للاتحاد قوات مسلحة موحدة .

مادة ٩ ــ تنظم الشؤون الاقتصادية في الاتحاد وفقا لخطط مرسومة تهدف الى تنمية الانتاج واستغلال موارد الثروة الطبيعية وتنسيق النشاط الاقتصادي .

مادة ١٠ ــ ينظم القانون شؤون النقد في الاتحاد .

مادة ١١ ــ ينشأ بين البلاد المتحدة اتحاد جمركي وذلك بالشروط والاوضاع التي يحددها القانون .

مادة ١٢ ــ ينظم القانون مراحل ووسائل تنسيق التعليم والثقافة في الاتحاد .

الباب الثاني ــ السلطات

مادة ١٣ ــ يشرف على شؤون الاتحاد مجلس يسمى المجلس الاعلى يشكل من رؤساء الدول الاعضاء .

مادة ١٤ ــ يعاون المجلس الاعلى في مباشرةسلطاته مجلس يسمى مجلس الاتحاد

مادة ١٥ ــ يشكل مجلس الاتحاد من عدد متساو من ممثلي الدول الاعضاء . ويبين القانون عدد اعضاء المجلس ومدة عضويتهم والاحكام الخاصة بهم .

مادة ١٦ ــ تكون رئاسة مجلس الاتحاد سنويا وبالتناوب بين الدول الاعضاء وترشح الدولة التي تحل نوبتها من يتولى الرئاسة على ان يكون للرئيس نائب او نواب من الدولة او الدول الاعضاء في الاتحاد .

مادة ١٧ ــ يختص المجلس الاعلى برسم السياسة العليا للاتحاد في المسائل السياسية والدفاعية والاقتصادية والثقافية واصدار القوانين اللازمة في هذا الشأن وهو المرجع الاعلى في تحديد الاختصاصات .

وتصدر قرارات المجلس بالاجماع .

مادة ١٨ ــ يصدر المجلس الاعلى القوانين الاتحادية التي يختص باصدارها وفقا لاحكام هذا الميثاق او ذلك بعد موافقة السلطات المختصة في كل دولة .

مادة ١٩ ــ يعين المجلس الاعلى القائد العام للقوات المسلحة للاتحاد .

مادة ٢٠ ــ تصدر الميزانية العامة للاتحاد بقرار من المجلس الاعلى ، ويعين القانون مواردها والحصة التي تؤديها كل دولة من الدول الاعضاء .

مادة ٢١ ــ مجلس الاتحاد هو الهيئة الدائمة للاتحاد ويتولى النظر في الشؤون السياسية ويضع البرنامج السنوي المتضمن النظم والتدابير المؤدية الى تحقيق الوحدة

مادة ٢٢ ــ تعرض قرارات مجلس الاتحاد والبرنامج السنوي الذي يضع على المجلس للاتحاد للتصديق عليها ويبت المجلس الاعلى في القرارات التي اصدرها مجلس الاتحاد واعترضت عليها احدى الدولتين او الدول .

مادة ٢٣ ــ يتبع مجلس الاتحاد الهيئات الآتية :

أ ــ مجلس الدفاع

ب ــ المجلس الاقتصادي

ج ــ المجلس الثقافي

وتعرض قرارات هذه الهيئات على مجلس الاتحاد للتصديق عليها .

مادة ٢٤ ــ يبين القانون طريقة تشكيل الهيئات التابعة لمجلس الاتحاد واختصاصاتها .

الباب الثالث ــ احكام عامة وانتقالية

مادة ٢٥ ــ يصدر بتعيين المقر الدائم لاتحاد الدول العربية وحدوده قرار من المجلس الاعلى ،ويعقد مجلس الاتحاد والهيئات التابعة له جلساته في المدينة التي يحددها بصفة دورية .

مادة ٢٦ ــ يبين القانون القواعد التي تسري على اقليم المقر الدائم للاتحاد .

مادة ٢٧ ــ يكون للقوانين الاتحادية قوة الزامية في البلاد المتحدة ويعمل بها بعد خمسة عشر يوما من تاريخ نشرها في الجريدة الرسمية للاتحاد ما لم ينص القانون على غير ذلك .

مادة ٢٨ ــ يعين رئيس كل دولة وزيرا لدى الدول العربية المتحدة ويختص بالاشراف على تنفيذ قرارات الاتحاد في الاقليم الذي يتبعه .

مادة ٢٩ ــ يعين رئيس كل دولة وزيرا نائبا عنه لدى رئيس أو رؤساء الدول الاخرى ويكون له صفة الوزراء المحلفين .

مادة ٣٠ ــ يلغى التمثيل السياسي بين الدول اعضاء الاتحاد .

مادة ٣١ ــ تسري القواعد الجمركية المعمول بها في الدول اعضاء الاتحاد الى ان ينظم الاتحاد الجمركي بينها . وفي خلال ذلك يجوز ان يضع القانون نظاما جمركيا خاصا للعمل به بين الدول الاعضاء .

مادة ٣٢ ــ يعمل بهذا الميثاق من تاريخ الموافقة عليه وذلك الى حين وضع النظام الدائم للاتحاد .

دمشق في ١٦ شعبان ١٣٧٧ ، الموافق ٨ مارس (آذار) ١٩٥٨

رئيس الجمهورية العربية المتحدة

عن الامام احمد ملك المملكة المتوكلية اليمنية

ولي عهد المتوكلية اليمنية

وصدرت في ٢١ شعبان ١٣٧٧ ــ ١٣ آذار ١٩٥٨ عن المجلس الاعلى لاتحاد الدول العربية القوانين والقرارات التالية :

مجلس اتحاد الدول العربية المتحدة

بعد الاطلاع على المادة ١٥ من الميثاق قرر المجلس الاعلى القانون الآتي :

مادة ١ ــ يشكل مجلس الاتحاد من اثني عشر عضوا ويمثل كلا من الجمهورية العربية المتحدة والمملكة المتوكلية اليمنية ستة اعضاء يختارون وفقا للقواعد المعمول بها في كل من الدولتين لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد .

مادة ٢ ــ يكون لوزير كل دولة لدى الاتحاد حق حضور جلسات مجلس الاتحاد دون ان يكون له صوت معدود في المداولات .

مادة ٣ ــ يتمتع اعضاء مجلس الاتحاد بالحصانات والضمانات التي يتمتع بها الممثلون السياسيون وفقا لقواعد القانون الدولي .

مادة ٤ ــ يتقاضى كل من اعضاء مجلس الاتحاد من ميزانية الاتحاد مرتبا مساويا لمرتب الوزير .

مادة ٥ تسري على اعضاء المجلس الاحكام الخاصة بالوزراء .

مادة ٦ ــ يعمل بهذا القانون من تاريخ العمل بالميثاق .

رئيس الجمهورية العربية المتحدة

ملك وامام المملكة المتوكلية اليمنية

تحديد موارد الميزانية العامة للدول العربية

بعد الاطلاع على المادة ٢٠ من الميثاق قرر المجلس الاعلى القانون الآتي :

مادة ١ ــ يكون للدول العربية المتحدة ميزانية عامة تتضمن الايرادات والمصروفات

مادة ٢ ــ تتكون ايرادات الميزانيــة من الحصص التي تلتزم الدول الاعضاء بادائها للاتحاد .

مادة ٣ ــ تؤدي المملكة المتوكلية اليمنية ثلاثة في المائة من ايرادات الميزانية العامة للاتحاد وتؤدي الباقي الجمهورية العربية المتحدة .

مادة ٤ ــ يعمل بهذا القانون من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية .

رئيس الجمهورية العربية المتحدة

ملك وامام المملكة المتوكلية اليمنية

المقر الدائم للدول العربية المتحدة

بعد الاطلاع على المادة ٢٥ من الميثاق قرر المجلس الاعلى ما يلي :

مادة ١ ــ يكون المقر الدائم للدول العربية المتحدة مدينة الحديدة بالمملكة المتوكلية اليمنية .

مادة ٢ ــ تعقد جلسات مجلس الاتحاد والهيئات التابعة له بصفة دورية في كل من القاهرة ودمشق والحديدة .

مادة ٣ ــ يعمل بهذا القرار من تاريخ العمل بالميثاق .

رئيس الجمهورية العربية المتحدة

ملك وامام المملكة المتوكلية اليمنية

تعيين قائد عام للقوات المسلحة

بعد الاطلاع على المادة ١٩ من الميثاق بانشاء اتحاد للدول العربية ، قرر المجلس الاعلى ما يلي :

مادة ١ ــ عين المشير عبد الحكيم عامر قائدا عاما للقوات المسلحة للاتحاد .

مادة ٢ ــ يعمل بهذا القرار من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية .

رئيس الجمهورية العربية المتحدة

ملك وامام المملكة المتوكلية اليمنية

واصدر المجلس الاعلى لاتحاد الدول العربية بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة المتوكلية اليمنية القوانين ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ وقد وقع عليهـا كل من رئيس الجمهورية العربية المتحدة جمال عبد الناصر وملك وامام المملكة المتوكلية اليمنية الامام احمد :

قانون اتحادي رقم (٣) بانشاء المؤسسة النقدية للمملكة المتوكلية اليمنية

المجلس الاعلى بعد الاطلاع على المادتين ٩ ، ١٧ من الميثاق . قرر القانون الآتي :

مادة ١ ــ يقوم البنك المركزي للجمهورية العربية المتحدة بانشاء مؤسسة يمنية للنقد في المملكة المتوكلية اليمنية تسمى (المؤسسة النقدية المركزية) ويكون لها وحدها امتياز اصدار اوراق النقد اليمني وذلك وفقا للاسس وبالطريقة التي يضعها المجلس الاقتصادي .

مادة ٢ ــ تتولى المؤسسة النقدية تنظيم السياسة الائتمانية والمصرفية للملكة المتوكلية اليمنية وبالاشراف على تنفيذها وفقا للخطط العامة التي يرسمها الاتحاد وبما يساعد على دعم الاقتصاد واستقرار النقد اليمني وعلى توكيد الوحدةالاقتصادية بين الدولتين واستكمالها .

مادة ٣ ــ للمؤسسة النقدية في سبيل اداء اغراضها ان تتخذ الوسائل الآتية :

آ ــ توجيه الائتمان بما يكفل مقابلة الحاجات الحقيقية لنواحي النشاط التجاري والزراعي والصناعي في المملكة المتوكلية اليمنية .

ب ــ مراقبة المؤسسات النقدية الاخرى بما يكفل الاهداف السابقة وسلامة المركز المالي لهذه المؤسسات .

جـ ــ ادارة احتياطيات الدولة من الذهب والعملات الاجنبية .

د ــ اتخاذ التدابير المناسبة لمكافحة الاضطرابات الاقتصادية والمالية العامة والمحلية .

هـ ــ الاشراف على عمليات الاستيراد والتصدير وعلى عمليات الصرف .

مادة ٤ ــ يعمل بهذا القانون من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية .

قانون اتحادي رقم (٤) بتنسيق النظام النقدي في الدول العربية المتحدة

المجلس الاعلى بعد الاطلاع على المادتين ١٠ و ١٧ من الميثاق قرر القانون الآتي :

مادة ١ ــ تقوم المؤسسة النقدية للملكة المتوكلية اليمنية باصدار اوراق النقد اليمني وسك عملة فضية يمنية جديدة تسمى (الريال اليمني) تكون لها نفس القيمة الرسمية التي لريال ماريا تيريزا وتحدد المؤسسة موعد التعامل بالعملة الجديدة .

مادة ٢ ــ يكون لاوراق النقد التي تصدرها المؤسسة النقدية قوة ابراء غير محدودة .

مادة ٣ ــ الوحدة القياسية للعملة في المملكة المتوكلية اليمنية هي (الجنيه اليمني) ويثبت سعر صرف الجنيه اليمني بالجنيه المصري على اساس التساوي .

مادة ٤ ــ تحدد العلاقة بين الريال اليمني والجنيه اليمني على ان يكون الريال جزءاً صحيحا من العملة الورقية ووفقا للاساس الذي تضعه المؤسسة .

مادة ٥ ــ يحدد غطاء النقد اليمني بما يضمن تقوية العلاقة بينه وبين نقد الجمهورية العربية المتحدة .

وفي سبيل ذلك يتكون الغطاء في جزء كبير منه من اذونات على خزانة الجمهورية العربية المتحدة .

مادة ٦ ــ يعمل بهذا القانون من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية .

قانون اتحادي رقم (٥) بالنظام الدفاعي للدول العربية المتحدة

المجلس الاعلى بعد الاطلاع على المادة ٨ من الميثاق . قرر القانون الآتي :

مادة ١ ــ يتكون جهاز النظام الدفاعي لاتحاد الدول العربية من الهيئات الآتية :

١ ــ المجلس الاعلى للاتحاد .

٢ ــ مجلس الدفاع .

٣ ــ القيادة العامة للقوات المسلحة .

مادة ٢ ــ المجلس الاعلى للاتحاد هو الهيئة العليا للدفاع .

مادة ٣ ــ يتكون مجلس الدفاع من وزراء الدفاع في بلدي الاتحاد وعضوين من مجلس الاتحاد . ويحضر الاجتماعات مندوب عن القيادة العامة لقوات الاتحاد للاستشارة وتولي اعمال السكرتيرية .

مادة ٤ ــ يختص مجلس الدفاع بالنظر في التوصيات التي تقدمها له القيادة العامة لقوات الاتحاد بشأن الموضوعات الآتية :

أ ــ السياسة الدفاعية بما يحقق امن وسلامة الدول اعضاء الاتحاد وتأمين مصالحها المشتركة .

ب ــ السياسة التي تتبع في اعداد قوات الاتحاد من حيث تنظيمها وتسليحها وتدريبها وانشاء صناعاتها وقواعدها وخطوط مواصلاتها .

جـ ــ تعيين الحالات التي تستخدم فيها قوات الاتحاد بأوامر مباشرة من القائد العام للقوات المسلحة .

د ــ السياسة التي تتبع في شأن التعبئة العامة والدفاع المدني عند نشوب الحرب .

مادة ٥ ــ يختص القائد العام للقوات المسلحة بما يأتي :

أ ــ وضع خطط اصدار العمليات لتنفيذ السياسة الدفاعية المقررة في المجلس الاعلى للاتحاد وادارة عمليات قوات الاتحاد عند نشوب الحرب .

ب ــ تقدير حجم قوات الاتحاد برية وبحرية وجوية وما يلزمها من منشآت وقواعد ومواصلات ووضع البرامج اللازمة لتنفيذ ذلك .

جـ ــ توزيع قوات الاتحاد على ضوء خطط العمليات الموضوعة .

د ــ اصدار الاوامر والتعليمات التي يراها لازمة لامداد قوات الاتحاد للقيام بمسؤولياتها بكفاءة تامة في نواحي التنظيم والتسليح والتدريب والتجهيز ولتوحيد النظم والمنشئات التدريبية .

هـ ــ تقديم المقترحات التي يراها بشأن توحيد النظم الادارية والمالية لقوات الاتحاد وبشأن القوانين المنظمة لخدمة افرادها .

وتصدر القيادة العامة للقوات المسلحة التوجيهات الخاصة بالموضوعات السابقة الى رؤساء هيئة اركان الحرب لتنفيذها بعد موافقة مجلس الدفاع عليها .

مادة ٦ ــ تنتخب القيادة العامة من يمثلها لدى رئاسة اركان حرب جيش الاتحاد وتوفر له وسائل الاتصال بكافة انواعها مع القيادة العامة .

مادة ٧ ــ يتولى رؤساء هيئة اركان حرب الجيوش الدول الاعضاء تنفيذ التعليمات التي تصدرها القيادة العامة في شأن تنظيم وتسليح وتجهيز وتدريب قوات الاتحاد والاشراف على تنفيذ القواعد وخطوط المواصلات اللازمة لهذه القوات والتي يتقرر انشاؤها .

ويتولون كذلك امداد قوات الاتحاد باحتياجاتها من المعدات والافراد وتنظيم الخدمة بها بما يحقق السياسة المشتركة التي وضعها المجلس الاعلى للاتحاد .

مادة ٨ ــ تتألف قوات الاتحاد في الدول الاعضاء بما يخصص لها من القوات المسلحة وقواعد عملياتها ووحدات الانذار عن هذه القواعد ووحدات المواصلات والمنشآت والمخازن والمستودعات وورش الاصلاح .

مادة ٩ ــ تنتقل قوات الاتحاد بين اراضي الدول الاعضاء حسبما يتطلبه الموقف العسكري وضرورة العمليات الدفاعية وفقا لما يقرره القائد العام لقوات الاتحاد على ان تكون القيادة للقائد المحلي .

مادة ١٠ ــ يعمل بهذا القانون من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية .

قانون اتحادي رقم (٦) بشأن المجلسين الثقافي والاقتصادي

المجلس الاعلى بعد الاطلاع على المادة ٢٣ من الميثاق قرر القانون الآتي :

مادة ١ ــ يشكل كل من المجلس الثقافي والمجلس الاقتصادي التابعين لمجلس الاتحاد من عدد متساو من ممثلي كل دولة من الدول اعضاء الاتحاد يختارهم رئيس كل دولة لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد .

مادة ٢ ــ يتولى رئاسة كل من المجلسين سنويا احد ممثلي كل دولة يختاره اعضاء المجلس بالتناوب بين الدول الاعضاء في الاتحاد .

مادة ٣ ــ يختص المجلس الثقافي بالآتي :

أ ــ رسم السياسة العامة للتعليم بما يكفل تحقيق اهداف الاتحاد وما يستتبع ذلك من تحديد مراحل ووضع خطوط عامة للمناهج والكتب المدرسية .

ب ــ وضع نظام يكفل وحدة التعليم الفني والمهني في الدول اعضاء الاتحاد .

جـ ــ وضع نظم لتنقل الاساتذة والطلاب بين الدول اعضاء الاتحاد ووضع نظم الاختيارات .

د ــ دراسة التراث الثقافي في الدول اعضاء الاتحاد على تنمية وتقوية هـذا التراث الثقافي وتنسيقه .

هـ ــ وضع نظم لكيفية اعداد المعلمين بما يكفل ان يؤدوا رسالتهم بما يحقق الغاية ويكون المجلس الثقافي حلقة الاتصال بين مجلس الاتحاد وهيئات الادارة الثقافية في الدول اعضاء الاتحاد .

مادة ٤ ــ يختص المجلس الاقتصادي بما يأتي :

أ ــ رسم السياسة العامة للشؤون الاقتصادية بما يكفل تحقيق اهداف الاتحاد وتنسيق اوجه النشاط الاقتصادي في الدول اعضاء الاتحاد .

ب ــ وضع الخطط لاستغلال الموارد الطبيعية والبشرية وانعاش التجارة وتنظيم انتقال رؤوس الاموال بين الدول الاعضاء في الاتحاد .

جـ ــ تنظيم التجارة الخارجية للاتحاد. ويكون المجلس الاقتصادي حلقة الاتصال بين مجلس الاتحاد وهيئات الادارة الاقتصادية في الدول اعضاء الاتحاد .

مادة ٥ ــ يعمل بهذا القانون من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية .

رئيس الجمهورية العربية المتحدة

ملك وامام المتوكلية اليمنية

واصدر جمال عبد الناصر في ١٧ صفر ١٣٧٧ هـ ــ ٣ ايلول ١٩٥٨ م ، قرارا بتعيين احسان الجابري والشيخ عبد الرحمن تاج والدكتور حسين خلاف ورياض الميداني واحمد انور وعدنان الازهري ممثلين للجمهورية العربية المتحدة في مجلس اتحاد الدول العربية .

بالاضافة لوفد المملكة المتوكلية المؤلف من حسن بن ابراهيم واحمد محمد باشا ومحمد علي عثمان وحسين علي الويشي ومحمد المنصور واحمد الشامي .

وافتتح مجلس الاتحاد بالقاهرة في ١٨ صفر ١٣٧٨ هـ ــ ٣ ايلول ١٩٥٨ م ، وانتخب احسان الجابري رئيسا له ومحمد المنصور نائبا للرئيس .

* * *

الجمهورية اللبنانية :

لما انهارت الجبهة التركية في فلسطين ، ودخلت حملة فيصل دمشق ١٣٣٧ هـ ١٩١٨ م ، وسارع فيصل الى ارسال شكري الايوبي ليقيم الحكم في بيروت بالنيابة عنه ، وقف الفرنسيون في وجه هذا الاجراء ، وتمكنوا بالاتفاق مع الانكليز ، من اعادة هذا النائب الى دمشق ، وطي العلم العربي من سماء هذه المنطقة الذي خفق فيها ، ثم عينوا حاكماً فرنسياً عسكريا ، وحكموها حكما عسكريا ، وظل هذا الحكم قائما طيلة العهد الفيصلي .

ورحل البطريرك الماروني الى باريس ١٣٣٧ هـ ــ ١٩١٩ م ، لتوثيق الصلات من جديد بين فرنسا والموارنة ، والالحاح على فرنسا بان تظل الحامية والمدافعة عن كيان لبنان المستقل ، ثم رحل وفد برئاسة داود عمون الى باريس لمعارضة مطالب فيصل في مؤتمر الصلح ، وللمطالبة بلبنان الكبير باشراف فرنسا ومساعدتها .

وبالرغم من كل ذلك ، فان السلطات الفرنسية بلبنان لم تحرز نجاحاً تاماً حيث ظلت الكثرة من المسلمين السنيين والشيعيين والدروز متفقة مع دمشق في ذلك العهد

بالميول والرغائب ، وقد كان لنشاط الدعوة العربية وانصار العروبة في لبنان آثار ايجابية في فريق من ابناء الطوائف المسيحية ، ظهرت أثناء الاستفتاء الاميركي ١٣٣٧ هـ ــ ١٩١٩ م .

ولما انهار العهد الفيصلي واحتل الفرنسيون سورية ، ضيقت السلطة الفرنسية الخناق على المشتغلين بالحركة العربية ، ونشرت رقابة شديدة على الصحف ، ومنعت تشكيل الاحزاب والجمعيات .

ويمكن تقسيم الانتداب الفرنسي في لبنان الى ثلاثة اقسام : القسم الاول يمتد ممن ١٣٣٨ ــ ١٣٤٤ هـ ــ ١٩٢٠ ــ ١٩٢٦ م ، اتصف هذا القسم بانه عهد ديكتاتورية عسكرية تقلب فيه ثلاثة قواد عسكريون : الجنرال غورو من ٨ تشرين الاول ١٩١٩ الى ٩ ايار ١٩٢٣ م ــ ١٣٣٨ ــ ١٣٤١ هـ ، الجنرال فيغان من ٩ ايار ١٩٢٣ الى ٢ كانون الثاني ١٩٢٥ م ــ ١٣٤١ ــ ١٣٤٣ هـ ، الجنرال سرايل من ٢ كانون الثاني ١٩٢٥ الى نهاية ١٩٢٥ م ــ ١٣٤٣ ــ ١٣٤٤ هـ .

اما حكام لبنان في هذه الفترة فقد كانوا : القومندان ترابو من اول ايلول ١٩٢٠ الى ١٢ ايار ١٩٢٣ م ــ ١٣٣٨ ــ ١٣٤١ هـ ، طايلا من ١٦ تموز ١٩٢٥ م الى ٢٥ ايار ١٩٢٦ م ــ ١٣٤٤ ــ ١٣٤٤ هـ .

وبعد ان اعلن غورو الاستقلال للبنان في اول ايلول ١٩٢٠ م ــ ١٣٣٨ هـ ، اصدر قراراً عين فيه لجنة ادارية للبنان الكبير ، مؤلفة من ١٧ عضواً ما لبثت ان تحولت الى مجلس نيابي ١٩٢٢ م وفي ٣١ آب ١٩٢١ م ــ ١٣٣٩ هـ ، اصدر غورو قراراً نص على ايجاد لبنان الكبير والحاق اقضية طرابلس وصيدا وصور وبعلبك

واما العهد الثاني للانتداب الفرنسي فيمتد من ١٣٤٤ ــ ١٣٥٥ هـ ١٩٢٦ ــ ١٩٣٦ م ، وقد تميز هذا العهد بكون فرنسا اتخذت لنفسها صفة المفاوض ، وحاولت فيه التفاهم مع زعماء البلاد وعينت لها مفوضين ساميين مدنيين ، الاول بونسو ، وقد عين في آب ١٩٢٦ــ١٩٣٣ م ــ ١٣٤٥ــ١٣٥٢ هـ ، وكان يجيد المماطلة ويحسن السكوت اما حكام لبنان في هذه الفترة فكانوا شارل دباس من ٢٦ ايار ١٩٢٦ حتى نهاية ١٩٣٣ م ــ ١٣٤٤ ــ ١٣٥٢ هـ .

والمفوض الثاني كان ده مرتيل الذي عين من ١٢ تشرين الاول ١٩٣٣ حتى آخر ١٩٣٦ م ــ ١٣٥٢ ــ ١٣٥٥ هـ ، وقد اخذ يدعو البلاد الى عقد معاهدة مع بلاده تجعلها برفاهية ، ووعد بتحسين الحالة الاقتصادية بخلقه المشاريع اللازمة ، وعين خلال هذه الفترة حبيب السعد رئيسا للجمهورية في ٢٠ كانون الثاني ١٩٣٤ ــ ٢٠ كانون الثاني ١٩٣٦ م ــ ١٣٥٢ ــ ١٣٥٤ هـ .

ثم عقدت معاهدة في ١٣ تشرين الثاني ١٩٣٦ م ١٣٥٥ هـ ، بين فرنسا ولبنان ، وبعد ان يجتاز لبنان فترة الانتقال من الانتداب الى الاستقلال ، ومدتها ثلاث سنوات يقبل بعدها لبنان في عصبة الامم ، ومدة هذه المعاهدة ٢٥ سنة ، قابلة للتجديد باتفاق يعقد بين الطرفين ، وقد احتفظ الفرنسيون بحق ابقاء قواتهم العسكرية مع جميع الاسلحة طول مدة المعاهدة دون تحديد للمناطق التي ترابط فيها ، أو العدد الذي تتألف منه ، وقد صدق المجلس النيابي اللبناني هذه المعاهدة ، ولم يبرم المجلس الفرنسي هذه المعاهدة في النهاية .

واما العهد الثالث في لبنان فيمتد من ١٩٣٦ ــ ١٩٤١ م ــ ١٣٥٥ ــ ١٣٦٠ هـ ، وعين بيو مفوضا سامياً في ١٣٥٨ هـ ــ ٢١ كانون الثاني ١٩٣٧ م ، وبقي حتى ٣٠ كانون الاول ١٩٤٠ م ــ ١٣٥٩ هـ ، وفي صيف ١٩٣٧ م ــ ١٣٥٦ هـ ، جرت انتخابات نيابية جديدة ، وتألف المجلس النيابي من ٦٣ عضواً في تشرين الاول ١٩٣٧ م ١٣٥٦ هـ ، ٤٢ عضوا منتخبا و ٢١ عضوا معينا ، وفي ٢١ ايلول ١٩٣٩ م ــ ١٣٥٨ هـ ، اصدر بيو قرارا بوقف الدستور واعلن اقامة حكم الفرد .

ثم عين الجنرال دانتز مفوضاً سامياً ، فاقام في البلاد من ٣٠ كانون الاول ١٩٤٠ م الى ١٤ تموز ١٩٤١ م ــ ١٣٥٩ ــ ١٣٦٠ هـ ، وكان على رأس الدولة اللبنانية الفرد نقاش . وقرر الجيش البريطاني في ١٣٦٠ هـ ــ ٨ حزيران ١٩٤١ م ، احتلال سورية ولبنان بمساعدة قوات فرنسا الحرة التي كان يتزعمها ده غول ، وقبل الحملة بساعات القت الطائرات بياناً صادراً عن كاترو يعلن فيه باسم فرنسا الحرة ، جاء فيه في الوقت الذي تدخل فيه قوات الفرنسيين الاحرار مع حليفتهم بريطانيا العظمى ، أعلن باسم الجنرال ده غول وفرنسا الحرة ، انني الغي الانتداب ، واعترف بكما

شعبين (شعبي سورية ولبنان) حرين مستقلين لكما سيادة واستقلال سواء بقيتما منفصلين او كنتما دولة واحدة الخ ...

ثم ضمنت انجلترا تصريح فرنسا وفي ٢٦ تشرين الاول ١٩٤١ م ــ ١٣٦٠ هـ ، اعلن كاترو ثانية استقلال لبنان ، هذا وفي ١٨ آذار ١٩٤٣ م ــ ١٣٦٢ هـ ، عينت حكومة مؤقتة للاشراف على الانتخابات النيابية ، وظهر تحيز ايوب ثابت رئيس الدولة اللبنانية في هذه الانتخابات مع المسيحيين فسحب ، وعين بترو طراد مكانه .

وفي يومي ٢٩ آب و ٦ ايلول جرت الانتخابات النيابية ، وتألف المجلس النيابي من عناصر جديدة ، كانت الى الامس تحاربها السلطة الفرنسية ، وكان صباح اليوم الحادي والعشرين من ايلول ١٩٤٣ م ــ ١٣٦٢ هـ ، اليوم المعين لانتخاب رئيس الجمهورية ، وانتخب بشارة خليل الخوري رئيسا لها ، وعهد لرياض الصلح برئاسة مجلس الوزراء ، فاتجه الى الشعب يذكي حماسته ويعده للمعركة الفاصلة بينه وبين الفرنسيين ، فبدأت الازمة بين لبنان وفرنسا ، وذلك في لبنان تقليد جرت عليه حكوماته كلها ، وهو ان تزور كل حكومة اثر تأليفها المندوب السامي الفرنسي ، ولكن حكومة رياض الصلح لم تر في هذه الزيارة مايليق ببلد مستقل ، فتجاهلت هذا التقليد معتبرة هذا المندوب الفرنسي سفيراً كغيره من السفراء .

وكانت اللغة الفرنسية تحتل دواوين الحكومة اللبنانية ، فتجري بها المعاملات على اختلافها ، بينما كانت اللغة العربية مهملة ، فبادر رياض فور تسلمه الحكم الى اصدار مذكرة الى جميع الدوائر يبلغها فيها وجوب استعمال اللغة العربية في كل المعاملات التي تجري في دواوين الحكومة .

وتلا رئيس الوزراء بيانه ، فاذا هو قد اوجد الصيغة الوطنية التي توحد النزعات وتجمع التيارات المختلفة في تيار واحد ، واذا النواب على اختلاف احزابهم يمنحون حكومته الثقة بالاجماع .

وبعد القاء البيان بيومين تلقى رئيس الوزارة كتاباً من المندوب الفرنسي يقول فيه : ان الحكومة اللبنانية تخالف صك الانتداب باحلالها اللغة العربية محل اللغة الفرنسية ، وتخالف نصوص الدستور اللبناني ، وان صك الانتداب لايخول لبنان

حق تعديل دستوره منفرداً ، فطلبت الحكومة من المندوب ان يسترد كتابه ، فأبى ، فكتبت اليه جواباً تقول فيه : انها تعتبر الانتداب غير قائم ، وتثبت حقها كحكومة دستورية لدولة مستقلة في عمل ما عملته بشأن اللغة العربية ، وفي تحقيق ما وعدت به بشأن الدستور ، واقبلت الحكومة على تنفيذ البيان الوزاري ، وبدأت بمسألة المصالح المشتركة كالجمارك ومراقبة الشركات المختلفة القائمة في الجمهورية السورية واللبنانية ، كالخطوط الحديدية وشركة حصر الدخان ودائرة الآثار والمرفأ والهاتف وكانت السلطة الفرنسية تديرها .

ثم اصدرت الحكومة بلاغاً بشأن تعديل الدستور اللبناني ، واحالة المشروع الى المجلس هذا نصه :

اجتمع مجلس الوزراء الساعة الواحدة من يوم الجمعة في ٥ تشرين الثاني ١٩٤٣ م ١٣٦٢ هـ ، واطلع على البلاغ الذي اصدرته المندوبية العامة ، ووزعته على الصحف في ذات الوقت الذي كان فيه يطلع دولة رئيس الوزراء على نصه ، ويقدم له صورة عنه ، ولما كان مجلس الوزراء يعتبر ان تعديل الدستور حق من حقوق السلطات الدستورية اللبنانية وفقا لاحكام المادة ٧٦ وما يليها من الدستور ، فلقد قدمت الحكومة الآن الى المجلس النيابي مشروع تعديل الدستور في بعض مواده التي تتعارض مع استقلال لبنان التام المعترف به ، ذلك المشروع الذي كان مجلس الوزراء قد باشر درسه عملا بالبيان الوزاري ، وتأميناً لتنفيذ الاستقلال بصورة عملية فأحيل ذلك المشروع الى المجلس النيابي ، فأقر التعديل بنداً بنداً بالاجماع .

وفي ١١ تشرين الثاني ١٩٤٣ م ــ ١٣٦٢ هـ ، اعتقل الفرنسيون رئيس الجمهورية بشارة الخوري ورئيس الوزراء رياض الصلح ، وعادل عسيران وزير التموين ووزير الداخلية كميل شمعون وسليم تقلا وزير الخارجية وعبد الحميد كرامي ، وساروا بهم الى راشيا .

ولما علم الشعب اللبناني بخبر الاعتقال ، ثار ثورته على الاستعمار ، ونزل الجيش الفرنسي يقارع الثائرين ، واصدرت السلطة الفرنسية قراراً بتعطيل الحياة النيابية ، ونزع سلطة رئيس الجمهورية والحكومة ، وتعليق الدستور ، واقامة نظام

حكم على رأسه رئيس دولة رئيس حكومة ، يعينه المندوب الفرنسي ، وتعيين اميل اده رئيساً للدولة ورئيساً للحكومة ، وشرع اده في تأليف وزارة فلم يفلح ، ثم شرع بتأليف حكومة من المديرين فلم يوفق .

ثم انتخب المجلس النيابي حكومة موقتة برئاسة حبيب ابو شهلا ، واعتبر ان هذه الحكومة تضطلع باعمال رئيس الجمهورية المعتقل ، وسلم سفير بريطانيا ببيروت نسخة منه ، واتخذت هذه الحكومة قرية بشامون الواقعة على مسافة بضعة وعشرين كيلو مترا الى الجهة الجنوبية من بيروت مقراً لها .

ثم انصرفت الحكومة بعد ذلك الى جمع المدافعين وتنظيمهم ، وعنيت الحكومة بمسائل رئيسية ثلاث : اولها المحافظة على سلامتها لتبقى حرة طليقة وتعمل على تنفيذ خطتها وبلوغ هدفها ، وقد وقع بين المناضلين اللبنانيين والفرنسيين بعض المعارك ، وثانيهما : الحرص على وحدة الامة واتفاق كلمتها ، وثالثهما : اسماع العالم كلمة لبنان عن طريق حكومته الشرعية ومجلس نوابه ، كابلاغ الهيئات السياسية العالمية والاقطار العربية ، وجهة نظر الشعب اللبناني في أزمة لبنان ، واعتداء الفرنسيين

وايدت بريطانيا والولايات المتحدة والروسيا لبنان في موقفها ضد الفرنسيين .

اما من ناحية الولايات المتحدة ، فقد ارسل شابان معاون مورفي الى وزارة الخارجية الفرنسية المذكرة التالية :

ان فرنسا تحافظ على مصالحها اكثر واحسن اذا اعطت لبنان الاستقلال حالا من ان تصر على الانتداب ، اذ انها لو اتبعت السياسة الاستعمارية فهي لاتنتظر ابداً غير انفجار الجمهور ضدها ، فالحكومة الاميركية ترى ان الاضطراب يضر بمجهود الحلفاء الحربي ، خصوصا وان الشعوب تنتظر تحقيق وعود اميركة بحقوق تقرير الانسان لمصيره .

وفي ١٩ تشرين الثاني قدم كايزي وزير الدولة البريطاني للجنرال كاترو المذكرة التالية :

ان وزير الدولة بتاريخ ١٣ تشرين الثاني كان قد تقدم بمذكرة الى السيد ماسيغلي يطلب فيها استبدال هللو واطلاق سراح المعتقلين ، ولم تتلق حكومة صاحب

الجلالة بعد جواباً عن هذين المطلبين ، لذلك فاني انذركم انه اذا لم يلق المطلبان جواباً مرضيا حتى نهار الاثنين ٢٢ نوفمبر الساعة العاشرة صباحا فان حكومة صاحب الجلالة ، قد اطلقت يد وزير الدولة البريطاني في حرية التصرف واعلان الاحكام العرفية في لبنان وتسلم قائد الجيش التاسع مهمة الامن ، واذا لم يخل سبيل رئيس الجمهورية والوزراء قبل الساعة العاشرة من صباح الاثنين ٢٢ نوفمبر فان الجيش البريطاني يتولى هذه المهمة ، ونحن نؤكد ان تدخل بريطانيا ليس له هدف خاص ، او ابدال نفوذ فرنسا بنفوذ بريطانيا .

وقد ارسل كاترو في ٢٠ تشرين الثاني انذار بريطانيا الى الجزائر مع ملاحظاته الشخصية ، وتشديده على وجوب ان تظهر فرنسا حسن نياتها ، وعدم ترك المجال فسيحاً لسخاء بريطانيا على حساب فرنسا ، وقد درست لجنة الجزائر انذار بريطانيا وقررت الموافقة على استبدال هللو واستدعائه على جناح السرعة واطلاق سراح المعتقلين ، ثم اعلن كاترو عودة الاوضاع الدستورية .

ثم ساهم لبنان في تأسيس الجامعة العربية ، واتخذ بحقه قرار خاص جاء فيه أن الدول العربية تؤيد مجتمعة احترامها لاستقلال لبنان وسيادته بحدوده الحاضرة .

واعترفت باستقلال لبنان الدول الآتية : العراق ، مصر ، اليمن ، سورية ، شرق الاردن ، المملكة العربية السعودية ، ايران ، الافغان ، بريطانيا العظمى ، فرنسا ، بولونيا ، بلجيكا ، البرازيل ، الاتحاد السوفييتي ، الولايات المتحدة الاميركيةوالصين

وفي ١٣٦٤ هـ ــ ٢٩ شباط ١٩٤٥ م ، اجتمع المجلس النيابي اللبناني ، ووافق على اعلان الحرب على المانياواليابان ليستطيع لبنان الاشتراك بمؤتمر سانفرنسيسكو الذي عقد في نيسان ١٩٤٥ م ، ثم دعي لبنان كما دعيت سورية اليه فكانتا الدولتين السادسة والاربعين والسابعة والاربعين المدعوتين الى مؤتمر سان فرنسيسكو .

وفي ١٣٦٦ هـ ــ ٣١ كانون الاول ١٩٤٦ ، جلت الجيوش الاجنبية عن لبنان ، وقد سجلت ذكرى الجلاء عن لبنان على صخرة من صخور نهر الكلب التي سجل عليها بعض احداث التاريخ اللبناني بموكب حافل اشتركت فيه وفود الدول العربية .

ثم جدد انتخاب بشارة الخوري رئيساً للجمهورية ، وقبل انتهاء مدة رئاسته

اضطر الى التنازل عنها وخلفه فيها كميل شمعون ، وفي عهد شمعون ارتبطت سياسة لبنان بسياسة الغرب ، واعترفت بمبدأ ايزنهاور ، فاشتدساعد المعارضين وناهضوا هذه السياسة ، ونادوا بسياسة الحياد الايجابي والتعايش السلمي ، وعدم الانحياز لاحدى الكتلتين الشرقية والغربية ، فثار كثير من ابناء الشعب ، واشتعلت الثورة المسلحة في معظم انحاء لبنان في ٩ ايار سنة ١٩٥٨ م ــ ١٣٧٧ هـ ، وكادت تطيح بشمعون وحكومته ، لولا طلبه النجدة من حلفائه الامريكان والبريطانيين ، فلجأ الى مجلس الامن الدولي واتهموا الجمهورية العربية المتحدة بالتدخل بثورة لبنان ومدها بالرجال والسلاح والعتاد ، فأرسل هذا المجلس مراقبين دوليين الى لبنان ، فقدموا تقارير لاتؤيد هذه التهم ، وعقب الانقلاب العراقي في ١٥ تموز ١٩٥٨ م ١٣٧٧ هـ ، انزلت الولايات المتحدة الاميركية قواتها العسكرية بلبنان ، بناء على طلب كميل شمعون ، فاحتج عدد كبير من الشعب اللبناني على ذلك ، وطالب بسحب هذه القوات من الارض اللبنانية ، وارسلت برقيات كثيرة الى الجهات المختصة ، تعبر عن استيائها العظيم ، منها : برقية ارسلها عادل عسيران رئيس المجلس النيابي اللبناني ، احتج فيها على انزال القوات الاميركية في لبنان في برقيات بعث بها الى ايزنهاور رئيس جمهورية الولايات المتحدة والى وزير خارجيته دالس ، وهمرشولد الامين العام للامم المتحدة والى رئيس مجلس الامن الدولي ، ورئيس الكونغرس الاميركي .

وقال بهذه البرقيات التي كانت كلها ذات نص واحد والتي تبناها مع السيد عسيران عدد من النواب : ان السلطة الوحيدة التي تمثل الشعب اللبناني هي مجلس النواب . واننا عرفنا بكل اسف ان قوات اميركية نزلت على الارض اللبنانية بحجة الحفاظ على ارواح الاميركيين ولضرورة الحفاظ على استقلال الجمهورية اللبنانية وسيادتها .

ان هذا العمل بذاته اعني انزال جيوش اميركية هو افتئات على استقلال لبنان وسيادته ان مصالح الاميركيين وارواحهم لم تتعرض لاي خطر حتى الآن . وقد مضى على الخلاف القائم بين اللبنانيين ٦٥ يوما ولم يكن بنية أي لبناني تهديد ارواح

الاميركيين او مصالحهم وان الازمة التي تعانيها هي ازمة داخلية ولا يحلها الا مجلس النواب لذلك احتج باسم مجلس النواب اللبناني على خرق سيادة لبنان واستقلاله ، واعتبر ان نزول الجيوش الاميركية يهدد السلام والامن في منطقة الشرق الاوسط ، كما اعتبر الولايات المتحدة مسؤولة عن النتائج السيئة التي قد تؤدي الى حرب عالمية . واطلب جلاء الجيوش الاجنبية حالا ، لكي لا تمس العلاقات الطيبة القائمة بين الشعبين اللبناني والاميركي .

وفي ١٤ المحرم — ٣١ تموز انتخب المجلس النيابي اللبناني فؤاد شهاب القائد العام للجيش اللبناني رئيساً للجمهورية اللبنانية .

واذاع فؤاد شهاب ليلة ٤ آب ١٩٥٨ م — ١٣٧٨ هـ ، البيان الآتي :

في هذه الايام العصيبة التي يجتازها وطننا والآلام تجثم على ربوعه والمتاعب تثقل ابناءه لم يبق لاحد ان يتردد في الاضطلاع بمهمة تنتدبه لها البلاد واني بما تعودت من حرص على اداء الواجب وتقدير لحرمة المسؤولية العامة اقبلت على تلبية رغبة مواطني اللبنانيين في تولي منصب رئاسة الجمهورية متوكلا على الله متوجها اليه بان ينير لنا السبيل ويهدينا لما فيه مرضاته وخير لبنان .

لقد بلوت بعمق صعوبة الحال التي يعانيها بلدنا العزيز وعشت مع جيشنا الوطني كل المأساة لذلك فانني مدرك تمام الادراك جسامة التبعات التي تلقى اليوم على عاتقي غير ان ما انطوت عليه نفس اللبنانيين من الخير وما تأصل فيهم من روح المحبة والتسامح وبما في قلوبهم من تعلق باستقلال بلادهم وتمسك بحرية وطنهم يبعث في كبير الثقة وعظيم الامل في ان يتغلب اللبنانيون بفضل تآزرهم ووعيهم وطيب نياتهم على الازمة التي تمر بها البلاد وان يخرج لبنان وهو اشد ايمانا بنفسه واثبت اركانا واعز مكانا .

ان اول ما اطلبه من نفسي وما اطلبه من كل مواطن لبناني هو السعي بكل ما اوتينا من جهد وطاقة للعودة بالبلاد الى وحدتها الوطنية التي بقوتها حقق لبنان استقلاله بسنة ١٩٤٣ وثبت سيادته ورسخ كيانه والتي انبثق منها ميثاقه الوطني

ذلك الميثاق الذي يبقى بما رسمه لنا من سياسة وطنية خالصة وعربية ناصعة وخارجية حرة الدستور الضامن لمجد لبنان وهناء شعبه .

واذا كانت تلك الوحدة هي السلاح الامضى الذي استعان به شعب لبنان لتحقيق الاستقلال وتوطيد السيادة الوطنية فانهذه الوحدة وما يرافقها من طمأنينة واستقرار ما تزال الاساس لكل عمل نستهدف منه اليوم ودائماً كلغاية مماثلة منغاياتنا الوطنية وفي مقدمتها انسحاب القوات الاجنبية من الارض اللبنانية .

ان المساواة بين اللبنانيين والاخلاص والصراحة في علاقاتنا مع البلاد العربية الشقيقة والكرامة والصداقة في جميع علاقاتنا الاجنبية هي اسس جديرة بتوفير حياة هانئة لوطننا لبنان يتأمن فيها الازدهار والسلامة والطمأنينة والعزة وهي كفيلة بان تضع لبنان في المنزلة الكريمة التي يستحقها في البلاد العربية وفي العالم وكما علينا ان نرعى هذه الوحدة علينا في سبيل بناء الدولة وان نرعى فضائل النزاهة والعدل والتجرد وقواعد العلم والنظام والمساواة وجعلها تسود مجتمعنا في كل مرافقه كما نجعل روح المسئولية والقيام بالواجب وحرمة المصلحة العامة تسود اداة الحكم بجميع فروعه .

اننا اذا وطنا النفس على ان نجابه واجبنا بما يتطلبه من جهد طويل قاس مستمر نكون قد سلكنا الطريق الذي يوصلنا الى غاياتنا الوطنية .

وانني في هذه المناسبة التي اتقدم فيها بالشكر على الثقة الغالية التي وضعها في الشعب اللبناني ومجلسه النيابي الكريم ابعث الى المقيمين منهم والمغتربين بتحية الوفاء والاخلاص معاهداً اياه بعد الله على ان اكون باراً بالجميع كل البر دون تمييز او تفريط وبارا بارض هذا الوطن وتاريخه ومستقبله .

* * *

فلسطين :

هي احدى المقاطعات التي انفصلت عن الدولةالعثمانية عقب الحربالعالمية الاولى ولما تم احتلال فلسطين في ١٣٦٦ هـ ـ ٢ ايلول ١٩١٨ م ، شملها الحكم العسكري البريطاني ، وكانت اللجنة الصهيونية برئاسة وايزمن ، قدمت الى فلسطين في آب

١٩١٨ م بتخويل واشراف الحكومة البريطانية ، واخذت تتجول في فلسطين دارسة باحثة مطالبة باشراكها في الحكم وادارة البلاد فوراً ، مع ان اليهود لم يكونوا يبلغون حينئذ ستة في المئة من مجموع السكان ، كما انها شرعت في تدريب قوة عسكرية ، واقامت نظاماً قضائياً مستقلا ودائرة للاستخبارات ، الامر الذي استفز العرب وجعلهم يتبينون ما وراء تصريح بلفور وزير خارجية بريطانيا في ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ م ــ ١٣٣٦ هـ ، وهذا نصه :

عزيزي اللورد روتشيلد

يسرني جدا ان ابعث اليكم باسم حكومة جلالة الملك بالتصريح التالي :

ان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى اقامة وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي ، وسوف تبذل افضل جهودها لتسهيل بلوغ هذه الغاية ، على ان يفهم جلياً انه لايجوز عمل شيء قد يضير الحقوق المدنية والدينية التي للطوائف غير اليهودية ولا الحقوق أو المركز السياسي التي يتمتع به اليهود في أي بلادغيرها.

ثم انتهت الحرب ، وعقد مؤتمر الصلح في فرساي في ١ كانون الثاني ١٩١٩ م ١٣٣٧ هـ ، حضره فيصل ممثلا لابيه الحسين ملك الحجاز ، وألقى خطاباً طالب فيه باستقلال البلاد العربية في آسيا ووحدتها ، موضحاً العوامل الثقافية والجغرافية والاقتصادية التي تحتم ذلك مذكراً بالوعود المقطوعة لها وضرورة تحقيقها .

وقدم المؤتمر الصهيوني الى مؤتمر الصلح في شباط مذكرة طالب فيها بانشاء الدولة اليهودية في فلسطين وشرقي الاردن وجنوب لبنان .

ثم قدمت الجمعية الصهيونية الى مجلس الحلفاء مذكرة باختيار بريطانيا دولة منتدبة على فلسطين ، فجعلت تحت الانتداب البريطاني على ان تلتزم بريطانيا تنفيذ وعد بلفور ، وقد جاء هذا القرار ايذاناً بصراع عنيف مستطيل بين العرب من جهة والصهيونيين والاستعمار البريطاني من جهة اخرى .

ثم وضعت بريطانيا مشروع صك الانتداب على فلسطين وعرضته على مجلس عصبة الامم ، فأقره في ٢٤ تموز ١٩٢٢ م ــ ١٣٤٠ هـ ، وهذا أهم ما جاء فيه :

١ ــ للدولة المنتدبة السلطة التامة في الاشتراع والادارة الا فيما قيدها به هذا الصك .

٢ ــ تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن وضع البلاد في احوال سياسية وادارية واقتصادية تضمن انشاء الوطن القومي اليهودي ، كما جاء في ديباجة هذا الصك ، وعن ترقية مؤسسات الحكم الذاتي ، وتكون مسؤولة ايضاً عن صيانة الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين بقطع النظر عن الجنس والدين .

٣ ــ يعترف بوكالة يهودية صالحة كهيئة عمومية لاسداء المشورة والمعونة الى ادارة فلسطين في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك من الامور التي قد تؤثر في انشاء الوطن القومي اليهودي ومصالح السكان اليهود في فلسطين ، ولتساعد وتشترك في ترقية البلاد على ان يكون خاضعاً دائماً لمراقبة الادارة ، ويعترف بالجمعية الصهيونية كوكالة ملائمة ما دامت الدولة المنتدبة ترى ان تأليفها ودستورها يجعلانها صالحة ، وعليها ان تتخذ ما يلزم من التدابير بعد استشارة حكومة جلالته البريطانية للحصول على معونة جميع اليهود الذين يبغون المساعدة في انشاء الوطن القومي اليهودي .

٦ ــ على ادارة فلسطين ، مع ضمان عدم الحاق الضرر بحقوق ووضع جميع فئات الاهالي الاخرى ، ان تسهل هجرة اليهود في احوال ملائمة ، وان تشجع بالتعاون مع الوكالة اليهودية المشار اليها في المادة الرابعة حشد اليهود في الاراضي بما فيها اراضي الحكومة والاراضي الموات غير المطلوبة للمقاصد العامة .

٧ ــ على ادارة فلسطين ان تتولى مسؤولية سن قانون للجنسية ، ويجب ان يشتمل ذلك القانون على نصوص من شأنها ان تسهل لليهود الذين يتخذون فلسطين مقاماً دائماً لهم اكتساب الجنسية الفلسطينية .

١٢ ــ تنص على تبعة الدولة المنتدبة في المحافظة على الحقوق الموجودة بالنسبة الى الاماكن المقدسة والمواقع الدينية في فلسطين وضمان الوصول اليها وحرية العبادة فيها مع مسؤوليتها امام عصبة الامم عن ذلك كله .

١٤ ــ تؤلف الدولة المنتدبة لجنة خاصة لدرس تحديد وتقرير الحقوق والدعاوى

المتعلقة بالاماكن المقدسة ، وتعرض طريقة اختيار هذه اللجنة وقوامها ووظائفها على مجلس عصبة الامم لاقرارها ، ولا تعين اللجنة ولا تقوم بوظائفها من غير موافقة المجلس المذكور .

٢٢ ــ يجب ان تكون الانكليزية والعربية والعبرية لغات فلسطين الرسمية وكل كلام أو نقش بالعربية على طوابع او دمغة أو عملة في فلسطين يجب ان يكرر بالعبرية وكل كلام او نقش بالعبرية يجب ان يكرر بالعربية .

٢٥ ــ يحق للدولة المنتدبة بموافقة مجلس عصبة الامم ان تؤجل او تمتنع عن تطبيق ما قد تعتبره من شروط هذا الانتداب غير قابل التطبيق على الاحوال المحلية القائمة في البلاد الواقعة بين نهر الاردن والحد الشرقي لفلسطين ، ولها ان تتخذ من التدابير لادارة تلك الاقطار ماقد تعتبره ملائما لتلك الاحوال .

ولما اذاع حاكم فلسطين العسكري الجنرال بولز نص وعد بلفور ، وعزم الحكومة البريطانية على قبول الانتداب على فلسطين مندمجا فيه ذلك الوعد ، فهبت فلسطين تستنكر ذلك وتحتج عليه ، وتألفت في مدنها جمعيات باسم الجمعيات الاسلامية المسيحية ، دلالة على تضامن الشعب في مناهضة تلك السياسة ، وسارت التظاهرات وتوالى عقد المؤتمرات .

ونشب في القدس في موسم النبي موسى في ٨ نيسان ١٩٢٠ م ــ ١٣٣٨ هـ ، اول اضطرابات في فلسطين ، اذ انقلب الموسم الى تظاهر وطني عنيف ، أدى الى الهجوم على اليهود والاصطدام بهم وبالشرطة ، ووقوع عدة قتلى وجرحى من اليهود والعرب .

ثم اندلعت في يافا ثورة في ايار ١٩٢١ م ــ ١٣٣٩ هـ ، دامت ١٥ يوما ، انقض فيها العرب على مركز المهاجرة الصهيوني حيث قتل بعض اليهود ، ثم هجم الثوار على بعض المستعمرات اليهودية ، وكانت القوات العسكرية والشرطة في جانب اليهود اسفر ذلك عن مقتل عدد من اليهود والعرب .

واما من الوجهة السياسية فقد عقد المشتغلون بالحركة الوطنية المؤتمر الفلسطيني الاول ١٣٣٧ هـ ــ ١٩١٩ م ، بالقدس ، وقرر هذا المؤتمر رفض وعد بلفور والهجرة

اليهودية والانتداب الانكليزي ، وحدد مطالب العرب بالوحدة السورية باعتبار فلسطين جزءاً من سورية ، وقرر تسمية فلسطين سورية الجنوبية .

وعلى أثر احتلال الفرنسيين دمشق عقد ممثلو فلسطين مؤتمرهم في حيفا في كانون الاول ١٩٢٠ م ــ ١٣٣٩ هـ ، فأكدوا مقرراتهم في المؤتمر الاول مع المطالبة بقيام حكومة وطنية مستقلة ، ثم انبثقت عنه لجنة تنفيذية للاشراف على الحركة الوطنية .

ثم انتخب المؤتمر وفداً للسفر الى بريطانيا وبسط القضية الفلسطينية فيها والمطالبة بالحقوق العربية الشرعية ، فاتصل بالاوساط الانكليزية وكان من أثر ذلك ان قرر مجلس اللوردات في ٢٠ حزيران ١٩٢٢ م ــ ١٣٤٠ هـ ، رفض الموافقة على صك الانتداب على فلسطين لمناقضته للوعود التي قطعتها بريطانيا ١٣٣٣ هـ ــ ١٩١٥ م ، ولانه لايتفق مع رغبات اهل فلسطين ، طالباً من الحكومة اعادة النظر في سياستها ، ولكن قرار مجلس اللوردات لم يؤثر في مجرى السياسة ، اذ ان مجلس العموم صاحب الكلمة الفاصلة اقر سياسة الحكومة .

وفي ١٣٤٧ هـ ــ ١٩٢٩ م ، قامت اضطرابات كان أهم اسبابها المباشرة تظاهر اليهود بجانب حائط المبكى ، ثم المقالات المهيجة في الصحف والحملات التحريضية المهيجة بين الاهالي ، وتوسيع الوكالة اليهودية ، وقرارات حكومة فلسطين التي كانت تتأثر بالاعتبارات السياسية لمصلحة اليهود .

وقدرت السلطات الرسمية عدد الاصابات في نهاية هذه الاضطرابات بنحو ١٣٥ قتيلا و ٣٤٠ جريحاً من اليهود و ١١٦ قتيلا و ٢٤٠ جريحاً من العرب وكانت معظم اصابات العرب بأيدي القوات العسكرية والشرطة .

وعلى أثر انتهاء ثورة ١٩٢٩ م ــ ١٣٤٨ هـ ، انتخبت اللجنة التنفيذية وفدا للسفر الى لندن ، فبلغها في ٣٠ آذار ١٩٣٠ م ــ ١٣٤٨ هـ ، اتصل برئيس الوزراء مكدونالد وبوزير المستعمرات باسفيلد ، وقدم اليهما مذكرة بمطالب العرب في فلسطين ، وهي : وقف الهجرة ، وسن تشريع لمنع انتقال الارضين التي في يد العرب الى اليهود ، وتأليف حكومة وطنية مسؤولة امام مجلس نيابي يشترك فيه اهل البلاد بنسبتهم

العددية ، اما الحكومة البريطانية فقد رفضت هذه المطالب لانها تتطلب تغييرات دستورية تعرقل عملها في التزاماتها بمقتضى صك الانتداب .

وبالرغم من تأليف لجان من الخبراء لدراسة المشاكل التي يتعرض لها العرب ، استمر باب الهجرة مفتوحاً ، وانتقال الارضين جارياً ، والبلاد محرومة أي مجلس تشريعي مادام اليهود لا يؤلفون اكثريتها ، بل اخذت السلطات تغض الطرف عن تسلح اليهود على نطاق واسع ، كما ان الحكومة نفسها وزعت على بعض المستعمرات كمية كبيرة من البنادق بحجة استعمالها للدفاع في الاحوال الاضطرارية ، واخذت تمرنهم على استعمالها بارشاد ضباطها مما ادى الى هياج عام ، فعقد مؤتمر في نابلس في ٣ آب ١٩٣١ م ، قرر استنكار تسليح اليهود ، والتنبيه الى خطره ، ومطالبة السلطات باسترداده .

وقد ادت سياسة الاستمرار على تهويد البلاد ، وخضوع السياسة الانكليزية للصهيونيين ، الى توجيه الكفاح الوطني نحو قراع الانكليز اولا ، باعتبارهم اصل الداء واساس البلاء ، فقررت اللجنة التنفيذية العربية ، القيام بتظاهر عام في القدس في ١٣ تشرين الاول ١٩٣٣ ، على ان يسير اعضاؤها وزعماء البلاد في طليعتها ، مع عدم استئذان السلطان تحدياً لقانونها ، وعلى ان يرافق ذلك اضراب عام في فلسطين وفي الموعد المضروب خرج تظاهر صاخب عنيف من الحرم بعد صلاة الجمعة اشترك فيه السيدات مع الرجال وكان تظاهراً عدائياً للانكليز ، فاستعملت الشرطة القوة في تفريق المتظاهرين ، ثم قام تظاهر بيافا ، وتصدت له قوات الشرطة في عنف وقسوة واطلقت النار على الجمهور الاعزل الذي رد على ذلك بالحجارة ، فوقع ٣٠ قتيلا واكثر من مئتي جريح عربي ، وقبضت السلطات على كثير من زعماء البلاد وشبابها .

ثم حصلت تظاهرات صاخبة في جميع انحاء فلسطين ، قتل وجرح فيها بعض الوطنيين ، ورافقها اضراب عام امتد سبعة ايام ، ولم يحل الا بعد اطلاق الموقوفين .

وتمادى اليهود في تسلحهم حتى اكتشفت في تشرين الاول١٩٣٥ م شحنة ضخمة من الاسلحة والذخائر ، أتت من البلجيك في براميل الاسمنت ، ونقلت من ميناء يافا الى تل ابيب ، ولم تتخذ السلطات أي تدابير في هذا الشأن ، ولم تحاول استرداد

ما وزعته من الاسلحة ، فاستفز ذلك مشاعر الاستياء لدى العرب ، وحملهم على اضراب شامل احتجاجاً .

وبالرغم من احتجاجات العرب المتوالية وصيحاتهم المستمرة ، داوم الانكليز على سياستهم مستخفين بمشاعر العرب ، حتى ان وزير مستعمراتهم ملكولم مكدونالد خطب قائلا في حفل صهيوني ، اقيم لتكريمه ، وتكريم واكهوب المندوب السامي الذي كان يزور لندن : انني فرح جدا لان اقتراح هجرة اليهود الى كينيا قد اخفق وبصفتي وزيرا للمستعمرات اشكر الذين رفضوا اقتراح كينيا ، فنبوءة وايزمن قد تحققت ، وعاد اليهود الى بلادهم ولو لم يعط وعد بلفور منذ ١٨ سنة لاعطيناه اليوم ثم وقف واكهوب يدعو الى شرب نخب نجاح الصهيونية .

ثم ابتدأت الثورة المسلحة ، فقد تألفت اولا عصابة سرية في حيفا برئاسة احد العلماء عز الدين القسام ، هدفها الجهاد عن طريق الفتك بالانكليز ، فقتلت رقيبا بريطانيا في بيسان ، وانتقلت العصابة الى احراش يعبد قرب مدينة جنين ، وفي ١٩ تشرين الثاني قتل احد افرادها ، ثم طوقت قوات بريطانية ضخمة تلك الاحراش تساعدها طائرات استكشافية ، وبعد قتال استمر حتى العاشرة صباحا ، انتهت المعركة باستشهاد عز الدين القسام واربعة من رفاقه والقبض على اربعة آخرين بينهم جريح مثخن ، وبقتل جندي بريطاني وجرح بريطانيين جراحا بالغة ، وقد هز هذا الحادث البلاد هزاً عنيفاً ويصح اعتباره مقدمة لثورة ١٩٣٦ م ــ ١٣٥٥ هـ .

وفي ١٥ نيسان ١٩٣٦ م ــ ١٣٥٥ هـ ، ظهرت عصابة عربية على طريق نابلس ــ طولكرم ، وحصلت معارك بين العرب واليهود ، ذهب ضحيتها عدة قتلى وجرحى من الفريقين ، ووضع المندوب السامي قانون الطوارىء موضع التنفيذ .

ثم اتفقت كلمة الاحزاب واللجان القومية ، على ان تتألف لجنة عربية عليا للاشراف على الحركة وقيادتها ، فتألفت في ٢٥ نيسان برئاسة رئيس المجلس الاسلامي الاعلى محمد امين الحسيني وعضوية ممثلي الاحزاب وباشرت عملها بدعوة الامة الى الاستمرار في الاضراب ، حتى تبدل الحكومة سياستها المتبعة في فلسطين

تبديلا اساسياً ، تظهر بوادره في وقف الهجرة اليهودية ، وحددت مطالب البلاد الاساسية وهي :

١ ــ منع الهجرة اليهودية منعاً باتا .

٢ ــ منع انتقال الاراضي العربية الى اليهود .

٣ ــ انشاء حكومة وطنية مسؤولة امام مجلس نيابي .

وتوالت التظاهرات في جميع انحاء البلاد ، واشترك فيها الرجال والنساء ، فكانت هي وما رافقها من اشتباكات واستشهادات ، عناصر لتغذية حركة الاضراب ومقدمات للثورة ، ودعت اللجنة الى مؤتمر للجان القومية عقد في القدس في ٨ ايار ١٩٣٦ م ــ ١٣٥٥ هـ ، وقرر مع الاستمرار على الاضراب ، اعلان العصيان المدني بالامتناع عن دفع الضرائب اعتبارا من ١٥ ايار ، وقد نفذ القرار في حينه ، كما اعلنت الحكومة في ١٨ ايار جدول العمال للهجرة ، وهو يقضي بدخول ٤٥٠٠ مهاجر في النصف الثاني من السنة ، فأدى هذا الى نقمة شديدة وانتقلت الحركة من نطاق الاضراب العنيف الى مرحلة الثورة المسلحة الدامية ، فاشتد الهجوم على المستعمرات اليهودية ، وكثرت عمليات تدمير خطوط السكة الحديدية ، وقلب القطارات ، ونسف الجسور ، وتخريب الطرقات ، وقطع الاسلاك ، والهجوم على المخافر .

وبدأت السلطة عملية تنكيل واسعة النطاق لقمع الثورة ، وقد جعل قانون الطوارىء حكم الاعدام والسجن المؤبد ، لمن يرمي مفرقعة أو يقطع سلكا ، وبدأت النجدات العسكرية البريطانية تقدم من مصر ومالطة على نطاق واسع غير ان ذلك كله لم يكن ليزيد الثورة الا ضراما ، فتألفت العصابات في طول البلاد وعرضها ، واخذ المتطوعون يتدفقون على البلاد من سورية والعراق وشرقي الاردن ، واصبحت الثورة مرهوبة ، لها بلاغاتها ، ومعاركها الحربية التي امتدت ساحاتها عدة كيلومترات

ثم وجه نداء مشترك من الملوك عبد العزيز آل سعود وغازي ويحيى والامير عبد الله ، هذا نصه :

الى ابنائنا عرب فلسطين :

لقد تألمنا كثيرا للحالة السائدة في فلسطين ، فنحن بالاتفاق مع اخواننا ملوك

العرب والامير عبد الله ، ندعوكم للاخلاد للسكينة حقنا للدماء ، معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ، ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل ، وثقوا بأننا سنواصل السعي في سبيل مساعدتكم .

واذاعت اللجنة العربية هذا البيان في ١١ تشرين الاول ١٩٣٦ م ــ ١٣٥٥ هـ ، مع بيان اعلنت فيه انها قررت بالاجماع ، وبعد استشارة مندوبي اللجان القومية وموافقتهم تلبية نداء اصحاب الجلالة الملوك وسمو الامير عبد الله ، وان تدعو الامة العربية الكريمة في فلسطين الى الاخلاد الى السكينة، وانهاء الاضراب، والاضطرابات ابتداء من يوم الاثنين في ١٢ تشرين الثاني ١٩٣٦ م ــ ١٣٥٥ هـ ، وان يبكر افراد الامة في صباح ذلك اليوم الى معابدهم لاقامة الصلاة على ارواح الشهداء ، ثم يخرجون من المعابد لفتح مخازنهم وحوانيتهم ومزاولة اعمالهم المعتادة .

ثم وصلت اللجنة الملكية الى فلسطين في ١١ تشرين الثاني ١٩٣٦ م ــ ١٣٥٥ هـ، وجاء في توصياتها : ان جميع التواصي التي تقدمت بها لن تزيل الظلامات ، ولن تمنع تكررها ، وانها لن تحل المشكلة ولكنها افضل المسكنات لداء فلسطين المتأصل الى درجة ، حملت اللجنة على الجزم في الاعتقاد ، بان الامل الوحيد في شفائه ، لايأتي الا عن طريق اجراء عملية جراحية ، وقد ثبت مع الزمن ان الالتزامات التي تعهدت بها الدولة المنتدبة نحو العرب واليهود غير قابلة للتوفيق ، ولا امل في ذلك في المستقبل وتوطيد السلام في فلسطين في ظل الانتداب ، لايمكن الا باللجوء الى القمع ، والقمع لن يحل المشكلة ، بل يؤدي الى تفاقم الشحناء ، ولن يساعد على انشاء دولة واحدة في فلسطين تحكم ذاتها بذاتها ، فلا بد من طريقة اخرى ، وهذه هي التقسيم ، ومصاعب التقسيم مما يمكن التغلب عليه ، وهوسبيل السلام في النهاية وترى اللجنة انهاء اجل الانتداب على فلسطين على اساس التقسيم ، وابدال نظام معاهدات منه على غرار ما جرى في العراق وسورية وذلك مع دولتين احداهما عربية تضم شرقي الاردن مع القسم العربي الفلسطيني الذي حددته اللجنة ، وثانيهما دولة يهودية في القسم الفلسطيني الذي ارتأت اللجنة ان يكون لليهود ، وذلك على ان

تتضمن المعاهدتان ضمانات مشددة لحماية الاقليات في الدولتين ، وان تلحق بهما مواثيق عسكرية ، حول اقامة القوات البحرية والعسكرية والجوية ، والمحافظة على الموانىء والطرق والسكك الحديدية وانابيب النفط .

وعدا الدولتين لا بد من منطقة ثالثة تشمل القدس وبيت لحم ، وتمتد حدودها من نقطة شمالي القدس الى نقطة جنوبي بيت لحم ، وييسر لها الاتصال بالبر بواسطة ممر يمتد من القدس الى يافا ، شاملا مدينتي اللد والرملة ، وهذه المنطقة تظل تحت الانتداب على ان لا يسري عليها تصريح بلفور ، وتكون اللغة الانكليزية اللغة الرسمية الوحيدة فيها ، ويجب ان يشمل هذا الانتداب الناصرة وشواطىء بحيرة طبرية لقداستهما .

أما حدود الدولتين فقد اقترحت اللجنة خطاً تقريبياً مع التوصية بتعين لجنة حدود لتخطيطها بصورة قاطعة ، وبموجب تخطيط اللجنة تشتمل الدولة اليهودية على جميع ألوية حيفا والجليل (بما فيها صفدوعكا) وجميع السهل الساحلي من اسدود الى الشمال (بما فيه سهل شارون ومرج ابن عامر) على ان توضع مدن طبرية وصفد وحيفا وعكا تحت ادارة الدولة المنتدبة موقتاً قبل الحاقها بالدولة اليهودية واما الدولة العربية فتشمل عدا شرقي الاردن ، مناطق غزة وبئر السبع وصحراء النقب والخليل ونابلس ، والقسم الشرقي من مناطق طولكرم وجنين وبيسان وبلدة يافا .

ثم اعلنت الحكومة البريطانية انها على اتفاق مع اللجنة الملكية فيما أوردته من الاستدلالات وانتهت اليه من الآراء .

ولم يكن ينشر تقرير اللجنة الملكية وبيان الحكومة ، حتى عم البلاد استياء عظيم ، واصيبت بخيبة امل ، وبادرت اللجنة العليا الى ارسال مذكرة شديدة الى الحكومة البريطانية والى لجنة الانتدابات الدائمة في جنيف ، واستنكرت قرار التقسيم ، وطالبت بالاعتراف بحق العرب في الاستقلال التام في وطنهم ، والعدول عن تجربة الوطن القومي اليهودي ، والغاء الانتداب البريطاني ، وعقد معاهدة شبيهة بمعاهدات العراق ومصر وسورية ، ووقف الهجرة ، وبيع الارض فورا ، ريثما تجري المفاوضات ، ويتم عقد المعاهدة .

وتصاعدت اصوات الاستنكار في سائر الاقطار العربية ، وأبرق رئيس وزراء العراق ببرقية الى فلسطين أعلن فيها رفض حكومته للتقسيم وعزمها على مقاومته كما اعلنت الحكومة المصرية موقفها في تأييد عرب فلسطين ورفضها للتقسيم ، وأعلن ملكا السعودية واليمن استنكارهما للتقسيم ، كما ندد به رئيس وزراء سورية باسم حكومته ، وسارت التظاهرات الاستنكارية في البلدان العربية ، ورافقها اضراب في معظمها ، وتظاهر مسلمو الهند ساخطين على التقسيم .

ودعت لجنة الدفاع عن فلسطين في سورية الى مؤتمر عربي عام ، عقد في ٨ ايلول ١٩٣٧ م ــ ١٣٥٦ هـ ، في بلودان ، حضرته وفود من مصر والعراق وسورية ولبنان وفلسطين ، وفوض احرار المغرب من ينوب عنهم ، واتخذت فيه قرارات تعلن :

١ ــ ان فلسطين جزء لا ينفصل عن الوطن العربي .

٢ ــ رفض ومقاومة تقسيم فلسطين وانشاء دولة يهودية .

٣ ــ الاصرار على طلب الغاء الانتداب ووعد بلفور ، وعقد معاهدة مع بريطانيا تضمن للشعب العربي استقلاله وسيادته ، وان تكون حكومته دستورية فيها للاقليات مالاكثرية من الحقوق وفقا للمبادىء الدستورية العامة .

٤ ــ تأييد طلب وقف الهجرة عاجلا واصدار تشريع يمنع انتقال الاراضي من العرب الى اليهود .

واما الحكومة البريطانية ، فقد تولى ايدن وزير الخارجية البريطانية في ١٤ ايلول ١٩٣٧ م ــ ١٣٥٦ هـ ، عرض سياسة حكومته في مجلس عصبة الامم ، معلناً باسمها انها قلبت مقترحات اللجنة الملكية ، وانها مستعدة لارسال لجنة فنية خاصة الى فلسطين ، لوضع خطة مفصلة لمشروع التقسيم وتخطيط الحدود .

وفي ٢٦ ايلول ١٩٣٧ م ــ ١٣٥٦ هـ ، بدأ اندلاع الثورة ، فأطلقت النار على حاكم لواء الجليل الانكليزي أندروز ، فقتل هو وحارسه ، فقامت قيامة السلطات وشرعت في حركة تنكيل عنيف وبطش شديد ، فاعتقلت من استطاعت القبض عليهم من اركان الحركة الوطنية واعضاء اللجان القومية وقضاة الشرع ، وحلت اللجنة

العربية العليا ، واللجان القومية كلها ، واعتبرت كلها غير مشروعة ، وعزلت رئيس المجلس الاسلامي الاعلى من منصبه وابعدت الى سيشل من وقع بيدها من اعضاء اللجنة العليا ، وبعض زعماء الحركة .

وعلى اثر ذلك اضربت البلاد ، ثم اخذت بوادر الثورة تبدو على شكل تدمير للمخافر العسكرية والشرطة وتفجير انابيب النفط ، وتقطيع الاسلاك البرقية ، والخطوط الحديدية ، ونسف القطارات والجسور .

ثم انبثت العصابات في انحاء البلاد ، فاتسعت المعارك ، حتى كانت تمتد احياناً عشرين كيلو مترا ، وأبدى فيها المجاهدون بسالة وبراعة في الجهاد ، فأخذ الثوار يحتلون المدن وينهبون مافي مخافرها من سلاح ، ويدمرون المنشآت الحكومية ، حتى اضطرت السلطات الى اغلاق دور البرق والبريد والمحاكم والمخافر في كثير من المدن والاقضية ، لعجز السلطات عن حمايتها .

واحتلت العصابات مدينة القدس القديمة ، ونشطت في مختلف الساحات ، حتى اضطرت الحكومة البريطانية ان تستبدل الجنرال هيتج بالجنرال ويفل في منصب القائد العام ، وقدم وزير المستعمرات ملكولم مكدونالد الى القدس ليذاكر المندوب والقائد العام ، فرأى بنفسه قوة الثورة ، ثم عاد وأذاع فور عودته خطاباً قال فيه : ان فلسطين اسوأ بلد في العالم ، وان مركز المندوب السامي والقائد اسوأ واتعب مركز رجلين في الامبراطورية ، وان قمع الثورة ليس بالسهولة المظنونة .

وفي ٢٠ آب ١٩٣٨ م ــ ١٣٥٧ هـ ، احتل الثائرون مدينة الخليل ، وفي ٢٤ آب دخل احد الثوار سراي الحاكم البريطاني موفات في جنين ، على الرغم من احتشاد قوات الشرطة والحراس فيها ، واطلق النار عليه وارداه قتيلا ، ثم خرج ناجياً بنفسه

وفي ٩ ايلول ١٩٣٨ م ــ ١٣٥٧ هـ ، احتل الثوار مدينة بئر السبع ، واطلقوا المساجين ، واستولوا على مركز الشرطة ، ثم انسحبوا منه ، ثم عادوا في أواخر الشهر فدمروا أبنية الحكومة والشرطة فيها ، واحرقوها ، وتوالت النجدات العسكرية حتى استطاعت السلطات بعد جهود احتلال القدس القديمة ثانية .

وفي ٥ تشرين الاول احتل الثوار مدينة طبرية وغزوا احياءها اليهودية ، فقتل وجرح عشرات من اليهود ، عدا ما حرق ودمر من البيوت والمنشآت الرسمية .

واهتمت الامة العربية بثورة فلسطين ، وتألفت في العواصم والمدن العربية ، لجان باسم لجان الدفاع عن فلسطين ، اخذت تمد الحركة الثورية بالعون المادي ، والتأييد السياسي .

وقد تأثر اليهود في فلسطين من الثورة ، والجو الارهابي الذي خلقتـــه في اوساطهم ، والمقاطعة المحكمة تأثراً شديداً ، تجلى في أزمة اقتصادية قوية ، كسدت معها بضائعهم وصناعاتهم ، وكثر عددالعاطلين من عمالهم، وقد انتهزوا الفرصة فطالبوا الانكليز بالسلاح ، فسلموهم نحو خمسة آلاف بندقية ، ثم نشطوا في اعمال الغدر متجنبين القتال ، فكانوا يختارون اماكن ازدحام العرب كسوق الخضرة في حيفا ، ويضعون قنبلة مؤقتة في سلة بيض أو صندوق خضرة ، وقد قتلت احدى قنابلهم في حيفا ٧٤ عربياً وجرحت ١٣٠ .

ثم اضطرت انكلترا الى دعوة الاقطار العربية للمذاكرة في قضية فلسطين ، فاجتمع ممثلو الحكومات العربية ، ووفد فلسطين في القاهرة ، حيث اتفقوا على ان لا يجلسوا مع اليهود وان لايعتبروهم طرفاً ثانيا ، وان يكون هدف المفاوضات وقف الهجرة ، وانتقال الاراضي ، وقيام دولة مستقلة بأكثرية عربية ترتبط مع بريطانيا بمعاهدة تضمن الحقوق السياسية والمدنية لليهود ، وتكون اللغة العبرية لغة ثانية في مناطق الكثرة اليهودية .

وفي ٧ شباط ١٩٣٩ م ــ ١٩٥٨ هـ ، افتتح مؤتمر لندن في قصر سان جيمس وذلك بين الانكليز والعرب في الصباح ، وبين الانكليز واليهود بعد الظهر ، وبعد مناقشات عرضت الحكومة البريطانية على الوفدين العربي واليهودي أسس تسوية للقضية الفلسطينية ، تتلخص بموافقة بريطانيا مبدئياً على قيام حكومة فلسطينية مستقلة مرتبطة في معاهدة تضمن لبريطانيا مصالحها العسكرية والاقتصادية ، ولكن يجب ان تسبق هذا فترة انتقال ، تجري في أثنائها تطورات دستورية ، تبدأ باضافة فلسطينيين الى المجلس الاستشاري والى المجلس التنفيذي ، ثم ينقلب هذا الى

مجلس تشريعي باعضاء منتخبين ، ومرحلة الانتقال هذه تتم في عشر سنوات ، اذا نجحت التطورات الدستورية ، واذا تعاون أهل فلسطين أي العرب واليهود ، وهناك قيود على الهجرة وانتقال الارضين ، ثم اصدرت في هذا المعنى الكتاب الابيض لسنة ١٩٣٩ م ــ ١٣٥٨ هـ .

وقد رفض العرب واليهود هذه التسوية ، وأكدت الحكومة البريطانية قبل انفضاض المؤتمر انها ستنفذ ما تراه ملائماً ، ولو لم يقبله الفريقان ، وعادت الوفود الى بلادها .

واما اليهود فقد رفضوا الكتاب الابيض وتظاهروا استنكارا له ، ثم اعلنوا الثورة عليه ، وقد ابتدأوها بتقطيع الاذاعة في ١٧ ايار ، ثم احرقوا الدوائر الرئيسية للمهاجرة ، ونهبوا الحكومة في تل ابيب ، واخذت منظماتهم السرية تدمر المرافق الرسمية ، وتفتك بالانكليز من قوات الجيش والشرطة ، وتضع القنابل الموقوتة في أماكن احتشاد العرب ، وقد ندد المؤتمر الصهيوني المنعقد في جنيف بالكتاب الابيض ودعا الى مقاومته .

ثم انصرف اليهود الى مقاومة الكتاب الابيض بكل ما أوتوا من قوة ، وسلكوا لتحقيق مآربهم كل سبيل ، وقد انتهزوا كل فرصة سنحت ، واستغلوا ظروف الحرب العالمية الثانية ، فأدركوا ما للولايات المتحدة الاميركية من شأن في هذه الحرب ، وما سيكون لها من تأثير في نهايتها ، فركزوا جهوداً جبارة لحمل الولايات المتحدة على مظاهرتهم ، ثم بذلوا جهوداً ضخمة لتقوية انفسهم عن طريق التجند والتسلح ، ثم استأنفوا ثورتهم الدامية على الانكليز ليحملوهم على تبديل سياسة الكتاب الابيض ، ولقد استطاع اليهود ان يجتذبوا انصارا كثيرين في الولايات المتحدة ، حتى تنافس الحزبان الديموقراطي والجمهوري في الحملة الانتخابية لرئاسة الجمهورية في خريف ١٩٤٤ م ــ ١٣٦٣ هـ ، في استرضاء اليهود ، واكثروا لهم الوعود من أجل اصواتهم ، ثم استطاع اليهود ان يقيموا قوة عسكرية كبيرة تابعة للوكالة اليهودية باسم الهاجانا ، واستطاعوا ان يدربوا عدداً وافراً من شبانهم على ايدي ضباط من الانكليز واليهود ، ثم اقيمت دائرة للتجنيد تابعة للوكالة اليهودية ، فرضت التدريب

العسكري ، وجعلت مدة الخدمة سنة للبنات والفتيان الذين تختلف اعمارهم بين ١٧ و ١٨ سنة .

ثم تابع اليهود حملتهم لنيل موافقة الحكومة البريطانية على انشاء جيش يهودي الى جانب الحلفاء ، فأجابتها الحكومة البريطانية الى طلبها باصرار رئيس وزراء بريطانيا تشرشل في ايلول ١٩٤٤ م ـ ١٣٦٣ هـ ، وتقرران يكون الجيش يهودياً بقواده وضباطه وجنوده ورايته وطعامه ، وارصدت اموال ضخمة لتهريب الاسلحة ولشرائها من مخازن الجيش ، باغراء جنود وضباط من الانكليز وبولونيين وامريكان في فلسطين .

وعلى الرغم من ان بريطانيا كانت تخوض غمار حرب يتوقف على نتيجتها مصيرها ، فقد نشطت عصابات الارغون وشتيرن في أعمالهما الارهابية في مطلع ١٩٤٤ م ـ ١٣٦٣ هـ ، فدمرت دوائر ضريبة الدخل بالقدس وتل ابيب وحيفا ، وهوجمت مخازن دوائر الصناعات الخفيفة في تل ابيب ، وفجرت انابيب النفط واغتالت الضباط والافراد البريطانيين في الشوارع ، وارسلت عصابة شتيرن اثنين من فدائييها الى القاهرة ، حيث اغتالا في ٦ تشرين الثاني وزير الدولة البريطاني في الشرق الادنى موين ، وقد حاكمهما القضاء المصري ونفذ حكم الموت بهما .

ثم كتب ترومان في ٣١ آب ١٩٤٥ م ـ ١٣٦٤ هـ ، الى اتلي رئيس وزراء بريطانيا يؤيد فتح ابواب فلسطين لليهود النازحين من المانيا والراغبين في الذهاب اليها ، ويؤيد الاقتراح بمنح اليهود مئة الف شهادة هجرة اضافية الى فلسطين .

وادلى ترومان بتصاريح عديدة في هذا المعنى ، فأثار سخطاً عربياً عاما وحمل الحكومات العربية على ان تقدم الى حكومة الولايات المتحدة مذكرات رسمية ، تعرب فيها عن احتجاجها واستنكارها ، فصرح وزير خارجية امريكا تلطيفاً للجو بان سياسة حكومة الولايات المتحدة لا تصل الى نتائج نهائية ، تتعلق بالمباحثات مع الحكومة البريطانية ، حول تبديل الوضع الاساسي في فلسطين من غير التشاور التام مع زعماء العرب واليهود .

ثم اتخذت الجامعة العربية في ٢ كانون الاول ١٩٤٥ م ـ ١٣٦٥ هـ ، قراراً حول مقاطعة اليهود في فلسطين اقتصاديا وهذا نصه :

١ ـ ان المنتجات والمصنوعات اليهودية في فلسطين غير مرغوب فيها في البلاد العربية ، وان اباحة دخولها الى هذه البلاد مما يؤدي الى تحقيق الاغراض السياسية الصهيونية ، فالى ان تتغير هذه الاغراض يقرر مجلس الجامعة ، ان تتخذ كل دولة من دول الجامعة الاجراءات التي تتناسب وتتفق مع اصول الادارة والتشريع فيها ، بمنع هذه المنتجات من دخول بلادها بعد اليوم الاول من كانون الثاني ١٩٤٦ م ١٣٦٥ هـ ، سواء جاءتها من فلسطين مباشرة ، او من طريق آخر .

٢ ـ يدعو مجلس الجامعة الشعوب العربية غير الممثلة في مجلس الجامعة ، ان تتضامن وتتعاون مع دول الجامعة في هذا القرار ، فتمتنع الهيئات والتجار والوسطاء والافراد فيها عن التعامل والتوزيع والاستهلاك للمنتجات الصهيونية في فلسطين والبلاد العربية .

٣ ـ تؤلف لجنة من الدول الممثلة في الجامعة للاشراف على التنفيذ .

ثم القى وزير الخارجية البريطانية بيفن بياناً في مجلس العموم جاء فيه : وبعد النظر في الوضع كله والسبب الذي ادى الى الاهتمام العالمي ، قررت حكومة جلالته ان تدعو حكومة الولايات المتحدة الى التعاون معها في تأليف لجنة تحقيق انكلو امريكية ، تتحرى المشكلة الاوروبية ، وتعيد النظر في القضية الفلسطينية على ضوء ذلك التحري ، وقد قبلت الولايات المتحدة تلك الدعوة ، ووافقت على ان يعهد اليها في شروط الاختصاص التالية :

١ ـ فحص الاحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية في فلسطين ، بالنسبة الى تأثيرها في مشكلة هجرة اليهود اليها واستيطانها ، والى رفاهية الاهالي المقيمين بهـا الآن .

٢ ـ فحص حالة اليهود في الاقطار الاوربية حيث كانوا ضحية للاضطهـاد النازي والفاشي ، والتدابير العملية التي اتخذت أو التي ينوي اتخاذها في تلك الاقطار ، لتمكينهم من العيش في نجوة من التحيز والعسف ، وتقدير عدد اولئك

الذين يودون النزوح ، أو الذين تضطرهم احوالهم الى النزوح الى فلسطين أو الى بلدان اخرى خارج اوربا .

٣ ــ تقديم التواصي الى الحكومتين البريطانية والامريكية ، لمعالجة مشاكل فلسطين وايجاد حل دائم لها .

ثم قال بيفن : والى ان تقدم لجنة التحقيق تقريرها تتداول الحكومة مع العرب للتوصل الى تدبير يضمن عدم توقف الهجرة اليهودية بمعدل الف وخمسمئة مهاجر في الشهر .

وفي ١٠ كانون الاول ١٩٤٦ م ــ ١٣٦٦ هـ ، اعلنت اسماء اللجنة الانكلوامريكية في واشنطون ولندن ، وهي مؤلفة من ستة اعضاء من الانكليز ، وستة من الامريكان ثم اتخذ مجلس الشيوخ والنواب في الولايات المتحدة ، قرارا بمطالبة الحكومة بالتوسط لدى الدولة المنتدبة لفتح ابواب فلسطين لهجرة يهودية مطلقة في نطاق الاستيعاب الاقتصادي للبلاد ، وقيام دولة يهودية ديموقراطية في فلسطين .

وأوصت هذه اللجنة بعد الدراسة توصيات نسفت بها الكتاب الابيض نسفاً تاماً ، وتنكرت لجميع الحقائق الفنية التي أوردتها اللجان في موضوعي الهجرة والاراضي ، وقضت على فكرة الاستقلال مادام اليهود ليسوا اكثرية ، واستخفت بالامة العربية وارادتها ، ثم الف ترومان لجنة وزارية ذات سلطة واسعة للقيام بالاتصالات والمفاوضات لتنفيذ تواصي هذا التقرير .

وأثار تقرير اللجنة الانكلو اميريكية سخط العرب ونقمتهم ، فأضربت فلسطين وتصاعدت اصوات الاستنكار والاحتجاج في جميع البلاد العربية ، ونددت مجالسها النيابية بهذا التقرير ، وطالبت حكوماتها بالموقف الحاسم ، وهذه بادرت الى الاحتجاج لدى الدولتين ، كما ابرق ملوك العرب ورؤساؤهم الى ملك الانكليز ورئيس جمهورية الولايات المتحدة بالاستنكار الشديد ، واضرب مسلمو الهند وتظاهروا معربين عن نقمتهم .

وفي ٢٦ شباط اعلن وزير الخارجية البريطانية بيفن في مجلس العموم البريطاني،

خطاباً أشار فيه الى ان القضية الفلسطينية معقدة ، ولما كانت بريطانيا لا تستطيع ان تفرض حلا نهائياً بالقوة ، لانها منتدبة انتداباً ، ولذلك اصبح واجبها رفع الامر الى هيئة الامم لتقرر وتفرض الحل الذي تراه .

ثم دعت امانة هيئة الامم الدول الى اجتماع غير عادي لانتخاب لجنة تحقيق جديدة ، فانعقدت في ٢٨ نيسان ، وتألفت اللجنة من ممثلين عن استراليا وكندة وتشكوسلوفاكيا ويوغسلافيا وغواتيمالا والهند وهولندا وايران وبيرو والسويد واوروغواي .

وبعد الدرس والمشاورات ، وضعت اللجنة تقريراً ، قدمته الى هيئة الامم في ايلول ١٩٤٧ م ــ ١٣٦٦ هـ ، وقد احتوى التقرير على ما يأتي :

١ ــ توصيات عامة ، وافق عليها جميع اعضاء اللجنة ، وتتلخص في ضرورة انهاء الانتداب على فلسطين ، ومنحها الاستقلال على ان تتقدمه مرحلة انتقالية قصيرة تكون السلطة في اثنائها مسؤولة امام منظمة الامم المتحدة ، مع بقاء الصبغة الدينية للاماكن المقدسة ، وعلى ان يبنى النظام السياسي للدولة أو الدولتين الجديدتين والدستور على أساس ديمقراطي تمثيلي ، يضمن حقوق الانسان الاساسية ، والمحافظة على حقوق الاقليات ، وعلى ان تسجل المبادىء الاساسية لميثاق الامم المتحدة في الدستور بما فيها واجب تسوية الخلافات الدولية بالوسائل السلمية من غير لجوء الى التهديد ، وعلى وجوب قبول المحافظة على الوحدة الاقتصادية في فلسطين ، كبناء اساسي ، وضروري لحياة البلاد وسكانها ، وانقسمت اللجنة الى اكثرية ، قدمت مشروعاً ، والى اقلية قدمت مشروعا آخر ، فاما مشروع الاكثرية فيقضي بان تقسم فلسطين الى دولتين : الدولة العربية ، وتتألف من الجليل الغربي ومنطقة نابلس الجبلية والسهل الساحلي الممتد من اسدود في الجنوب الى الحدود المصرية وفي هذا تدخل منطقة الخليل وجبل القدس وغور الاردن . والدولة اليهودية ، وتتألف من الجليل الشرقي ومرج ابن عامر والقسم الاكبر من السهل الساحلي ومنطقة بئر السبع التي تضم النقب .

وتصبح الدولتان مستقلتين بعد مرحلة انتقال تدوم سنتين ، تبدأ من اول ايلول

١٩٤٧ م ، ويجب عليهما الموافقة على دستور كل منهما ، وتوقيع معاهدة توطيد النظام والتعاون الاقتصادي ، واحداث اتحاد اقتصادي يهدف الى استثمار المرافق العامة كالخطوط الحديدية والطرق ضمن نطاق المصلحة العامة المشتركة ، والى وحدة الرسوم الجمركية والعملة ، والى تهيئة الاسواق العالمية لصادرات فلسطين كلها .

وتتابع بريطانيا في مرحلة الانتقال ادارة الحكم في فلسطين تحت اشراف هيئة الامم المتحدة ، وعليها في مرحلة الانتقال ان تتخذ التدابير لتحقيق هذا المشروع ، وبصورة خاصة قبول ١٥٠ الف مهاجر في الدولة اليهودية المقترحة ، وينتخب في كل من الدولتين مجلس تأسيسي لوضع الدستور ، والمجلس التأسيسي لكل من الدولتين حق تعيين حكومة مؤقتة ، تمنح حق توقيع معاهدة الاتحاد الاقتصادي ، وتوقيع بيان بنصوص حماية الاماكن المقدسة والحقوق الدينية وحقوق الاقليات .

واما منطقة القدس فتوضع تحت نظام الوصاية الدولية ، ويعين مجلس الوصاية لهيئة الامم حاكم القدس العام على ان لا يكون عربيا أو يهوديا ، وعلى ان تدخل القدس في الاتحاد الاقتصادي المشترك .

اما مشروع اللجنة الاقلية المؤلفة من ممثلي الهند وايران ويوغسلافيا ، فقد اقترحت ان تقوم في فلسطين حكومتان مستقلتان استقلالا ذاتيا ، وتتألف منهما دولة اتحادية مستقلة ، عاصمتها القدس ، وينتخب مجلس تأسيسي لوضع الدستور، وتتناول سلطة الحكومة الاتحادية قضايا الدفاع الوطني والشؤون الخارجية والمصالح الاقتصادية المشتركة ، وينتخب رئيس الدولة من قبل مجلس الاتحاد ، وتنحصر الهجرة اليهودية في المنطقة اليهودية على ان تكون في نطاق استيعاب ، تقرره لجنة مشتركة ، مؤلفة من تسعة اعضاء ، ويكون منهم لكل من العرب واليهود والامم المتحدة ثلاثة مندوبين .

ولم يكد تقرير اللجنة الدولية ينشر ، حتى بادرت الهيئة العربية العليا الى رفضه واستنكاره واعلان العزم على مقاومة تنفيذه ، وسارت التظاهرات في البلاد العربية وتصاعدت فيها الاصوات ، تدعو الى انقاذ فلسطين ، واتخاذ خطوات عملية للحيلولة دون تنفيذ تقرير اللجنة .

وعقدت اللجنة السياسية للجامعة العربية في ٨ كانون الاول ١٩٤٧ م ــ ١٣٦٧ هـ، اجتماعات في القاهرة ، قررت العمل على احباط مشروع التقسيم ، والحيلولة دون قيام دولة يهودية في فلسطين ، ثم قررت اللجنة تقديم اسلحة وتوزيعها على اهل فلسطين حالا ، واعتماد الاموال اللازمة للانفاق على حركة المتطوعين ، وعلى وسائل الدفاع ، واجراء التسهيلات لارسال ثلاثة آلاف متطوع على الاقل الى سورية ، موزعة على فلسطين وشرقي الاردن وسورية والعراق ولبنان ومصر .

وفي كانون الثاني ١٩٤٨ م ــ ١٣٦٧ هـ ، دخل الى فلسطين اول فوج من جيش الانقاذ الذي تألف من متطوعين ، وقد أعد في سورية وعسكر في شمالها ، ودخلها فوج آخر في شباط ، وعسكر في منطقة بيسان ــ نابلس ، وفوج ثالث دخلها في آذار وعسكر في لواء نابلس .

ودارت معارك قوية في الاشهر الخمسة التي تلت قرار التقسيم ، كان المناضلون فيها من مجاهدي فلسطين ومتطوعي الاقطار العربية ، ومن افواج جيش الانقاذ الذي تألف كذلك من فلسطينيين ومتطوعي العرب .

ورافقت القتال اعمال نسف عظيمة ، قام بها العرب الفلسطينيون ، من أهمها : نسف شارع بن يهوذا وبنايات الوكالة اليهودية في القدس ، وقد خسر فيها اليهود مئات من الضحايا ، عدا الخسائر المادية الضخمة ، وكان النصر حليف العرب في معاركهم ، ولا سيما تلك التي نشبت على طريق القدس ــ يافا ، حيث اقفل باب الواد وحوصر اليهود في القدس ، وراحوا يشكون الجوع والظمأ ، والتي نشبت في مستعمرات الخليل ويافا والقدس ، ومن أهمها : معركة القسطل التي استشهد فيها القائد عبد القادر الحسيني ، ومعركة الدهيشة بين القدس والخليل ، وقد قتل فيها مئات من اليهود واسر مئات ، واستولى المناضلون على ١٥٠ سيارة وذخائر واسلحة

وبدت المقاومة العربية قوية فعالة مؤثرة في مختلف جهات النضال ، ولا سيما منطقة يافا ــ اللد والرملة ، حيث نسف المجاهدون كثيرا من المعامل والعمارات والمراكز العسكرية والحصون اليهودية ، ومن أهم ما دمروه عمارة المطاحن اليهودية الكبرى في حيفا ، وكانت محولة الى حصن .

وبلغت قوة المقاومة العربية في المعارك والتدمير مبلغاً ، حمل الوكالة اليهودية على رفع الشكوى ضد الحكومات العربية الى مجلس الامن ، متهمة اياها بالتآمر ضد التقسيم ، وذلك بدعمها القتال الجاري في فلسطين طالبة ان ينفذ التقسيم بالقوة.

اما مجلس الامن فقرر ان تتشاور الدول الخمس الكبرى ، الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفييتي والصين في وسيلة لتنفيذ التقسيم بغير القوة.

وفي ١٩ آذار ١٩٤٨ م ــ ١٣٦٧ هـ ، أعلن مندوب الولايات المتحدة سحب حكومته لتأييدها مشروع التقسيم ، لانه لايمكن تنفيذه الا بالقوة ، ولا يمكنها الموافقة على ذلك ، واقترح وضع فلسطين تحت الوصاية ، واعادة القضية الى هيئة الامم للنظر فيها على هذا الاساس ، ودعوة العرب واليهود الى عقد هدنة سياسية وعسكرية انتظاراً للنتيجة .

أما اليهود فقد دهموا قرية دير ياسين التابعة للقدس ، وفتكوا بأهلها وذبحوا ٢٥٠ نسمة من غير تفريق بين شيخ ، أو طفل ، ولا بين امرأة او رجل ، ثم القوا جميع هؤلاء الضحايا في بئر القرية ، وتكررت مأساة دير ياسين في قرية ناصر الدين القريبة من طبرية ، فمحوها من الوجود ، واحرقوا بيوتها ، وقتلوا سكانها ، وكان موقف السلطات البريطانية المسؤولة عن الامن عدم المبالاة ، وأدت الفظائع اليهودية ، واسلوب اخلاء القوات البريطانية للبلاد من دون ان يتمكن العرب من حمايتها ، الى نزوح كثير من العرب عنها ، وتدفقهم على لبنان وسورية ومصر وشرقي الاردن ، مخلفة وراءها كل ما تملك من مال منقول وغير منقول ، على انها مليئة بأمل العودة السريعة حين دخول الجيوش العربية فلسطين في ١٥ ايار .

وفي منتصف ليلة ١٥ ايار ١٩٤٨ م ــ ١٣٦٧ هـ ، غادر المندوب السامي البريطاني ميناء حيفا معلناً نهاية الانتداب البريطاني .

وفي نفس الوقت شرعت الجيوش العربية في الزحف على فلسطين من الشمال والشرق والجنوب ، وقد اذاعت الحكومات العربية ساعة زحف جيوشها ، بياناً ذكرت فيه اسباب هذا الزحف واهدافه ، وبعثت به الى الدول الاجنبية والى الامين

العام لهيئة الامم المتحدة ، واعلنت الحكومات العربية الحصار البحري عليها ، واخذت تفتش البواخر في المياه الاقليمية ، وتصادر ما يكون عليها لليهود .

وأعلن اليهود فور خروج المندوب السامي من حيفا ، قيام دولة اسرائيل ، وبعد دقائق من اعلان قيامها بادر رئيس جمهورية الولايات المتحدة الى الاعتراف بها .

اما الجيوش العربية التي زحفت فهي : الجيش المصري ، وكانت معه سرايا من السعوديين وبعض المتطوعين من السودانيين والليبيين والمصريين ، فاحتل غزة وبئر السبع ، ثم سار في خطين احدهما في اتجاه الخليل ، والآخر في اتجاه يافا ، وقد استطاعت القوات المصرية ان تعزل مستعمرات النقب ، وان تحتل بعضها بعد دك حصونها ، ولا سيما بين يافا وغزة ، فسيطرت بذلك على القسم الجنوبي من فلسطين ما عدا بعض المستعمرات المعزولة .

واحتل الجيش العراقي مستعمرة الجسر على اليرموك ، واستولت على مشروع كهرباء روتمبرغ ، ثم اتجهت في خطين : احدهما في اتجاه نابلس فطولكرم فقلقيلية فناثانيا على البحر ، وثانيهما في اتجاه مرج ابن عامر فالعفولة فجنين ، واصبحت مستعمرات كثيرة تحت سيطرة مدافع القوات العراقية ، وقد كانت افواج من المناضلين الفلسطينيين في الشمال والغرب تؤلف ستاراً امام الكتائب العراقية النظامية .

واحتل الجيش السوري سمخ وسيطرت على عبر اليرموك من جسر بنات يعقوب باتجاه طبرية ، واستطاعت ان ترد هجمات اليهود على بانياس ، وان تحتل مستعمرة مشمار هايردن .

واحتلت القوات اللبنانية الناقورة وبعض المواقع العسكرية على الحدود .

واحتلت القوات الاردنية اريحا ، ثم استولت على القدس القديمة ، وباحتلالها أصبحت القدس الجديدة تحت سيطرة مدافعها ، وقد اتجهت نحو يافا ، وسيطرت على طريق القدس الرملة ، ثم عسكرت حول اللد والرملة .

وشرعت القوى الجوية المصرية تقصف تل ابيب والمستعمرات اليهودية الواقعة حولها ، وكانت الطائرات السورية والعراقية توالي قصف المستعمرات القريبة منها في نطاقها المحدود ، مما جعل اليهود يضرعون الى الامريكيين على التدخل ، وقد

تدخلوا فعلا ، اذ اسرعوا الى مجلس الامن يقترحون عليه بان الحالة في فلسطين تهدد السلم ، وذلك تمهيداً لمنع القتال بالقوة وتطبيق العقوبات .

ثم تقرر في ٢٢ ايار قبول اقتراح بريطاني بتوصية نداء بوقف القتال في مدة ٣٦ ساعة غير ان اللجنة السياسية العربية والقواد العسكريين لم يوافقوا على الهدنة ، فارسلت الحكومات العربية ردها رافضة وقف القتال .

ثم بدأت عملية ضغط محكمة على العرب لحملهم على قبول الهدنة ، فتوالت اجتماعات اللجنة السياسية العربية والقواد العسكريين لدراسة الموقف ، وجاء برنادوت الوسيط الدولي الى البلاد العربية وانتهت المساعي بقرار اللجنة السياسية العربية قبول طلب مجلس الامن في ٢ حزيران ، وسارع اليهود الى اعلان موافقتهم على الهدنة .

وكان وقف القتال بفلسطين نقطة تحول كبير لمصلحة اليهود في الموقف العسكري فقد استغل اليهود هذه الهدنة ، واخلوا بشروطها ، وعززوا موقفهم الحربي تعزيزاً كان له أثره في مصير الحرب ، فقد استطاعوا ان يجلبوا كميات كبيرة من السلاح من تشكوسلوفاكيا ودول اوربا الشرقية وايطاليا وروسيا وفرنسا ورومانيا وانكلترا وامريكا ، كميات عظيمة من الطائرات والقلاع الطائرة والمدافع والعتاد والضباط والجنود المدربين ، واستطاع اليهود في أثناء الهدنة ان يمونوا مستعمراتهم المنعزلة لتستطيع الثبات والصبر والمقاومة ، كما انشأوا طريقاً جديدا للتموين بين القدس ويافا ، وواصل اليهود مساعيهم السياسية بمساعدة امريكا لحمل الدول على الاعتراف بدولتهم .

ثم قدم برنادوت اقتراحات الى العرب واليهود ، تقوم على أساس التقسيم ، وقيام دولة يهودية ، فرفضها العرب .

ثم استؤنف القتال في ٩ تموز في جميع الجبهات ، دون ان يكون للجيوش العربية قيادة عامة ، ومن دون ان تتمكن الحكومات العربية في أثناء الهدنة من تلافي النقص في السلاح والعتاد ، وبالرغم من ذلك فقد تقدمت جيوشهم في نقاط عديدة .

ثم انسحبت القوة الاردنية من منطقة اللد والرملة ، فأحتلهما اليهود ، واوقعوا

فيها مجزرة وحشية ، ذهب فيها مئات الضحايا من اطفال وشيوخ وذكور واناث ، وشرد الكثيرون من اهليها لاجئين الى المناطق التي تحتلها القوات العربية ، وأدى سقوط اللد والرملة ، الى انسحاب القوة العراقية من رأس العين ، ومن بعض مناطق مرج ابن عامر ، ثم انسحب جيش الانقاذ من انحاء الجليل الغربي الشمالية والوسطى فاستولى اليهود على صفد والناصرة ، واخذت الطائرات اليهودية تغير على القاهرة ودمشق وعمان ، وركزت القوات اليهودية حملتها على القوات المصرية لاجلائها عن النقب .

ثم طار برنادوت الى نيويورك ، يطلب من مجلس الامن اتخاذ موقف حازم بالامر بوقف القتال ، وبتنفيذه ولو بالقوة اذا رفض الفريقان ذلك .

فصدر الامر بوقف القتال ، وقبلت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية في ١٧ تموز قبول أمر مجلس الامن بوقف القتال ، واسرع اليهود الى اعلان موافقتهم على قرار مجلس الامن ، ثم أخذ اليهود يعلنون استعدادهم لمفاوضة العرب وعقد صلح دائم ، وابلغوا برنادوت ذلك ، وهو بدوره أبلغ امانة الجامعة العربية والحكومات العربية ، ذلك العرض ، فرفضته بالاجماع ، ثم اغتيل برنادوت على ايدي عصابة شتيرن اليهودية في القدس في ٧ ايلول ١٩٤٨ م ١٣٦٧ هـ .

ثم تمكن بانش الوسيط الدولي من عقد اربع هدن بين مصر والاردن ولبنان وسورية ، وبين اليهود في ١٩٤٩ م ١٣٦٨ هـ .

ثم أخذت امريكا تبذل جهودها في تأييد طلب الدولة اليهودية ان تنضم الى عضوية هيئة الامم ، الى ان نجحت في هذا المطلب في اوائل ايار ١٩٤٩ م ــ ١٣٦٨ هـ

وبالرغم من وقف القتال وعقد الهدن بين العرب واليهود ، فان كثيراً ما تخرق هذه الهدن ، ويشن اليهود حملات يذهب ضحيتها عدد من النفوس البشرية البريئة وآخرها مؤامرة اسرائيل مع دولتي انكلترا وفرنسا على مصر في ٢٩ تشرين الاول ١٩٥٦ م ــ ١٣٧٥ هـ .

* * *

المملكة الاردنية :

وضع الجيش العربي الذي كان يقاتل حول معان يده على البلاد الواقعة في شرقي نهر الاردن بعد جلاء الترك عنها ١٩١٨ م ــ ١٣٣٦ هـ ، وانشأ فيها حكومة الحقت بدمشق .

ولما دالت الدولة الفيصلية في الشام في تموز ١٩٢٠ م ــ ١٣٣٨ هـ ، رأى الانكليز الفرصة سانحة لتحقيق اغراضهم في هذه المقاطعة وبسط نفوذهم السياسي عليها ، فانفصلت شرقي الاردن عن سورية ، وانقسمت الى عدة دويلات صغيرة ، فكان في منطقة عجلون وحدها اربع حكومات ، أما في البلقاء فقد بقي متصرفها الذي عينته الحكومة السورية ، واسترجع المجالي في الكرك سطوتهم القديمة وبسطوا سلطانهم على سكان تلك المنطقة أما الطفيلة وغيرها من البلدان الجنوبية ، فلم يكن بها أي نوع من الادارة ، سوى ان الضعيف كان يخضع للقوي .

ثم دخلت شرقي الاردن رسمياً تحت الحماية البريطانية ، والحقت بالمندوب السامي لحكومة فلسطين ، وقامت من جراء هذا التبدل ، ثلاث حكومات في شرقي الاردن منفصلة بعضها عن بعض :

١ ــ حكومة عجلون .

٢ ــ حكومة السلط وعمان .

٣ ــ حكومة الكرك .

وكان لكل حكومة من هذه الحكومات مستشار بريطاني خاص ، وقد عقد بعض المعاهدات بين هذه الدويلات والحكومة البريطانية .

وفي ٢٨ آذار ١٩٢١ م ــ ١٣٣٩ هـ ، اجتمع عبد الله بن الحسين بونستون تشرشل وزير المستعمرات بالقدس ، وتم الاتفاق بينهما على الاسس الآتية :

١ ــ تؤسس حكومة عربية وطنية في شرقي الاردن برئاسة عبد الله بن الحسين

٢ ــ تكون هذه الحكومة مستقلة استقلالا ادارياً تاماً .

٣ ــ تساعدها بريطانيا مادياً لتوطيد الامن .

٤ ــ تسترشد برأي مندوب بريطانيا المقيم بعمان .

٥ ــ يحافظ على حدود سورية وفلسطين من كل اعتداء .

٦ ــ تنشيء بريطانيا مركزين للطيران في عمان والجيزة .

٧ ــ تتوسط بريطانيا لتحسين العلاقات بين الامير عبد الله والسلطة الفرنسية في سورية .

ثم ادمجت بريطانيا شرقي الاردن في فلسطين في صك الانتداب الذي قدمته الى مجلس جمعية الامم ، واقره هذا في جلسته في ٢٤ تموز ١٩٢٢ م ــ ١٣٤٠ هـ ، فشملها الانتداب البريطاني رسمياً ، ولما كان هذا الصك ينص على جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود ، ارسلت الحكومة البريطانية في ١٦ ايلول ١٩٢٢ م ــ ١٣٤١ هـ ، مذكرة رسمية الى عصبة الامم باستثنائه من هذا الوعد ، ثم اعترفت بريطانيا بوجود حكومة مستقلة في شرقي الاردن برئاسة عبد الله بن الحسين بشرط أن توافق عصبة الامم على ذلك ، وان تكون حكومة شرقي الاردن دستورية ، تمكن الحكومة البريطانية من القيام بتعداتها الدولية ، فيما يتعلق بتلك البلاد ، وذلك باتفاق يعقد بين الحكومتين .

وادى عبد الله فريضة الحج سنة ١٣٤٢ هـ ، فحدثت في أثناء غيابه حوادث ساءت الانكليز ، ولم يكن يعود الى عمان في ١٩ المحرم ١٣٤٣ هـ ــ ١٩ آب ١٩٢٤ م ، حتى تلقى من الحكومة البريطانية انذاراً يحتوي على المطالب الآتية :

١ ــ بسط المراقبة البريطانية على المالية بدون قيد ولا شرط .

٢ ــ اخراج المتهمين بالتحريض في حوادث الحدود .

٣ ــ الغاء نيابة العشائر ، على ان تكون القوات المحلية خاضعة لتفتيش قائد القوات الامبراطورية ، وعلى ان تستخدم طبق مشورة حكومة جلالته .

٤ ــ قبول اتفاق تسليم المجرمين المعقود مع سورية .

٥ ــ ان يعد سمو الامير محترماً وغير مسؤول عن ادارة الحكومة باعتبار ان الحكم يجب ان يكون دستورياً في كل حال .

ثم ضمت العقبة ومعان الى امارة شرقي الاردن في ١٣٤٢ هـ ـ ١٩٢٤ م .

واستمرت المفاوضات دائرة بين حكومة عمان وحكومة القدس ، لعقد المعاهدة الاردنية الانكليزية ، طبقاً لتصريح حكومة لندن ، حتى ٢٠ شباط ١٩٢٨ م ـ ١٣٤٧هـ ، فقد وقع عليها في القدس ، وتتألف هذه المعاهدة من ٢١ مادة ، ثم وضع دستور لامارة شرقي الاردن ، بالاتفاق بين السلطة البريطانية ، وهذه الامارة في ١٦ نيسان ١٩٢٨ م ـ ١٣٤٦ هـ ، ويتألف من ٧٢ مادة .

ولم تقابل هذه المعاهدة وهذا الدستور بالارتياح في البلاد الاردنية ، لما فيه من الافتئات على حقوق السيادة الوطنية ، ولان ذلك جاء مخالفاً للعهود الشفوية المقطوعة لعبد الله ١٣٣٩ هـ ـ ١٩٢١ م ، وللتصريحات العديدة التي القاها الموظفون البريطانيون الرسميون في شتى المناسبات ، فتنادى الوطنيون الى عقد مؤتمر عام في ٢٥ ايلول ١٩٢٨ م ـ ١٣٤٧ هـ ، وحضره ١٢٠ مندوباً ، فأنكر ما وقع ، ووضع ميثاقاً وطنياً ، دعا البلاد الى التمسك به ، وتنفيذه وفي اواسط كانون الاول ١٩٢٨ م ١٣٤٧ هـ ، زار المندوب البريطاني لفلسطين عمان ، فأرسل الوطنيون المذكرة الآتية :

نعلن باسم الشعب الاردني احتجاجنا واستيائنا من المعاهدة المعروفة ، بعد ما أعلن هذا الشعب احتجاجه الوطني باجماع الاصوات ، ونذكركم بالعهود التي قطعت للعرب عموماً ، ولاهل شرقي الاردن بوجه خاص ، وبالدم الذي اراقه العرب في جانب الحلفاء ، طمعاً في استقلالهم وحريتهم ، كما اننا ننتهز هذه الفرصة لاعلان اخلاصنا الدائم آملين ان نحصل على استقلالنا الحقيقي ، وحياتنا الدستورية في القريب العاجل .

ودعت الحكومة الاردنية الشعب الى انتخاب المجلس التشريعي المقرر انشاؤه بحسب احكام الدستور ، فقرر الوطنيون مقاطعة الانتخابات ، ودعوا الامة الى عدم الاشتراك فيها ، غير ان الحكومة الاردنية ظلت سائرة في سبيلها واجرت الانتخابات واجتمع المجلس التشريعي ١٣٤٨ هـ ـ ١٩٢٩ م ، واقر المعاهدة .

وغادر عبد الله بن الحسين في ٢ حزيران ١٩٣٤ م ـ ١٣٥٣ هـ ، الى انكلترا

لزيارة الحكومة البريطانية ، والسعي لتعديل معاهدة ١٩٢٨ م ــ ١٣٤٧ هـ ، وفي ٢٢ تموز ١٩٣٤ م تم اعلان نص الاتفاق المعقود بين امير شرقي الاردن وملك بريطانيا ملحقاً للاتفاقية المؤرخة في ٢٠ شباط ، ومعدلا بعض موادها .

ثم عدلت المعاهدة الاردنية البريطانية ١٣٦٠ هـ ــ ١٩٤١ م .

وفي ١٦ كانون الثاني ١٩٤٦ م ــ ١٣٦٥ هـ ، ابلغ المندوب السامي لشرقي الاردن عبد الله بن الحسين ، نص التصريح البريطاني في هيئة الامم المتحدة والمتضمن :

اعتراف الحكومة البريطانية بتطور شرقي الاردن تطوراً ، جعلها اهلا للاستقلال التام ، ورفع الانتداب عنها ، وابرمت معاهدة صداقة وتحالف بين الاردن وبريطانيا ، تتألف من ١٤ مادة ، وملحق لها يتألف من ١٠ مواد .

وفي ٢٣ جمادى الآخرة ١٣٦٥ هـ ــ ٢٥ ايار ١٩٤٦ م ، عقد المجلس التشريعي الاردني جلسة ، ولدى المداولة والمذاكرة ، قرر بالاجماع الامور الآتية :

١ ــ اعلان البلاد الاردنية دولة مستقلة استقلالا تاماً وذات حكومة ملكية وراثية نيابية .

٢ ــ البيعة بالملك لعبد الله بن الحسين بوصفه ملكاً دستورياً على رأس الدولة الاردنية بلقب حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة الاردنية الهاشمية .

٣ ــ اقرار تعديل القانون الاساسي الاردني على هذا الاساس ، طبقاً لما هو مثبت في لائحة تعديل القانون الاساسي الملحقة بهذا القرار .

٤ ــ رفع هذا الى سيد البلاد عملا باحكام القانون الاساسي ليوشح بالارادة السنية ، حتى اذا اقترن بالتصديق السامي عد نافذاً حال اعلانه على الشعب ، وتولت الحكومة اجراءات تنفيذه مع تبليغ ذلك الى جميع الدول بالطرق السياسية المرعية ورفع هذا القرار الى الملك عبد الله ، فصادق عليه بالتوشيح الآتي :

متكلا على الله تعالى اوافق على هذا القرار شاكراً لشعبي واثقاً بحكومتي .

ثم ابرق وزير الخارجية الاردنية هذا القرار الى جميع الدول ، والى مجلس الجامعة العربية ، وقد وردت اجوبة التهنئة والاعتراف بالوضع الاردني الجديد من

من اكثر دول العالم ، وقدمت المملكة الاردنية الهاشمية الى الامين العام لهيئة الامم طلب انضمامها اليها ، وقد وافق اعضاء مجلس الامن الدولي على تأييد طلبها وقبول انضمامها ، غير ان الروسيا استعملت ازاء ذلك حق النقض بحجة عدم وجود علائق دبلوماسية بينها وبين المملكة الاردنية الهاشمية ، وتكرر طلب الانضمام الى هذه الهيئة حتى قبلت عضواً فيها .

واغتيل عبد الله بن الحسين بالقدس ١٣٧٠ هـ ــ ١٩٥١ م ، وخلفه في الملك ولده طلال ، ولم يمكث فيه طويلا فتولى الملك ابنه الحسين بن طلال ، وفي عهده اجريت انتخابات تولى على اثرها سليمان النابلسي رئاسة الحكومة ، فالغى المعاهدة الاردنية البريطانية وتقرب من مصر وسورية ، ثم حدث انقلاب اطاح بتلك الحكومة.

ثم اتحدت الاردن في ٢٤ رجب ١٣٧٧ هـ ــ ١٤ شباط ١٩٥٨ م ، مع العراق تحت اسم الاتحاد العربي .

وفي اعقاب الانقلاب العراقي في ١٧ تموز ١٩٥٨ م ــ ١٣٧٧ هـ ، انزلت بريطانيا قواتها العسكرية الى الاردن ، بناء على طلب حسين بن طلال ، فأحتج الشعب الاردني واظهر سخطه على ذلك الاحتلال ، واعتبره كثير من احرار العالم تدخلا بشؤون الاردن الداخلية .

وفي ٥ آب ١٩٥٨ م ــ ١٣٧٨ هـ ، ابلغ مندوب الاردن الامين العام لهيئة الامم ان الاتحاد العربي قد اصبح منحلا .

* * *

المملكة العراقية :

نشرت السلطة البريطانية المحتلة في ١٥ تشرين الثاني ١٩١٨م ــ ١٣٣٧هـ، منشوراً وعدت فيه العراقيين بالحرية والاستقلال ، واعلنوا انهم ماجاءوافاتحين ولا مستعمرين، بل محررين ومنقذين ، يضاف اليها الوعود الرسمية التي قطعوها للعرب، ومنشورات الحسين بن علي ، وقد كانت تذاع في العراق ، وكلها تبشر العرب بقرب تحريرهم وانقاذهم .

وبينما كان العراقيون ينتظرون ان تبر لهم انكلترا بما وعدت به ، وتنشيء

حكومة عربية مستقلة في ربوعهم ، خابت آمالهم بالمنشور الذي نشره الكولونيل ولسن الحاكم السياسي العام للعراق في ١٩ تشرين الثاني ١٩١٨ م ــ ١٣٣٧ هـ ، وقد اذيع على أهل العراق من وقت الى آخر ان سياسة الحكومة البريطانية تسعى دائماً الى تنشيط روح الوطنية والاستقلال في جميع البلاد ، التي يمتد اليها النفوذ البريطاني والنفع الذي يعود على اهالي البلاد من انعاش هذا الروح ، وهو عظيم جداً ، ولكنه لايمكن للذين لم يحصلوا على اختبار عملي في الامور ، احراز كل ذلك مرة واحدة ، بل يرقون اليه تدريجاً الخ ...

وقد ادرك العراقيون ان الانكليز عازمون على حكم العراق حكماً عسكريا استعمارياً مباشراً ، ظهرت مقدماته بتعيين ضابط عسكري لكل مدينة من مدنهم باسم الحاكم السياسي .

وزاد في استيائهم ما اصدره الحاكم السياسي للعراق في ٣٠ تشرين الثاني ١٩١٨م ١٣٣٧ هـ ، من تعليمات سرية الى الحكام السياسيين في المدن والاقاليم ، بأن يلقوا على الرؤساء والعلماء وذوي الرأي اسئلة وجهها اليهم وهي :

١ ــ هل تريدون تأليف حكومة عربية مستقلة تحت حماية بريطانيا ، تضم البلاد الواقعة من شمالي الموصل الى خليج فارس .

٢ ــ هل تريدون ان يرأس الحكومة امير عربي .

٣ ــ من تختارون لرئاسة هذه الحكومة ، وأضاف الى تعليماته مادة تقضي على الحكام بأن يسعوا لحمل الشعب على انتخاب برسي كوكس معتمد انكلترا في خليج فارس رئيساً للدولة العراقية الجديدة .

واعقب ذلك تأسيس جمعيات ، أو احزاب سياسية ، فبعثت جمعية العهد القديمة من مرقدها ، بعد ما اضيف اليها كلمة العراقي تمييزاً عن العهد السوري ، وجمعية حرس الاستقلال ، وجمعية الشبيبة ، واخذت هذه الجمعيات تعمل على المطالبة باستقلال العراق .

وكان احتلال رمضان شلاش ورجاله لدير الزور في ١١ كانون الاول ١٩١٩ م ١٣٣٧ هـ ، باسم الحكومة الفيصلية في الشام ، من جملة العوامل التي ساعدت على

نمو الحركة الوطنية في العراق ، ومن جملة الاسباب التي عجلت في اعلان العراق ثورته ، فقد اتخذتها جمعية العهد مقراً لاعمالها ، ومركزا لنشر دعوتها لوقوعها على الحدود ، فكانت ترسل النشرات والصحف والتقارير ، فتذاع في المدن العراقية ، وتنشر بين طبقات الشعب .

ولما استقر قرار هذه الجمعية على اضرام الثورة في العراق ، اوعزت الى بعض العراقيين في الجيش بان يستقيلوا ، ويقصدوا دير الزور ، للاشتراك في تأليف العصابات التي تقرر تأليفها ، لمنازلة الانجليز ، وبث الفوضى والارهاب ، فيحملهم ذلك على تغيير سياستهم .

وبينما كانت العصابات العراقية تعمل في شمالي العراق ، وتنازل الانكليز ، وتهاجم معاقلهم ، كان رجال السياسة في دمشق يدرسون مشروعاً جديداً يرمي الى اعلان استقلال سورية والعراق في وقت واحد ، فينادى بفيصل ملكاً على الشام وبعبد الله ملكاً على العراق .

وقد قرر المؤتمر العربي العراقي العام في جلسته المنعقدة في دمشق في ١٨ جمادى الاولى ١٣٣٨ هـ ـ ٨ آذار ١٩٢٠ م ، القرار الآتي :

نحن اعضاء هذا المؤتمر الذي يمثل الشعب العربي العراقي تمثيلا قانونياً صحيحاً ، رأينا الآن ان نجهر بارادته ، ونخرج البلاد من هذا الموقف الحرج والحال الجهم المضطرب ، واستناداً الى حق الامة الطبيعي في الحياة الحرة والاستقلال التام والى المبادىء السامية ، التي اعلنها الحلفاء العظام اكثر من سبعين مرة في خلال الحرب الماضية ، والى الرغائب التي اعربت عنها الامة العربية العراقية في ٦ ربيع الثاني ١٣٣٧ هـ ـ ١٩١٩ م ، بوثائق رسمية وقعها الامراء والرؤساء والزعماء والمفكرون وسائر طبقات الشعب ، والى ما شاهدناه ونشاهده كل يوم من عزم العرب العراقيين ، على نيل استقلالهم التام ، والتوسل بكل الوسائل الممكنة التي تؤدي اليه ، وبصفتنا ممثلي الشعب ، المطلقين بالاعراب عن ارادته ، اعلنا الآن باجماع الآراء استقلال البلاد العراقية المسلوخة عن تركيا بحدودها المعروفة من شمالي ولاية الموصل الى خليج فارس استقلالا تاماً ، لا شائبة فيه ، وأيدنا استقلال سورية التام

وأعلنا اتحاد العراق بها اتحادا سياسياً واقتصادياً ، وناديا بحضرة صاحب السمو الملكي الامير عبد الله ملكاً دستورياً بلقب صاحب الجلالة ملك العراق ، وعهدنا في نيابة الملك الى صاحب السمو الامير زيد المعظم ، واعلنا انتهاء حكم الاحتلال العسكري الحاضر ، على ان تقوم مقامه حكومة وطنية ، مسؤولة امام الشعب .

واننا باسم الامة العربية العراقية التي انابتنا عنها وعهدت الينا تقرير مصيرها ، نعلن محافظتنا على صداقة الحلفاء الكرام ، وعزمنا على احترام مصالحهم ، ومصالح جميع الدول الاجنبية في بلادنا ، راجين منهم ان يعترفوا بهذا الاستقلال ، ويجلوا عن بلادنا العراقية ليحل محلهم فيها الجند الوطني ، والادارة الوطنية ، فتتمكن دولتنا حينئذ من ان تكون عاملا من عوامل الرقي في العالم المتمدن ، هذا وان الحكومة العراقية التي تتشكل عاجلا ، مطلقة بتنفيذ قرارنا هذا .

وبينما كان العراقيون ينتظرون حلا لقضيتهم ، فوجئوا في ٢٥ نيسان ١٩٢٠ م ١٣٣٨ هـ ، باعلان قرار مؤتمر سان ريمو ، وهو يقضي بانتداب بريطانيا لقطرهم ، وصدر البلاغ الرسمي في بغداد في ٣ أيار ١٩٢٠ م ــ ١٣٣٨ هـ ، وبه تعلن انكلترا قبولها لقرار مؤتمر الحلفاء في سان ريمو ، بوضع العراق تحت انتدابها لتدريبه على اساليب الحكم الذاتي .

وبينما كانت المناقشات السياسية دائرة في بغداد ، بين مندوبيها والسلطة البريطانية ، كانت نيران الثورة تتأجج في الفرات ، وكان القتال على أشده بين الثوار والانكليز ، ووقعت عدة معارك دامية في الرميثة والشامية والرستمية والديوانية والسماوة والكوفة وأعالي الفرات وديالي وكركوك واربيل .

ورأى زعماء النجف وعلماؤها انه لا بد لهم من تنظيم الشؤون الداخلية ، فبدأوا فأنشأوا مجلساً بلدياً للنجف ، وانشئت حكومة وطنية في كربلاء .

وبعدما تم للسلطة البريطانية اخضاع الثوار في منطقة ديالي ، وفي اعالي الفرات التفتت الى الفرات الاوسط ، وكانت قد تلقت في خلال هذه الفترات نجدات كبيرة من الهند ، فزحفت في ١٢ تشرين الاول ١٩٢٠ م ــ ١٣٣٩ هـ ، على بلدة طويرج

فاحتلتها بعد قتال عنيف ، ثم سلمت كربلاء ، ثم دخلت الكوفة بعد معركة حامية ، ثم النجف .

واتصل فيصل بن الحسين ، منذ وصوله الى لندن بوزارة المستعمرات البريطانية فدارت بينه وبينها ، مفاوضات لحل المشكلة العراقية ، ولما تم الاتفاق مبدئياً ، سافر تشرشل وزير المستعمرات الى الشرق لزيارة مصر وفلسطين ، وللاجتماع بالوفد العراقي القادم من بغداد ، والاتفاق معه على طريقة العمل ، لانشاء الحكومة الجديدة وكان ممثلو الحكومة البريطانية في العراق قطعوا خطوات واسعة لتحقيق هذه الامنية ، منذ وصول برسي كوكس المندوب السامي البريطاني الى بغداد في تشرين الاول ١٩٢٠ م ــ ١٣٣٩ هـ .

واتفق فيصل مع وزير المستعمرات ، على ان تعترف الحكومة البريطانية باستقلال المملكة العراقية ، وتتعهد بالغاء الانتداب ، وبمساعدة العراقيين في تأسيس حكومة وطنية وطيدة ، وتعقد معاهدة ولاء وتحالف بين الحكومتين البريطانية والعراقية ، تنال فيها الحكومة البريطانية بعض مزايا اقتصادية ، وتنص على استخدام مستشارين واخصائيين بريطانيين لمساعدة الموظفين العراقيين .

وفي ٤ ذي القعدة ١٣٣٩ هـ ــ ١١ تموز ١٩٢١ م ، قرر مجلس الوزراء العراقي باتفاق الآراء المناداة بفيصل بن الحسين ملكاً على العراق ، وذلك بناء على استفتاء جرى بواسطة لجان الفتها الوزارة ، واوفدتها الى المدن .

وفي ١٠ تشرين الاول ١٩٢٢ م ١٣٤١ هـ ، حصلت مفاوضات طويلة بين العراق وبريطانيا ، اسفرت عن عقد المعاهدة الاولى ، ومدة هذه المعاهدة عشرون سنة ، وهي تخول انكلترا الدفاع عن العراق ، وتوجب على العراق لقاء ذلك قبول الارشاد والمساعدة .

وفي ١٩٢٣ م ــ ١٣٤١ هـ ، عقد ملحق عدل هذه المعاهدة ، فجعلها تنتهي بدخول العراق كعضو في عصبة الامم ، على ان لا تتجاوز هذه المدة اربع سنوات ، ابتداء من تاريخ ابرام الصلح مع تركيا ، أي تنتهي هذه المعاهدة في ١٩٢٨ م ــ ١٣٤٧ هـ .

ثم عقدت بريطانيا معاهدة ثانية مع العراق ، كان من خصائصها انها ضاعفت قيود العراق ، وجعلته خاضعاً للامور التالية :

١ ــ تمديد اجل المعاهدة الاولى من اربع سنوات الى خمس وعشرين .

٢ ــ الاعتراف بالانتداب صراحة .

٣ ــ انشاء ادارات ممتازة في بعض مناطق العراق الشمالية .

٤ ــ حماية العناصر والاقليات .

ثم عقدت في ١٩٢٧ م ــ ١٣٤٦ هـ ، معاهدة ثالثة بين العراق وبريطانيا ، واول نقطة تسترعي النظر خلو هذه المعاهدة من اجل تنتهي فيه ، وعلقت ترشيح العراق لعضوية عصبة الامم على مثابرته على التقدم .

ثم عقدت معاهدةرابعة ١٩٣٠م ــ ١٣٤٩ هـ ، اعترفت باستقلال العراق ، ووعدت بمساعدته على الدخول في عصبة الامم ، ومنحت ما يطلبه من التجنيد الاجباري ، وحلت بعض القضايا الاقتصادية والمالية .

وتوفي فيصل في ٨ ايلول ١٩٣٣ م ــ ١٣٥٢هـ ، وخلفه على عرش العراق ابنه غازي الاول ، وفي عهده عقدت معاهدة صداقة مع عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية .

وفي عهده هاجم بكر صدقي في ٢٩ تشرين الاول ١٩٣٦ م ــ ١٣٥٥ هـ ، العاصمة العراقية بجيوشه وطائراته ، بينما كان يقوم بمناورات عسكرية بالقرب من بغداد ، لكي يسقط وزارة ياسين الهاشمي ، فسقطت ، واغتيل وزير الدفاع جعفر العسكري وتقلد زمام الحكم حكمت سليمان ، وفي ١١ آب ١٩٣٧ م ــ ١٣٥٦ هـ ، اغتيل بكر صدقي .

وفي ٤ نيسان ١٩٣٩ م ــ ١٣٥٨ هـ ، توفي غازي الاول على أثر اصطدام السيارة التي كان يقودها بنفسه ، بالعامود الكهربائي الواقع في منحدر قنطرة النهر بالقرب من قصر الحارثية .

وقد اضطربت بغداد اضطراباً عظيماً لهذه الفاجعة ، وراحت اشاعات مفادها ان

الانكليز ، أو عمالهم هم الذين قتلوا الملك لانه كان يفضح دسائسهم ، فتعطلت الاسواق ، وتجمهر الاهلون في كل حدب وصوب ، يندبون ملك البلاد ، ولم يقتصر الاضطراب ، أو الاشاعات على بغداد فقط ، بل ملأت انحاء الموصل مثل هـذه الاشاعات فتجمهر الاهلون ، وهاجموا القنصلية البريطانية في الموصل ، وقتلوا القنصل البريطاني انتقاماً لدم غازي ، مما دعا مجلس الوزراء العراقي الى اعلان الاحكام العرفية في مدينة الموصل وفي المحلات المجاورة لها .

واعلن مجلس الوزراء القرارات الآتية :

١ ــ اعلان سمو الامير ولي العهد فيصل ملكاً على العراق باسم صاحب الجلالة الملك فيصل الثاني وفقاً لمنطوق المادة ٢٠ من القانون الاساسي .

٢ ــ تسمية الامير عبد الاله وصياً على جلالة الملك ، بالنظر الى عدم بلوغ سن الرشد القانونية ، ونزولا عند وصية جلالة المغفور له غازي الاول ، المستندة الى افادتي صاحبة الجلالة الملكة وسمو الاميرة راجحةشقيقة جلالته امام مجلس الوزراء.

٣ ــ دعوة مجلس النواب المنحل تمهيداً لاجتماع مجلس الامة ، للبت في أمر الوصاية نهائياً ، وفقاً للفقرة ٢ من المادة ٢٢ من القانون الاساسي .

٤ ــ اعلان الحداد العام في المملكة .

وفي نيسان ١٩٤١ م ــ ١٣٦٠ هـ ، بدأت حركة رشيـد عالي الكيلاني تظهر للوجود ، ففي اوائل نيسان ١٩٤١ م ، رأى الوصي على عرش العراق ، ان ضباط الجيش العراقي اصبحوا هم ولاة الامر الحقيقيين في بغداد ، وانهم متضامنون مع رشيد عالي ، وان افضل وسيلة لاضعافهم ، هو تفريقهم في مناطق بعيدة .

وعلى أثر ذلك اجتمع الضباط الاربعة وهم صلاح الدين الصباغ وكامل شبيب ومحمود سلمان وفهمي سعيد ، فقرروا التكاتف التام فيما بينهم ، ومناوأة سياسة التفريق التي اراد الوصي ان يطبقها على كبار رجال الجيش .

ثم اخذت الحوادث تمر بسرعة ، ففي ٥ نيسان ١٩٤١ م ــ ١٣٦٠ هـ ، تخلى طه

الهاشمي عن مهام الحكم ، وغادر الوصي بغداد الى الديوانية ، ومنها الى البصرة ، ومنها الى حاملة طائرات بريطانية ، واستقر في عمان .

واصدر الجيش منشوراً يكلف به رشيد عالي بتأليف الوزارة ، فقبل رشيد عالي المهمة والف الوزارة ، واجتمع مجلس النواب العراقي ، وانتخب الشريف شرف وصياً على العرش ، وهو شيخ في نحو السبعين من عمره .

وفي ٢٠ نيسان وصلت قوات من الجيش الامبراطوري البريطاني الى البصرة لحماية المواصلات ، وعقد مؤتمر في عمان ، قوامه عبد الله وعبد الاله وفخري النشاشيبي وعلي جودت الايوبي وجميل المدفعي .

وفي هذه الاثناء تلقى كل من رشيد عالي وامين الحسيني كتاباً من وزارة الخارجية الالمانية ، جاء فيه : ان المانيا التي لم تحتل قط ارضاً عربية ، ولا تستهدف ان تستولي على أي جزء من البلاد العربية ، وهي ترى ان الشعب العربي ، وهو شعب ذو ثقافة قديمة ، وقد برهن على لياقته الادارية ، وفضائله العسكرية لجدير بأن يحكم بلاده بنفسه ، ولهذا فان المانيا تعترف باستقلال البلاد العربية استقلالا تاماً ويحق للبلاد العربية التي لم تستقل حتى الآن أن تنال استقلالها التام ، وان كلا من الامتين الالمانية والعربية متفقتان على الكفاح ضد عدوهما المشترك أي الانكليز واليهود ، وان المانيا مستعدة للعمل المشترك معكم ولمساعدتكم مساعدة عسكرية فعالة ، على قدر الاستطاعة ، اذا اضطررتم الى الحرب ضد الانكليز لتحقيق غاية شعبكم ، وان المانيا مستعدة أيضاً لتسليم المواد الحربية فوراً لتقوية استعداد الامة العربية للحرب المحتملة ضد انكلترا ، متى امكن وجود طريق لنقل هذه المواد الحربية .

ثم اجتمع سفير بريطانيا في ٢٥ نيسان بوزير الخارجية العراقية وأكد له حرص بريطانيا على استقلال العراق .

وفي ٢٦ نيسان تكلم تشرشل رئيس وزراء بريطانيا عن امتداد الحرب الى الشرق الادنى ، وضرورة زيادة الحامية الانكليزية في العراق .

واتفقت الحكومة العراقية مبدئياً مع السفارة البريطانية بشأن الحامية الموجودة في البصرة ، قبلت السفارة بنقل الجيش البريطاني ، وتعهدت السفارة بارسال هيئة

من الضباط البريطانيين لمراقبة مراكز المرور ، وان تتقيد الحكومة البريطانية بما نصت عليه المعاهدة فلا تنزل في البصرة اكثر من لواء واحد .

غير أنه تبين بعد ذلك ان الحكومة البريطانية ما أرادت بتلك المفاوضات الا كسب الوقت لتقوية قواعدها في سن الدبان (الحبانية) ، وشرعت السفارة البريطانية توزع المناشير في شوارع بغداد ، ضد حكومة رشيد عالي .

وفي ٣ أيار اذاعت الحكومة العراقية بلاغاً جاء فيه ان القوات البريطانية في الحبانية اطلقت النار على الجيش العراقي وان الحركات مستمرة .

واذاع عبد الاله منشوراً ، دعا فيه العراقيين للثورة على الحكومة الحاضرة وأكد انه عائد ليعيد اليهم الحرية .

واشتد القتال حول سن الدبان ، واستولت الحكومة العراقية على آبار النفط في كركوك ، ومنعت النفط عن حيفا .

وبدأ الهجوم الجوي البريطاني على القوات العراقية في منطقة سن الدبان فأخذت الطائرات تقذف الجيش العراقي قذفاً شديدا ، مما جعل سفير العراق في انقرة يتصل بفون بابن ، وعلى أثرها أخذت القاذفات الالمانية تصل الى سماء العراق عن طريق الموصل ، وقد اسقط الانكليز من الاسراب القادمة ١٨ طائرة على الطريق ووصلت اول قاذفة الى سماء بغداد وفيها الضابط الالماني بلومبرج ، ولكن الرشاشات العراقية اصابته وهو في الطائرة ، فاردته قتيلا ، وهكذا ابتدأ التعاون الالماني العراقي بخطأ فاحش .

ونزلت القاذفات في مطاري الموصل وبغداد وطلبت الوقود فتبين ان المخزون من البنزين هو للسيارات ، وحك القائد الالماني رأسه ، وقال : يجب ان نتدبر الامر سأسافر الى برلين حالا ، واجلب معي المواد اللازمة لتحويل بنزين السيارات الى بنزين طائرات ، رجع ومعه اخصائيون في صنع الوقود ، فأكبوا على العمل ، وصنعوا كمية لا بأس بها ، ولكنها بالطبع لا تكفي لحرب على مقياس واسع .

وبعد يومين حضر السفير الالماني فريتس غروبا ، وأبدى غروبا مع معاونيه نشاطاً

ملحوظاً ، ولم ينقطع عن الاتصال ببرلين لاطلاعها على ما يجري وموافاته بما يستدعيه الموقف .

وجاءت الاخبار انه انشيء في شرقي الاردن جيش الخلاص برئاسة عبد الله بن الحسين ، واشتراك الوصي ونوري السعيد .

واخذ الانكليز ينذرون بضرب بغداد من الجو .

واقترح بعض الضباط ، القيام بحركات في منطقة الرطبة وشرقي الاردن ، لمنع تقدم الدبابات الانكليزية ، واشغالها ، واقترحوا ان تسند هذه المهمة الى فوزي القاوقجي ، وبالفعل ارسل القاوقجي الى الرطبة ، وقدمت له القيادة كل ما يريد ، ولكنه انسحب من الرطبة بعد قتال يسير ، ثم سقطت الفلوجة ، ومن بعدها العاصمة ، وانسحب رشيد عالي وجماعته الى ايران في ٣٠ أيار ١٩٤١ م ، ثم دخل عبد الاله ونوري السعيد وجميل المدفعي وعلي جودت الايوبي ، الى بغداد وتألفت وزارة برئاسة جميل المدفعي .

ثم قبضت السلطات البريطانية على معظم الذين نزحوا الى ايران ، وابعدتهم الى روديسيا في جنوبي افريقية ، ثم جاءت بقسم منهم فحوكموا امام المجلس العرفي فحكم على العقداء صلاح الدين الصباغ وفهمي سعيد ومحمود سلمان ويونس السبعاوي وكامل شبيب بالاعدام ، ونفذ بهم في اوقات مختلفة ، واما رشيد عالي فقد حكم عليه بالاعدام شنقاً ، ولكنه لجأ الى عبد العزيز آل سعود فأجاره وحماه ، واما بقية الوزراء والضباط فقد حكم عليهم بعقوبات مختلفة ، تختلف بين سنة وخمس عشرة سنة ، كما ابعدت عدداً من الاساتذة والموظفين الذين ينتمون الى البلاد العربية كسورية وفلسطين ، ووضعت فئة منهم في السجون والمعتقلات .

وتعاقبت الوزارات العراقية ، وكان اغلبها برئاسة نوري السعيد .

وساهم العراق في تأسيس الجامعة العربية كما قبل عضوا في هيئة الامم المتحدة .

ثم الغيت المعاهدة العراقية البريطانية ، وتألف من العراق وتركيا وايران وباكستان وانكلترا حلف بغداد .

الاتحاد العربي :

في ٢٤ رجب ١٣٥٧ هـ ــ ١٤ شباط ١٩٥٨ م ، اعلن الاتحاد الفيدرالي بين العراق والاردن هذا نصه :

لما كانت الثورة العربية الكبرى التي قادها جلالة المنقذ الاعظم الحسين بن علي ايذاناً ببزوغ فجر جديد للامة العربية تمثلت بالتضحية والفداء في سبيل تحرير الوطن العربي الكبير ، وتوحيد شعوبه واقطاره لاستعادة مكانة العرب بين امم العالم ، وللمساهمة في تقدم الحضارة الانسانية .

ولما كانت تلك الثورة المباركة قد انبثقت عن ارادة العرب في الحرية والوحدة المستندة في ذلك الى ماضيها المجيد وايمانها بنفسها وبرسالتها القومية الخالدة .

ولما كانت رسالة الثورة العربية التي قضى باعثها في سبيلها قد انتقلت الى الابناء والاحفاد ، يتوارثونها جيلا بعد جيل ، لتبقى المشعل المنير الذي يهدي امة العرب في سيرها نحو آمالها وامانيها المنشودة في الوحدة الشاملة المستكملة لجميع اسباب الحرية والسيادة والقوة لاستعادة الامجاد والمحافظة على التراث والمقدسات والتطلع الى مستقبل مشرق في ظل هذه الوحدة المباركة ، فقد قررت الدولتان الهاشميتان انشاء اتحاد بينهما يقوم على هذه الاهداف السامية ، وتحقيقاً لهذه الغايات والاماني القومية تم الاتفاق على ما يلي :

١ ــ ينشأ اتحاد عربي بين المملكة الاردنية الهاشمية والمملكة العراقية باسم الاتحاد العربي اعتباراً من يوم الجمعة ٢٤ رجب سنة ١٣٧٧ هـ الموافق ١٤ شباط سنة ١٩٥٨ م ، ويكون هذا الاتحاد مفتوحا للدول العربية الاخرى التي ترغب في الانضمام اليه .

٢ ــ تحتفظ كل من الدولتين بشخصيتها الدولية المستقلة وسيادتها على اراضيها وبنظام الحكم القائم فيه .

٣ ــ تكون المعاهدات والمواثيق والاتفاقات الدولية التي سبق ان ارتبطت بها كل من الدولتين قبل قيام الاتحاد بينهما مرعية بالنسبة الى الدولة التي عقدتها وغير

ملزمة للدولة الاخرى ، اما المعاهدات والمواثيق والاتفاقات الدولية التي ستعقد بعد قيام الاتحاد والتي تدخل ضمن موضوعات الاتحاد فتكون من اختصاص وسلطة حكومة الاتحاد .

٤ ــ اعتباراً من تاريخ الاعلان الرسمي لقيام الاتحاد تنفذ اجراءات الوحدة الكاملة بين دولتي الاتحاد في الامور الآتية : وحدة السياسة الخارجية والتمثيل السياسي ، وحدة الجيش الاردني والعراقي باسم الجيش العربي ، ازالة الحواجز الجمركية بين الدولتين وتوحيد القوانين الجمركية ، وتوحيد مناهج التعليم .

٥ ــ يتفق الطرفان باسرع وقت ممكن على اتخاذ الاجراءات اللازمة لتوحيد النقد وتنسيق السياسة المالية والاقتصادية بين الدولتين .

٦ ــ عندما تقضي الضرورة والمصلحة توحيد أي أمر من الامور الاخرى غير الواردة في المادة الرابعة تتخذ الاجراءات اللازمة بموجب دستور الاتحاد لادخال ذلك الامر ضمن اختصاص وسلطة حكومة الاتحاد .

٧ ــ يكون علم الثورة علم الاتحاد وعلم كل من الدولتين .

٨ ــ تتولى شؤون الاتحاد حكومة اتحادية مؤلفة من مجلس تشريعي وسلطة تنفيذية ، ينتخب كل من مجلس الامة الاردني والعراقي اعضاء المجلس التشريعي من بين اعضائها بعدد متساو لكل من الدولتين ، ويعين اعضاء السلطة التنفيذية وفق احكام دستور الاتحاد لتولي الامور التي تدخل ضمن اختصاص حكومة الاتحاد .

٩ ــ يكون ملك العراق رئيساً لحكومة الاتحاد ، وفي حالة غيابه لاي سبب من الاسباب يكون ملك الاردن رئيس حكومة الاتحاد ويحتفظ كل من الملكين بسلطاته الدستورية في مملكته ، وعند انضمام دولة اخرى الى الاتحاد يعاد النظر في وضع رئاسة الاتحاد حسب مقتضيات الاحوال .

١٠ ــ يكون مقر حكومة الاتحاد بصورة دورية في بغداد لمدة ستة اشهر من السنة وفي عمان لستة اشهر اخرى .

١١ ــ تضع حكومة الاتحاد دستور الاتحاد وفق الاسس المبينة في هذا الاتفاق

ويعدل دستور كل من الدولتين الى المدى والحدود التي تقتضيها احكام دستور الاتحاد ، وتتخذ التدابير والاجراءات اللازمة لاقامة حكومة الاتحاد ووضع دستور الاتحاد خلال مدة لا تزيد عن ثلاثة اشهر من تاريخ توقيع هذا الاتفاق .

١٢ ــ يبرم هذا الاتفاق وفق الاصول الدستورية لكل من الدولتين .

* * *

الجمهورية العراقية :

في ليلة ١٤ تموز ١٩٥٨ م ــ ٢٦ ذي الحجة ١٣٧٧ هـ ، قام الجيش العراقي بانقلاب اطاح بالملكية ، واعلن الجمهورية ، وأصدرعدة بيانات ومراسيم تنظم الادارة وأوضاع الحكومة الجديدة وسياستها الخارجية ، منها البيان الاول وهذا نصه :

أيها الشعب العراقي الكريم بالاتكال على الله وعباده المخلصين من ابناء الشعب قمنا بالحركة الوطنية المباركة وقررنا تحرير الوطن العزيز من سيطرة الطغاة الظالمة التي وضعها الاستعمار لحكم الشعب ولمصلحتهم في سبيل المنافع الشخصية . ان الجيش هو منكم واليكم وقد قام بما يجب عليه وازال الطغمة الباغية التي استأثرت بحقوق الشعب فما عليكم الآن الا ان ترافقوه وتساندوه ضد الباغي .

ونحن نطلب منكم التوجه الى قصر الرحاب وقصر نوري السعيد للقضاء عليهما والتحفظ من مؤامرات الاستعمار واذنابه . وعليه فاننا نوجه اليكم نداءنا للقيام بالعمل على التخلص من الظلم ونرجو ان تكونوا اقوياء وتحموا العراق بالقضاء على المفسدين .

ايها المواطنون اننا في الوقت الذي ننفذ فيه الوحدة الوطنية الكبرى ندعوكم الى الهدوء والسكينة والى التمسك بالنظام والتعاون على العمل والاتحاد في سبيل مصلحة الوطن جيش واحد وشعب واحد .. أيها الشعب لقد قررنا ان نقوم بواجبنا نحوكم وكونوا على ثقة باننا نعمل من اجلكم ونقيم حكومة تنبثق من الشعب وتعمل بوحي منه ونؤلف جمهورية عراقية تتمسك بالوحدة العربية الكاملة وتتعاون مع الدول العربية والاسلامية وتعمل بمبادىء الامم المتحدة وتتمسك بالعهود وفق مصلحة الوطن وقرارات مؤتمر باندونج وعليه فان هذه الحكومة الوطنية تدعى من

الآن الجمهورية العراقية وتلبية لرغبة الشعب فاننا الفنا حكومة وطنية ومجلس سيادة يتمتع بسلطات الجمهورية ويقوم بانتخاب الرئيس .

صدر في بغداد ٢٦ ذي الحجة سنة ١٣٧٧ و ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ .

واذيع البيان رقم ٢ الخاص بتأليف مجلس السيادة وهذا نصه :

بناء على ما تقتضيه مصلحة الوطن واستنادا الى ما جاء في بياننا رقم ١ والمؤرخ في ٢٦ ذي الحجة ١٣٧٧ .

١ ــ تعيين مجلس السيادة على الوجه التالي :

٢ ــ الفريق الركن نجيب الربيعي رئيساً .

٣ ــ السيد محمد مهدي كبة عضوا .

٤ ــ السيد خالد النقشبندي عضوا .

الامضاء : القائد العام للقوات المسلحة

واعلنت قيادة الحركة الثورية تشكيل الوزارة العراقية الجديدة على الوجه التالي : الزعيم الركن عبد الكريم قاسم رئيساً للوزراء ووكيلا لوزير الدفاع . العقيد الركن عبد السلام محمد عارف نائبا لرئيس الوزراء ووكيلا للداخلية . السيد محمد حديد وزيرا للمالية . السيد عبد الجبار جومرد وزيرا للخارجية . السيد مصطفى علي وزيرا للعدلية . السيد ابراهيم كبة وزيرا للاقتصاد . السيد جابر عمر وزيرا للمعارف السيد ناجي طالب وزيرا للشؤون الاجتماعية . السيد سعد علي وزيرا للاشغال والمواصلات . السيد فؤاد الركابي وزيرا للاعمار . السيد محمد صالح محمود وزيرا للصحة . السيد رشيد الحاج محمود وزيرا للزراعة . السيد صديق شنشل وزيرا للارشاد [1] .

---

(١) وصدر في ١٦ ربيع الاول ١٣٧٨ هـ ــ ٣٠ ايلول ١٩٥٨ م ، مرسومان الاول يقضي باعفاء العقيد الركن عبد السلام محمد عارف من منصبه كنائب لرئيس وزراء العراق ، ووكيل وزير الداخلية وتعيينه سفيرا للعراق في المانيا الاتحادية ، واعفاء جابر عمر من منصبه كوزير للتربيـــة والتعليم ، واعفاء فؤاد الركابي من منصبـــه كوزير للاعمار ، وتعيينه وزيرا للدولة .

ويقضي المرسوم الثاني باسناد وزارة الداخلية للزعيم الركن احمد محمد يحيى ، وباسناد وزارة الاعمار وكالة لوزير المالية محمد حديد ، واسناد وزارة التربية والتعليم وكالة لوزير الزراعة رشيد الحاج محمود .

وتحدث نجيب الربيعي ، رئيس مجلس السيادة عن ثورة العراق .. فقال : ان الثورة تهدف الى اصلاح الفساد والقضاء على جميع اسبابه . ثم توجيه الجهود للاصلاح والارتقاء في جميع مقاصد الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، مستهدفين خاصة الحرية الكاملة ، والحرية التي نستهدفها تعني الكمال الخالص من الشوائب ـ شوائب النقص والانحطاط ـ وذلك عن طريق التعاون مع اخواننا في البلاد العربية الاخرى في سبيل خدمة الامة العربية كوحدة متماسكة رفيعة .

واذاع عبد السلام محمد عارف نائب رئيس الوزراء البيان التالي :

أيها الشعب العراقي الكريم : بعد الاتكال على الله وبمؤازرة المخلصين من الشعب والقوات الوطنية المسلحة اقدمنا على تحرير الوطن العزيز من سيطرة الطغمة الخائنة التي نصبها الاستعمار والتلاعب بمقدراته .

أيها الشعب الكريم : ان الجيش منكم واليكم ونعاهدكم على ان نبذل دماءنا وكل عزيز علينا في سبيلكم فكونوا على اطمئنان فاننا سنواصل العمل من اجلكم ونعاهدكم على اننا سنعمل منذ الآن وفق القومية العربية .

وضمن ميثاق هيئة الامم المتحدة ونلتزم بالعهود والمواثيق وفي مصلحة الوطن وقرارات مؤتمر باندونج وعليه فان هذه الحكومة تسمى منذ الآن بالجمهورية العراقية . فهنيئاً لكم بجمهوريتكم فهي منكم واليكم .

وانسحبت الجمهورية العراقية من اتحاد العرشين الهاشميين ، فأذاع رئيس الحكومة العراقية الجديدة البيان الآتي :

ان الاتحاد بين العراق والاردن على الصورة التي تم بها في العهد السابق لم يكن اتحاداً حقيقياً يستهدف مصلحة الشعبين في القطرين ، وانما كان لتدعيم النظام الملكي الفاسد ، ولتمزيق وحدة الصف العربي المتحرر ، ولتحقيق مصلحة زمرة من الحاكمين الذين لم يأتوا الحكم عن طريق الشعب ، ولم يعملوا على تحقيق امانيه ، لذلك فان حكومة الجمهورية العراقية تعلن انسحابها فوراً من هذا الاتحاد ، وتعتبر جميع الاجراءات والتشريعات التي تمت بموجبه باطلة وملغية ، كما تعتبر نفسها في

حل من جميع الالتزامات المالية والعسكرية وغيرها مما فرض على العراق نتيجة لقيام هذا الاتحاد .

ثم وقع اتفاق بدمشق بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية هذا نصه :

في اليوم الثاني من شهر محرم سنة ١٣٧٨ هـ الموافق اليوم التاسع عشر من شهر تموز (يوليو) عام ١٩٥٨ م ، اتفق وفدا الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية على ما يلي :

اولا : تأكيد ما يربط البلدين من عهود ومواثيق ، وفي مقدمتها ميثاق الجامعة العربية وميثاق الدفاع المشترك بين الدول العربية .

ثانيا : تأكيد ما اعلنته حكومتا البلدين من ارتباط وثيق بينهما ازاء الموقف الدولي ، وانهما مصممتان على الوقوف كبلد واحد في الدفاع ضد أي عدوان عليهما ، أو على أي منهما ، والبدء حالا باتخاذ ما يقتضيه ذلك من خطوات عملية .

ثالثا : التعاون الكامل في المحيط الدولي للمحافظة على حقوق البلدين ، والمساهمة الفعالة في تأييد ميثاق الامم المتحدة ، وفي دعم السلام في الشرق الاوسط وفي العالم .

رابعا : اتخاذ الخطوات العاجلة العملية لتنمية التعاون الاقتصادي والثقافي بين البلدين .

خامسا : الاتصال والتشاور المستمرين بين البلدين في كل الشؤون التي تعنيهما .

واعلن الدستور المؤقت للجمهورية العراقية في ١٠ المحرم ١٣٧٨ هـ ـ ٢٧ تموز ١٩٥٨ م ، وهذا نصه :

أيها المواطنون ، سلام الله عليكم ورحمته وبركاته .

تعلمون ان ما سمي بالقانون الاساسي العراقي قد وضع في عهد الانتداب وفي ظل الارهاب وجاء مخالفاً في أسسه للنظام الديمقراطي الصحيح ولمطالب الثورة العراقية الاولى عام ١٩٢٠ ، اذ منح العائلة المالكة السابقة سلطات وامتيازات اتخذت

اساسا لاستغلال الشعب وتقييده بقيود الاستعمار وان تلك العائلة المالكة والطبقة الحاكمة السائرة في ركابها في العهد البائد لم تكتف بما جاء في ذلك الدستور من احكام ضد رغبات الشعب ، بل انها امعنت في العدوان على حقوقه وهدر حرياته والعبث بكرامته ، فلما جاءت ثورتكم هذه التي اجتثت جذور الطغيان والفساد بدأ عهد جديد فاصبح من المحتم قطع الصلة بذلك الماضي المؤلم واعلان سقوط ذلك القانون الاساسي الذي انهار فعلا يوم ثورتكم المباركة في ١٤ تموز الحالي .

ان هذه الثورة التي انبثقت عن ارادتكم وحققت امنية من اعزاانيكم فساعدتموها بمساهمتكم في التطويح بصرح الطغيان ومصدر الفساد قررت ان تتخذ لها دستورا مؤقتا يعين اسس الحكم الجديد الى ان يتم تشريع الدستور الدائم باستفتاء يعلن فيه الشعب بحرية تامة عن رأيه باسلوب الحكم الديمقراطي الذي يختاره لنفسه . واني لمطمئن ان مالقيته الثورة من تضامن ابناء الشعب كافة سيكون اعظم ضامن للوصول الى اهدافها في ظل حياة دستورية سليمة . وسيقوم اخي العقيد الركن عبد السلام عارف بتلاوة نصوص الدستور المؤقت راجيا من الله العلي القدير ان يكون هذا الدستور نبراسا تهتدي به بادارة دفة الحكم لصالح الامة وفاتحة عهد جديد لحرية شعب الجمهورية العراقية واعلاء كلمة العرب .

حرر في بغداد ٩ محرم سنة ١٣٧٨ الموافق ٢٧ تموز ١٩٥٨ .

الدستور المؤقت

لما كانت الحركة الوطنية التي قام بها الجيش العراقي بمؤازرة الشعب وتأييده في ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ م ، تهدف الى تحقيق سيادة الشعب والعمل على منع اغتصابها وضمان حقوق المواطنين وصيانتها ، ولما كان الحكم السابق في البلاد الذي تم التخلص منه قائماً على أساس من الفساد السياسي ، اذا اغتصب السلطة افراد حكموا البلاد على خلاف ارادة الاكثرية وضد مصلحة الشعب ، وكان هدف الحكم تحقيق منافعهم وحماية مصالح الاستعمار وتنفيذ مآربه ، كما جاء ذلك كله في البيان الاول الذي اعلن للشعب في يوم ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ في بدء الحركة الوطنيـــة

وتضمن سقوط نظام الحكم الملكي وقيام الجمهورية العراقية ، فاننا باسم الشعب نعلن سقوط القانون الاساسي العراقي وتعديلاته كافة منذ ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ ، ورغبة في تثبيت قواعد الحكم وتنظيم الحقوق والواجبات لجميع المواطنين نعلن الدستور المؤقت هذا للعمل باحكامه في فترة الانتقال الى ان يتم تشريع الدستور .

الباب الاول ـ الجمهورية العراقية

المادة ١ ـ الدولة العراقية جمهورية مستقلة ذات سيادة كاملة .

المادة ٢ ـ العراق جزء من الامة العربية .

المادة ٣ ـ يقوم الكيان العراقي على اساس من التعاون بين المواطنين كافة باحترام حقوقهم وصيانة حرياتهم ويعتبر العرب والاكراد شركاء في هذا الوطن ، ويقر هذا الدستور حقوقهم القومية ضمن الوحدة العراقية .

المادة ٤ ـ الاسلام دين الدولة .

المادة ٥ ـ عاصمة الجمهورية العراقية بغداد .

المادة ٦ ـ يعين العلم العراقي وشعار الجمهورية العراقية والاحكام الخاصة بهما بقانون .

البا ب الثاني ـ مصدر السلطات والحقوق والواجبات العامة

المادة ٧ ـ الشعب مصدر السلطات .

المادة ٨ ـ الجنسية العراقية يحددها القانون .

المادة ٩ ـ المواطنون سواسية امام القانون في الحقوق والواجبات العامة ، ولا يجوز التمييز بينهم في ذلك بسبب الجنس او الاصل او اللغة أو الدين أو العقيدة .

المادة ١٠ ـ حرية الاعتقاد والتعبير مضمونة وتنظم بقانون .

المادة ١١ ـ الحرية الشخصية وحرمة المنازل مضمونتان ولا يجوز التجاوز عليهما الا حسبما تقتضيه السلامة العامة ، وينظم ذلك بقانون .

المادة ١٢ ــ حرية الاديان مصونة ويجب احترام الشعائر الدينية على الا تكون مخلة بالنظام العام ، ولا متنافية مع الآداب العامة .

المادة ١٣ ــ الملكية الخاصة مضمونة وينظم القانون اداء وظيفتها الاجتماعية ولا تنزع الا للمنفعة العامة ومقابل تعويض عادل وفقا للقانون .

المادة ١٤ ــ آ ــ الملكية الزراعية تحدد وتنظم بقانون .

ب ــ تبقى حقوق الملكية الزراعية مصونة بموجب القوانين المرعية الى حين استصدار التشريعات واتخاذ التدابير القانونية لتنفيذها .

المادة ١٥ ــ لا يجوز فرض ضريبة او رسم أو تعديلهما او الغاؤهما الا بقانون .

المادة ١٦ ــ الدفاع عن الوطن واجب مقدس ، واداء الخدمة العسكرية شرف للمواطنين ، وتنظيم احكامهما بقانون .

المادة ١٧ ــ القوات المسلحة في الجمهورية العراقية ملك للشعب ومهمتها حماية سيادة البلاد وسلامة اراضيها .

المادة ١٨ ــ الدولة وحدها هي التي تنشيء القوات المسلحة ولا يجوز لاية هيئة او جماعة انشاء تشكيلات عسكرية أو شبه عسكرية .

المادة ١٩ ــ تسليم اللاجئين السياسيين محظور .

الباب الثالث ــ اصدار الحكم

المادة ٢٠ ــ يتولى رئاسة الجمهورية مجلس السيادة ويتألف من رئيس وعضوين

المادة ٢١ ــ يتولى مجلس الوزراء السلطة التشريعية بتصديق مجلس السيادة .

المادة ٢٢ ــ يتولى مجلس الوزراء والوزراء كل فيما يخصه من اعمال السلطة التنفيذية .

المادة ٢٣ ــ القضاة مستقلون لا سلطان عليهم في قضائهم لغير القانون ولا يجوز لاية سلطة او فرد التدخل في استقلال القضاة أو في شؤون العدالة وينظم القانون الجهاز القضائي .

المادة ٢٤ ــ جلسات المحاكم علنية ، الا اذا قررت المحكمة عقدها سرية مراعة للنظام العام او العادات .

المادة ٢٥ ــ تصدر الاحكام وتنفذ باسم الشعب .

المادة ٢٦ ــ تنشر القوانين في الجريدة الرسمية ويعمل بها من تاريخ نشرها الا اذا نص بها على خلاف ذلك واذا لم يذكر بها تاريخ يقيدها ، تنفذ بعد عشرة ايام من اليوم الثاني ليوم النشر .

الباب الرابع ــ احكام انتقالية

المادة ٢٧ ــ يكون للقرارات والاوامر والبيانات والمراسيم الصادرة من قائد القوات المسلحة او رئيس الوزراء او مجلس السيادة للفترة من ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ الى تاريخ تنفيذ هذا الدستور المؤقت ، قوة القانون ، وهي تعدل ما يتعارض مع احكامها من نصوص القوانين النافذة قبل صدورها .

المادة ٢٨ ــ كل ما قررته التشريعات النافذة قبل ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ تبقى سارية المفعول . ويجوز الغاء هذه التشريعات او تعديلها والطريقة المبينة في هـذا الدستور المؤقت .

المادة ٢٩ ــ ينفذ هذا الدستور المؤقت من تاريخ نشره بالجريدة الرسمية .

المادة ٣٠ ــ على وزراء الدولة تنفيذ هذا الدستور .

* * *

جمهورية السودان :

يمكن ارجاع استقلال السودان في العصر الحديث الى النصف الاخير من القرن التاسع عشر الميلادي ، وذلك ان المهدي محمد بن عبد الله ، بعد ان اتم دراسته الدينية ، التحق بالطريقة الصوفية السمانية ، ثم ارسل المهدي الى محمد رؤوف حكمدار السودان ١٨٨١ م ــ ١٢٩٨ هـ ، كتاباً يبلغه رسالته المهدية ، ويدعوه الى اتباعه ، وحاول حكمدار السودان ، ان يثني المهدي عن دعوته ، فلم يقبل ، وحينئذ ارسل رؤوف باشا جنوداً للقبض على المهدي ، ولكن المهدي وانصاره هزموا هذه

القوة ، ثم هجم راشد مدير فاشودة على المهدي وانصاره في ٩ كانون الاول ١٨٨١ م ١٢٩٩ هـ ، فانتصر المهدي ، وقتل راشد ، ومعظم جنوده ، وغنم المهدي الاسلحة والمال ، ثم انتصر المهدي على يوسف باشا الشلالي عند جبل الجرادة في ٣٠ أيار ١٨٨٢ م ، وقتل يوسف المذكور ورفقائه ، واستولى المهدي على الذخائر والاسلحة وذاع اسم المهدي ، وعظمت منزلته بين الناس ، وآمن كثيرون منهم بأنه المهدي المنتظر ، فأخذوا يبايعونه وكثرت اتباعه ثم تقدمت حملة كبيرة بقيادة نيازي باشا واركان حربها هكس باشا ، وتوجهت الى منهل الشيطان في ٥ تشرين الثاني ١٨٨٣ م ١٣٠١ هـ ، فقتل قائد الحملة ورئيس اركان حربها ، وافنوها ، ثم توالت انتصارات المهدي ، فسلمت حامية ام درمان ، وحوصرت الخرطوم ، ودخلتها قوات المهدي وقتلت غوردون ، ثم جعل المهدي معسكره في ام درمان ١٨٨٥ م ــ ١٣٠٢ هـ ، وقام بسك النقود مقلدا الجنيه المصري والريال الفضي ، وشرع في جمع الزكاة والعشور ، وكان يبت في جميع المسائل الادارية ، وكان له كتاب ، ثم جعل له امناء وعاملين اجاز لهم الحكم بالقتل بدون استئذانه ، ولما اقبل رمضان ١٣٠٢ هـ ، اصدر منشوراً بجعل شهر الصوم فترة راحةوامتناع عن نظراحوال الدنيا والتخصص بالذكر والتذكر .

ثم ارسل المهدي الى سكان مصر حكاماً وتجاراً وعمدا وغيرهم ، يبلغهم فيه عزمهم على غزو مصر ، وارسل الى خديوي مصر كتابا جاء فيه :

وقد حررت اليك هذا الكتابوانا بالخرطوم ، شفقة عليك، وحرصاً على هدايتك فأرجو الله ان يشرح صدرك لقبوله ويدلك على صلاحك. ورشادك في الدارين ، وها انا قادم على جهتك بجنود الله عن قريب ان شاء الله تعالى ، فان امر السودان قد انتهى ، فان بادرتني بالتسليم لامر المهدية والانابة الى الله رب البرية ، فقد حزت السعادة الابدية ، وامنت على نفسك ومالك وارضك ، انت وكافة من يجيب دعوتنا معك ، وان ابيت بعد هذا الاعراض عن طريق الفلاح والرشاد ، فانما عليك اثمك واثم من معك ، ولا بد من وقوعك في قبضتنا ، ولو كنت في بروج مشيدة ، وهذا انذار مني اليك ، وفيه الكفاية لمن ادركته العناية ، والسلام على من اتبع الهدى .

وفي ٩ رمضان ١٣٠٢ هـ ــ ٢٢ حزيران ١٨٨٥ م ، اسلم المهـدي الروح الى خالقها ، وبايع الناس الخليفة عبد الله التعايشي ، وكانت سياسة التعايشي المحافظة على شعائر المهدية وجعل اخاه يعقوب وزيره وقائد جيشه ومدبر اشغاله ، وولى اقاربه التعايشة كبار المناصب ، ثم كتب الى جميع مشايخ السودان بالحضور الى ام درمان لتجديد البيعة ، والتبرك بزيارة قبر المهدي ، وقد نكل بالممتنعين ، وبذلك بدأ الشقاق بين اتباع المهدي ، ثم اخذت الهزائم تتوالى على التعايشي ، حتى دخلت القوات المصرية والانجليزية الخرطوم في ٤ ايلول ١٨٩٨ م ــ ١٣١٦ هـ ، ثم هرب التعايشي بعد واقعة ام درمان ، وقتل في جديدفي ٢٤ تشرين الثاني ١٨٩٩ م ــ ١٣١٧ هـ ، وعين رجينلد ونجت سرداراً للجيش المصري وحاكماً عاما على السودان في ٢٢ كانون الاول ١٨٩٩ م ــ ١٣١٧ هـ .

وكان ابرم اتفاق في ١٩ كانون الثاني ١٨٩٩ م ــ ١٣١٧ هـ ، بين مصر وانجلترا بشأن ادارة السودان ، واعترفت تركيا بهذا الاتفاق ، وظل تعيين الحاكم العـام للسودان وهو في الوقت نفسه سردار الجيش المصري ، بترشيح الحكومة البريطانية وباختيارها وبموافقة الحكومة المصرية ، واستصدارها امر عال أو مرسوم ملكي ، ولو ان الاتفاق لم يشترط ان يكون الحاكم العام بريطانيا ، الا انه كان بريطانيا دائما وكذلك كان تعيين رؤساء المصالح والمديرين والمحافظين من البريطانيين ، وكان الضباط المصريون في الجيش المصري يندبون في وظائف المأمورين ، وقليل منهم في وظائف المفتشين ، والوظائف المتوسطة كالقضاء ورؤساء الاقلام ، والوظائف الكتابيـة موزعة بين الانجليز والمصريين والسوريين والسودانيين وبعض الاجانب .

وواصلت حكومة السودان حكم البلاد وظل النفوذ الانجليزي يتوطد في البلاد السودانية ، بينما يضعف النفوذ المصري الرسمي ببطء وتدريجاً .

ثم اتفقت حكومة جمهورية مصر والحكومة البريطانية ، في شباط ١٩٥٣ م ١٣٧٢ هـ ، على ان يترك للسودان حق تقرير مصيره ، فاجريت انتخابات لجمعيـة تأسيسية ، التي قررت ان السودان جمهورية ، ثم انضمت الى جامعة الدول العربية واصبحت في عداد اعضاء هيئة الامم المتحدة .

جمهورية الباكستان :

جمهورية اسلامية رئيسها الحالي اسكندر ميرزا كان تأسيسها نتيجة لتطورات لازمت تاريخ المسلمين في الهند ، خلال الف ومائتي سنة ، فقد كانت الهند قبل الفتح الاسلامي مأهولة بالهندوس ، والسكان الفطريين البدائيين ، وكان المسلمون يتصلون بها ،ويتعاملون مع اهلها منذ بدء الدعوة المحمدية ، ولكن اول صلة ثابتة قامت لهم مع الهند نشأت ٩١ هـ ــ ٧١٢ م ، عندما فتح القائد العربي محمدبن القاسم بلاد السند وذلك على عهد الوليد بن عبد الملك ، ولبث الفاتحون المسلمون مائتي سنة مكتفين بفتوحاتهم في السند ، غير ان الفتوحات توالت بانتظام بعد ٩١٨ هـ ، على يد مسلمي اواسط آسيا من الاتراك والافغان والفرس والتركمان ، ممن تدفقوا الى الهند ، حاملين معهم العقيدة الاسلامية ، فاستجابت لدعوة الاسلام ، وخضعت تدريجاً اكثر اقسام الهند لسطوة المسلمين ، ولبث سلاطينهم واباطرتهم في دلهي يحكمونها مباشرة أو بصورة غير مباشرة ، حتى منتصف القرن الثامن عشر الميلادي .

ولما تفوضت الامبراطورية المغولية في الهند ، وسقطت ، بسط البريطانيون حكمهم على الهند تدريجاً وساعدهم على ذلك تفوقهم في العدة ، وفي قوة التنظيم وكان الخطر الحقيقي الذي يحيق بسلطة الانكليز في الهند ، هو نهوض المسلمين كأمة قوية ، ولكي يتقي الانكليز هذا الخطر عمدوا الى معاضدة الهندوس لاحياء النزعة الوطنية الهندوسية ، وقد تم لهم ما ارادوا .

وكان من الطبيعي ان يتخوف المسلمون من عواقب هذه البوادر المتطرفة من جانب الهندوس ، فأسسوا لهم حزباً يتولى الدفاع عن قضيتهم ، وهو حزب العصبة المسلمة ، وقد تم تأسيسه ١٩٠٦ م ــ ١٣٢٤ هـ ، واخذ يدافع عن الامة الاسلامية في تقرير مصيرها ، ويعمل جاهداً لانقاذها من سيطرة الهندوس ، على الاقل في الاقاليم التي يؤلف المسلمون فيها اكثرية السكان ، وكان الشاعر محمد اقبال أول من فكر في تأسيس دولة اسلامية ، منفصلة عن الهند ١٩٣٠ م ــ ١٣٤٩ هـ ، وقد أقر حزب العصبة المسلمة هذه الفكرة ، واتخذها هدفاً سياسياً له بصورة رسمية ١٩٤٠ م ــ ١٣٥٩ هـ ، واتخذ الحزب بزعامة محمد علي جناح في لاهور قراراً ، طالب فيه بتقسيم بلاد الهند ، وانشاء الباكستان .

ولم يحل عام ١٩٤٣ م ــ ١٣٦٢ هـ ، حتى اوشكت هذه القضية على تحقيق هدفها فلقد كانت الحكومات في جميع الاقاليم التي ضمت للباكستان تقريباً ، حكومات شكلها حزب الرابطة الاسلامية .

وفي ١٩٤٦ م ــ ١٣٦٥ هـ ، جاءت بعثة الحكومة البريطانية التي طالبها محمد علي جناح بانشاء الباكستان ، وقد تأثرت هذه البعثة بقوة حجته .

وفي ١٤ آب ١٩٤٧ م ــ ١٣٦٦ هـ ، تأسست الباكستان بزعامة محمد علي جناح وقد صرح مؤسسها جناح : ان ما ناضلنا في سبيله خلال السنوات العشر الماضية الا وهو تأسيس باكستان ، قد اصبح اليوم بفضل الله حقيقة واقعة ، فلقد كان الغرض من تأسيس باكستان هو ايجاد وطن نستطيع ان نعيش فيه ، ونتقدم حسب ثقافتنا وميولنا ، وحيث تسود مبادىء العدل الاجتماعي الاسلامي .

وقد اقرت الجمعية التأسيسية الباكستانيـة في آذار ١٩٤٩ م ــ ١٣٦٨ هـ ، الاهداف الدستورية الآتية :

لما كان لله سبحانه وتعالى الملك كله ، ولما شاءت ارادة الله جلت قدرته ان يمنح دولة الباكستان السلطة والقوة ، تزاولهما بواسطة شعبها في الحدود التي رسمها لها ، باعتبارهما الوديعة المقدسة قرر المجلس التأسيسي الذي يمثل شعب باكستان ان يضع دستوراً تسير وفقه باكستـان المستقلة ذات السيادة ، وتمارس الدولة به وظائفها وفقاً لمبادىء الديمقراطية والحرية والمساواة والتسامح والعدالة الاجتماعية كما قضت بها تعاليم الاسلام .

دستوراً يكيف حياة المسلمين افراداً وجماعات حسب تعاليم الاسلام ، كما وردت في الكتاب الكريم والسنة . دستورا يمنح الاقليات الحرية التامة لمزاولة مهنهم والقيام بأعمالهم وبعباداتهم وفق تعاليم دينهم ، كما سيتركهم يتمتعون بالحرية في النهوض بثقافاتهم .

دستوراً يكون من الاراضي الداخلة الآن في حوزتها ومن التي قد تنضم اليها في المستقبل اتحاداً وتكون بموجبه الوحدات مستقلة في حدودها ، وحيز ضمن السلطات المخولة لها .

دستوراً يكفل للجميع الحقوق الاساسية للانسان ، المتضمنة المساواة في الحقوق والمساواة امام القانون والتمتع بالعدالة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وحرية الفكر والتعبير عن الرأي وحرية العقيدة والايمان والعبادة والاجتماع في حدود القانون والاخلاق العامة .

دستوراً يضمن حقوق الاقليات ومصالحهم الحقيقية ، وكذلك حقوق الطبقات المتأخرة ، دستوراً يكفل استقلال القضاء ، دستوراً يكفل سلامة اراضي الاتحاد واستقلاله وحقوقه في امتلاك الارض والبحر والهواء ، وذلك لكي يتسنى لشعب باكستان النجاح والسؤدد ، ولكي ينال مكانه المجيد اللائق بين امم الارض عامة ولكي تساهم باكستان مساهمة تامة في اقرار السلام العالمي ، وفي تقدم الانسانية ، ورفاهيتها .

* * *

جمهورية اندنوسيا :

جمهورية اسلامية تأتي بعد جمهورية باكستان في عدد النفوس ورئيسها الحالي احمد سوكارنو،وقد صارعت هذهالجمهورية الاستعمار الهولندي،وانتزعتاستقلالها منه بعد جهاد عنيف ابتدأ عقب الحرب العالمية الثانية ، وتكلل بالنجاح ، واعترف باستقلالها معظم الدول ، وقبلت عضوا في منظمة هيئة الامم المتحدة .

المصادر

تاريخ الامم والملوك ـ الجزء الرابع والخامس والسادس والعاشر ـ للطبري •
العبر وديوان المبتدا والخبر ـ الجزء الثاني والرابع ـ لابن خلدون •
المختصر في أخبار البشر ـ الجزء الاول ـ لابي الفداء
تاريخ اليعقوبي ـ الجزء الثاني ـ طبعة اوربا •
الامامة والسياسة ـ المنسوب لابن قتيبة •
أسد الغابة في معرفة الصحابة ـ الجزء الرابع ـ لابن الاثير •
سيرة عمر بن الخطاب ـ لابي الفرج الجوزي •
الاستيعاب في معرفة الاصحاب ـ الجزء الثاني ـ لابن عبد البر ـ طبعة الهند •
تاريخ الكامل ـ الجزء الثالث ـ لابن الاثير •
فتوح البلدان ـ للبلاذري ـ طبعة اوربا •
الاصابة في تمييز الصحابة ـ الجزء الرابع ـ لابن حجر •
كتاب الطبقات الكبير ـ الجزء الثاني ـ لابن سعد ـ طبعة ليدن
الاخبار الطوال ـ للدينوري •
تاريخ الخلفاء ـ لجلال الدين السيوطي •
تاريخ ابن عساكر ـ الجزء السابع ـ مخطوط •
الرياض النضرة في مناقب العشرة ـ الجزء الثاني ـ للمحب الطبري •
فتوح مصر وأخبارها ـ لابن أعين ـ طبعة اوربا •
الفخري في الآداب السلطانية ـ لابن الطقطقي ـ طبعة اوربا •
المعارف ـ لابن قتيبة •
دول الاسلام ـ الجزء الاول ـ للذهبي ـ طبعة الهند •
تاريخ مختصر الدول ـ لابن العبري •

مروج الذهب ـ الجزء الثاني ـ للمسعودي .
ذيل تاريخ دمشق ـ لحمزة بن القلانسي .
صبح الاعشى ـ الجزء الخامس ـ للقلقشندي .
تاريخ مصر ـ الجزء الاول ـ لابن اياس .
خطط المقريزي ـ الجزء الاول .
النجوم الزاهرة ـ لابن تغري بردي ـ طبعة اوربا .
تاريخ المماليك ـ للمفضل بن ابي الفضل ـ طبعة اوربا .
عجائب الآثار في التراجم والاخبار ـ الجزء الرابع ـ للجبرتي .
كتاب الروضتين في أخبار الدولتين ـ للمقدسي .
الفتح القدسي ـ لعماد الدين الاصفهاني ـ طبعة اوربا .
سيرة صلاح الدين الايوبي ـ لابن شداد .
سيرة عمر بن عبد العزيز ـ لعبد الله بن عبد الحكم .
البدء والتاريخ ـ الجزء السادس ـ المنسوب لمطهر بن طاهر المقدسي ـ طبعة اوربا .
أخبار الدول وآثار الاول ـ للقرماني .
نفح الطيب ـ الجزء الاول ـ للمقري .
المعجب ـ لعبد الواحد بن علي التميمي المراكشي .
تاريخ دولة آل سلجوق ـ لعماد الدين الاصفهاني .
مجلة المجمع العلمي العربي ـ المجلد التاسع .
غابر الاندلس وحاضرها ـ لمحمد كرد علي .
تاريخ الامم الاسلامية ـ لمحمد الخضري .
أشهر مشاهير الاسلام ـ الجزء الاول ـ لرفيق العظم .
خلاصة تاريخ العرب ـ لسيديو .
خطط الشام ـ الجزء الاول والثاني والثالث ـ لمحمد كرد علي .
دائرة معارف القرن العشرين ـ مادة عثمان وعلي ـ لمحمد فريد وجدي .
تاريخ التمدن الاسلامي ـ الجزء الاول ـ لجرجي زيدان .
تاريخ ملوك الاسلام وخلفاء العرب ـ لاحمد السيد .

حاضر العالم الاسلامي ـ للوثروب ستودارد وتعليقات الامير شكيب ارسلان عليه

الاستقصار لاخبار دول المغرب الاقصى ـ الجزء الثالث ـ لاحمد السلاوي

حقايق الاخبار عن دول البحار ـ الجزء الاول والثاني ـ لاسماعيل سرهنك •

تاريخ مصر الحديث ـ الجزء الاول والثاني ـ لجرجي زيدان •

البحر الزاخر في تاريخ العالم واخبار الاوائل والاواخر ـ الجزء الاول ـ للمهندس •

تاريخ الدولة العلية العثمانية ـ لمحمد فريد •

التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ـ لابراهيم حليم •

الكافي في تاريخ مصر القديم والحديث ـ لميخائيل شاروبيم •

فتح مصر الحديث او نابليون بونابرت في مصر ـ لاحمد حافظ عوض •

جريدة الفيحاء •

القضية الفلسطينية لاكرم زعيتر (١) •

الثورة العربية الكبرى لامين سعيد (٢) •

ايران ماضيها وحاضرها لدونالد ولبر •

تاريخ اليمن لعمارة اليمني

يا ولدي هذا عمك جمال لانور السادات •

مجلة آخر ساعة

جريدة الجمهورية •

جريدة الشعب •

النكبة لعارف العارف

عمان الامامية •

رضا شاه بهلوي لاحمد محمود الساداتي •

تاريخ ايران لشاهين مكاريوس •

---

(١) و (٢) لخصنا عنهما اكثر بحثي فلسطين والثورة العربية .

ايران في عهدها الجديد لمصطفى الطباطبائي .
افغانستان لعلي مظهر .
تتمة البيان في تاريخ الافغان لجمال الدين الافغاني .
مجلة المسرة السنة ٤٤ العدد ٤٣٣ .
تركيا الكمالية لسعيد سنو .
السودان لعبد الله حسين
السودان المصري لداود بركات .
تاريخ الدولة الكثيرية لمحمد هاشم .
تاريخ حضرموت السياسي لصلاح البكري .
الثورة العربية على الدولة العثمانية تعريب محيي الدين الميداني .
الثورة العربية للورنس .
تاريخ الشعوب الاسلامية لكارل بروكلمان .
مذكرات عبد الرحمن الشهبندر .
الايضاحات السياسية واسرار الانتداب الفرنسي في سورية لغالب العياشي .
يوم ميسلون لساطع الحصري .
الجريدة الرسمية بالقاهرة .
الدروز والثورة السورية لكريم خليل ثابت .
مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى لاحمد قدري .
مذكرات الملك عبد الله .
سيرة الامير محمد بن عبد الكريم الخطابي لرشدي الصالح ملحس .
مجلة المغرب .
حماية اسبانيا في مراكش لعلال الفاسي .
الحماية الفرنسية في مراكش بعد ٣٦ سنة .
المغرب الاقصى لامين الريحاني .
تونس تستكمل سيادتها .

تونس بين الاتجاهات •
ملك تونس •
خلاصة تاريخ تونس لحسن حسني عبد الوهاب •
تاريخ العراق السياسي الحديث لعبد الرزاق الحسني •
تكوين العراق الحديث لهنري فوستر •
تاريخ الوزارات العراقية لعبد الرزاق الحسني •
ايام بغداد لامين سعيد •
العراق او الدولة الجديدة لنيجل داودسون •
حركة رشيد عالي الكيلاني سنة ١٩٤١ م لعثمان كمال حداد •
كيف استقلت سورية لسعيد التلاوي •
الكتاب الاردني الابيض •
الاستعمار لمصطفى الشهابي •
الانتدابان في العراق وسورية لمحمد جميل بيهم •
جريدة النور بدمشق العدد ٦٤٢ •
العراق دراسة في تطوره السياسي لفيليب ويلارد آيرلاند •
تاريخ الكويت لعبد العزيز الرشيد •
الكويت المدينة الفاضلة لعبد الكريم محمد •
اضواء على المملكة العربية السعودية •
المملكة العربية السعودية في عهدها الحاضر •
التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية لمحمد النبهاني •
التقرير السنوي للعام الدراسي ١٩٥٦ ــ ١٩٥٧ بحكومة الكويت •
مجلة صوت البحرين السنة الثانية العدد الثامن •
مذكراتي عن الثورة العربية لفائز الغصين •
حول الحركة العربية الحديثة لمحمد عزة دروزة •
لماذا حاربت سورية فرنسا لحنا خباز •
ذكرى استقلال سورية •

اعمال الوفد السوري الفلسطيني في طريق الحرية لانور العش •
الزعيم الرئيس شكري القوتلي •
عامان في عمان لخير الدين الزركلي •
مجلة الجندي بدمشق السنة الحادية عشرة العددان ٣٤٤ ــ ٣٤٥ •
رسالة الباكستان العدد ١٨٩
باكستان السنة الثالثة العدد العاشر •
مسألة كشمير •
باكستان دولة ستعيش لعمر فروخ •
باكستان سنة ١٩٥٦ م ــ ١٣٧٥ هـ •
ثورة العراق الكبرى لعبد الحميد الراضي •
ثورة العرب لاحد اعضاء الجمعيات العربية •
ملوك العرب لامين الريحاني •
جريدة السياسة بيروت العدد ٣٨٨ السنة الثانية •
الرأي العام بدمشق السنة الرابعة العدد ١١٢٣ •
العلم بدمشق السنة الثالثة عشرة العدد ٣٢٥٤ •
الجمهورية العربية المتحدة •
تاريخ مصر السياسي في الازمنة الحديثة لمحمد رفعت •
مصطفى كامل لعبد الرحمن الرافعي •
تاريخ مصر الحديث لجرجي زيدان •
محمد فريد لعبد الرحمن الرافعي •
سعد زغلول لعباس محمود العقاد •
معالم تاريخ مصر الحديث لمحمد مصطفى ومصطفى الدقميري •
فاروق الاول لاحمد وفيق •
في اعقاب الثورة المصرية لعبد الرحمن الرافعي •
صفحة من تاريخ مصر السياسي الحديث ليوسف نحاس •
المسألة المصرية والوفد لمحمود ابو الفتح •

عباس الثاني لكرومر .
السياسة المصرية والانقلاب الدستوري لمحمد حسين هيكل .
مصطفى النحاس لعباس حافظ .
المحاكمات التاريخية الكبرى للطفي عثمان .
قصة الثورة كاملة لانور السادات .
اسرار الثورة المصرية لانور السادات .
تحرير القناة للشبراوي المرسي عبد الله .
انجلترا وقناة السويس لمحمد مصطفى صفوت .
المقتطف من تاريخ اليمن لعبد الله الجرافي .
تاريخ اليمن لعبد الواسع اليماني .
الوحدة العربية لمحمد عزة دروزة .
جزيرة العرب في القرن العشرين لحافظ وهبه .
تاريخ نجد الحديث لامين الريحاني .
الوهابيون والحجاز لمحمد رشيد رضا .
البلاد العربية السعودية لفؤاد حمزة .
المذكرات لمحمد كرد علي .
الدستور السوري العتيد سنة ١٩٥٣ .
مصطفى الشهابي : مجلة الآداب ببيروت السنة الخامسة .
ولادة استقلال لمنير تقي الدين .
الجلاء لمنير تقي الدين .
تاريخ شرقي الاردن وقبائلها لفردريك بيك .
الكتاب الاسود في القضية الاردنية العربية .
طرابلس الغرب في الماضي والحاضر لراسم رشدي .
الجزائر الثائرة لكوليت وفرانسيس جانسون .
الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي لكلود وبرينان ولاكوست .

الجزائر الثائرة للفضيل الورتلاني •
تاريخ مصر في عهد الخديوي اسماعيل باشا لالياس الايوبي •
مجلة الطريق عدد آذار ١٩٥٨ •

تاريخ عام من القرن الرابع الى ايامنا ــ للافيس ورامبو •
Lavisse & Rambaud - Histoire générale du IVe. siècle à nos jours
تاريخ العرب ــ الجزء الاول والثاني ــ لكليمان هوار •
Cl. Huart - Histoire des Arabes vol. I. II
دراسات في سلطنة الخليفة معاوية الاول ــ للامنس •
H. Lammens - Etudes sur le règne du Calife Moawia 1er
تاريخ مراكش لكوهساك شافريير •
Coissac de Chavrebière - Histoire du Maroc.
تاريخ المغرب ــ لاسماعيل حامد •
Ismaël Hamet - Histoire du Maghreb.
الاسلام والاجناس ــ الجزء الثاني ــ لاندره •
P. J. André - L'Islam & les races - Vol. II
مراكش ــ لفكتور بيكه • V. piquet - Le Maroc.
مصطفى كمال ــ لجان ميليا • Jean Mélia - Mustapha - Kémal.
تاريخ عام للجزائر ــ لكارو •
H. Garrot - Histoire générale de l'Algérie
تاريخ الحروب الصليبية ــ الجزء الاول ــ لميشو •
Michaud - Histoire des croisades Vol. I
حضارة العرب ــ لغوستاف لوبون •
G. Le Bon - La civilisation des Arabes.
تاريخ سورية ــ لتومين •
R. Thoumin - Histoire de Syrie
حضارات افريقية الشمالية •
V. Piquet - Les civilisations de L'Afrique du nord.
تاريخ الامبراطورية العثمانية ــ الجزء الاول والثاني ــ لجونكير •
De la Jonquière - Histoire de l'empire Ottoman Vol. I, II

مقدر الامبراطورية العثمانية ــ لاندره ماندلستام •

André Mandelstam - Le sort de l'empire Ottoman.

لاروس القرن العشرين ــ مادة عبد الحميد الثاني ومحمد الخامس ومحمد السادس وبلاد الفرس •

Larousse du XXe siècle - Art. Abdul - Hamid II, Mahomet V, Mahomet VI, Perse.

تاريخ الحرب الكبرى ــ لفكتور جيرو •

V. Giraud - Histoire de la grande guerre.

معلمة الاسلام ــ مادة ــ افغانستان •

Encyclopédie de l'Islam art. Afganistan.

ملحق لمبحث الجمهورية العربية المتحدة

الجزء الثاني – الصفحة ٢٩٦

واصدر جمال عبد الناصر في ٢٣ ربيع الاول ١٣٧٨ هـ – ٧ تشرين الاول ١٩٥٨ م القرارات الآتية :

القرار الاول

تتشكل حكومة الجمهورية العربية المتحدة ، من السيد عبد اللطيف البغدادي نائبا لرئيس الجمهورية ووزيرا للتخطيط .

المشير عبد الحكيم عامر نائبا لرئيس الجمهورية ووزيرا للحربية .

السيد اكرم الحوراني نائبا لرئيس الجمهورية ووزيرا للعدل .

السيد زكريا محيي الدين وزيرا للداخلية .

السيد حسين الشافعي وزيرا للشؤون الاجتماعية والعمل .

السيد كمال الدين حسين وزيرا للتربية والتعليم .

السيد محمود فوزي وزيرا للخارجية .

السيد حسن جبارة وزيرا للخزانة .

السيد عبد المنعم القيسوني وزيرا للاقتصاد .

السيد احمد عبده الشراباصي وزيرا للاشغال .

السيد احمد حسن الباقوري وزيرا للاوقاف .

السيد فاخر الكيالي وزيرا للدولة .

السيد صلاح البيطار وزيرا للثقافة والارشاد القومي .

السيد علي صبري وزيرا لشؤون رئاسة الجمهورية .

السيد امين النفوري وزيرا للمواصلات .

السيد بشير العظمة وزيرا للصحة .

السيد احمد عبد الكريم وزيرا للشؤون البلدية والقروية .

السيد عزيز صدقي وزيرا للصناعة .

السيد كمال رمزي استينو وزيرا للتموين .

السيد سيد مرعي وزيرا للزراعة والاصلاح الزراعي .
السيد كمال رفعت وزيرا للدولة .

القرار الثاني

يتشكل المجلس التنفيذي للاقليم المصري من :
السيد نور الدين طراف رئيسا ، السيد احمد حسني وزيرا للعدل ، السيد محمد ابو نصير وزيرا للشؤون البلدية والقروية ، السيد مصطفى خليل وزيرا للمواصلات السيد حسن عباس زكي وزيرا للاقتصاد ، السيد فتحي رزق وزيرا للصناعة ، السيد ثروت عكاشةوزيرا للثقافة والارشاد القومي ، السيدتوفيق عبد الفتاحوزيرا للشؤون الاجتماعية والعمل ، السيد عباس رضوان وزيرا للداخلية ، السيد احمد محروق وزيرا للزراعة ، السيد حسن بغدادي وزيرا للاصلاح الزراعي ، السيد موسى عرفة وزيرا للاشغال ، السيد محمد نصار وزيرا للصحة ، السيد حسن صلاح الدين وزيرا للخزانة ، السيد احمد نجيب هاشم وزيرا للتربية والتعليم .

القرار الثالث

يتشكل المجلس التنفيذي للاقليم السوري من :
السيد نور الدين كحالة رئيسا ووزيرا للاشغال والتخطيط بالنيابة ، السيد عبد الوهاب حومد وزيرا للخزانة ، السيد خليل الكلاس وزيرا للاقتصاد ، السيد عبد الحميد السراج وزيرا للداخلية ، السيد مصطفى حمدون وزيرا للاصلاح الزراعي ، السيد نهاد القاسم وزيرا للعدل ، السيد احمد الحاج يونس وزيرا للزراعة ،السيد طعمة العودالله وزيرا للشؤون البلدية والقروية ، السيد عبد الغني قنوت وزيرا للشؤون الاجتماعية والعمل ، السيد رياض المالكي وزيرا للثقافة والارشاد القومي ، السيد امجد الطرابلسي وزيرا للتربية والتعليم ، السيد محمدالعالم وزيرا للمواصلات السيد شوكت القنواتي وزيرا للصحة ، السيد وجيه السمان وزيرا للصناعة .

القرار الرابع

يعين السيد حسين ذو الفقار صبري نائبا لوزير الخارجية .
يعين السيد فريد زين الدين نائبا لوزير الخارجية .

القرار الخامس

يعتبر رئيس المجلس التنفيذي في كل من الاقليم المصري والاقليم السوري وزيرا للدولة في حكومة الجمهورية العربية المتحدة .

فهرس الموضوعات

الصفحة

الفصل الأول الخلفاء الراشدون ــ أبو بكر الصديق :

٣ ــ ٤ ترجمته

٤ ــ ٦ انتخابه للخلافة

٧ ــ ٩ انفاذه جيش أسامة وقتاله أهل الردة

٩ ــ ١٠ غزو الفرس

١٠ ــ ١١ غزو الشام

١١ ــ ٠٠ وفاته

عمر بن الخطاب :

١٣ ــ ٠٠ ترجمته

١٣ ــ ١٧ نفسيته وشيء من سيرته وأقواله

١٧ ــ ١٨ الفتوحات في عهده

١٨ ــ ٢٢ بعض العوامل التي جرأت العرب وساعدتهم على ذلك الفتح

٢٢ ــ ٢٤ مقتله

عثمان بن عفان :

٢٥ ــ ٠٠ ترجمته

٢٥ ــ ٢٧ انتخابه للخلافة

٢٧ ــ ٢٨ الفتوحات في عهده

٢٩ ــ ٣٠ بعض الأسباب التي أدت إلى قتله

٣٠ ــ ٣١ مقتله

علي بن أبي طالب :

٣٣ ــ ٠٠ ترجمته

٣٣ ــ ٣٤ انتخابه للخلافة

الصفحة

٣٤ – ٣٦ عزله عمال عثمان وبعثه عمالاً على الأمصار
٣٦ – ٣٧ خروج عائشة والزبير وطلحة ووقعة الجمل
٣٧ – ٣٩ علي ومعاوية ووقعة صفين والتحكيم
٣٩ – ٤٠ الخوارج ووقعة النهر
٤٠ – ٠٠ معاوية بعد وقعة صفين
٤٠ – ٤١ تآمر الخوارج على قتل علي ومعاوية وعمرو
٤١ – ٤٣ سر نجاح معاوية

الفصل الثاني – الدولة الأموية :

٤٤ – ٤٥ معاوية بن أبي سفيان
٤٥ – ٤٦ يزيد الأول
٤٦ – ٤٧ معاوية بن يزيد الأول
٤٧ – ٠٠ مروان بن الحكم
٤٧ – ٤٨ عبد الملك بن مروان
٤٨ – ٥٠ الوليد بن عبد الملك
٥٠ – ٠٠ سليمان بن عبد الملك
٥٠ – ٥١ عمر بن عبد العزيز
٥١ – ٠٠ يزيد بن عبد الملك
٥١ – ٥٢ هشام بن عبد الملك
٥٢ – ٠٠ الوليد بن يزيد بن عبد الملك
٥٢ – ٠٠ يزيد بن الوليد بن عبد الملك
٥٢ – ٥٤ مروان بن محمد بن مروان بن الحكم
٥٥ – ٥٦ الفصل الثالث – الدولة العباسية :
٥٦ – ٠٠ أبو العباس السفاح
٥٦ – ٥٧ المنصور
٥٧ – ٥٨ المهدي
٥٨ – ٠٠ الهادي
٥٨ – ٥٩ الرشيد

الصفحة

٥٩ — ٠٠ الأمين
٦٠ — ٦١ المأمون
٦١ — ٦٢ المعتصم
٦٢ — ٠٠ الواثق
٦٢ — ٦٤ المتوكل
٦٤ — ٠٠ المنتصر
٦٤ — ٦٥ المستعين
٦٥ — ٠٠ المعتز
٦٥ — ٦٦ المهتدي
٦٦ — ٦٧ المعتمد
٦٧ — ٠٠ المعتضد
٦٧ — ٠٠ المكتفي
٦٨ — ٠٠ المقتدر
٦٨ — ٦٩ القاهر
٦٩ — ٠٠ الراضي
٦٩ — ٧٠ المتقي
٧٠ — ٠٠ المستكفي
٧٠ — ٧١ بقية خلفاء بني العباس

الفصل الرابع — الدول الاسلامية في الأندلس :

٧٣ — ٧٦ دولة الأمويين في الأندلس
٧٦ — ٧٨ طوائف الملوك في الأندلس
٧٨ — ٠٠ أمراء بني أمية في الأندلس
٧٨ — ٧٩ خلفاء بني أمية في الأندلس
٧٩ — ٠٠ الدول الزيرية في غرناطة
٧٩ — ٠٠ دولة بني حمود في مالقة
٧٩ — ٠٠ ملوك دانية
٨٠ — ٠٠ الدولة التجيبية والهودية في سرقسطة

الصفحة

٨٠ — ٠٠ الدولة العامرية في بلنسية
٨٠ — ٠٠ دولة بني عباد في اشبيلية
٨١ — ٠٠ الدولة الجهورية في قرطبة
٨١ — ٠٠ دولة بني ذي النون في طليطلة
٨١ — ٠٠ دولة بني حمود في الجزيرة الخضراء
٨١ — ٨٢ الدولة النصرية

الفصل الخامس في الدول الاسلامية في المغرب :

٨٣ — ٠٠ الادارسة
٨٣ — ٨٥ المرابطون
٨٥ — ٨٩ الموحدون
٩٠ — ٠٠ بنو وطاسن أو دولة بني مرين الثانية
٩١ — ٠٠ الاشراف السعديون
٩١ — ٩٦ الأشراف الحسنيون
٩٦ — ٠٠ بنو زيان
٩٦ — ٠٠ بنو الأغلب
٩٧ — ٩٨ العبيديون في افريقية
٩٨ — ٠٠ بنو زيري
٩٨ — ٩٩ بنو حفص
٩٩ — ١٠١ العائلة الحسينية في تونس
١٠١ — ١٠٢ الجمهورية التونسية
١٠٢ — ١٠٣ عائلة القره مانلي في طرابلس
١٠٣ — ١٠٤ احتلال ايطاليا لطرابلس وليبيا
١٠٤ — ١٠٥ المملكة الليبية المتحدة
١٠٦ — ٠٠٠ الادارسة
١٠٦ — ٠٠٠ المرابطون
١٠٦ — ١٠٧ الموحدون
١٠٧ — ١٠٨ بنو مرين

الصفحة

١٠٨ — ١٠٩ الأشراف السعديون
١٠٩ — ... الأشراف الحسنيون
١١٠ — ... الأغلبيون
١١٠ — ... دولة العبيديين بافريقية
١١٠ — ١١١ دولة بني زيري الصنهاجيين في تونس
١١١ — ... دوله بني حفص بتونس
١١١ — ١١٢ العائلة الحسينية بتونس
١١٢ — ... عائلة القره مانلي بطرابلس الغرب

الفصل السادس — الدول الاسلامية في مصر والشام وجزيرة العرب:

١١٣ — ١١٤ الدولة الطولونية
١١٤ — ١١٥ الدولة الاخشيدية
١١٥ — ... العبيديون أو الدولة القاهرية
١١٥ — ١١٦ الدولة الصلاحية
١١٦ — ١١٧ دولة المماليك البحرية
١١٧ — ١١٩ دولة المماليك الجراكسة
١١٩ — ١٣٠ العائلة المحمدية العلوية
١٣٠ — ١٣٣ جمهورية مصر
١٣٣ — ١٣٤ الدولة الحمدانية في حلب
١٣٤ — ١٣٥ تقسيم الشام بين القبائل وبني مرداس
١٣٤ — ... دولة آل سلجوق
١٣٤ — ... الدولة الأتابكية
١٣٤ — ... بنو ارتق
١٣٥ — ١٣٦ الدولة النورية في الشام
١٣٦ — ١٣٧ الايوبيون
١٣٧ — ١٤٢ الحروب الصليبية
١٤٢ — ١٤٣ دول شبه جزيرة العرب — دول اليمن
١٤٣ — ١٤٥ المملكة المتوكلية
١٤٥ — ١٤٦ دول حضرموت ـ الدولة الكثيرية

الصفحة

١٤٦ — ... الدولة اليافعية
١٤٦ — ١٤٨ أئمة عمان
١٤٩ — ١٥٠ دولة زنجبار
١٥٠ — ١٥٣ أمراء البحرين
١٥٣ — ١٥٦ إمارة الكويت
١٥٦ — ١٥٨ السعوديون
١٥٨ — ١٥٩ المملكه العربية السعودية
١٦٠ — ١٦٤ المملكة الهاشمية
١٦٤ — ... الطولونيون
١٦٤ — ... الاخشيديون
١٦٤ — ١٦٥ الفاطميون بمصر
١٦٥ — ... الأيوبيون بمصر
١٦٥ — ١٦٦ المماليك البحرية
١٦٧ — ... المماليك الجراكسة
١٦٨ — ... العائلة المحمدية العلوية بمصر
١٦٨ — ... الحمدانيون بحلب
١٦٨ — ١٦٩ الدولة المرداسية بحلب
١٦٩ — ... دولة آل سلجوق في الشام
١٦٩ — ... الدولة الاتابكية في دمشق
١٦٩ — ... الاتابكية في الشام أو الدولة النورية
١٧٠ — ... الأيوبيون بحمص
١٧٠ — ... الايوبيون في حماة
١٧٠ — ١٧١ الأيوبيون بدمشق
١٧١ — ١٧٢ سلاطين الدولة الكثيرية بحضرموت
١٧٣ — ١٧٥ الأئمة بعمان
١٧٥ — ... الأسياد بعمان
١٧٥ — ١٧٦ أمراء آل خليفة

الصفحة

١٧٦ — ... أمراء الكويت
١٧٦ — ١٧٧ الدولة اليعفرية في صنعاء
١٧٧ — ... الدولة النجاحية
١٧٧ — ... الأيوبيون بجزيرة العرب
١٧٧ — ١٧٨ السعوديون

الفصل السابع — الدول الاسلامية في العراق وفارس والهند وبلاد الأفغان وارمينية وكردستان وغيرها :

١٧٩ — ... الدول الطاهرية
١٧٩ — ١٨٠ الدولة الزيدية بطبرستان
١٨٠ — ... الدولة الصفارية
١٨٠ — ١٨١ السامانيون
١٨١ — ... الدولة الزيارية
١٨١ — ... عائلة عمران بن شاهين
١٨١ — ١٨٢ بنو بويه
١٨٢ — ١٨٣ الدولة السبكتكينية
١٨٣ — ١٨٤ الدولة الصفوية
١٨٤ — ١٨٦ الدولة القاجارية بايران
١٨٦ — ١٨٩ الدولة الدورانية
١٩٠ — ... دولة آل مروان
١٩٠ — ... الدولة العقيلية
١٩٠ — ١٩٢ آل سلجوق
١٩٢ — ... الدولة الارتقية
١٩٢ — ١٩٣ الأتابكية
١٩٣ — ... شاهات خوارزم
١٩٣ — ١٩٤ الدولة الغورية
١٩٤ — ... شاهات ارمينية
١٩٤ — ١٩٦ بقية الدول التي حكمت في الشرق

الصفحة

١٩٦ — ... الدول الزيدية بطبرستان
١٩٦ — ... السامانيون
١٩٧ — ... الحمدانيون بالموصل
١٩٧ — ... بنو بويه في العراق
١٩٧ — ... عائلة عمران بن شاهين
١٩٨ — ... الدولة السبكتكينية
١٩٨ — ... الدولة المروانية
١٩٨ — ١٩٩ الدولة العقيلية بالموصل
١٩٩ — ... دولة آل سلجوق الكبرى
١٩٩ — ٢٠٠ دولة سلاجقة كرمان
٢٠٠ — ... سلاجقة الروم
٢٠٠ — ٢٠١ دولة آل سلجوق في العراق
٢٠١ — ... ملوك الخوارز مشاهية
٢٠١ — ٢٠٢ الدولة الارتقية (ملوك الحصن)
٢٠٢ — ... الدولة الارتقية (ملوك ماردين)
٢٠٢ — ٢٠٣ شاهات ارمينية
٢٠٣ — ... الاتابكية في الموصل
٢٠٣ — ٢٠٤ اتابكية لورستان (الهزارسبية)
٢٠٤ — ... الاتابكية في سنجار
٢٠٤ — ... الاتايكية في اذربيجان
٢٠٤ — ٢٠٥ الاتابكية في فارس (الدولة السلغرية)
٢٠٥ — ... الايوبيون بالعراق
٢٠٥ — ... الدولة الغورية
٢٠٦ — ... الدولة القاجارية
٢٠٧ — ٢٠٨ الفصل الثامن — الدولة العثمانية
٢٠٨ — ... عثمان الأول
٢٠٨ — ٢٠٩ اورخان الأول

الصفحة

٢٠٩ — ٢١٠ مراد الأول
٢١٠ — ٢١٢ بايزيد الأول
٢١٢ — ... محمد جلبي
٢١٢ — ٢١٣ مراد الثاني
٢١٣ — ٢١٥ محمد الثاني
٢١٥ — ... بايزيد الثاني
٢١٥ — ٢١٦ سليم الأول
٢١٦ — ٢٢٠ سليمان الأول
٢٢٠ — ... سليم الثاني
٢٢١ — ٢٢٢ مراد الثالث
٢٢٢ — ... محمد الثالث
٢٢٢ — ٢٢٣ أحمد الأول
٢٢٣ — ... مصطفى الأول
٢٢٣ — ... عثمان الثاني
٢٢٣ — ٢٢٤ مراد الرابع
٢٢٤ — ... ابراهيم الأول
٢٢٤ — ٢٢٥ محمد الرابع
٢٢٥ — ٢٢٦ سليمان الثاني
٢٢٦ — ... أحمد الثاني
٢٢٦ — ... مصطفى الثاني
٢٢٦ — ٢٢٨ أحمد الثالث
٢٢٨ — ٢٢٩ محمود الأول
٢٢٩ — ... عثمان الثالث
٢٢٩ — ... مصطفى الثالث
٢٢٩ — ٢٣٠ عبد الحميد الأول
٢٣٠ — ٢٣٣ سليم الثالث
٢٣٣ — ... مصطفى الرابع

الصفحة

٢٣٣ — ٢٣٧ محمود الثاني
٢٣٧ — ٢٣٩ عبد المجيد الأول
٢٣٩ — ٢٤٠ عبد العزيز
٢٠٠ — ٠٠٠ مراد الخامس
٢٤٠ — ٢٤٢ عبد المجيد الثاني
٢٤٢ — ٢٤٣ محمد الخامس
٢٤٣ — ٢٤٤ محمد السادس
٢٤٥ — ٢٤٦ الجمهورية التركية

الفصل التاسع — الدول الاسلامية والعربية التي أسست بعد الحرب العالميـة الأولى

٢٤٧ — ٢٦٦ الجمهورية السورية
٢٦٦ — ٢٩٦ الجمهورية العربية المتحدة
٢٩٦ — ٣٠٦ اتحاد الجمهورية العربية المتحدة مع المملكة المتوكلية اليمانية
٣٠٦ — ٣١٥ الجمهورية اللبنانية
٣١٥ — ٣٣٨ فلسطين
٣٣٩ — ٣٤٣ المملكة الاردنية
٣٤٣ — ٣٥٥ المملكة العراقية
٣٥٥ — ٣٦٢ الجمهورية العراقية
٣٦٢ — ٣٦٤ جمهورية السودان
٣٦٥ — ٣٦٧ جمهورية الباكستان
٣٦٧ — ٠٠٠ جمهورية اندنوسيا
٣٦٨ — ٣٧٦ المصادر
٣٧٧ — ٣٧٨ ملحق لمبحث الجمهوريه العربية المتحدة

آثار المؤلف المطبوعة

خالد بن الوليد	نفد
افريقية الغربية البريطانية	»
أعلام النساء	تحت الطبع
العالم الاسلامي (الجزء الأول)	
جغرافية شبه جزيرة العرب	
معجم قبائل العرب (٣ أجزاء)	
فهرس مجلة المجمع العلمي العربي (الجزء الأول)	
معجم المؤلفين (الجزء الأول والثاني والثالث والرابع والخامس والسادس)	

Library of

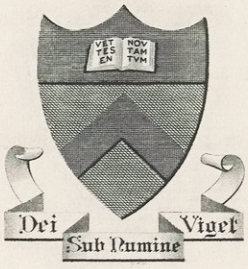

Princeton University.

Princeton University Library
32101 074454487